

الاستعداد للموت

إعداد

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الطبعة الرابعة

مُعدَّة ومزيدة

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

((بهانج - دار المعمور))

(حقوق الطبع لكل مسلم)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمد ونستغفره، ونؤمن به ونتوكل عليه، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي مرسل، وأكرم شافع مفضل، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه البدور الكمل، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

« ... فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ... » رواه مسلم مطولاً^١

يقول الله تعالى: { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } (٣٠) سورة الزمر
ويقول تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ
عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } (١٨٥) سورة آل
عمران .

إن الموت نهاية كل حي، ولا يتفرد بالبقاء إلا الله وحده ، وفي الموت يستوي كل البشر، بما فيهم الأنبياء والمرسلون، والموت ليس نهاية المطاف، إنما هو حلقة لها ما بعدها من حلقات النشأة المقدره المدبرة، التي ليس شيء منها عبثاً ولا سدى.

إن القرآن الكريم يلمس حكمة الخوف من الموت في النفس البشرية لمسة موحية تطرّد ذلك الخوف عن طريق الحقيقة الثابتة في شأن الموت وشأن الحياة، وما بعد الحياة والموت من حكمة وتدبير، ومن ابتلاء للعباد وجزاء.

ومن ثم يقول الله تعالى: { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ } (١٤٥) سورة آل عمران

^١ - برقم (٢٠٤٢)

إن لكل نفس كتاباً مؤجلاً إلى أجل مرسوم، ولن تموت نفسٌ حتى تستوفيَ هذا الأجل المرسوم، فالخوف والهلع والحرص والتخلف، لا تطيلُ أجلاً، والشجاعةُ والثبات والإقدام والوفاء، لا تقصّرُ عمراً، فلا كان الجبن، ولا نامت أعينُ الجبناء، والأجل المكتوب لا ينقص منه يوم ولا يزيد !

بذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس، فتترك الاشتغال به، ولا تجعله في الحساب، وهي تفكر في الأداء والوفاء بالتكاليف والالتزامات الإيمانية، وبذلك تنطلق من عقال الشح والحرص، كما ترتفع على وهلة الخوف والفرع، وبذلك تستقيمُ على الطريق الذي رسمه الله لها بكل تكاليفه وبكل التزاماته، في صبر وطمأنينة، وتوكل على الله الذي يملك الآجال وحده.

والذي يعيش لهذه الأرض وحدها، ويريد ثوابُ الدنيا وحدها، إنما يحيا حياة الديدان والدواب والأنعام! ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب، والذي يتطلع إلى الأفق الآخر، إنما يحيا حياة الإنسان الذي كرمه الله تعالى، واستخلفه، وأفرده بهذا المكان، ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب.

أما طريقة عملي في هذا الكتاب فهي كما يلي :

- ١- جمع الآيات والأحاديث المقبولة في هذا الباب ، وقد نافت على الثلاثمائة
 - ٢- تخريج هذه الأحاديث باختصار من مصادرها الرئيسة
 - ٣- الحكم على هذه الأحاديث من حيث الصحة والضعف دون تشدد أو تساهل
 - ٤- شرح الآيات القرآنية باختصار
 - ٥- شرح الكلمات الغريبة من مظاهرها
 - ٦- شرح ما يتعلق بدلالة الحديث من خلال كتب الشروح
 - ٧- ذكر خلاصة رأي الفقهاء في عديد من المسائل
 - ٨- ذكر أهم المصادر في آخر الكتاب
- وقد قسمته إلى ثلاثة أبواب ، وتحت كل باب مباحث عديدة :
- الباب الأول مفهوم الموت في القرآن الكريم

- المبحث الأول لا فرار من الموت إذا حلَّ الأجلُ
- المبحث الثاني كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
- المبحث الثالث الحث على التوبة قبل الموت
- المبحث الرابع إذا حضر الأجل فلا رجعة للدنيا
- المبحث الخامس اللَّهُ يَتَوَفَّى النَّفْسَ حِينَ مَوْتِهَا
- المبحث السادس الله تعالى قدر الموت والحياة
- المبحث السابع الإنسان يغفل عن الموت
- المبحث الثامن وجوب تذكر المؤمن رسالته في هذه الأرض
- المبحث التاسع من هاجر إلى الله وأدركه الموت قبل وصوله فقد وقع أجره على الله
- المبحث العاشر المنافقون يهربون من الجهاد فرارا من الموت
- المبحث الحادي عشر الكفار لا يتمنون الموت أبدا
- المبحث الثاني عشر وجوب التواصي بالموت على الإسلام
- المبحث الثالث عشر الحث على الوصية قبل الموت لغير الورثة
- المبحث الرابع عشر الملائكة تقبض أرواح الناس
- المبحث الخامس عشر حال الكفار أثناء نزع الروح
- المبحث السادس عشر الأمم لها آجال أيضا
- الباب الثاني الموت في السَّنة النبوية
- المبحث الأول الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ
- المبحث الثاني موت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
- موت آدم عليه السلام
- موسى وملك الموت عليهما السلام
- موت النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -
- المبحث الثالث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.
- المبحث الرابع لمثل هذا فأعدوا

المبحث الخامس فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله

المبحث السادس الموت على عمل صالح

المبحث السابع التحذير من سوء الخاتمة

المبحث الثامن أسباب حسن الخاتمة

الباب الثالث الإنسان من مرضه حتى دفته

المبحث الأول الترغيب في سؤال العفو والعافية

المبحث الثاني النهي عن تمني الموت لضر نزل به

المبحث الثالث الترغيب في الصبر وفضل البلاء

المبحث الرابع فضل طول الحياة في طاعة الله تعالى

المبحث الخامس الترغيب في كلمات يقولهن من آله شيء من جسده

المبحث السادس الترغيب في عيادة المرضى

المبحث السابع الترغيب في الوصية والعدل فيها

المبحث الثامن فضل الموت

المبحث التاسع الترهيب من كراهية الموت والترغيب بمحبته

المبحث العاشر استحباب ذكر الموت والاستعداد له

المبحث الحادي عشر تحسين الظن بالله والخوف منه

المبحث الثاني عشر نذير الموت

المبحث الثالث عشر علامة خاتمة الخير وسوءها

المبحث الرابع عشر كيفية الموت وشدته

المبحث الخامس عشر تلقين الميت

المبحث السادس عشر ما جاء في ملك الموت وأعوانه

المبحث السابع عشر من يحضر الميت من الملائكة

المبحث الثامن عشر الحث على التوبة قبل فوات الأوان

المبحث التاسع عشر الترغيب في كلمات يقولهن من مات له ميت

- المبحثُ العُشرون معرفة الميت بمن يغسله ويجهزه
- المبحثُ الواحد والعشرون بكاء السموات والأرض على المؤمن
- المبحثُ الثاني والعشرون الترغيب في حفر القبور وغسل الموتى
- المبحثُ الثالث والعشرون الترغيب في تشييع الميت وحضور دفنه
- المبحثُ الرابع والعشرون الترغيب في كثرة المصلين على الجنائز
- المبحثُ الخامس والعشرون الترغيب في الإسراع بالجنائز وتعجيل الدفن
- المبحثُ السادس والعشرون الدفن في المكان المقدّر
- المبحثُ السابع والعشرون ما يقال عند الدفن
- المبحثُ الثامن والعشرون ضمة القبر
- المبحثُ التاسع والعشرون مخاطبة القبر للميت
- المبحثُ الثلاثون الترغيب في الدعاء للميت
- المبحثُ الواحد والثلاثون عذاب القبر ونعيمه
- المبحثُ الثاني والثلاثون من لا يسأل في القبر وما ينجي من عذاب القبر
- المبحثُ الثالث والثلاثون الترهيب من النياحة على الميت وغيرها
- المبحثُ الرابع والثلاثون الترهيب من إحداث المرأة على غير زوجها فوق ثلاث
- المبحثُ الخامس والثلاثون النهي عن أكل ما اليتيم بغير حق
- المبحثُ السادس والثلاثون الترغيب في زيارة القبور
- المبحثُ السابع والثلاثون الترهيب من المرور بقبور الظالمين
- المبحثُ الثامن والثلاثون أحوال الموتى في قبورهم
- المبحثُ التاسع والثلاثون باب صفة الدفن
- المبحثُ الأربعون الترهيب من الجلوس على القبر وكسر عظم الميت أو نبشه إلا
- لضرورة
- المبحثُ الواحد والأربعون النهي عن تخصيص القبر ورفع الصلاة إليه
- المبحثُ الثاني والأربعون الحث على تعزية المسلم

المبحث الثالث والأربعون الحث على صنع الطعام لأهل الميت
المبحث الرابع والأربعون النهي عن شق الجيوب ولطم الخدود والصداء بدعوى
الجاهلية

المبحث الخامس والأربعون ما ينفع الميت في قبره

وأخيرا خاتمة ...

وفي هذه الطبعة زدت في شرح الآيات وزدت بعض الأحاديث وبعض التعليقات الفقهية
فعلى الإنسان العاقل أن يشمر عن ساعد الجدِّ، ويثابر على طاعة الله قبل فوات الأوان،
خاصة وأنَّ أجَلنا مجهول، والعمر قصير، وإياك أن تكون من المسوّفين فتندم ولات ساعة
مندم.

لذا فيني أقدم إليك أيها القارئ العزيز ومضاتٍ من سُنَّة الرسول ﷺ حول الموت
ومقدماته، وعذاب القبر ونعيمه، وهي مما صح عنه ﷺ، علَّها تذكرك وإياك بحقيقة الحياة
والموت، وتجعلنا ممن يعودُ إلى الله تعالى قبل انتهاء هذه الرحلة القصيرة، فنفوزَ بسعادة
الدارين والحمد لله رب العالمين.

قال تعالى : { قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (٨) سورة الجمعة

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ
(٢٠) { سورة الحشر

وقال الشاعر :

فلو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حيٍّ
ولكننا إذا متنا بُعثنا ونسأل بعده عن كل شيءٍ

وقال آخر :

أيّا عبدٍ كم يراك الله عاصيا -- حريصاً على الدنيا وللموت ناسيا

أنسيتَ لقاءَ الله واللحد والشرى؟ -- ويوماً عبوساً تشيبُ فيهِ النواصيا
لو أن المرءَ لم يلبس ثياباً من التُّقى -- تشرَّد عُرياناً و لو كان كاسيا
ولو أن الدنيا تدومُ لأهلِها -- لكان رسولُ الله حياً و باقيا
هذا وأسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره في الدارين آمين.

ولتبه

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحمرو

في ١٤١٢ هـ الموافق ل ١٩٩١/٩/٥

وقد تمت مراجعته وتعديله بتاريخ ١ ذو الحجة ١٤٢٧ هـ الموافق ٢٠٠٦/١٢/٢١ م

وعُدل تعديلا جذريا بتاريخ ٨ شعبان ١٤٢٩ هـ الموافق ل ٢٠٠٨/٨/١٠ م

وعُدل أيضا بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ الموافق ل ٢٠٠٩/٤/١٢ م



الباب الأول مفهوم الموت في القرآن الكريم

المبحث الأول لا فرار من الموت إذا حلَّ الأجلُ

المبحث الثاني كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

المبحث الثالث الحث على التوبة قبل الموت

المبحث الرابع إذا حضر الأجل فلا رجعة للدنيا

المبحث الخامس اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا

المبحث السادس الله تعالى قدر الموت والحياة

المبحث السابع الإنسان يغفل عن الموت

المبحث الثامن وجوب تذكر المؤمن رسالته في هذه الأرض

المبحث التاسع من هاجر إلى الله وأدركه الموت قبل وصوله فقد وقع أجره على الله

المبحث العاشر المنافقون يهربون من الجهاد فرارا من الموت

المبحث الحادي عشر الكفار لا يتمنون الموت أبدا

المبحث الثاني عشر وجوب التواصي بالموت على الإسلام

المبحث الثالث عشر الحث على الوصية قبل الموت لغير الورثة

المبحث الرابع عشر الملائكة تقيض أرواح الناس

المبحث الخامس عشر حال الكفار أثناء نزع الروح

المبحث السادس عشر الأمم لها آجال أيضا

الباب الأول

مفهوم الموت في القرآن الكريم

المبحث الأول

لا فرار من الموت إذا حلَّ الأجلُ

قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) [البقرة/ ٢٤٣]

يَقُولُ الْمَفْسِّرُونَ أَنَّ قَوْمًا خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فِرَارًا مِنْ وَبَاءٍ أَوْ مَرَضٍ حَلَّ بِهَا أَوْ خَوْفًا مِنْ عَدُوٍّ مُهَاجِمٍ وَهُمْ أُلُوفٌ كَثِيرَةٌ تَدْعُو كَثْرَتُهُمْ إِلَى الشَّجَاعَةِ وَالْأَطْمِئْنَانِ إِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى الدَّفَاعِ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ وَالْعَرَضِ ، لَا إِلَى الْهَلَعِ وَالْخَوْفِ ، الَّذِي يَحْمِلُ الْخَائِفَ عَلَى الْهَرَبِ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ . وَقِيلَ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْهَارِبِينَ مِنْ دِيَارِهِمْ حَذَرَ الْمَوْتِ نَزَلُوا وَادِيًا فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَوْتِ فَمَاتُوا جَمِيعًا . ثُمَّ مَرَّ نَبِيُّ قَدَا اللَّهُ أَنْ يُحْيِيَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ ، فَأَحْيَاهُمْ لِيَكُونُوا عِظَةً وَعِبْرَةً لِمَنْ خَلَفَهُمْ ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ حَذَرَ مَنْ قَدَرٍ . وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ فِيمَا يُرِيهِمْ مِنْ آيَاتِهِ وَحُجَجِهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَقُومُونَ بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ ، وَأَفْضَالِهِ .^٢

وقال تعالى { وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهُمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨) [آل عمران/ ١٦٦-١٦٨]

مَا أَصَابَكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أَحُدٍ ، حِينَمَا التَّقَيْتُمْ بَعْدَكُمْ فِي مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ ، وَمَا حَلَّ بِكُمْ مِنْ هَزِيمَةٍ وَقَتْلٍ ، إِنَّمَا كَانَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَقَضَائِهِ السَّابِقِ ، الَّذِي جَعَلَ

^٢ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٥٠)

المسببات نتائج لأسبابها ، فكلُّ عسكرٍ يعصِي قَائِدَهُ ، وَيَكْشِفُ ظَهْرَهُ لِعَدُوِّهِ يُصَابُ بِمِثْلِ مَا أُصِيبَتْ بِهِ ، وَأَكْثَرُ مِنْهُ ، وَلِلَّهِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ فِي ذَلِكَ ، لَأَنَّ الشَّدَائِدَ تَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَتَبَتُّوا ، وَلَمْ يَتَزَلَّزِلُوا أَمَامَ الْعَدُوِّ ، وَالشَّدَائِدُ تُظْهِرُ الْمُفَقِينَ الَّذِينَ تَبَطَّنُوا بِالْكَفْرِ ، وَأَظْهَرُوا الْإِيمَانَ ، مِنْ جَمَاعَةِ ابْنِ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ ، الَّذِينَ رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ قَبْلَ الْمَعْرَكَةِ ، فَلَحِقَ بِهِمْ رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُونَهُمْ لِلْعُودَةِ إِلَى الصَّفِّ ، وَيُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَمُسَاعَدَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِكْتَارِ عَدَدِهِمْ أَمَامَ الْمُشْرِكِينَ (أَوْ اذْفَعُوا) ، فَرَدُّوا مُتَعَلِّينَ : لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ حَرْبًا لَا تَبْعُنَاكُمْ ، وَلَكِنَّا فِي قُلُوبِهِمْ يَعْتَقِدُونَ غَيْرَهُ . وَهُمْ حِينَمَا قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ كَانُوا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَقْرَبَ لِلْكَفْرِ مِنْهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ فِي قُلُوبِهِمْ وَفِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكِيدِ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَسَيَعَابُهُمْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وهؤلاء المنافقون الذين قعدوا عن الجهاد ، هُم الذين قالوا عن إخوانهم الذين قُتِلُوا فِي الْمَعْرَكَةِ : لَوْ سَمِعُوا مَشُورَتَنَا فِي الْقُعُودِ ، وَعَدَمِ الْخُرُوجِ لَمَا قُتِلُوا مَعَ مَنْ قُتِلَ . وَيُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مُسْتَكْرَأً قَوْلُهُمْ هَذَا : قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ : لَوْ كَانَ الْقُعُودُ يَسْلَمُ بِهِ الشَّخْصُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمَوْتِ ، فَيَنْبَغِي عَلَيْكُمْ إِلَّا تَمُوتُوا . وَلَكِنَّ الْمَوْتَ آتٍ لَا بُدَّ مِنْهُ ، فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ .^٣

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ أَنَّا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) [النساء/٧٧، ٧٨]

كَانَ الْمُؤْمِنُونَ فِي بَدْءِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ ، فِي مَكَّةَ ، مَأْمُورِينَ بِالصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، وَبِمُؤَاسَاةِ الْفُقَرَاءِ ، وَكَانُوا مَأْمُورِينَ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ، وَالصَّبْرِ إِلَى حِينٍ ، وَكَانُوا

^٣ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٥٩)

يَتَحَرَّقُونَ شَوْقًا إِلَى الْقِتَالِ ، وَيَتَمَنُّونَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُمْ بِالْقِتَالِ ، لِيَنْتَصِفُوا مِنْ أَعْدَائِهِمْ ، وَيَشْفُوا غَلِيلَهُمْ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَكُنِ الْحَالُ إِذْ ذَاكَ مُنَاسِبًا لِلْقِتَالِ لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ : مِنْهَا قِلَّةُ عَدَدِهِمْ ، وَمَنْهَا كَوْنُهُمْ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ ، لِذَلِكَ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالْجِهَادِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ خَرَجُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَصَارَ لَهُمْ فِيهَا دَارُ مَنَعَةٍ وَأَنْصَارٌ . وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَمَّا أُمِرُوا بِمَا كَانُوا يَتَمَنُّونَهُ (وَهُوَ الْقِتَالُ) جَزَعَ بَعْضُهُمْ جَزَعًا شَدِيدًا ، وَخَافُوا مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ فِي مَيْدَانِ الْحَرْبِ ، وَقَالُوا : رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ الْآنَ؟ لَوْلَا أَخَّرْتَ فَرَضَهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ (أَوْ لَوْ تَأَخَّرْتَ فِي فَرَضِهِ عَلَيْنَا حَتَّى نَمُوتَ مَوْتًا طَبِيعِيًّا حَتَّى نَأْتِفَنَا) ، فَإِنَّ فِيهِ سَفْكَ الدَّمَاءِ ، وَيَتِمُّ الْأَوْلَادُ ، وَتَأَيِّمُ النِّسَاءُ . فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا مَهْمَا عَظُمَ قَلِيلٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَى ، وَحَيَاةِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا قَصِيرَةٌ ، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلْمُتَّقِينَ ، لَا تَهْمُ سَيِّكُونُونَ خَالِدِينَ فِي الْجَنَّاتِ ، يَنْعَمُونَ بِرِضْوَانِ رَبِّهِمْ . وَقُلْ لَهُمْ : إِنَّهُمْ سَيُوفُونَ أَعْمَالَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا وَلَوْ قُلَّ ، وَلَوْ كَانَ فَتِيلًا .

يَخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ بِأَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ لَا مَحَالَةَ ، وَلَا يَنْجُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، وَلَوْ كَانُوا مُقِيمِينَ فِي حُصُونٍ مَبْنِيَّةٍ ، قَوِيَّةِ الْبُنْيَانِ وَالتَّحْصِينِ وَلِلنَّاسِ أَجَلٌ مَحْتُومٌ ، وَوَقْتُ مَعْلُومٌ ، لَا يَتَقَدَّمُونَ عَنْهُ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ ، سِوَاهُ أَجَاهِدُوا وَتَعَرَّضُوا لِمَخَاطِرِ الْحُرُوبِ ، أَوْ قَعَدُوا فِي بُيُوتِهِمْ ، فَلَا يُقَدِّمُ الْجِهَادُ أَجَلًا . وَلَا يُؤَخِّرُ الْقُعُودُ أَجَلًا فَلِمَاذَا يَكْرَهُونَ الْقِتَالَ ، وَيَجْبُنُونَ وَيَتَمَنُّونَ الْبَقَاءَ ، أَلَيْسَ هَذَا بِضَعْفٍ فِي الْعَقْلِ وَالْدِّينِ؟

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنًا آخَرَ مِنْ شُؤْنِهِمْ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى الْحَقِّ وَضَعْفِ الْإِدْرَاكِ ، وَهُوَ أَنَّهُمْ إِذَا أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ خَيْرٍ وَخَصْبٍ وَرِزْقٍ كَثِيرٍ ، وَكَثَرَةُ أَمْوَالٍ وَأَوْلَادٍ . . . قَالُوا : هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ الَّذِي أَكْرَمَهُمْ بِهَا ، لِأَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ مِنْهُ . وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ قَحْطٌ وَجَدْبٌ وَنَقْصٌ فِي الثَّمَارِ وَالزُّرُوعِ أَوْ مَوْتِ أَوْلَادٍ قَالُوا : هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ، وَبِسَبَبِ اتِّبَاعِنَا لَكَ ، وَإِيمَانِنَا بِمَا أَتَيْنَا بِهِ ، وَتَرَكْنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا . فَقُلْ لَهُمْ : كُلُّ مَا يُصِيبُ النَّاسَ ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَبِتَقْدِيرِهِ ، اخْتِبَارًا وَابْتِلَاءً ، فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ وَكَأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ ، وَلَا مَا يُقَالُ لَهُمْ؟^٤

^٤ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٧٠)

" يعجب الله - سبحانه - من أمر هؤلاء الناس الذين كانوا يتدافعون حماسة إلى القتال ويستعجلونه وهم في مكة ، يتلقون الأذى والاضطهاد والفتنة من المشركين. حين لم يكن مأذونا لهم في القتال للحكمة التي يريد بها الله. فلما أن جاء الوقت المناسب الذي قدره الله وتهيأت الظروف المناسبة وكتب عليهم القتال - في سبيل الله - إذا فريق منهم شديد الجزع ، شديد الفزع ، حتى ليخشى الناس الذين أمروا بقتالهم - وهم ناس من البشر - كخشية الله القهار الجبار ، الذي لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد .. «أو أشد خشية»!!

وإذا هم يقولون - في حسرة وخوف وجزع - «رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ؟» .. وهو سؤال غريب من مؤمن. وهو دلالة على عدم وضوح تصوره لتكاليف هذا الدين ولوظيفة هذا الدين أيضا .. ويتبعون ذلك التساؤل ، بأمنية حسيرة مسكينة! «لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ!» وأمهلتنا بعض الوقت ، قبل ملاقاته هذا التكليف الثقيل المخيف! إن أشد الناس حماسة واندفاعا وتهورا ، قد يكونون هم أشد الناس جزعا وانقيادا وهزيمة عند ما يجد الجدد ، وتقع الواقعة .. بل إن هذه قد تكون القاعدة! ذلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالبا ما تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكليف. لا عن شجاعة واحتمال وإصرار. كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة الاحتمال. قلة احتمال الضيق والأذى والهزيمة فتدفعهم قلة الاحتمال ، إلى طلب الحركة والدفع والانتصار بأي شكل. دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار .. حتى إذا ووجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدروا ، وأشق مما تصوروا. فكانوا أول الصف جزعا ونكولا وانقيادا .. على حين يثبت أولئك الذين كانوا يمسكون أنفسهم ، ويحتملون الضيق والأذى بعض الوقت ويعدون للأمر عدته ، ويعرفون حقيقة تكاليف الحركة ، ومدى احتمال النفوس لهذه التكاليف. فيصبرون ويتمهلون ويعدون للأمر عدته ..

والمتهورون المندفعون المتحمسون يحسبونهم إذ ذاك ضعافا ، ولا يعجبهم تمهلهم ووزنهم للأمر! وفي المعركة يتبين أي الفريقين أكثر احتمالا وأي الفريقين أبعد نظرا كذلك! وأغلب الظن أن هذا الفريق الذي تعنيه هذه الآيات كان من ذلك الصنف ، الذي يلذعه

الأذى في مكة فلا يطيقه ولا يطيق الهوان وهو ذو عزة. فيندفع يطلب من الرسول ﷺ أن يأذن له بدفع الأذى ، أو حفظ الكرامة. والرسول - ﷺ - يتبع في هذا أمر ربه بالتريث والانتظار ، والتربية عنهم ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ؟ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا. «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ. وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ .. وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» ..

هؤلاء الذين تتحدث عنهم هذه المجموعات الأربع من الآيات قد يكونون هم أنفسهم الذين تحدثت عنهم مجموعة سابقة في هذا الدرس : «وَأِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ كُيِّدَتْ... الآيات ... ويكون الحديث كله عن تلك الطائفة من المنافقين التي تصدر منها هذه الأعمال وهذه الأقوال كلها.

وقد كدنا نرجح هذا الرأي لأن ملامح النفاق واضحة ، فيما تصفه هذه المجموعات كلها. وصدور هذه الأعمال وهذه الأقوال عن طوائف المنافقين في الصف المسلم ، أمر أقرب إلى طبيعتهم ، وإلى سوابقهم كذلك. وطبيعة السياق القرآني شديدة الالتحام بين الآيات جميعا ..

ولكن المجموعة الأولى من هذه المجموعات التي تتحدث عن الذين : (قِيلَ لَهُمْ : كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ. فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ ... الآيات) هي التي جعلتنا نتردد في اعتبار الآيات كلها حديثا عن المنافقين - وإن بدت فيها صفات المنافقين وبدت فيها لحة السياق واستطراده - وجعلتنا نميل إلى اعتبار هذه المجموعة واردة في طائفة من المهاجرين - ضعاف الإيمان غير منافقين - والضعف قريب الملامح من النفاق - وأن كل مجموعة أخرى من هذه المجموعات الأربع ربما كانت تصف طائفة بعينها من طوائف المنافقين ، المندسين في الصف المسلم. وربما كانت كلها وصفا للمنافقين عامة وهي تعدد ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال. والسبب في وقوفنا هذا الموقف أمام آيات المجموعة الأولى وظننا أنها تصف طائفة من المهاجرين الضعاف الإيمان أو الذين لم ينضج بعد تصورهم الإيمانى ولم تتضح معالم الاعتقاد في قلوبهم وعقولهم ..

السبب هو أن المهاجرين هم الذين كان بعضهم تأخذه الحماسة والاندفاع ، لدفع أذى المشركين - وهم في مكة - في وقت لم يكن مأذونا لهم في القتال - فقليل لهم : «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ» ..

وحتى لو أخذنا في الاعتبار ما عرضه أصحاب بيعة العقبة الثانية الاثنان والسبعون على النبي - ﷺ - من ميلهم على أهل منى - أي قتلهم - لو أمرهم الرسول - ﷺ - ورده عليهم : «إننا لم نؤمر بقتال» .. فإن هذا لا يجعلنا ندمج هذه المجموعة من السابقين من الأنصار - أصحاب بيعة العقبة - في المنافقين ، الذين تتحدث عنهم بقية الآيات. ولا في الضعاف الذين تصفهم المجموعة الأولى. فإنه لم يعرف عن هؤلاء الصفوة نفاق ولا ضعف رضي الله عنهم جميعا.

فأقرب الاحتمالات هو أن تكون هذه المجموعة واردة في بعض من المهاجرين ، الذين ضعفت نفوسهم - وقد أمنوا في المدينة وذهب عنهم الأذى - عن تكاليف القتال .. وألا تكون بقية الأوصاف واردة فيهم ، بل في المنافقين. لأنه يصعب علينا - مهما عرفنا من ظواهر الضعف البشري - أن نسم أي مهاجر من هؤلاء السابقين بسمة رد السيئة إلى الرسول - ﷺ - دون الحسنة! أو قول الطاعة وتبیت غيرها ..

وإن كنا لا نستبعد أن توجد فيهم صفة الإذاعة بالأمر من الأمن أو الخوف. لأن هذه قد تدل على عدم الدربة على النظام ، ولا تدل على النفاق ..

والحق .. أننا نجد أنفسنا - أمام هذه الآيات كلها - في موقف لا نملك الجزم فيه بشيء. والروايات الواردة عنها ليس فيها جزم كذلك بشيء .. حتى في آيات المجموعة الأولى. التي ورد أنها في طائفة من المهاجرين كما ورد أنها في طائفة من المنافقين!

ومن ثم نأخذ بالأحوط في تبرئة المهاجرين من سمات التبطئة والانحلاع مما يصيب المؤمنين من الخير والشر.

التي وردت في الآيات السابقة.[°] ومن سمة إسناد السيئة للرسول - ﷺ - دون الحسنة ، ورد هذه وحدها إلى الله! ومن سمة تبیت غير الطاعة .. وإن كانت تجزئة سياق الآيات

° - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٢ / ٧١٢)

على هذا النحو ليست سهلة على من يتابع السياق القرآني ، ويدرك - بطول الصحبة - طريقة التعبير القرآنية!!! والله المعين."

وقال تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِن الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) [الجمعة/٦-٨]

قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ : إِنَّكُمْ إِذَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ عَلَى حَقٍّ وَهْدَى ، وَأَنْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ عَلَى ضَلَالَةٍ ، فادْعُوا بِالْمَوْتِ عَلَى الضَّالِّ مِنَ الْفَتَنَيْنِ ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ . وَلَا يَتَمَنَّوْنَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ الْمَوْتَ أَبَدًا لِعِلْمِهِمْ بِسُوءِ مَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْفُجُورِ ، وَلَا تَنْتَهُمُ يَعْلَمُونَ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ لَمَاتُوا لِسَاعَتِهِمْ . وَلَا تَزَلِ اللَّهُ بِهِمْ عَذَابُهُ الشَّدِيدَ - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْفُسُوقِ وَسُوءِ الْعَمَلِ ، وَسَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . وَقُلْ لَهُمْ : إِنْ الْفِرَارَ مِنَ الْمَوْتِ لَا يُجْدِيهِمْ نَفْعًا ، وَإِنَّهُ سَيُلَاقِيهِمْ حِينَمَا يَحِينُ أَجْلُهُمْ ، لَا يَصْرِفُهُ عَنْهُمْ صَارِفٌ ، وَأَيَّامُ الْحَيَاةِ مَعْدُودَةٌ ، وَهِيَ سَتَنْقُضِي مَهْمَا طَالَ أَمَدُهَا ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى عَالِمِ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَعَالِمِ مَا هُوَ مُشَاهِدٌ فِيهَا ، فَيُخَبِّرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا ، وَسَيُحَازِرُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ .^٦

وهي لفظة من اللفظات القرآنية الموحية للمخاطبين بها وغير المخاطبين. تقرر في الأخلاص حقيقة ينساها الناس ، وهي تلاحقهم أينما كانوا .. فهذه الحياة إلى انتهاء. والبعد عن الله فيها ينتهي للرجعة إليه ، فلا ملجأ منه إلا إليه. والحساب والجزاء بعد الرجعة كائنان لا محالة. فلا مهرب ولا فكاك. وهي صورة متحركة موحية عميقة الإيحاء ..^٧

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " مَثَلُ الَّذِي يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ كَمَثَلِ الثَّعْلَبِ ، تَطْلُبُهُ الْأَرْضُ بِدَيْنٍ فَجَعَلَ يَسْعَى حَتَّى إِذَا أَعْيَا وَابْتَهَرَ دَخَلَ جُحْرَهُ فَقَالَتْ

^٦ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٠٦١)

^٧ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٥٦٨)

لَهُ الْأَرْضَ : يَا ثَعْلَبُ دِينِي ، فَخَرَجَ وَلَهُ حُصَاصٌ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى تَقَطَّعَتْ عَنْقُهُ
فَمَاتَ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ^٨

وقال تعالى : { وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ أَحَلِّ
قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤)
وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ
(٤٥) [إبراهيم/٤٤-٤٥]

خَوْفٌ أَيْهَا الرُّسُولُ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشِدَّتِهِ ، إِذْ يَقُولُونَ حِينَ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ : رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ مُدَّةٍ قَرِيبَةٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ ، وَتُؤْمِنَ بِكَ ، وَبِكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ . وَيُرَدُّ
اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ قَائِلًا : لَقَدْ كُنْتُمْ أَقْسَمْتُمْ ، وَأَنْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، أَنَّهُ لَا زَوَالٍ لَكُمْ مِمَّا
أَنْتُمْ فِيهِ ، وَأَنَّهُ لَا حَشَرَ وَلَا مَعَادَ وَلَا حِسَابَ؟ فَذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ بِذَلِكَ الْكُفْرِ .
وَقَدْ بَلَّغَكُمْ مَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ الْعِقَابِ الشَّدِيدِ بِالْأَمْرِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي كَذَّبْتَ رُسُلَهَا ، وَضَرَبْنَا
لَكُمْ الْأَمْثَالَ بِهِمْ ، وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ ، وَلَمْ تَعْتَبِرُوا ، وَلَمْ تَرْتَدِّجُوا عَمَّا
أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ ، وَالْآنَ تَسْأَلُونَ التَّأْخِيرَ لِلتَّوْبَةِ حِينَ نَزَلَ بِكُمْ الْعَذَابُ ، فَهِيَاهُ
هِيَاهُ لَقَدْ فَاتَ الْأَوَانُ^٩ .

وقال تعالى : { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) [النحل/٦١]
يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَىٰ الْعِبَادَ بِأَنَّهُ يَحْلُمُ عَلَى الْعَصَاةِ مِنَ الْبَشَرِ ، مَعَ ظُلْمِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَا يُعَجِّلُ
بِمُؤَاخَذَتِهِمْ بِأَفْعَالِهِمْ ، وَبِمَا كَسَبُوا ، وَلَوْ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِأَهْلِكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ
مَخْلُوقَاتٍ ، وَلَمْ يَتْرُكْ عَلَى ظَهْرِهَا مَخْلُوقًا يَدُبُّ عَلَيْهَا . وَلَكِنَّهُ تَعَالَىٰ يَحْلُمُ عَلَى الْعَصَاةِ ،
وَيَسْتُرُ عَلَيْهِمْ عُيُوبَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ ، وَلَا يُعَاجِلُهُم بِالْعُقُوبَةِ ، وَإِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى الْيَوْمِ الْمُحَدَّدِ
لَهُمْ ، فَإِذَا جَاءَ الْأَجَلُ لَا يُمְهِلُونَ لَحْظَةً وَاحِدَةً^{١٠} .

^٨ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٦ / ص ٣٦٣) (٦٧٧٩) (الصواب ووقفه

^٩ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٧٩٥)

^{١٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٩٦٢)

وقال تعالى : { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥) }
وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَاقَبَ النَّاسَ عَلَىٰ جَمِيعِ ذُنُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا لَأَهْلَكَ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ ،
وَمَا يَمْلِكُونَ مِنْ أَرْزَاقٍ وَدَوَابٍّ ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يَدَّخِرُ مُؤَاخَذَتَهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، هُوَ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ ، فَيَحَاسِبُهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ . وَهُوَ تَعَالَى بَصِيرٌ بِأَعْمَالِ
الْعِبَادِ وَمَا اكْتَسَبُوا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ ^{١١}

^{١١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٥٨٥)

المبحث الثاني كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

قال تعالى : {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ حَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) [آل عمران/١٨٥]}
يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ سَتَذُوقُ طَعْمَ الْمَوْتِ ، وَتُحَسُّ بِمُفَارَقَةِ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ . وَاسْتَدَّلَ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ لَا تَمُوتُ بِمَوْتِ الْبَدَنِ ، لِأَنَّ الذُّوقَ شُعُورٌ لَا يُحَسُّ بِهِ إِلَّا الْحَيُّ ، وَهُوَ تَعَالَى وَحْدَهُ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ . وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحْشَرُ النَّاسُ إِلَى اللهِ ، وَتُوفَى كُلُّ نَفْسٍ أُجُورَهَا عَمَّا اكْتَسَبَتْهُ مِنْ أَعْمَالٍ ، فَمِنْ جُنَّبِ النَّارِ ، وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، فَقَدْ فَازَ كُلُّ الْفَوْزِ . وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَيْسَتْ إِلَّا مَتَاعًا تَافِهًا زَائِلًا ، صَاحِبُهُ مَعْرُورٌ مَخْدُوعٌ ، وَهُوَ مَتَاعٌ مَتْرُوكٌ يُوشِكُ أَنْ يَضْمَحِلَّ عَنْ أَهْلِهِ .

"إنه لا بد من استقرار هذه الحقيقة في النفس : حقيقة أن الحياة في هذه الأرض موقوتة ، محدودة بأجل ثم تأتي نهايتها حتما .. يموت الصالحون ويموت الطالحون. يموت المجاهدون ويموت القاعدون. يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستذلون للعبيد. يموت الشجعان الذين يأبون الضيم ، ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن .. يموت ذوو الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية ، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص.

الكل يموت .. «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» .. كل نفس تذوق هذه الجرعة ، وتفارق هذه الحياة .. لا فارق بين نفس ونفس في تذوق هذه الجرعة من هذه الكأس الدائرة على الجميع. إنما الفارق في شيء آخر.

الفارق في قيمة أخرى. الفارق في المصير الأخير :

«وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَمَنْ زُحِرَ حَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» .. هذه هي القيمة التي يكون فيها الافتراق. وهذا هو المصير الذي يفترق فيه فلان عن فلان.

القيمة الباقية التي تستحق السعي والكد. والمصير المخوف الذي يستحق أن يحسب له ألف حساب : «فَمَنْ زُحِرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» ..

ولفظ «زُحِرِحَ» بذاته يصور معناه بجرسه ، ويرسم هيئته ، ويلقي ظله! وكأنما للنار جاذبية تشد إليها من يقترب منها ، ويدخل في مجالها! فهو في حاجة إلى من يزحزحه قليلا قليلا ليخلصه من جاذبيتها المنهومة! فمن أمكن أن يزحزح عن مجالها ، ويستنقذ من جاذبيتها ، ويدخل الجنة .. فقد فاز ..

صورة قوية. بل مشهد حي. فيه حركة وشد وجذب! وهو كذلك في حقيقته وفي طبيعته. فللنار جاذبية! أليست للمعصية جاذبية؟ أليست النفس في حاجة إلى من يزحزحها زحزحة عن جاذبية المعصية؟ بلى! وهذه هي زحزحتها عن النار! أليس الإنسان - حتى مع المحاولة واليقظة الدائمة - يظل أبدا مقصرا في العمل .. إلا أن يدركه فضل الله؟ بلى! وهذه هي الزحزحة عن النار حين يدرك الإنسان فضل الله ، فيزحزحه عن النار! «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» .. إنها متاع. ولكنه ليس متاع الحقيقة ، ولا متاع الصحو واليقظة .. إنها متاع الغرور. المتاع الذي يخدع الإنسان فيحسبه متاعا. أو المتاع الذي ينشئ الغرور والخداع! فأما المتاع الحق. المتاع الذي يستحق الجهد في تحصيله .. فهو ذاك .. هو الفوز بالجنة بعد الزحزحة عن النار.

وعند ما تكون هذه الحقيقة قد استقرت في النفس. عند ما تكون النفس قد أخرجت من حسابها حكاية الحرص على الحياة - إذ كل نفس ذائقة الموت على كل حال - وأخرجت من حسابها حكاية متاع الغرور الزائل ..^{١٢}

وقال تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) [الأنبياء/٣٤، ٣٥] "كان المشركون يستقلون مقام النبی الكريم فيهم ، وقد ساقوا إليه من ضروب السّفه ، وألوان الأذى ، النفسي والمادي ، في نفسه ، وفي أصحابه ، ما لا يحتمله إلا أولو العزم من الرسل .. فلما ضاقوا به ذرعا ، وأعيتهم الوسائل في صده عن دعوته إلى الله — كان ممّا

^{١٢} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (١ / ٥٣٨)

يعزّون به أنفسهم ، ويمتّونها الأمان فيهِ ، أن ينتظروا به تلك الأيام أو السنين الباقية من عمره ، وقد ذهب أكثره ، ولم يبق إلا قليله ، فقد التقى بهم الرسول الكريم وقد جاوز الأربعين ، وها هو ذا صلوات الله وسلامه عليه ، لا يزال بينهم وقد نيّف على الخمسين ، وإذن فهي سنوات قليلة ينتظرونها على مضض ، حتى يأتيه النون ! وهذا ما حكاها القرآن عنهم في قوله تعالى : « أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ » (٣٠ : الطور). فجاء قوله تعالى : « وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ » مسفّها هذا المنطق السقيم ، الذي جعلوه أداة من أدوات الغلب في أيديهم .. فالموت حكم قائم على كل نفس .. فإذا مات النبي ، فليس وحده هو الذي يصير إلى هذا المصير ، وإنما الناس جميعا ، صائرون إلى هذا المصير .. فكيف يكون الموت أداة من أدوات المعركة بينهم وبين النبي ؟ وكيف يكون سلاحا عاما في أيديهم على حين يكون سلاحا مفلولا في يده ، إذا صحّ أن يكون من أسلحة المعركة ؟

ولهذا ردّ الله عليهم بقوله : « أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ؟ » .. فما جوابهم على هذا ؟ إنهم لن يخلّدوا في هذه الدنيا ، فما هذه الدنيا دار خلود لحيّ .. « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » (٣٠ : الزمر) .. إن المعركة بين حق وباطل ، فما سلاحهم الذي يحاربون به في هذا الميدان ؟ إنه الباطل ، وإنه لمهزوم مخذول : « إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » قوله تعالى : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » هو جواب على هذا السؤال الذي جاء في الآية السابقة : « أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ؟ » وهو جواب ينطق به لسان الحال ويشهد له الواقع .

وفي قوله تعالى : « ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » إشارة إلى أن للموت طعما ، تجده النفوس حين تفارق الأجساد ..

وهذا الطعم يختلف بين نفس ونفس .. فالنفس المؤمنة تستعذب ورده ، وتستسيغ طعمه ، لما ترى فيه من خلاص لها من هذا القيد ، الذي أمسك بها عن الانطلاق إلى عالمها العلوي ، حيث تروى ظمأها ، وتبرد نار أشواقها ، وتنعم في جنات النعيم التي وعد الله المتقين ..

أما النفس الضالة الآثمة ، فإنما يحضرها عند الموت ، حصاد ما عملت من آثام ، وما ارتكبت من منكرات ، وتشهد ما يلقاها من غضب الله وعذابه ، فتكره الموت ، وتجد فيه ريح جهنم التي تنتظرها .. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : « وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ » (٩٣ : الأنعام) وقوله سبحانه : « فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ » (٥٥ : التوبة) .

وفي قوله تعالى : « وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » إشارة إلى ما يقع للناس في دنياهم مما يرونه شرا أو خيرا .. فذلك كله ابتلاء لهم ، واختبار لما يكون منهم مع الشر من صبر أو جزع ، ومع الخير من شكر أو كفر .. فما تستقبله النفوس مما يكره ، هو ابتلاء لها على الرضا بقضاء الله ، والتسليم له .. وما تستقبله مما يحب ، هو امتحان لها كذلك ، على الشكر والحمد لما آتاها الله من فضله وإحسانه ..

فالنفوس المؤمنة ، لا تجزع من المكروه ، ولا تكفر أو تبطر بالحبوب ، لأن كلاً من عند الله ، وما كان من عند الله فهو خير كله ، محبوب جميعه .. هكذا تجده النفوس المؤمنة بالله ، العارفة لجلاله ، وعظمته ، وحكمته ..

أما النفوس الضالة عن الله ، فإنها إن أصابها شيء من الضر ، جزعت ، وزادت كفرا وضلالا ، وإن مسها الخير ، نفرت نفار الحيوان الشرس ، واتخذت من نعمة الله سلاحا تحارب به الله ، وتضرب في وجوه عباد الله .. وفي هذا يقول الله تعالى : « إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّومِ الدِّينِ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ » (١٩ — ٢٧ : المعارج) .^{١٣}

" وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد . فكل حادث فهو فان . وكل ما له بدء فله نهاية . وإذا كان الرسول - ﷺ - يموت فهل هم يخلدون؟ وإذا كانوا لا يخلدون فما لهم لا يعلمون عمل أهل الموتى؟

^{١٣} - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (٩ / ٨٧١)

وما لهم لا يتبصرون ولا يتدبرون؟

«كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ». هذا هو الناموس الذي يحكم الحياة. وهذه هي السنة التي ليس لها استثناء.

فما أجدر الأحياء أن يحسبوا حساب هذا المذاق! إنه الموت نهاية كل حي ، وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض. وإلى الله يرجع الجميع. فأما ما يصيب الإنسان في أثناء الرحلة من خير وشر فهو فتنة له وابتلاء: «وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً».. والابتلاء بالشر مفهوم أمره. ليتكشف مدى احتمال المبتلى ، ومدى صبره على الضر ، ومدى ثقته في ربه ، ورجائه في رحمته .. فأما الابتلاء بالخير فهو في حاجة إلى بيان ..

إن الابتلاء بالخير أشد وطأة ، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر ..

إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير.

كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة. ويكبحون جماح القوة الهائلة في كيانهم الجامحة في أوصالهم. كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تنهاوى نفوسهم ولا تذلل. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الثراء والوجدان. وما يغريان به من متاع ، وما يثير انه من شهوات وأطماع!

كثيرون يصبرون على التعذيب والإيذاء فلا يخيفهم ، ويصبرون على التهديد والوعيد فلا يرهبهم. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الإغراء بالرغائب والمناصب والمتاع والثراء! كثيرون يصبرون على الكفاح والجراح ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الدعة والمراح. ثم لا يصابون بالحرص الذي يذل أعناق الرجال. وبالاسترخاء الذي يقعد الهمم ويذل الأرواح!

إن الابتلاء بالشدة قد يثير الكبرياء ، ويستحث المقاومة ويجند الأعصاب ، فتكون القوى كلها معبأة لاستقبال الشدة والصمود لها. أما الرخاء فيرخي الأعصاب وينيمها ويفقدها القدرة على اليقظة والمقاومة! لذلك يجتاز الكثيرون مرحلة الشدة بنجاح ، حتى إذا جاءهم الرخاء سقطوا في الابتلاء!

وذلك شأن البشر .. إلا من عصم الله فكانوا ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، إِنَّ أَصَابَتُهُ سَرَاءُ شُكْرٍ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءُ صَبْرٍ ، وَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ. " ١٤ .. وهم قليل!

فاليقظة للنفس في الابتلاء بالخير أولى من اليقظة لها في الابتلاء بالشر. والصلة بالله في الحالين هي وحدها الضمان .. " ١٥

وقال تعالى : { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّتَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) [العنكبوت/٥٦-٥٩]

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْهِجْرَةِ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ لَا يَقْدِرُونَ فِيهِ عَلَىٰ إِقَامَةِ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ إِلَىٰ مَكَانٍ آخَرَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ ، يَسْتَطِيعُونَ فِيهِ إِقَامَةَ شُعَائِرِ دِينِهِمْ كَمَا أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ وَأَيُّمَا كُنْتُمْ يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ، فَكُونُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَحَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، فَالْمَوْتُ آتٍ لَا مَحَالَةَ ، وَلَا مَفَرَّ مِنْهُ وَلَا مَهْرَبَ ، ثُمَّ تُرْجَعُونَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعِنْدَهُ الْحِسَابُ وَالْجَزَاءُ .

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، وَعَمِلُوا بِمِ أَمْرِهِمُ اللَّهُ فَاطَاعُوهُ فِيهِ ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاَهُمْ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ يَعِدُهُمْ وَعَدًا حَقًّا أَنَّهُ سَيُنْزِلُهُمْ فِي الْجَنَّةِ قُصُورًا ، وَأَمَاكِنَ مُرْتَفَعَةً (غُرَفًا) تَجْرِي فِي أَرْضِهَا الْأَنْهَارُ وَسَيَقُونَ فِيهَا خَالِدِينَ ، أَبَدًا ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَىٰ مَا عَمِلُوا . وَمَا حَصَلُوا عَلَيْهِ مِنْ جَزَاءٍ كَرِيمٍ هُوَ نِعَمَ الْأَجْرِ لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا . وَهَؤُلَاءِ الْعَامِلُونَ ، الَّذِينَ فَازُوا بِغُرَفَاتِ الْجَنَّةِ ، هُمُ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَىٰ أَذَى الْمُشْرِكِينَ ، وَعَلَىٰ شِدَائِدِ الْهِجْرَةِ ، وَعَلَىٰ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ . ١٦

١٤ - صحيح مسلم (٧٦٩٢)

١٥ - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٣٧٧)

١٦ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٢٧٨)

" وفي إضافة الذين آمنوا إلى الله سبحانه وتعالى ، وندائهم إليه من ذاته جل وعلا — في هذا احتفاء بهم ، واستضافة لهم في رحاب رحمة الله وفضله وإحسانه .. وذلك لأنهم مدعوون إلى الهجرة من ديارهم ، والانفصال عن أهلهم وإخوانهم ، وذلك أمر شاق على النفس ، ثقل الوطأة على المشاعر ، التي ارتبطت بالموطن ارتباط العضو بالجسد ..

فكان من لطف الله سبحانه بعباده هؤلاء المؤمنين ، الذين دعاهم إلى الهجرة من ديارهم — أن استضافهم في رحابه ، وأنزلهم منازل رحمته وإحسانه ، بهذا الدعاء الرحيم ، الذي دعاهم به سبحانه ، إليه ... « يا عبادي » .. فمن استجاب منهم لهذا النداء ، وأقبل على الله مهاجرا إليه بدينه ، تلقاه الله سبحانه بالفضل والإحسان ، وأنزله منزلا خيرا من منزله ، وبدله أهلا خيرا من أهله!.

وقد استجاب المسلمون لهذا النداء ، فخرجوا مهاجرين إلى الله ، أفرادا وجماعات ، وكانت الحبشة أول متجه اتجه إليه المسلمون المهاجرون ، فأنزلهم الله أكرم منزل ، هناك .. ثم كانت الهجرة إلى المدينة ، التي أصبحت مهاجر المسلمين من كل مكان ، بعد أن هاجر الرسول الكريم إليها ..

وهناك وجد المهاجرون إخوانا ، شاطروهم دورهم وأمواهم ، وآثروهم على أنفسهم بالطيب من كل شيء.

وأكثر من هذا ، فإن مجتمع المهاجرين هؤلاء الذين ضمتهم مدينة الرسول ، كانوا الوجه الذي تجلّى فيه دين الله ، وعزت به شريعته .. ومن هؤلاء المهاجرين ، كان صحابة رسول الله ، وخلفاء رسول الله .. وأكثر من هذا أيضا ، فإن القرآن الكريم ، قد أجرى ذكرا خالدا هؤلاء المهاجرين ، وأشار إلى منزلتهم العليا عند الله ، وما أعد لهم من أجر عظيم ، وثواب كريم ، لم يشاركهم في هذا أحد من المسلمين ، إلا الأنصار ، الذين نزل المهاجرون ديارهم ، ووجدوا ما وجدوا من برهم وإحسانهم ...

وهكذا ، استظل المهاجرون بظل هذا النداء الكريم ... « يا عبادي » فكانوا منه في نعمة سابعة ، وفضل عظيم ، في الدنيا والآخرة جميعا.

وفي قوله تعالى : « إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ » .. توجيهه لأنظار المسلمين إلى سعة ملك الله سبحانه وتعالى ، وإلى أن يمدوا أبصارهم إلى أبعد من هذا الأفق الضيق المحدود ، الذي يعيشون فيه ، والذي يحسب كثير منهم أن الأرض كلها محصورة في هذه الرقعة التي يتحركون عليها ، ويضطربون فيها .. وكلا فإن أرض الله واسعة ، أكثر مما يتصورون ... فليخرجوا من محبسهم هذا ، ولينطلقوا في فجاج الأرض ، الطويلة العريضة ، وسيجدون في منطلقهم هذا ، سعة من ضيق ، وعافية من بلاء .. والله سبحانه وتعالى يقول : « وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً » (١٠٠ : النساء). وقوله تعالى : « فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ » ... أي فاجعلوا عبادتكم لى وحدي ، لا تشركون بعبادتي أحدا ...

والفاء في قوله تعالى : « فَإِيَّايَ » تفيد السببية .. حيث كشف قوله تعالى : « إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ » عن إضافة هذه الأرض إلى الله سبحانه ، كما كشف عن سعة هذه الأرض ، وأن أي مكان يتزل منها الإنسان فيه ، هو في ملك الله ... وإذ كان ذلك كذلك ، وجب أن يفرد وحده سبحانه بالعبادة ، كما أفرد جل شأنه بالملك ...

هذا ، والآية الكريمة دعوة سماوية إلى تحرير الإنسان ، جسدا ، وعقلا ، وقلبا ، وروحا ، من كل قيد مادي ، أو معنوي ، يعطل حركته ، أو يعوق انطلاقه ، أو يكبت مشاعره ، أو يصدم مشيئته ، أو يقهر إرادته ... ففي أي موقع من مواقع الحياة ، وعلى أي حال من أحوالها ، لا يجد فيه الإنسان وجوده كاملا محررا من أي قيد ، ثم لا يعمل جاهدا على امتلاك جريته كاملة — يكون ظلما لنفسه ، معتديا على وجوده ...

وإذا كانت دعوة الإسلام قد جاءت لتحرير الإنسانية من ضلالها ، وفرضت على المؤمنين أن يجاهدوا الضلال والضالين ، وأن يبدلوا في سبيل ذلك دماءهم وأموالهم ، فإن الجهاد الحق في أكرم منازل ، وأعلى درجاته ، هو الجهاد في تحرير المؤمن نفسه أولا ، وفي تخليصها من كل قيد يمسك بها على مرتبط الذل والهوان ، ويحملها على أن تطعم من مطاعم الذلة والمهانة ، وفي هذا يقول الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ !! قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ

وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (٩٧ : النساء) .. فلقد توعدهم الله سبحانه وتعالى بالعذاب الأليم في الآخرة ، لأنهم باستخزائهم وضعفهم ، قد باعوا دينهم ، واسترخصوا مروءتهم ، فكانوا سلعة في يد الأقوياء ، لا يملكون معهم كلمة حق يقولونها ، ولا يجدون من أنفسهم القدرة على دعوة خير يدعون بها ... وإنه هيهات أن يسلم لإنسان دين أو خلق ، إلا إذا تحرر من كل ضعف واستعلى على كل خوف .. ومن هنا كانت دعوة الإسلام متجهة كلها إلى تحرير الإنسان ، عقلا وقلبا وروحا ، كما كانت دعوته إلى تحرير الإنسان وجودا وجسدا ..

وقد يكون الإنسان حرا طليقا في المجتمع الذي يعيش فيه ، لا يرد عليه من الجماعة وارد من ضيم أو ظلم ، ومع هذا فهو أسير شهواته ، وعبد نزواته ، وتبيع هواه ... لا يملك من أمر وجوده شيئا ... ومن هنا كان أول ما يجاهد الإنسان هو جهاد النفس ، والأهواء المتسلطة عليه منها

قوله تعالى : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » . هو تهوين من شأن الدنيا في عين المؤمنين الذين يتهيئون للهجرة .. فقد يحضر كثيرا منهم — وهو يأخذ عدته للهجرة — وارد من واردات الإشفاق على الأهل والولد ، وما يلقي من لفظة وحنين لفراقهم ، وما يجدون هم من أسى وحسرة لبعده عنهم .. إلى غير ذلك مما يقع للمرء من تصورات وخواطر في مثل هذا الموقف — فجاء قوله تعالى : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » مهوِّنا من شأن هذه الحياة الدنيا ، فإن نهاية كل حيٍّ فيها هو الموت .. وإذا كان ذلك هو شأنها ، فإنَّ التعلق بها وبأهلها ، وبأشائها ، هو متاع إلى حين ، ثم ينصرم الحبل بين الإنسان وبين كل ما يمسك به من هذه الدنيا ، طال الزمن أو قصر — فإذا كان ما يمسك الإنسان من هذه الدنيا شيء يحول بينه وبين الطريق إلى الله ، وإلى ما عند الله من ثواب عظيم وأجر كريم — فإن هذا الشيء مهما غلا ، هو عرض زائل ، وظل حائل ، لا حساب له إلى جانب الباقيات الصالحات ، وما وعد الله سبحانه عليها ، من رضوان وجنات فيها نعيم مقيم. " ١٧

١٧ - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١١ / ٤٥٦)

" إن خالق هذه القلوب ، الخبير بمدخلها ، العليم بخفاياها ، العارف بما يهيج فيها ، وما يستكن في حناياها ..

إن خالق هذه القلوب ليناديها هذا النداء الحبيب : يا عبادي الذين آمنوا : يناديها هكذا وهو يدعوها إلى الهجرة بدينها ، لتحس منذ اللحظة الأولى بحقيقتها. بنسبتها إلى ربها وإضافتها إلى مولاه : «يا عبادي» ..

هذه هي اللمسة الأولى. واللمسة الثانية : «إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ» أنتم عبادي. وهذه أرضي. وهي واسعة. فسيحة تسعكم. فما الذي يمسكم في مقامكم الضيق ، الذي تفتنون فيه عن دينكم ، ولا تملكون أن تعبدوا الله مولاكم؟ غادروا هذا الضيق يا عبادي إلى أرضي الواسعة ، ناجين بدينكم ، أحرارا في عبادتكم «فَيَأَيَّ فَاعْبُدُونِ».

إن هاجس الأسى لمفارقة الوطن هو الهاجس الأول الذي يتحرك في النفس التي تدعى للهجرة. ومن هنا يمس قلوبهم بهاتين اللمستين : بالنداء الحبيب القريب : «يا عبادي» وبالسعة في الأرض : «إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ» وما دامت كلها أرض الله ، فأحب بقعة منها إذن هي التي يجدون فيها السعة لعبادة الله وحده دون سواه.

ثم يمضي يتتبع هواجس القلوب وخواطرها. فإذا الخاطر الثاني هو الخوف من خطر الهجرة. خطر الموت الكامن في محاولة الخروج - وقد كان المشركون يمسكون بالمؤمنين في مكة ، ولا يسمحون لهم بالهجرة عند ما أحسوا بخطرهم بعد خروج المهاجرين الأولين - ثم خطر الطريق لو قدر لهم أن يخرجوا من مكة. ومن هنا تجيء اللمسة الثانية : «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ. ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ».. فالموت حتم في كل مكان ، فلا داعي أن يحسبوا حسابه ، وهم لا يعلمون أسبابه. وإلى الله المرجع والمآب. فهم مهاجرون إليه ، في أرضه الواسعة ، وهم عائدون إليه في نهاية المطاف. وهم عباد الذين يؤويهم إليه في الدنيا والآخرة. فمن ذا يساوره الخوف ، أو يهيج في ضميره القلق ، بعد هذه اللمسات؟

ومع هذا فإنه لا يدعهم إلى هذا الإيواء وحده بل يكشف عما أعده لهم هناك. وإنهم ليفارقون وطنهم في الأرض عنه سعة. ويفارقون بيوتهم في الجنة منها عوض.

عوض من نوعها وأعظم منها : «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّتَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، خَالِدِينَ فِيهَا».

وهنا يهتف لهم بالعمل والصبر والتوكل على الله : «نَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ، الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» .. وهي لمسة التثبيت والتشجيع لهذه القلوب ، في موقف القلقله والخوف والحاجة إلى التثبيت والتشجيع. ثم يهجس في النفس خاطر القلق على الرزق ، بعد مغادرة الوطن والمال ومجال العمل والنشاط المألوف ، وأسباب الرزق المعلومه. فلا يدع هذا الخاطر دون لمسة تقرر لها القلوب : «وَكَايْنِ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ، اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ» ..لمسة توقظ قلوبهم إلى الواقع المشهود في حياتهم. فكم من دابة لا تحصل رزقها ولا تجمععه ولا تحمله ولا تهتم به ، ولا تعرف كيف توفره لنفسها ، ولا كيف تحتفظ به معها. ومع هذا فإن الله يرزقها ولا يدعها تموت جوعا. وكذلك يرزق الناس. ولو خيل إليهم أنهم يخلقون رزقهم وينشئونهم. إنما يهبهم الله وسيلة الرزق وأسبابه. وهذه الهبة في ذاتها رزق من الله ، لا سبيل لهم إليه إلا بتوفيق الله. فلا مجال للقلق على الرزق عند الهجرة. فهم عباد الله يهاجرون إلى أرض الله يرزقهم الله حيث كانوا. كما يرزق الدابة لا تحمل رزقها ، ولكن الله يرزقها ولا يدعها.

ويختتم هذه اللمسات الرفيعة العميقة بوصلهم بالله ، وإشعارهم برعايته وعنايته ، فهو يسمع لهم ويعلم حالهم ، ولا يدعهم وحدهم : «وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» .. وتنتهي هذه الجولة القصيرة وقد لمست كل حنية في تلك القلوب ولبت كل خاطر هجس فيها في لحظة الخروج. وقد تركت مكان كل مخافة طمأنينة ، ومكان كل قلق ثقة ، ومكان كل تعب راحة. وقد هدهدت تلك القلوب وغمرتها بشعور القربى والرعاية والأمان في كنف الله الرحيم المنان.^{١٨}

^{١٨} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٧٤٨)

المبحث الثالث

الحث على التوبة قبل الموت

قال تعالى : {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) [النساء/١٧، ١٨]}

إِنَّ التَّوْبَةَ الَّتِي أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ قُبُولَهَا بِوَعْدِهِ كَرَمًا مِنْهُ وَتَفَضُّلاً ، لَيْسَتْ إِلَّا لِمَنْ يَجْتَزِحُ السَّيِّئَاتِ بِجَهَالَةٍ ثُلَابِ السُّوءِ مِنَ ثَوْرَةِ غَضَبٍ ، أَوْ تَغْلِبُ شَهْوَةً ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْدَمَ عَلَى مَا فَرَّطَ مِنْهُ ، وَيُنِيبُ إِلَى رَبِّهِ ، وَيَتُوبُ وَيُقْلَعُ عَنْهَا . فَأُولَئِكَ الَّذِينَ فَعَلُوا الذُّنُوبَ بِجَهَالَةٍ وَتَابُوا بَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ ، يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّ الذُّنُوبَ لَمْ تَتَرَسَّخْ فِي نُفُوسِهِمْ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ .

وَاللَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بَضْعَفِ عِبَادِهِ ، وَأَنْتَهُمْ لَا يَسْلُمُونَ مِنْ عَمَلِ السُّوءِ ، فَشَرَعَ بِحِكْمَتِهِ قَبُولَ التَّوْبَةِ ، فَفَتَحَ لَهُمْ بَابَ الْفَضِيلَةِ ، وَهَدَاهُمْ إِلَى مَحْوِ السَّيِّئَةِ .

أَمَّا الَّذِينَ يَفْعَلُونَ السَّيِّئَاتِ ، وَيَسْتَمِرُّونَ فِي فِعْلِهَا وَهُمْ مُصِرُّونَ عَلَيْهَا ، وَلَا يَتُوبُونَ حَتَّى آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِمْ ، أَيْ حَتَّى يَحْضُرُهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ ، فَيَقُولُونَ : تُبْنَا الْآنَ ، وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ، فَهَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ يَتَوَعَّدُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْمَوْجِعِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ . (وَجَعَلَ اللَّهُ تَوْبَةَ التَّائِبِ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ غَيْرَ مَقْبُولَةٍ) .^{١٩}

"إن التوبة التي يقبلها الله ، والتي تفضل فكتب على نفسه قبولها هي التي تصدر من النفس ، فتدل على أن هذه النفس قد أنشئت نشأة أخرى. قد هزها الندم من الأعماق ، ورجها رجاً شديداً حتى استفاقت فثابت وأنابت ، وهي في فسحة من العمر ، وبجوحة من الأمل ، واستجدت رغبة حقيقية في التطهر ، ونية حقيقية في سلوك طريق جديد .. «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

^{١٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١٠)

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً» ..والذين يعملون السوء بجهالة هم الذين يرتكبون الذنوب .. وهناك ما يشبه الإجماع على أن الجهالة هنا معناها الضلالة عن الهدى - طال أمدّها أم قصر - ما دامت لا تستمر حتى تبلغ الروح الحلقوم .. والذين يتوبون من قريب : هم الذين يشوبون إلى الله قبل أن يتبين لهم الموت ، ويدخلوا في سكراته ، ويحسوا أنهم على عتباته. فهذه التوبة حينئذ هي توبة الندم ، والانخلاع من الخطيئة ، والنية على العمل الصالح والتكفير.

وهي إذن نشأة جديدة للنفس ، وبقظة جديدة للضمير .. «فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» .. «وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً» .. يتصرف عن علم وعن حكمة. ويمنح عباده الضعاف فرصة العودة إلى الصف الطاهر ، ولا يطردهم أبدا وراء الأسوار ، وهم راغبون رغبة حقيقية في الحمى الآمن والكنف الرحيم.

إن الله - سبحانه - لا يطارد عباده الضعاف ، ولا يطردهم متى تابوا إليه وأنابوا. وهو - سبحانه - غني عنهم ، وما تنفعه توبتهم ، ولكن تنفعهم هم أنفسهم ، وتصلح حياتهم و حياة المجتمع الذي يعيشون فيه. ومن ثم يفسح لهم في العودة إلى الصف تائبين متطهرين. «وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ : إِنِّي تُبْتُ الْآنَ». فهذه التوبة هي توبة المضطر ، لجت به الغواية ، وأحاطت به الخطيئة. توبة الذي يتوب لأنه لم يعد لديه متسع لارتكاب الذنوب ، ولا فسحة لمقارفة الخطيئة. وهذه لا يقبلها الله ، لأنها لا تنشئ صلاحا في القلب ولا صلاحا في الحياة ، ولا تدل على تبدل في الطبع ولا تغير في الاتجاه.

والتوبة إنما تقبل لأنها الباب المفتوح الذي يلجّه الشاردون إلى الحمى الآمن ، فيستردون أنفسهم من تيه الضلال ، وتستردهم البشرية من القطيع الضال تحت راية الشيطان ، ليعملوا عملا صالحا - إن قدر الله لهم امتداد العمر بعد المتاب - أو ليعلموا - على الأقل - انتصار الهداية على الغواية. إن كان الأجل المحدود ينتظرهم ، من حيث لا يشعرون أنه لهم بالوصيد ..

«وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ» .. وهؤلاء قد قطعوا كل ما بينهم وبين التوبة من وشيجة ، وضعوا كل ما بينهم وبين المغفرة من فرصة ..

«أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا». أعتدناه : أي أعددناه وهيأناه .. فهو حاضر في الانتظار لا يحتاج إلى إعداد أو إحضار!

وهكذا يشتد المنهج الرباني في العقوبة ، ولكنه في الوقت ذاته يفتح الباب على مصراعيه للتوبة. فيتم التوازن في هذا المنهج الرباني الفريد ، وينشئ آثاره في الحياة كما لا يملك منهج آخر أن يفعل في القديم والجديد ..^{٢٠}

" والمراد بالجهالة هنا ما يركب الإنسان من حمق ، وطيش ، ونزق .. وهو في مواجهة المنكر ، وليس المراد بالجهالة عدم العلم بالمنكر الذي يرتكبه .. فهذا معفو عنه ، ومحسوب من باب الخطأ.

والمراد بالتوبة من قريب ، أن يرجع المذنب إلى نفسه باللائمة والندم ، وأن ينكر عليها هذا المنكر الذي وقع فيه ، وألا يستمرئه ، فإذا وقف الإنسان من نفسه هذا الموقف كانت له إلى الله رجعة من قريب .. فإن مثل هذا الشعور يزعج الإنسان عن هذا المورد الويل الذي يرده ، ويلوى زمامه عنه .. إن لم يكن اليوم فغدا أو بعد غد .. وهذا ما حمده الله سبحانه وتعالى لأصحاب تلك النفوس التي يقلقها الإثم ، ويزعجها المنكر إذا هي أَلَّتْ بمنكر ، أو وقعت ذنبا ، فكان من حمده سبحانه لتلك النفس وتكريمه لها أن أقسم بها ، فقال سبحانه : « لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ » (١ - ٢ : القيامة) .. وقال سبحانه : « وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ، أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (١٣٥ : آل عمران) فالعلم هنا مقابل للجهالة في قوله تعالى : « يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ » ، أي أنهم لم يصبروا على ما فعلوا من منكر وهم يعلمون أن هذا المنكر يجنى عليهم ويحبط أعمالهم ، وإنما هم مغطى على بصرهم ، لما لبسهم حال غشيانهم المنكر من خفة وطيش ، فلما استبان لهم وجه المنكر ، وعرفوا عاقبة أمرهم معه ، أنكروه ، وبرئوا إلى الله منه.

^{٢٠} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ٦٠٣)

وقد مدح الله هؤلاء ، الذين ينكرون المنكر حتى بعد أن يواقعه .. فقال تعالى : « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ».

وفى قوله تعالى : « وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ » ردّ وردع لأولئك الذين يستخفون بمحارم الله ، فيهجمون عليها في غير تخرج ولا تأثم ، ويبيتون معها ، ويصبحون عليها ، دون أن يكون لهم مع أنفسهم حساب أو مراجعة .. وهكذا يقطعون العمر ، في صحبة الفواحش ، ظاهرها وباطنها ، حتى إذا بلغوا آخر الشوط من الحياة ، وأطلّ عليهم الموت ، فزعوا وكربوا ، وألقوا بهذا الزاد الخبيث من أيديهم ، وقالوا : تبنا إلى الله ، وندمنا على ما فعلنا من ركوب هذه المنكرات!

إنها توبة لم تجيء من قلب مطمئن ، وعقل مدرك ، يحاسب ويراجع ، ويأخذ ويدع ، ولكنها توبة اليائس الذي لا يجد أمامه طريقا غير هذا الطريق .. إنه لم يشب وهو في خيرة من أمره .. فيمسك المنكر أو يدعه ، ويقيم على المعصية أو يهجرها .. وإنما هو إذ يتوب في ساعة الموت ، أشبه بالمكره على تلك التوبة ، إذ لا وجه أمامه للنجاة غير هذا الوجه .. وقد فعلها فرعون من قبل حين أدركه الغرق ، فردّه الله سبحانه ، ولم يقبل منه صرفا ولا عدلا : « حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ » (٩٠ — ٩١ : يونس).

إن إيمان فرعون هنا لم يكن عن اختيار بين الإيمان والكفر .. بل كان لا بدّ له من أن يؤمن حتى ينجو من الغرق ، إن الكفر بالله هو الذي أورده هذا المورد ، وإن الإيمان بالله الذي كفر به من قبل هو الذي يرده عن هذا المورد ويدفعه عنه .. هكذا فكر وقدّر!!

وشبيه هؤلاء الذين لا يرجعون إلى الله ، ولا يذكرونه إلا عند حشجة الموت ، أولئك الذين يغرقون أنفسهم في الآثام مادامت تواتيهم الظروف ، وتسعفهم الأحوال ، حتى إذا سدت في وجوههم منافذ الطريق إلى مقارفة الإثم ، بسبب أو بأكثر من سبب ، تعفّفوا

وتابوا .. وتلك توبة العاجز المقهور ، ورجعة المهزوم المغلوب على أمره. لا يخالطها شيء
من الندم ، ولا يقوم عليها سلطان من إرادة ومغالبة .. إنها توبة غير مقبولة." ^{٢١}

^{٢١} - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (٢ / ٧٢٦)

المبحث الرابع

إذا حضر الأجل فلا رجعة للدنيا

قال تعالى : { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) [المؤمنون/٩٩، ١٠٠]

لا يَزَالُ الْكَافِرُ يَجْتَرِحُ السَّيِّئَاتِ ، ولا يُبَالِي بِمَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُّ مِنَ الْآثَامِ وَالْأَوْزَارِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ الْمَوْتُ ، وَعَايَنَ مَا هُوَ مُقَدِّمٌ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ نَدِمَ عَلَى مَا فَاتَ ، وَأَسِفَ عَلَى مَا فَرَطَ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَقَالَ : رَبِّ ارْجِعُونِ لِأَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا قَصَّرْتُ مِنْ عِبَادَتِكَ ، وَحُقُوقِ عِبَادِكَ . إِنَّ الْكَافِرَ يَسْأَلُ رَبَّهُ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَعْمَلَ صَالِحًا ، وَيَتَذَكَّرَ مَا فَرَطَ مِنْهُ ، وَلِيُصْلِحَ فِيمَا تَرَكَ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ . وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ رَادِعًا وَزَاجِرًا : إِنَّهُ لَا يُجِيبُهُ إِلَى طَلْبِهِ هَذَا (كَلَّا) . فَهِيَ كَلِمَةٌ مَقُولَةٌ لَا مَعْنَى لَهَا ، يَقُولُهَا كُلُّ ظَالِمٍ وَقَتَ الضِّيقِ وَالشَّدَّةِ ، وَلَوْ رُدَّ لَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، فَقَدْ كَانَ فِي الْحَيَاةِ ، وَجَاءَتْهُ الْآيَاتُ فَلَمْ يَتَّعِظْ بِهَا ، وَلَمْ يَعْمَلْ صَالِحًا ، وَيَقُومُ وَرَاءَهُمْ حَاجِزٌ (بَرْزَخٌ) ، يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا ، وَيَبْقَوْنَ كَذَلِكَ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ وَيُنْشَرُونَ .^{٢٢}

«حَتَّى» غاية لحدوف دل عليه السياق ، والتقدير ، ولكن كثيرا من الناس ، لا يأخذون حذرهم من الشيطان ، ولا يستعيذون بالله منه ، فيفسد عليهم دينهم ، وينقض ظهورهم بالذنوب والآثام ، ثم يظنون هكذا في غفلتهم « حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ » وانكشف عن عينه الغطاء ، ورأى ما قدم من منكرات « قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ » إلى دنيائهم ، « لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » ولأصلح من أمرى ما فسد ، وأقيم من دينى ما اعوجج .. ولكن هيهات .. لقد فات وقت الزرع ، وهذا أوان الحصاد .. « كَلَّا .. إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا » أي إنها مجرد كلام يقال ، لا وزن له ، ولا ثمرة منه .. « وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ » أي أن هناك سدا قائما ، فاصلا بين الأموات ، وعالم الأحياء .. فلا سبيل لمن

^{٢٢} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٦٥٢)

أدركه الموت أن يَحْتَرِقَ هذا البرزخ ، وينفذ إلى عالم الأحياء مرة أخرى ، وذلك « إلى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ».. حيث يزول البرزخ ، وينتقل الناس جميعاً إلى العالم الآخر ، ويصبحون جميعاً في عالم الحق ..^{٢٣}

إنه مشهد الاحتضار ، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت ، وطلب الرجعة إلى الحياة ، لتدارك ما فات ، والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال .. وكأنا المشهد معروض اللحظة للأنظار ، مشهود كالعيان!

فإذا الرد على هذا الرجاء المتأخر لا يوجهه إلى صاحب الرجاء ، إنما يعلن على رؤوس الأشهاد : «كَلَّا. إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا...» كلمة لا معنى لها ، ولا مدلول وراءها ، ولا تنبغي العناية بها أو بقائلها. إنها كلمة الموقف الرهيب ، لا كلمة الإخلاص المنيب. كلمة تقال في لحظة الضيق ، ليس لها في القلب من رصيد!

وبها ينتهي مشهد الاحتضار. وإذا الحواجز قائمة بين قائل هذه الكلمة والدنيا جميعاً. فلقد قضى الأمر ، وانقطعت الصلات ، وأغلقت الأبواب ، وأسدلت الأستار : «وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ».. فلا هم من أهل الدنيا ، ولا هم من أهل الآخرة. إنما هم في ذلك البرزخ بين بين ، إلى يوم يبعثون.^{٢٤}

قال الإمام الشافعي رحمه الله^{٢٥} :

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وَطَبْ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ
وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ جَلَدًا وَشِيْمَتَكَ السَّمَاةُ وَالْوَفَاءُ
وَإِنْ كَثُرَتْ عِيوبُكَ فِي الْبِرَايَا وَسَرَكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا غَطَاءُ
تَسْتَرُّ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ يَغْطِيهِ كَمَا قِيلَ السَّخَاءُ

^{٢٣} - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (٩ / ١١٧٦)

^{٢٤} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٤٨٠)

^{٢٥} - تراجم شعراء موقع أدب - (١٠ / ٢٦٢)

ولا ترجُ السماحةَ من بخيلٍ فما في النارِ للظمانِ ماءٌ
ورزقكَ ليسَ يُنقصُهُ التَّائِي وليسَ يزيدُ في الرزقِ العناءُ
ولا حُزنٌ يدومُ ولا سُرورٌ ولا بؤسٌ عليكَ ولا رخاءُ
ومنْ نزلتْ بِساحتهِ المَنائيا فلا أرضٌ تقيه ولا سماءُ
وأرضُ الله واسعةٌ ولكن إذا نزلَ القضا ضاقَ الفضاءُ
دَعِ الأيامَ تُعَدِرُ كُلَّ حينٍ فما يغني عن الموتِ الدواءُ

وقال المتنبي^{٢٦} :

أرقُّ على أرقٍ ومثلي يَأْرِقُ وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقَّرُ
جُهدُ الصَّبابةِ أنْ تكونَ كما أرى عَيْنٌ مُسَهَّدةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ
مَا لَاحَ بَرَقٌ أَوْ تَرْتَمَ طَائِرٌ إِلَّا انْتَنَيْتُ وَلِي فُؤَادٌ شَيْقُ
حَرَبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِي نَارُ الْعُضَا وَتَكِلُ عَمَّا يُحْرِقُ
وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعَشْقِ حَتَّى دَفَنْتُهُ فَعَجَبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعِشُقُ
وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنِّي عَيَّرْتُهُمْ فَلَقَيْتُ مِنْهُمْ مَا لَقُوا
أَبْنِي أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ أَبَدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ
تَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا
أَيْنَ الْأَكْاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الْأَلَى كَنْزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلَا بَقُوا
مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِجَيْشِهِ حَتَّى ثَوَى فَحَوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ
خُرُسٌ إِذَا تُودُوا كَأَنَّ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقُ
فَالْمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفَائِسُ وَالْمُسْتَعْرِ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ
وَالْمَرْءُ يَأْمُلُ وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّيْبَةُ أَنْزَقُ
وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَمَّا مُسَوِّدَةٌ وَلَمَاءٌ وَجْهِي رَوْنَقُ
حَذَرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمٍ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِدْتُ بَمَاءٍ جَفَنِي أَشْرَقُ
أَمَّا بَنُو أَوْسٍ بْنِ مَعْنٍ بْنِ الرُّضَى فَأَعَزُّ مَنْ تُحْدَى إِلَيْهِ الْأَيْنُقُ

^{٢٦} - تراجم شعراء موقع أدب - (٤٩ / ١٨)

كَبُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ
وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابُ أَكْفِهِمْ مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورِهَا لَا تُورِقُ
وَتَفُوحُ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ رَوَائِحُ لَهُمْ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ
مِسْكِيَّةُ النَّفَحَاتِ إِلَّا أَنَّهَا وَحْشِيَّةٌ بِسِوَاهُمْ لَا نَعْبَقُ
أُمْرِيْدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ فِي عَصْرِنَا لَا تَبْلُنَا بِطِلَابٍ مَا لَا يُلْحَقُ
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ؟ مِثْلَ مُحَمَّدٍ أَحَدًا وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ
يَا ذَا الَّذِي يَهَبُ الْكَثِيرَ وَعِنْدَهُ أَنِّي عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَتَصَدَّقُ
أَمْطَرُ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً وَانْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لَا أَغْرَقُ
كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ مَاتَ الْكِرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرَزَقُ

المبحث الخامس اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا

قال تعالى : {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمر/ ٤٢]

اللَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي يَقْبِضُ الْأَنْفُسَ حِينَ انْتِهَاءِ الْأَجَالِ بِالْمَوْتِ ، وَيَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ النَّائِمَةَ الَّتِي لَمْ يَحِنْ أَجْلُهَا ، فَيَقْبِضُهَا عَنِ التَّصَرُّفِ فِي الْأَجْسَادِ ، مَعَ بَقَاءِ الْأَرْوَاحِ مُتَّصِلَةً بِهَا ، فَيُمْسِكُ اللَّهُ الْأَنْفُسَ ، الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ ، فَلَا يَرُدُّهَا إِلَى الْأَجْسَادِ ، وَيَرُدُّ الْأَنْفُسَ النَّائِمَةَ إِلَى الْأَجْسَادِ حِينَ الْيَقَظَةِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، وَهُوَ وَقْتُ الْمَوْتِ الْمُقَرَّرِ ، وَفِيهَا ذِكْرُ آيَاتٍ عَظِيمَةٍ ، وَدَلَالَاتٍ كَبِيرَةٍ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ ، لِمَنْ يَتَفَكَّرُونَ فِي عَجَائِبِ صُنْعِ اللَّهِ .^{٢٧}

" في هذه الآية بيان لمصير النفس الإنسانية ، وأنها صائرة إلى الله ، بما تحمل من هدى أو ضلال ، وبما معها من نور القرآن ، أو ظلام الشرك .. فقلوله تعالى : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا » أي يردّها إليه ، ويوفّيها حسابها ، حين يجيء أجلها ، وتستوفي حياتها المقدورة لها في الدنيا .. وقلوله تعالى : « وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا » أي ويتوفى الأنفس في منامها .. فالجار والمجرور في منامها متعلق بقلوله تعالى : « يَتَوَفَّى » .. وعلى هذا يكون معنى الآية : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ وَيَرُدُّهَا إِلَيْهِ حِينَ يَقْبِضُهَا بِالْمَوْتِ ، أَوْ بِالنُّومِ .. وقلوله تعالى : « فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى » هو بيان للأنفس التي يردّها الله سبحانه وتعالى إليه ، حين يغشى النوم أصحابها .. فهذه النفوس ، إن كانت قد استوفت أجلها في الدنيا أمسكها الله عنده فلا تعود إلى الجسد مرة أخرى ، وإن كان قد بقي لها في الحياة أجل ، أرسلها لتعود إلى الجسد مرة أخرى ، حتى ينتهي أجلها المقدور لها في الدنيا ..

^{٢٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٩٧٩)

فَاللَّهُ سبحانه وتعالى يردُّ الأنفس إليه حين الموت ، وحين النوم ، إلا أنه في حال الموت
يمسكها عنده إلى يوم القيامة ، أما في حال النوم ، فإن كانت النفس قد استوفت أجلها في
الدنيا أمسكها الله عنده ، وإن لم تكن قد استوفت أجلها ، أرسلها لتعود إلى جسدها ،
حتى ينتهي أجلها في الدنيا.

ومن هذا يرى المرء أنه يموت كل يوم ، وأن نفسه التي تلبسه تردُّ إلى الله عند النوم ، ثم
يبعث من جديد في اليقظة حين تعود إليه نفسه التي فارقت بدنه ..

وهكذا تتكرر عملية الموت والبعث كل يوم في ذات الإنسان .. ومع هذا ينكر الضالون
البعث بعد الموت ، وهم يرون هذه الحقيقة في أنفسهم .. فهل بعد هذا الضلال ضلال ؟
وهل بعد هذا السفه سفه ؟ « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » ولكن أين من يتفكر ؟
إنهم قلة قليلة في هذا المحيط الصاحب المضطرب بالضالين السفهاء! [بين النفس. والروح
.. والجسد] وهنا نود أن نقف قليلا بين يدي قوله تعالى : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ
مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ». فقد أشارت الآية الكريمة إلى أن في الإنسان نفسا ، وأن هذه النفس تردُّ إلى الله
، على حين يترك الجسد لمصيره في التراب .. فالإنسان إذن نفس وجسد .. وهما طبيعتان
مختلفتان .. فالنفس من العالم العلوي ، والجسد من عالم التراب ، وأتبعهما إذ يجمع الله
بينهما بقدرته ، فيجعل منهما — سبحانه — كائنا سويا هو الإنسان ، فإنه — سبحانه —
بقدرته كذلك يحفظ لكل منهما طبيعته ، حتى إذا انتهى الأجل الذي قدره الله
لاجتماعهما ، افترقا ، فلحق كل منهما بعالمه ، الذي هو منه .. النفس إلى عالمها العلويّ
، والجسد إلى عالمه الترابي.^{٢٨}

فَاللَّهُ يستوفي الآجال للأنفس التي تموت. وهو يتوفاها كذلك في منامها - وإن لم تمت بعد
- ولكنها في النوم متوفاة إلى حين. فالتى حان أجلها يمسكها فلا تستيقظ. والتي لم يحن
أجلها بعد يرسلها فتصحو. إلى أن يحل أجلها المسمى. فالأنفس في قبضته دائما في
صحوها ونومها. « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » .. إنهم هكذا في قبضة الله دائما.

^{٢٨} - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١٢ / ١١٦٠)

وهو الوكيل عليهم. ولست عليهم بوكيل. وإنهم إن يهتدوا فلاأنفسهم وإن يضلوا فعليها.
وإنهم محاسبون إذن وليسوا بمتروكين .. فماذا يرجون إذن للفكاك والخلص؟^{٢٩}
وفي هذه الآية دليل على أن الروح والنفس جسم قائم بنفسه، يخالف جوهره جوهر
البدن، وأنها مخلوقة مدبرة، يتصرف الله فيها في الوفاة والإمساك والإرسال، وأن أرواح
الأحياء والأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع، فتتحدث، فيرسل الله أرواح الأحياء،
ويعمسك أرواح الأموات.

^{٢٩} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٥ / ٣٠٥٥)

المبحث السادس

الله تعالى قدر الموت والحياة

قال تعالى : { نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ } (٦٠) عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) [الواقعة/٦٠-٦١]

يُقرّر لهم الله تعالى : أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَسَمَ الْمَوْتَ بَيْنَهُمْ ، وَوَقَّتَ مَوْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمِيقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ . وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُعْجِزُهُ أَنْ يَذْهَبَ بِهِمْ وَبِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْخَلَائِقِ ، وَأَنْ يُنْشِئَهُمْ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْأَطْوَارِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي لَا يَعْهَدُونَهَا وَلَا يَعْرِفُونَهَا .

" أي وكما خلقناكم ابتداء ، من هذه النطف ، وشكلنا صوركم ، من هذا المنيّ — نحن الذين قدرنا بينكم الموت ، وحددنا لكل منكم الأجل الذي له في هذه الدنيا .. فإلينا وحدنا تقدير أعماركم ، وموتكم .. لم يسبقنا إلى ذلك سابق ، ولم يشاركنا في هذا شريك ..

قوله تعالى : « عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ » هو متعلق بمحذوف ، يفهم من قوله تعالى : « وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ » أي أننا إذا كنا لم نسبق في هذا الخلق الذي خلقناكم عليه ، ولم نسبق في تقدير الموت الذي قدرنا عليكم ، وجعلناه حكما واقعا على كل حيّ — إذا كان هذا شأننا فيكم ، أفلسنا بقادرين « عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ » ونغير صوركم ، ونخلقكم على صور غير تلك الصور التي أنتم عليها ؟ أو لسنا بقادرين على أن نجعلكم في صورة مخلوقات أخرى من تلك المخلوقات الكثيرة التي ترونها في عالم الجماد ، أو النبات أو الحيوان ، أو في صور أخرى مما لا تعلمونه من صور مخلوقاتنا في الأرض أو في السماء ؟ فإن هذه النطف التي تتخلق منها الكائنات ، الحية في عالم الحيوان ، هي ماء يشبه بعضه بعضا ، ولكن الخالق المبدع يصوّر هذه النطف كيف يشاء .. « هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ .. » (٦ : آل عمران) ٣٠

٣٠ - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١٤ / ٧٢٦)

هذا الموت الذي ينتهي إليه كل حي .. ما هو؟ وكيف يقع؟ وأي سلطان له لا يقاوم؟ إنه قدر الله .. ومن ثم لا يفلت منه أحد ، ولا يسبقه فيفوته أحد .. وهو حلقة في سلسلة النشأة التي لا بد أن تتكامل .. «عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ» لعمارة الأرض والخلافة فيها بعدكم. والله الذي قدر الموت هو الذي قدر الحياة. قدر الموت على أن ينشئ أمثال من يموتون ، حتى يأتي الأجل المضروب لهذه الحياة الدنيا .. فإذا انتهت عند الأجل الذي سماه كانت النشأة الأخرى : «وَنُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ».. في ذلك العالم المغيب المجهول ، الذي لا يدري عنه البشر إلا ما يخبرهم به الله. وعندئذ تبلغ النشأة تمامها ، وتصل القافلة إلى مقرها. هذه هي النشأة الآخرة .. «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ!» .. فهي قريب من قريب. وليس فيها من غريب. بهذه البساطة وبهذه السهولة يعرض القرآن قصة النشأة الأولى والنشأة الآخرة. وبهذه البساطة وهذه السهولة يقف الفطرة أمام المنطق الذي تعرفه ، ولا تملك أن تجادل فيه. لأنه مأخوذ من بديهياتها هي ، ومن مشاهدات البشر في حياتهم القريبة. بلا تعقيد. ولا تجريد. ولا فلسفة تكد الأذهان ، ولا تبلغ إلى الوجدان .. إنها طريقة الله. مبدع الكون ، وخالق الإنسان ، ومترل القرآن ..^{٣١}

وقال تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) [الملك/١، ٢]

يُمَجِّدُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ ، وَيُخَبِّرُ عِبَادَهُ بِأَنَّهُ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِمَا يَشَاءُ ، لَا مُعَقَّبَ عَلَى حُكْمِهِ ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ، وَهُوَ ذُو قُدْرَةٍ عَلَى فِعْلِ كُلِّ شَيْءٍ ، لَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ . وَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَ الْخَلَائِقَ مِنَ الْعَدَمِ ، ثُمَّ خَلَقَ الْمَوْتَ الَّذِي تَنْعَدُمُ بِهِ الْحَيَاةُ ، لِيَقْهَرَ عِبَادَهُ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مِنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ مَوَاقِيتَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ . وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَخْتَبِرَكُمْ ، وَلِيَعْلَمَ أَيُّكُمْ يَكُونُ أَحْسَنَ عَمَلًا ، وَأَكْثَرَ وَرَعًا عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ، وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَاللَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ الشَّدِيدُ الْإِنْتِقَامِ مِمَّنْ عَصَاهُ ، وَهُوَ الْغَفُورُ لِدُثُوبِ مَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ .^{٣٢}

^{٣١} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٤٦٨)

^{٣٢} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١٢٠)

ومن آثار تمكنه المطلق من الملك وتصريفه له ، وآثار قدرته على كل شيء وطلاقة إرادته .. أنه خلق الموت ومن ثم يجيء التعقيب : «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ» ليسكب الطمأنينة في القلب الذي يرمى الله ويخشاه. فالله عزيز غالب ولكنه غفور مسامح. فإذا استيقظ القلب ، وشعر أنه هنا للابتلاء والاختبار ، وحذر وتوقى ، فإن له أن يطمئن إلى غفران الله ورحمته وأن يقر عندها ويستريح!

إن الله في الحقيقة التي يصورها الإسلام لتستقر في القلوب ، لا يطارد البشر ، ولا يعتنهم ، ولا يجب أن يعذبهم. إنما يريد لهم أن يتيقظوا لغاية وجودهم وأن يرتفعوا إلى مستوى حقيقتهم وأن يحققوا تكريم الله لهم بنفخة روحه في هذا الكيان وتفضيله على كثير من خلقه. فإذا تم لهم هذا فهناك الرحمة السابغة والعون الكبير والسماحة الواسعة والعفو عن كثير.^{٣٣}

" وفي قوله تعالى : « الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ » ..

— في هذا تنبيه لهؤلاء الغافلين عن الحياة الآخرة ، وذلك إذا نظروا فرأوا أن هناك عمليتين تجريان عليهما ، وهما الموت والحياة .. فهاتان صورتان تتداولان الإنسان ، كما تتداولان عالم الأحياء كله .. فالكائن الحي ، كان ميتا ، أي عدما ، ثم أخرجته قدرة الله سبحانه إلى الحياة ، ثم تعيده تلك القدرة إلى الموت مرة أخرى .. ثم تردّه إلى الحياة للحساب والجزاء.

فإذا جاء من عند الله من يخبر بأن بعد هذا الموت حياة أخرى ، وأن الموت ليس نهاية الإنسان — فهل يقع هذا عند العقلاء موقع الإنكار ؟ وكيف والشواهد كلها تشهد بإمكانيته ؟ بل وتقطع بأنه أمر لا بد منه ، من حيث أن هذه الحياة التي لبسها الإنسان بعد العدم ، إنما كانت ليقوم بها على خلافة الله في الأرض ، حيث بسط سلطانه — بعقله — على كل ما في هذا الوجود الأرضي .. ومخلوق هذا شأنه ، لا بد أن يرقى صعدا إلى أفق أعلى من هذا الأفق الأرضي ..

^{٣٣} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٦٣١)

وإن هذه الخلافة التي للإنسان على الأرض ليست خلافة جماعية ، تحمل فيها الجماعة الإنسانية كلها تبعثها ، وإنما هي خلافة يحمل فيها كل فرد مسئوليته ، ويحاسب على ما كان منه ، فيجزى بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا .. وذلك يقضى بأن يرد الإنسان إلى الحياة مرة أخرى ، ليحاسب ، وليثاب أو يعاقب ..

والسؤال هنا ، هو :إذا كان كذلك ، وكان لا بد من الحساب والجزاء على ما كان من الإنسان — فلم لا يحاسب في الحياة الدنيا ؟ ولم الموت ثم الحياة ؟ وما حكمة الموت ثم الحياة ؟ أليست هذه الحياة الجديدة هي عودة بالإنسان — نفسا وذاتا — إلى حياته الأولى ، ووصل لما انقطع منه بالموت ؟ وهل يضيف الموت شيئا جديدا إلى الإنسان حتى يكون لموته مساعا ..

ونقول : إن هذه التصورات هي نتيجة لهذا الفهم الخاطئ للموت الذي يقع على الإنسان بعد الحياة ، حيث يبدو منه أنه انقطاع لجرى حياة الإنسان ، ثم إنه بعد زمن ما — قد يطول أو يقصر — يعود إلى الحياة مرة أخرى ، يوم القيامة!!

ولو فهم الموت على حقيقته ، وأنه ليس إلا تحولا من منزل إلى منزل ، وانتقالا من حال إلى حال — لو فهم الموت على هذا ، لما كان لمثل هذه التصورات أن تجد لها مكانا في تفكير الإنسان ، يوقع في نفسه هذه العزلة الموحشة بين الموت والحياة ..

فالموت — في حقيقته — هو حياة جديدة تلبس الإنسان خارج هذا الجسد الذي تركه الموت جثة هامدة .. وتلك الجثة الهامدة التي يخلقها الموت وراءه ، هي التي تعطى الموت تلك الصورة المخيفة المفزعة ..

ذلك أننا نرى الإنسان في ثوب الحياة ، يموج بالنشاط والحركة .. ثم يطرقه الموت ، فإذا هو هامد همود الجمادات التي بين أيدينا ، ثم هو في لحظة يغيب في الشرى ، ثم إذا فتش عنه بعد زمن ، روى وقد تحول إلى أنقاض ، ثم إذا أعيد إليه النظر بعد زمن آخر لم ير لهذه الأنقاض أثر!! وعن هذا التصور ، يقول المشركون الذين لا يؤمنون بالحياة الآخرة — يقولون ما يقوله سبحانه وتعالى على لسانهم : « وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ؟ .. » (١٠ : السجدة) ولكن لو جاوزنا هذا الجسد ، لوجدنا أن الحياة التي

كانت تلبسه ، قد اكتسبت بخلاصها منه بالموت ، قوة لا حدود لها ، حيث خرجت من هذا الحيز الضيق الذي كان يحتوئها ، وانطلقت في هذا العالم الرحيب ، تحلق فيه بقدر ما احتفظت به من خصائصها الروحية حال تلبسها بالجسد .. وفي هذا يقول بشر بن الحارث وسفيان الثوري : " النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا " .. وهو شرح لمعنى قوله تعالى : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى » (٤٢ : الزمر) ..

أما أن الميت يبقى بعد موته في حال همود ، وجمود ، إلى أن يجيء يوم البعث والنشور ، فهذا فهم خاطئ أيضا ..

فالإنسان إذ يموت ، فإن الموت — كما قلنا — لا يقع إلا على جسده ، أما روحه ، فإنها تجدد في موت الجسد فرصتها للخلاص من القيد الذي قيدها به ..

وعلى هذا ، فإن الإنسان إذا مات ، فإنما يموت موتا ظاهريا يرى في هذا الجسد ، وأما هو في حقيقته ، فهو حي في هذا الروح الذي انطلق من الجسد محملا بكل ما ترك الجسد فيه من آثار طيبة ، أو سيئة .. وفي هذا يقول الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — : « من مات فقد قامت قيامته » .. وهذا يعني أن الميت إذ يموت ، يبعث في الحال بعثا جديدا ، بمعنى أنه يقوم من عالم النوم الذي كان فيه ، كما يشير إلى ذلك الحديث الذي ذكرناه من قبل ، وهو : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » .. وهذا يعني أيضا أن هناك قيامتين : قيامة خاصة بكل إنسان ، وهي قيامته ساعة موته ، وهي — كما قلنا — قيامة من عالم النيام ، عالم الحياة الدنيا — ثم قيامة عامة ، وهي التي يبعث فيها الناس جميعا من عالم القبور ، حيث تلتقى الأرواح بأجسادها مرة أخرى ، على صورة يعلمها الله سبحانه وتعالى .. أما هذه الحياة التي عاشها الإنسان على هذه الأرض ، فهي اختبار وابتلاء له ، تتكشف فيه حقيقة طبيعته التي أوجده الله عليها ..

إنه في هذه الحياة أشبه بحبة بذرت في الأرض مع ما بذر من حبوب ، ثم لا تلبث كل حبة أن تكشف عن حقيقتها ، وعن الثمر الذي تثمره ، من جيد أو ردىء . ، فإذا آن وقت الحصاد ، جمع كل زرع مع ما بشا كله ..

وقد يسأل سائل : ولما ذا هذا البذر والغرس ؟ أليس صاحب البذر والزرع ، هو الله سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه عالم بما كمن في هذا البذر من ثمر ؟

والجواب على هذا ، أن علم الله سبحانه بالمخلوقات قبل أن تخلق ، هو علم مكنون .. وخلق المخلوقات في صورها ، وأشكالها ، وأزمنتها ، وأمكنتها هو إظهار لهذا العلم المكنون ، وأنه لولا هذا لما قام الخلق ، ولما اتصف سبحانه بصفة « الخالق » ولظّل الوجود في حال كمنون .. يقول سبحانه : « هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ » (٢٤ : الحشر). ويقول سبحانه أيضا : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ » (١ : العلق) ويقول جل شأنه : « اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ » (٦٢ : الزمر). فكان مما اقتضته إرادة الله سبحانه أن يخلق هذا الذي خلق من موجودات وعوالم .. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : « الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى » (٥٠ : طه) .. وبهذا صار لكل مخلوق ذاتيته ومكانه في هذا الوجود. فللحياة حكمة ، وللموت حكمة ، وللبعث بعد الموت حكمة .. « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ، وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (٢٨ . البقرة) .. « أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ » (١١٥ : المؤمنون) وقضية الحياة بعد الموت هي مضلة الضالين ، وهى الغشاوة التي تحجبهم عن الله سبحانه وتعالى ، فلا يرون ماله سبحانه وتعالى من قدرة ، وأنه سبحانه قادر على كل شيء ، وأن بعث الحياة في تلك الأجساد الهامدة ، والعظام البالية ، ليس بأبعد في مجال المنطق الإنساني ، من خلقها أول مرة ، من تراب ، أو من نطفة من ماء مهين .. ولكن هل يكون للمنطق مكان عند من ختم الله على قلبه وسمعته ، وجعل على بصره غشاوة ؟ « وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » (٤١ : المائدة) "٣٤

٣٤ - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١٥ / ١٠٤٦)

المبحث السابع

الإنسان يغفل عن الموت

قال تعالى : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) [ق/١٦-١٩]

يؤكدُ اللهُ تعالى قُدْرَتَهُ عَلَى بَعْثِ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْقُبُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بَأَنَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، وَأَنْشَأَهُ مِنْ عَدَمٍ ، وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأُمُورِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مَا يَتَرَدَّدُ فِي نَفْسِهِ مِنْ فِكْرٍ ، وَمَا تُحَدِّثُهُ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ عَمَلٍ ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : " إِنْ اللَّهُ تَجَاوَزَ لِأَمْتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تُقَلِّ أَوْ تَفْعَلْ " (صحيح). ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى : إِنَّ الْإِنْسَانَ تَحْتَ سُلْطَانِ اللَّهِ وَفَهْرِهِ ، وَإِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ الْمُكَلَّفِينَ بِحِفْظِ الْإِنْسَانِ وَإِحْصَاءِ أَعْمَالِهِ هُمْ مُلَازِمُونَ لَهُ دَائِمًا ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ أَقْرَبُ مِنَ الْوَرِيدِ الَّذِي يَمْتَدُّ فِي عُنُقِهِ .

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ وَكَّلَ بِهِ مَلَكَينِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ يَرْقُبَانِهِ وَيَتَرَصَّدَانِهِ ، وَيُحْصِيَانِ عَلَيْهِ كُلَّ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَيَكْتُبَانِهِ . مَلَكٌ عَنِ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ ، وَمَلَكٌ عَنِ الشَّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ . وَلَا يَصْدُرُ عَنِ الْإِنْسَانِ لَفْظٌ أَوْ كَلِمَةٌ إِلَّا وَلَدَيْهِ مَلَكٌ حَاضِرٌ مَعَهُ ، مُرَاقِبٌ لأَعْمَالِهِ يُثَبِّتُهَا فِي صَحِيفَتِهِ .

وإِنَّ الْكُفَّارَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ لَيَعْلَمُونَ صِدْقَ ذَلِكَ حِينَ الْمَوْتِ ، وَحِينَ قِيَامِ السَّاعَةِ ، فَإِذَا جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ كَشَفَتْ لِلْإِنْسَانِ عَنِ الْيَقِينِ الَّذِي كَانَ يَمْتَرِي فِيهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ . وَسَكْرَةُ الْمَوْتِ وَمَا تُكْشِفُهُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ يَقِينٍ ، وَحَقَائِقُ ، هِيَ الْحَقُّ الَّذِي كُنْتَ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ تَفَرُّ مِنْهُ وَتَتَجَبَّبُهُ (تَحِيدُ) ، وَهَذَا قَدْ جَاءَكَ ، فَلَا مَحِيدَ لَكَ عَنْهُ ، وَلَا مَهْرَبَ وَلَا مَنَاصَ .^{٣٥}

^{٣٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٥٢٥)

"في هذه الآية عرض آخر لقدرة الله سبحانه وتعالى ، وقد غاب مفهوم هذه القدرة عن عقول هؤلاء المشركين .. وفي إعادة هذا العرض لقدرة الله ، تذكير لهم ببعض مظاهره هذه القدرة ، ليراجعوا عقولهم مرة أخرى ، وليرجعوا من طريق الضلال الذي هم سائرون فيه ..

فالله سبحانه ، هو الذي خلق هذا الإنسان من تراب الأرض ، فجعل منه هذا الكائن العاقل ، السميع ، البصير ، وهو سبحانه الذي يعلم من أمر هذا الإنسان ما توسوس به نفسه من خواطر ، وما يضطرب فيها من خلجات .. وهو سبحانه أقرب إلى الإنسان — كل إنسان — من حبل الوريد .. وحبل الوريد : هو عرق في صفحة العنق .. وسمى العرق حبلا ، لأنه يشبه الحبل في امتداده واستدارته .. وسمى وريدا ، لأنه يستورد الدم النقي من القلب ، ويصبّه في الأوعية الدموية التي يتغذى منها الجسم ..

قوله تعالى : « إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ » . أي أن الله سبحانه مع قربيه هذا القرب المستولى على كيان الإنسان كله ، ظاهرا وباطنا — فإنه سبحانه قد وكل بهذا الإنسان جنديين من جنوده ، يتلقيان منه كل ما يصدر عنه ، من قول أو فعل ، فيكتبانه في كتاب يلقاه منشورا يوم القيامة ..

و« إذ » ظرف متعلق بقوله تعالى : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » — بمعنى أن الله سبحانه وتعالى أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد ، وفي الوقت نفسه يقوم عليه جنديان من جنود الله ، يسجلان عليه كل ما يقول ، أو يفعل .. كما يقول سبحانه : « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ » . فكيف يكون للإنسان مهرب من الحساب والجزاء ؟

قوله تعالى : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » — هو بيان شارح لوظيفة الجنديين القاعدتين عن يمين الإنسان وعن شماله .. فهما واقفان للإنسان بالمرصاد .. ما يلفظ من قول إلا كان على هذا القول « رقيب » أي مراقب ، يسمع ما يقال ، ويسجله ، وهو « عتيد » أي حاضر دائما لا يغيب أبدا .. وليس رقيب وعتيد ، اسمين للملكين القائمين

على الإنسان ، الموكلان به ، وإنما ذلك وصف لكلّ منهما ، فكل منهما رقيب يقظ ، حاضر أبدا ..

قوله تعالى : « وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ » .سكرة الموت : ما يغشى الإنسان ساعة الاحتضار ، من غيبوبة أشبه بغيبوبة من يقع تحت خمار الخمر ، فتتنطفئ لذلك تلك الشعلة التي تمدّ كيانه بالحرارة والحركة ، ويبدو وكأنه جثة هامدة ، بلا شعور ، ولا حركة ، ولا وعى!.

وقوله تعالى « بِالْحَقِّ » متعلق بالفعل « جاء » أي جاءت سكرة الموت محملة بالحق ، الذي غاب عن هذا الإنسان الذي لا يؤمن باليوم الآخر ، حيث يرى عند الاحتضار ، ما لم يكن يراه من قبل ، وحيث يبدو له في تلك الساعة كثير من شواهد الحياة الآخرة ، التي هو آخذ طريقه إليها ..

وقوله تعالى : « ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ » — الإشارة إلى « الحق » وهو الموت ، وما وراءه من بعث وحساب وجزاء .. وذلك الحق هو ما كان هذا الكافر باليوم الآخر ، منكرا له ، حائدا عن الداعي إليه ، المنذر به ..

وقرىء : « وجاء سكرة الحق بالموت » ويكون المعنى على هذا ، وجاءت سكرة الحق بالموت الذي كان يحيد عنه هذا الإنسان ، والذي كان في حياته غير مقدر أنه سيموت .. « يحسب أن ماله أخلده ».. فهو لهذا غافل عن الموت ، كما يقول سبحانه وتعالى : « لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ »..^{٣٦}

"إن ابتداء الآية : «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ» .. يشير إلى المقتضى الضمني للعبارة. فصانع الآلة أدرى بتركيبها وأسرارها. وهو ليس بخالقها لأنه لم ينشئ مادتها ، ولم يزد على تشكيلها وتركيبها. فكيف بالمنشئ الموجد الخالق؟ إن الإنسان خارج من يد الله أصلا فهو مكشوف الكنه والوصف والسر لخالقه العليم بمصدره ومنشئه وحاله ومصيره ..«وَنَعْلَمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ» .. وهكذا يجد الإنسان نفسه مكشوفة لا يحجبها ستر ، وكل ما فيها من وساوس خافتة وخافية معلوم لله ، تمهيدا ليوم الحساب الذي ينكره ويحجده!

^{٣٦} - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١٣ / ٤٧٨)

«وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» .. الوريد الذي يجري فيه دمه. وهو تعبير يمثل ويصور القبضة المألقة ، والرقابة المباشرة. وحين يتصور الإنسان هذه الحقيقة لا بد يرتعش ويحاسب. ولو استحضّر القلب مدلول هذه العبارة وحدها ما جرؤ على كلمة لا يرضى الله عنها. بل ما جرؤ على هاجسة في الضمير لا تنال القبول. وإنما وحدها لكافية ليعيش بها الإنسان في حذر دائم وخشية دائمة ويقظة لا تغفل عن المحاسبة.

ولكن القرآن يستطرد في إحكام الرقابة. فإذا الإنسان يعيش ويتحرك وينام ويأكل ويشرب ويتحدث ويصمت ويقطع الرحلة كلها بين ملكين موكلين به ، عن اليمين وعن الشمال ، يتلقيان منه كل كلمة وكل حركة ويسجلانها فور وقوعها : «إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ». أي رقيب حاضر ، لا كما يتبادر إلى الأذهان أن اسمي الملكين رقيب ، وعتيد! ونحن لا ندري كيف يسجلان. ولا داعي للتخيلات التي لا تقوم على أساس. فموقفنا بإزاء هذه الغيبات أن نتلقاها كما هي ، ونؤمن بمدلولها دون البحث في كفيّتها ، التي لا تفيدنا معرفتها في شيء. فضلا على أنها غير داخلية في حدود تجاربنا ولا معارفنا البشرية.

ولقد عرفنا نحن - في حدود علمنا البشري الظاهر - وسائل للتسجيل لم تكن تخطر لأجسادنا على بال. وهي تسجل الحركة والنبرة كالأشرطة الناطقة وأشرطة السينما وأشرطة التليفزيون. وهذا كله في محيطنا نحن البشر. فلا داعي من باب أولى أن نفيد الملائكة بطريقة تسجيل معينة مستمدة من تصوراتنا البشرية المحدودة ، البعيدة نهائيا عن ذلك العالم المجهول لنا ، والذي لا نعرف عنه إلا ما يخبرنا به الله. بلا زيادة! وحسبنا أن نعيش في ظلال هذه الحقيقة المصورة ، وأن نستشعر ونحن نهم بأية حركة وبأية كلمة أن عن يميننا وعن شمالنا من يسجل علينا الكلمة والحركة لتكون في سجل حسابنا ، بين يدي الله الذي لا يضيع عنده فتيل ولا قطمير. حسبنا أن نعيش في ظل هذه الحقيقة الرهيبة. وهي حقيقة. ولو لم ندرك نحن كفيّتها. وهي كائنة في صورة ما من الصور ، ولا مفر من وجودها ، وقد أنبأنا الله بما لنحسب حسابها. لا لننفق الجهد عبثا في معرفة كفيّتها! والذين انتفعوا بهذا القرآن ، وتوجيهات رسول الله ﷺ - الخاصة بحقائق القرآن ،

كان هذا سبيلهم : أن يشعروا ، وأن يعملوا وفق ما شعروا .. وعن بلال بن الحارث المزني - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه» .. قال : فكان علقمة يقول : كم من كلام قد منعني حديث بلال بن الحارث. رواه أحمد

وهكذا كان أولئك الرجال يتلقون هذه الحقيقة فيعيشون بها في يقين. تلك صفحة الحياة ، ووراءها في كتاب الإنسان صفحة الاحتضار : «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ. ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ» .. والموت أشد ما يحاول المخلوق البشري أن يروغ منه ، أو يبعد شبحه عن خاطره. ولكن أنى له ذلك : والموت طالب لا يمل الطلب ، ولا يبطل الخطى ، ولا يخلف الميعاد وذكر سكرة الموت كفيل برجفة تدب في الأوصال! وبينما المشهد معروض يسمع الإنسان : «ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ». وإنه ليرجف لصداها وهو بعد في عالم الحياة! فكيف به حين تقال له وهو يعاني السكرات! وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله - ﷺ - لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : «سبحان الله. إن للموت لسكرات» .. يقولها وهو قد اختار الرفيق الأعلى واشتاق إلى لقاء الله. فكيف بمن عداه؟

ويلفت النظر في التعبير ذكر كلمة الحق : «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» .. وهي توحى بأن النفس البشرية ترى الحق كاملا وهي في سكرات الموت. تراه بلا حجاب ، وتدرئ منه ما كانت تجهل وما كانت تجحد ، ولكن بعد فوات الأوان ، حين لا تنفع رؤية ، ولا يجدي إدراك ، ولا تقبل توبة ، ولا يحسب إيمان. وذلك الحق هو الذي كذبوا به فانتهوا إلى الأمر المريع! .. "٣٧"

٣٧ - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٣٦٢)

المبحث الثامن

وجوب تذكر المؤمن رسالته في هذه الأرض

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) } [المنافقون/٩-١١]

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ وَبِأَلَّا يَشْغَلَهُمْ مَا لَهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ ، وَيُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّ مِنَ التَّهَيُّ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَطَاعَتِهِ بِمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ، فَإِنَّهُ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ يَخْسِرُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

يَحُثُّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي طَاعَتِهِ مِنَ الْمَالِ الَّذِي جَعَلَهُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَحِينَ أَجْلُهُمْ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَصَرُوا فِي الطَّاعَةِ ، وَفِي الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ : يَا رَبِّ لَوْ أَنَّكَ أَخَّرْتَنِي مُدَّةً يَسِيرَةً ، فَأَنْفَقَ فِي طَاعَتِكَ ، وَأَسْتَجِيبَ لَأَمْرِكَ ، وَأَكُونُ مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ الصَّالِحِينَ ، الَّذِينَ تَرْضَى عَنْهُمْ . وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ : إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوا الطَّاعَاتِ ، وَيُنْفِقُوا فِي أَوْجُهٍ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ قَبْلَ أَنْ يَحِينَ أَجْلُهُمْ ، لِأَنَّهُمْ إِذَا حَانَ أَجْلُهُمْ فَلَا مَجَالَ لِلتَّأَخِيرِ وَالْإِمْهَالِ ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ .^{٣٨}

" هو لقاء آيات الله مع المؤمنين ، بعد أن استمعوا إلى ما تنزل في المنافقين من آيات .. وكان من حكمة الحكيم العليم ، أن يلفت المؤمنين إلى أنفسهم ، بعد أن أراهم الصورة المنكرة للإنسان الضال المنحرف ، ليكون لهم فيه عبرة وعظة .. وحتى لا يشغل المؤمن كثيرا بأمر هؤلاء المنافقين ، وحتى لا يقف كثير من المؤمنين عند حد النظر إلى هذه الصور المتحركة بين عينيه ، التلهي والتسلية .. جاءت هذه اللفتة السماوية إليهم ، ليخرجوا بمشاعرهم وتصوراتهم عن هذا الموقف ، ولينظروا في أنفسهم هم ، وليراجعوا حسابهم مع

^{٣٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٠٧٥)

ذواتهم ، فقد يكون فيهم من هو على صورة هؤلاء المنافقين ، أو على شبه قريب منها ، وهذا يقتضيه أن يصحح وضعه ، إن أراد أن يكون في المؤمنين ..

أما كيف يقيم ميزانه السليم على طريق الإيمان ، فهو أن يكون كما دعا الله المؤمنين إليه في هاتين الآيتين : وهو ألا يشغل عن ذكر الله بالأموال والأولاد ، وألا يكون ذلك همه في الحياة الدنيا ، فيستغرقه متاع هذه الحياة ، ويقطعه عن ذكر الله ، وعن النظر إلى الآخرة ، وما فيها من حساب وجزاء .. فإن من يفعل ذلك فقد خسر نفسه ، وأوردها موارد الهلاك في الدنيا ، والعذاب الأليم في الآخرة ..

فإذا انخلع الإنسان عن سلطان الاشتغال بالأهل والولد ، وعن الغفلة عن ذكر الله — كان طلب البذل منه للإنفاق في وجوه الخير ، أمرا مقبولا ، يمكن أن يمثل به ويستجيب له ، حيث خرج من هذا السلطان المتحكم فيه ، الآخذ على يده ، وهذا هو السر — والله أعلم — في تقديم النهي على الأمر .. فإن الانتهاء عن المنكر والقبيح ، مدخل إلى إتيان المعروف والحسن من الأمور ..

إن الانتهاء عن القبيح أشبه بالشفاء من داء يغتال عافية الجسد ، فإذا عوفي الجسد من هذا الداء ، كان من الطبيعي بعد ذلك ، أن تقوم ملكات الإنسان وحواسه بوظائفها كاملة .. فكما لا يدعى إلى حمل التكليف والأعباء مريض ، كذلك لا يدعى إلى القربات والحسنات من هو مقيم على المعاصي ، ملازم للمنكرات ..

وإن التربية الحكيمة لمثل هذا ، هو أن يطبّ له من هذا الداء المتمكن منه ، فإن هو أفلح عنه ، كان من الممكن الانتقال به من جانب المعاصي إلى حيث البر والإحسان .. ولهذا كان من مقررات الشريعة : أن دفع المضار مقدّم على جلب المصالح!! وقوله تعالى : « مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ » — هو حثّ على المبادرة بطاعة الله ، والإعداد اليوم الآخر ، قبل فوات الأوان ، حين يهجم الموت على غرة أو دون إنذار سابق ، فيجد المرء نفسه وقد حضره الموت ، وفاته ما كان يراود به نفسه من طاعة الله ، ومن فعل الخير ، وعندئذ يود أن لو استأنى به الموت قليلا ، وترك له فرصة من الوقت ، يتدارك فيه ما فات ، ويصلح ما أفسد .. ولكن هيهات ،

هيهات! « فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » (٣٤ : الأعراف) وقوله تعالى : « فأصدق » منصوب بأن المضمرة بعد فاء السببية ، الواقعة بعد الطلب ، وهو الرجاء المفهوم من قوله تعالى : « لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ؟ فَأَصْدَقَ » .. فلولا هنا بمعنى « هلا » . وأصدق : أصله أتصدق ، قلبت التاء صاد ، وأدغمت في الصاد ..

وأما قوله تعالى : « وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ » فهو مجزوم ، لأنه واقع في حيز جواب الشرط ، المفهوم كذلك من قوله تعالى « لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ » فهو بمعنى « لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ ، وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ » ! ..

وهذا الأسلوب من النظم لا يكون في غير القرآن ، ونظمه المعجز ، الذي يملك بسلطانه التصريف في الكلمات ، كما يملك سبحانه وتعالى بقدرته التصريف في كل شيء .. فلقد تسلط أسلوب الطلب : « لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ » تسلط على الفعلين : أصدق ، وأكون .. جاعلا الفعل الأول مسببا عنه ، وجاعلا الفعل الثاني جوابا له .. والسؤال هنا : ما الحكمة من مجيء النظم في الآية على هذا الأسلوب ؟

ولما ذا لم يجيء الفعلان الواقعان في حيز الطلب ، منصوبين معا ، أو مجزومين معا ؟ وما سر هذه التفرقة بين الفعلين ، فيكون أحدهما مسببا ، على حين يكون الآخر جوابا ؟ نقول — والله أعلم — : إن هذا الاختلاف بين الفعلين ، هو اختلاف في أحوال النفس ، وتنقلها من حال إلى حال ، في هذا الموقف المشحون بالانفعالات والأزمات .. فالموت حين يحضر هذا الإنسان الذي يدافع الأيام بالتسويق والمماطلة في الرجوع إلى الله ، وعمل الصالحات — هذا الموت المطل على هذا الإنسان ، يردّه إلى صوابه ، ويوقظه من غفلته ، ولكن ذلك يكون بعد فوات الأوان ، وقد بلغت الروح الحلقوم ، فلا يجد هذا الإنسان بين يديه إلا الأمانى ، وإلا الرجاء فيقول : « رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ ! » ..

. إن ذلك هو أقصى أمانيه ، وهو غاية مطلوبه .. ثم يخيل إليه من لهفته ، وشدة حرصه على هذا المطلوب ، أنه — وقد تمناه — أصبح دانيا قريبا ، وأنه قد استجيب له فعلا ، وأن يد الموت قد تراخت عنه قليلا إلى أجل .. وهنا ينطلق مع هذا الأمل فرحا مستبشرا

..إنه الآن يستطيع أن يتصدق .. وإنه إن يتصدق يكن من الصالحين ، الذين يفوزون برضا الله ورضوانه .. ولهذا يخرج من باب الأمان ، ليدخل في باب العرض والطلب .. إن تؤخرني إلى أجل قريب أكن من الصالحين .. ولكن هذه الفرحة سرعان ما تختفى ، وتغرب شمسها من نفسه ، إذ يجيء قوله تعالى : «وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا» فيردّه هذا إلى مواجهة الموت ، الذي خيل إليه أنه فرّ من بين يديه! إنه حلم لحظة ، في صحوة الموت أو غيبوبته ، سرعان ما يذهب كما تذهب الأحلام ..

وتحرير معنى الآية — على هذا المفهوم الذي فهمناها عليه ، هو : هلّا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق .. وإن أصدق أكن من الصالحين ، الناجين ، من هذا الهول العظيم. الذي يطلّ بوجهه من قريب.^{٣٩}

" والأموال والأولاد ملهاة ومشغلة إذا لم يستيقظ القلب ، ويدرك غاية وجوده ، ويشعر أن له هدفا أعلى يليق بالمخلوق الذي نفخ الله فيه من روحه ، فأودع روحه الشوق إلى تحقيق بعض صفاته الإلهية في حدود طاقته البشرية. وقد منحه الأموال والأولاد ليقوم بالخلافة في الأرض لا لتلهيه عن ذكر الله والاتصال بالمصدر الذي تلقى منه ما هو به إنسان. ومن يغفل عن الاتصال بذلك المصدر ، ويلهيه عن ذكر الله ليتم له هذا الاتصال «فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» .. وأول ما يخسرونه هو هذه السمة. سمة الإنسان. فهي موقوفة على الاتصال بالمصدر الذي صار به الإنسان إنسانا. ومن يخسر نفسه فقد خسر كل شيء. مهما يملك من مال ومن أولاد.

ويلمسهم في موضوع الإنفاق لمسات متنوعة في آية واحدة .. «وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ» .. فيذكركم بمصدر هذا الرزق الذي في أيديهم. فهو من عند الله الذي آمنوا به والذي يأمرهم بالإنفاق. «مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ...» .. فيترك كل شيء وراءه لغيره وينظر فلا يجد أنه قدم شيئا لنفسه ، وهذا أحق الحمق وأخسر الخسران.

ثم يرجو حينئذ ويتمنى أن لو كان قد أمهل ليتصدق وليكون من الصالحين! وأن له هذا؟ : «وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا»؟ وأن له ما يتقدم به؟ «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»؟

^{٣٩} - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١٤ / ٩٦٦)

إنها اللمسات المنوعة في الآية الواحدة. في مكانها المناسب بعد عرض سمات المنافقين وكيدهم للمؤمنين.

ولو إذ المؤمنين بصف الله الذي يقيهم كيد المنافقين .. فما أجدرهم إذن أن ينهضوا بتكاليف الإيمان ، وألا يغفلوا عن ذكر الله. وهو مصدر الأمان .. وهكذا يربي الله المسلمين بهذا القرآن الكريم .. "٤٠"

٤٠ - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٥٨٠)

المبحث التاسع

من هاجر إلى الله وأدركه الموت قبل وصوله فقد وقع أجره على الله

قال تعالى : { وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاجِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠) [النساء/١٠٠] }

يُحَرِّضُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْهَجْرَةِ ، وَيُرْعَبُهُمْ فِي مُفَارَقَةِ الْمُشْرِكِينَ ، وَيُعَلِّمُهُمْ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُمَا ذَهَبُوا وَجَدُوا أَمَاكِنَ آمِنٍ يَلْجَأُونَ إِلَيْهَا ، وَيَتَحَصَّنُونَ بِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَيَتَحَرَّرُونَ فِيهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ ، وَيُرَاجِمُونَهُمْ بِهَا ، وَيَجِدُونَ سَعَةً فِي الرِّزْقِ . وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ بِنِيَّةِ الْهَجْرَةِ فَيَلْقَى حَتْفَهُ فِي الطَّرِيقِ ، فَقَدْ حَصَلَ لَهُ الثَّوَابُ عِنْدَ اللَّهِ ، مِثْلَ ثَوَابِ مَنْ هَاجَرَ .

فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » . صحيح البخاري (١) وصحيح مسلم (٥٠٣٦)

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ .^{٤١}
إن المنهج الرباني القرآني يعالج في هذه الآية مخاوف النفس المتنوعة وهي تواجه مخاطر الهجرة في مثل تلك الظروف التي كانت قائمة والتي قد تتكرر بذاتها أو بما يشابهها من المخاوف في كل حين.

^{٤١} - صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ١١٣) (٣٨٨) صحيح

وهو يعالج هذه النفس في وضوح وفصاحة فلا يكتفم عنها شيئاً من المخاوف ولا يداري عنها شيئاً من الأخطار - بما في ذلك خطر الموت - ولكنه يسكب فيها الطمأنينة بحقائق أخرى وبضمانه الله سبحانه وتعالى ..

فهو أولاً يحدد الهجرة بأنها «في سبيل الله» .. وهذه هي الهجرة المعتمدة في الإسلام. فليست هجرة للثراء ، أو هجرة للنجاة من المتاعب ، أو هجرة للذائد والشهوات ، أو هجرة لأي عرض من أعراض الحياة. ومن يهاجر هذه الهجرة - في سبيل الله - يجد في الأرض فسحة ومنطلقاً فلا تضيق به الأرض ، ولا يعدم الحيلة والوسيلة. للنجاة وللرزق والحياة :

«وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقاً كَثِيراً وَسَعَةً» ..

وإنما هو ضعف النفس وحرصها وشحها يحيل إليها أن وسائل الحياة والرزق ، مرهونة بأرض ، ومقيدة بظروف ، ومرتبطة بملايسات لو فارقتها لم تجد للحياة سبيلاً.

وهذا التصور الكاذب لحقيقة أسباب الرزق وأسباب الحياة والنجاة هو الذي يجعل النفوس تقبل الذل والضميم ، وتسكت على الفتنة في الدين ثم تتعرض لذلك المصير البائس. مصير الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم. والله يقرر الحقيقة الموعودة لمن يهاجر في سبيل الله .. إنه سيجد في أرض الله منطلقاً وسيجد فيها سعة. وسيجد الله في كل مكان يذهب إليه ، يحياه ويرزقه وينجيه ..

ولكن الأجل قد يوافي في أثناء الرحلة والهجرة في سبيل الله .. والموت - كما تقدم في سياق السورة - لا علاقة له بالأسباب الظاهرة إنما هو حتم محتوم عند ما يحين الأجل المرسوم. وسواء أقام أم هاجر ، فإن الأجل لا يستقدم ولا يستأخر.

غير أن النفس البشرية لها تصوراتها ولها تأثراتها بالملايسات الظاهرة ... والمنهج يراعي هذا ويعالجه. فيعطي ضمانه الله بوقوع الأجر على الله منذ الخطوة الأولى من البيت في الهجرة إلى الله ورسوله : «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ - ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ - فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» ..

أجره كله. أجرة الهجرة والرحلة والوصول إلى دار الإسلام والحياة في دار الإسلام .. فماذا بعد ضمان الله من ضمان؟

ومع ضمان الأجر التلويح بالمغفرة للذنوب والرحمة في الحساب. وهذا فوق الصفقة الأولى.

«وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا».

إنها صفقة رابحة دون شك. يقبض فيها المهاجر الثمن كله منذ الخطوة الأولى - خطوة الخروج من البيت مهاجرا إلى الله ورسوله - والموت هو الموت. في موعده الذي لا يتأخر. والذي لا علاقة له بهجرة أو إقامة.

ولو أقام المهاجر ولم يخرج من بيته لجاء الموت في موعده. ولخسر الصفقة الرابحة. فلا أجرة ولا مغفرة ولا رحمة. بل هنالك الملائكة تتوفاه ظلما لنفسه! وشتان بين صفقة و صفقة! وشتان بين مصير ومصير! ويخلص لنا من هذه الآيات التي استعرضناها من هذا الدرس - إلى هذا الموضوع - عدة اعتبارات ، نحملها قبل أن نعبر إلى بقية الدرس وبقية ما فيه من موضوعات :

يخلص لنا منها مدى كراهية الإسلام للقعود عن الجهاد في سبيل الله والقعود عن الانضمام للصف المسلم المجاهد .. اللهم إلا من عذرهم الله من أولي الضرر ، ومن العاجزين عن الهجرة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ..

ويخلص لنا منها مدى عمق عنصر الجهاد وأصالته في العقيدة الإسلامية ، وفي النظام الإسلامي ، وفي مقتضيات الواقعية لهذا المنهج الرباني .. وقد عدته الشيعة ركنا من أركان الإسلام - ولهم من قوة النصوص ومن قوة الواقع ما يفسر اتجاههم هذا. لولا ما ورد في حديث : «بني الإسلام على خمس ...» ولكن قوة التكليف بالجهاد وأصالته هذا العنصر في خطر الحياة الإسلامية وبروز ضرورته في كل وقت وفي كل أرض - الضرورة التي تستند إلى مقتضيات فطرية لا ملابسات زمنية - كلها تؤيد هذا الشعور العميق بجدية هذا العنصر وأصالته.

ويخلص لنا كذلك أن النفس البشرية هي النفس البشرية وأنها قد تحجم أمام الصعاب ، أو تخاف أمام المخاطر ، وتكسل أمام العقبات ، في خير الأزمنة وخير المجتمعات. وأن منهج العلاج في هذه الحالة ، ليس هو اليأس من هذه النفوس. ولكن استجاشتها ، وتشجيعها ، وتحذيرها ، وطمأنتها في آن واحد. وفق هذا المنهج القرآني الرباني الحكيم.

وأخيرا يخلص لنا كيف كان هذا القرآن يواجه واقع الحياة ويقود المجتمع المسلم ويخوض المعركة - في كل ميادينها - وأول هذه الميادين هو ميدان النفس البشرية وطبائعها الفطرية ، ورواسبها كذلك من الجاهلية. وكيف ينبغي أن نقرأ القرآن ، ونتعامل معه ونحن نواجه واقع الحياة والنفس بالدعوة إلى الله.^{٤٢}

^{٤٢} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٢ / ٧٤٥)

المبحث العاشر

المنافقون يهربون من الجهاد فرارا من الموت

قال تعالى : { وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) [الأحزاب/١٢-١٧]

أَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَظَهَرَ نِفَاقُهُمْ ، فَقَالَ مُعْتَبُ بْنُ قُسَيْيرٍ مَا قَالَ ، وَقَالَ ضِعَافُ الْإِيمَانِ وَالَّذِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ رِيبةٌ وَشَكٌّ ، لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَامِ - { الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } : { مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا } ، أَيَّ لَمْ يَكُنْ مَا وَعَدْنَا بِهِ اللَّهُ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِالْعَدُوِّ إِلَّا وَعَدًا يَغُرُّنَا وَيَخْدَعُنَا .

وَإِذْ كَرَّ يَا مُحَمَّدٌ حِينَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ (كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ وَأَصْحَابِهِ) : يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ (يَثْرِبَ) لَيْسَ هَذَا الْمَقَامُ ، الَّذِي تُقِيمُونَهُ مُرَابِطِينَ مَعَ النَّبِيِّ ، بِمَقَامِ صَالِحٍ لَكُمْ ، فَارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ لِتَحْمُوَهَا ، وَلِتُدَافِعُوا عَنْهَا وَعَنْ عِيَالِكُمْ . وَاسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ ﷺ طَالِبِينَ السَّمَاخَ لَهُمْ بِالْعَوْدَةِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ (وَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ) ، وَقَالُوا إِنَّهُمْ يَخَافُونَ عَلَى بُيُوتِهِمُ السَّرَاقَ ، وَأَ ، بُيُوتُهُمْ لَيْسَ لَهَا مَنْ يَحْمِيهَا (عَوْرَةٌ) .

وَيَرُدُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ قَائِلًا : إِنْ بُيُوتُهُمْ لَيْسَتْ عَوْرَةً ، وَلَا مُهَدَّدَةٌ مِنْ أَحَدٍ كَمَا يَزْعُمُونَ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ الْفِرَارَ وَالْهَرَبَ مِنَ الْقِتَالِ ، وَعَدَمِ إِعَانَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَرْبِهِمْ أَعْدَاءَ اللَّهِ .

وَلَوْ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الْمَدِينَةِ ، وَكُلُّ قَطْرٍ مِنْ أَفْطَارِهَا (وَقِيلَ بَلِ الْمَقْصُودُ بَيُوتُهُمْ) وَطَلَبُوا إِلَيْهِمُ الْارْتِدَادَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَالْعَوْدَةَ إِلَى الشِّرْكِ ، (لَوْ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ) لَفَعَلُوا ذَلِكَ سَرِيعاً دُونَ تَرَدُّدٍ مِنْ شِدَّةِ الْهَلَعِ وَالْجَزَعِ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ إِيْمَانِهِمْ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَأْذِنُونَ - وَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ - قَدْ هَرَبُوا مِنَ الْقِتَالِ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَفَرُّوا مِنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ ، ثُمَّ تَابُوا وَعَاهَدُوا اللَّهَ عَلَى أَلَّا يَعُودُوا إِلَى مِثْلِهَا ، وَلَا يَنْكُصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَمَنْ عَاهَدَ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَسْأَلُهُ عَنْ عَهْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَجْزِيهِ بِهِ . فَقُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَأْذِنِينَ الْهَارِبِينَ مِنْ قِتَالِ الْعَدُوِّ وَلِقَائِهِ : إِنَّ الْفِرَارَ مِنَ الْقِتَالِ لَنْ يَنْفَعَكُمْ وَلَنْ يَدْفَعَ عَنْكُمْ مَا قَضَاهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ مَوْتٍ أَوْ قَتْلِ ، وَإِذَا نَفَعَكُمْ الْفِرَارُ فَلَمْ تُقَاتِلُوا فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ ، فَإِنَّ بَقَاءَكُمْ فِي الدُّنْيَا مَحْدُودٌ الْأَجَلِ ، وَمَتَاعُكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ ، وَسَيَأْتِي الْمَوْتُ فِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ لَا يَتَأَخَّرُ وَلَا يَتَقَدَّمُ . وَقُلْ لَهُمْ : لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ قَضَاءَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكُمْ ، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ شَرًّا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ عَنْكُمْ ، وَلَا أَنْ يَحُولَ دُونَ وَقُوعِهِ بِكُمْ : وَإِنْ أَرَادَ بِكُمْ خَيْرًا وَرَحْمَةً ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَحُولَ دُونَ وَصُولِ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ ، فَالْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ ، يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ . وَلَنْ يَجِدَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَلِيًّا لَهُمْ غَيْرَ اللَّهِ ، وَلَا نَاصِرًا يَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا قَضَاهُ اللَّهُ ، وَمَا قَدَرَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ وَبَلَاءٍ .^{٤٣}

" إن قدر الله هو المسيطر على الأحداث والمصائر ، يدفعها في الطريق المرسوم ، وينتهي بها إلى النهاية المحتومة. والموت أو القتل قدر لا مفر من لقائه ، في موعده ، لا يستقدم لحظة ولا يستأخر. ولن ينفع الفرار في دفع القدر المحتوم عن فار. فإذا فروا فإنهم ملاقون حتفهم المكتوب ، في موعده القريب. وكل موعده في الدنيا قريب ، وكل متاع فيها قليل ولا عاصم من الله ولا من يحول دون نفاذ مشيئته. سواء أراد بهم سوءا أم أراد بهم رحمة ، ولا مولى لهم ولا نصير ، من دون الله ، يحميهم ويمنعهم من قدر الله.

^{٤٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٢٦)

فالاستسلام الاستسلام. والطاعة الطاعة. والوفاء الوفاء بالعهد مع الله ، في السراء والضراء. ورجع الأمر إليه ، والتوكل الكامل عليه. ثم يفعل الله ما يشاء. "٤٤"

٤٤ - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٨٣٩)

المبحث الحادي عشر الكفار لا يتمنون الموت أبدا

قال تعالى : {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) [البقرة/٩٤-٩٦]

قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ : إِنْ كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ صِدْقًا أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ مِنْ دُونِ النَّاسِ ، وَأَنَّ النَّارَ لَنْ تَمْسَكُمْ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ، وَأَنَّ لَكُمْ الْجَنَّةَ وَحَدَّكُمْ وَمَنْ عَدَاكُمْ مِنَ الْخَلْقِ فِي النَّارِ ، فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ الَّذِي يُوصِلُكُمْ إِلَى ذَلِكَ النَّعِيمِ الْخَالِصِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يُنَازِعُكُمْ فِيهِ أَحَدٌ ، وَاطْلُبُوا الْمَوْتَ مِنَ اللَّهِ . فَإِذَا لَمْ يَتَمَنَّوَهُ كَانُوا غَيْرَ صَادِقِينَ فِي إِيمَانِهِمْ . وَلَنْ يَتَمَنَّى هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِكَ يَا مُحَمَّدٌ أَنْ يَنْزَلَ بِهِمُ الْمَوْتُ أَبَدًا ، لِأَنَّهُمْ مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ ، وَمَا أَسْلَفَتْ مِنْ سَيِّئِ الْأَعْمَالِ ، فَهُمْ يَخَافُونَ عِقَابَ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ ظَالِمُونَ فِي قَوْلِهِمْ : إِنْ الدَّارَ الْآخِرَةَ خَالِصَةً لَهُمْ مِنْ دُونِ النَّاسِ .

وَلَتَجِدَنَّ يَا مُحَمَّدُ الْيَهُودَ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى الْبَقَاءِ فِي الْحَيَاةِ ، حَتَّى لَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَصَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ ، وَلَا يَعْتَقِدُونَ بِوُجُودِ بَعْثٍ وَحَشَرٍ وَحِسَابٍ عَلَى الْأَعْمَالِ ، وَلِذَلِكَ حَصَرُوا هَمَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَمَّا الْيَهُودُ فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ، وَيَعْلَمُونَ مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ مِنْ كُفْرٍ وَخُرُوجٍ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَقَتْلٍ لِأَنْبِيَائِهِ ، وَيَعْلَمُونَ مَا يَنْتَظِرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ مَقْتِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ وَشَدِيدِ عَذَابِهِ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَمَدٌ بَعِيدٌ ، وَأَنْ يَعِيشُوا دَهْرًا طَوِيلًا لِكَيْلَا يَصِلُوا إِلَى الْعَذَابِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ .

وَيُرْذُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَاتِلًا : وَلَوْ عَاشَ أَحَدُهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُنْجِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ، مَا دَامَ مُقِيمًا عَلَى كُفْرِهِ ، وَمُصِرًّا عَلَى الْإِثْيَانِ بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ ، وَاللَّهُ مُبْصِرٌ وَمُشَاهِدٌ مَا يَعْمَلُونَ .^{٤٥}

" لن يتمنوه. لأن ما قدمته أيديهم للآخرة لا يطعمهم في ثواب ، ولا يؤمنهم من عقاب. إنه مدخر لهم هناك ، والله عليم بالظالمين وما كانوا يعملون. وليس هذا فحسب. ولكنها خصلة أخرى في يهود ، خصلة يصورها القرآن صورة تفيض بالزراية وتنصح بالتحقير والمهانة : «وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ» .. آية حياة ، لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مميزة على الإطلاق! حياة فقط! حياة بهذا التنكير والتحقير! حياة ديدان أو حشرات! حياة والسلام! إنما يهود ، في ماضيها وحاضرها ومستقبلها سواء. وما ترفع رأسها إلا حين تغيب المطرقة. فإذا وجدت المطرقة نكست الرؤوس ، وعنت الجباه جبنا وحرصا على الحياة .. أي حياة! «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ» .. يود أحدهم لو يعمر ألف سنة. ذلك أنهم لا يرجون لقاء الله ، ولا يحسون أن لهم حياة غير هذه الحياة. وما أقصر الحياة الدنيا وما أضيقتها حين تحس النفس الإنسانية أنها لا تتصل بحياة سواها ، ولا تطمع في غير أنفاس وساعات على الأرض معدودة .. إن الإيمان بالحياة الآخرة نعمة. نعمة يفيضها الإيمان على القلب.

نعمة يهبها الله للفرد الفاني العاني. الحدود الأجل الواسع الأمل وما يغلق أحد على نفسه هذا المنفذ إلى الخلود ، إلا وحقيقة الحياة في روحه ناقصة أو مطموسة. فالإيمان بالآخرة - فوق أنه إيمان بعدل الله المطلق ، وجزائه الأوفى - هو ذاته دلالة على فيض النفس بالحياة ، وعلى امتلاء بالحياة لا يقف عند حدود الأرض إنما يتجاوزها إلى البقاء الطليق ، الذي لا يعلم إلا الله مداه ، وإلى المرتقى السامي الذي يتجه صعودا إلى جوار الله.^{٤٦}

^{٤٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٠١)

^{٤٦} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ٩٢)

المبحث الثاني عشر وجوب التواصي بالموت على الإسلام

قال تعالى : { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) [البقرة/١٣٠-١٣٤]

لَقَدْ تَجَرَّدَ إِبْرَاهِيمُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ فَلَمْ يَدْعُ مَعَهُ غَيْرَهُ ، وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَتَبَرَّأَ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ حَتَّى تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ ، وَخَالَفَ قَوْمَهُ . فَمَنْ يَتْرَكَ طَرِيقَ إِبْرَاهِيمَ هَذَا وَمَسْلَكَهُ وَمِلَّتَهُ ، وَيَتَّبِعَ طَرِيقَ الْعِيِّ وَالضَّلَالِ ، فَهُوَ سَفِيهٌ ، وَلَا يَرْتَكِبُ الضَّلَالَةَ إِلَّا السَّفِيهُ . وَلَقَدْ اصْطَفَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَاخْتَارَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الصَّالِحِينَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ .

أَمَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِالْإِحْلَاصِ لَهُ ، وَالْإِسْتِسْلَامِ لِحُكْمِهِ ، فَاِمْتَنَلْ لِأَمْرِ رَبِّهِ ، وَقَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ جَمِيعًا . وَكَانَتْ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ لِلَّهِ مُحَبَّبَةً إِلَى نَفْسِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فَأَوْصَوْا بِهَا أَبْنَاءَهُمْ حِينَ حَضَرَتْهُمْ الْوَفَاةُ وَقَالُوا لَهُمْ : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَأَحْسِنُوا فِي حَيَاتِكُمْ ، وَالزَّمُوا ذَلِكَ لِيَرِزُقَكُمُ اللَّهُ الْوَفَاةَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْمَرْءَ يَمُوتُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، وَيُيَعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ .

يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ يُجَادِلُونَهُ ، وَيَجْحَدُونَ بُبُوَّتَهُ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَسِيرُونَ عَلَى الدِّينِ الَّذِي مَاتَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ ، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا حَاضِرِينَ (شُهَدَاءَ) حِينَمَا حَانَتْ مَنِيَّةُ يَعْقُوبَ ، وَجَاءَهُ الْمَوْتُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ كَانَ شَاهِدًا

عَلَى ذَلِكَ . وَيَقَرَّرُ سُبْحَانَهُ : إِنَّ يَعْقُوبَ سَأَلَ بَنِيهِ عَمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ إِلَهَهُ وَإِلَهَ آبَائِهِ ، الْوَاحِدَ الْأَحَدَ ، الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَسَيُسَلِّمُونَ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ .
(هَذِهِ الْآيَةُ تُرْشِدُ إِلَى أَنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ، وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ نَبِيٍّ ، وَرُوحِهِ التَّوْحِيدُ وَالْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ ، وَالِإِذْعَانُ لِهَدْيِ الْأَنْبِيَاءِ) .

فَتِلْكَ الْأَجْيَالُ السَّالِفَةُ كَانُوا أُمَّةً مُؤَمَّنَةً ، فَلَا يَنْفَعُكُمْ الْإِنْتِسَابُ إِلَيْهِمْ ، إِذَا لَمْ تَفْعَلُوا أَنْتُمْ خَيْرًا تَنْتَفِعُونَ بِهِ ، فَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ عَلَى أَنْ لَا يُجْزَى أَحَدٌ إِلَّا بِكَسْبِهِ وَعَمَلِهِ ، وَلَا يُسْأَلُ أَحَدٌ إِلَّا عَنْ كَسْبِهِ وَعَمَلِهِ ، فَكُلُّ وَاحِدٍ يُحَاسَبُ عَلَى عَمَلِهِ ، وَلَا تُسْأَلُونَ أَنْتُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ هُمْ .^{٤٧}

" هذه هي ملة إبراهيم .. الإسلام الخالص الصريح .. لا يرغب عنها وينصرف إلا ظالم لنفسه ، سفيه عليها ، مستهتر بها .. إبراهيم الذي اصطفاه ربه في الدنيا إماما ، وشهد له في الآخرة بإصلاح .. اصطفاه «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ» .. فلم يتلكأ ، ولم يرتب ، ولم ينحرف ، واستجاب فور تلقي الأمر .

«قَالَ : أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» .. هذه هي ملة إبراهيم .. الإسلام الخالص الصريح .. ولم يكتف إبراهيم بنفسه إنما تركها في عقبه ، وجعلها وصيته في ذريته ، ووصى بها إبراهيم بنيه كما وصى بها يعقوب بنيه . ويعقوب هو إسرائيل الذي ينتسبون إليه ، ثم لا يلبون وصيته ، ووصية جده وجددهم إبراهيم ! ولقد ذكر كل من إبراهيم ويعقوب بنيه بنعمة الله عليهم في اختياره الدين لهم : «يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ» ..

فهو من اختيار الله . فلا اختيار لهم بعده ولا اتجاه . وأقل ما توجهه رعاية الله لهم ، وفضل الله عليهم ، هو الشكر على نعمة اختياره واصطفائه ، والحرص على ما اختاره لهم ، والاجتهاد في ألا يتركوا هذه الأرض إلا وهذه الأمانة محفوظة فيهم : «فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» ..

وها هي ذي الفرصة سانحة ، فقد جاءهم الرسول الذي يدعوهم إلى الإسلام ، وهو ثمرة الدعوة التي دعاها أبوهم إبراهيم .. تلك كانت وصية إبراهيم لبنيه ووصية يعقوب لبنيه ..

^{٤٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٧)

الوصية التي كررها يعقوب في آخر لحظة من لحظات حياته والتي كانت شغله الشاغل الذي لم يصرفه عنه الموت وسكراته ، فليسمعها بنو إسرائيل :

«أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ. إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ : مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» ..

إن هذا المشهد بين يعقوب وبنيه في لحظة الموت والاحتضار لمشهد عظيم الدلالة ، قوي الإيجاء ، عميق التأثير .. ميت يحتضر. فما هي القضية التي تشغل باله في ساعة الاحتضار؟ ما هو الشاغل الذي يعني خاطره وهو في سكرات الموت؟ ما هو الأمر الجلل الذي يريد أن يطمئن عليه ويستوثق منه؟ ما هي التركة التي يريد أن يخلفها لأبنائه ويحرص على سلامة وصولها إليهم فيسلمها لهم في محضر ، يسجل فيه كل التفاصيل؟ ..

إنها العقيدة .. هي التركة. وهي الذخر. وهي القضية الكبرى ، وهي الشغل الشاغل ، وهي الأمر الجلل ، الذي لا تشغل عنه سكرات الموت وصرعته : «مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟» ..

هذا هو الأمر الذي جمعكم من أجله. وهذه هي القضية التي أردت الاطمئنان عليها. وهذه هي الأمانة والذخر والتراث ..

«قَالُوا : نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ. إِلَهًا وَاحِدًا. وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» .. إنهم يعرفون دينهم ويذكرونه. إنهم يتسلمون التراث ويصونونه. إنهم يطمئنون الوالد المحتضر ويريحونه.

وكذلك ظلت وصية إبراهيم لبنيه مرعية في أبناء يعقوب. وكذلك هم ينصون نصا صريحا على أنهم «مُسْلِمُونَ». والقرآن يسأل بني إسرائيل : «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ؟» .. فهذا هو الذي كان ، يشهد به الله ، ويقرره ، ويقطع به كل حجة لهم في التمويه والتضليل ويقطع به كل صلة حقيقية بينهم وبين أبيهم إسرائيل!

وفي ضوء هذا التقرير يظهر الفارق الحاسم بين تلك الأمة التي خلت ، والجيل الذي كانت تواجهه الدعوة ..

حيث لا مجال لصلة ، ولا مجال لورثة ، ولا مجال لنسب بين السابقين واللاحقين : «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ، وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» .. فلكل حساب ولكل طريق ولكل عنوان ولكل صفة .. أولئك أمة من المؤمنين فلا علاقة لها بأعقابها من الفاسقين. إن هذه الأعقاب ليست امتدادا لتلك الأسلاف. هؤلاء حزب وأولئك حزب. هؤلاء راية ولأولئك راية .. والتصور الإيماني في هذا غير التصور الجاهلي .. فالتصور الجاهلي لا يفرق بين جيل من الأمة وجيل ، لأن الصلة هي صلة الجنس والنسب. أما التصور الإيماني فيفرق بين جيل مؤمن وجيل فاسق فليسا أمة واحدة ، وليس بينهما صلة ولا قرابة .. إنهما أمتان مختلفتان في ميزان الله ، فهما مختلفتان في ميزان المؤمنين. إن الأمة في التصور الإيماني هي الجماعة التي تنتسب إلى عقيدة واحدة من كل جنس ومن كل أرض وليست هي الجماعة التي تنتسب إلى جنس واحد أو أرض واحدة. وهذا هو التصور اللائق بالإنسان ، الذي يستمد إنسانيته من نفخة الروح العلوية ، لا من التصافات الطين الأرضية! ^{٤٨}

^{٤٨} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (١ / ١١٥)

المبحث الثالث عشر

الحث على الوصية قبل الموت لغير الورثة

قال تعالى : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى
الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) [البقرة/١٨٠، ١٨١]

فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكُمُ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ إِذَا حَضَرَتْ أَسْبَابُ الْمَوْتِ وَعِلَلُهُ ، وَتَرَكْتُمُ
مَالًا كَثِيرًا لَوَرَثَتِكُمْ أَنْ تُوصُوا لِلْوَالِدَيْنِ وَذَوِي الْقُرْبَى بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ (لا يَزِيدُ عَلَى
الثُلُثِ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَوْصَى لَهُمْ مِنَ الْوَارِثِينَ فِي بَعْضِ الْمَذَاهِبِ ، وَجَوَزَ بَعْضُ الْأَثَمَةِ
الْوَصِيَّةَ لِلْوَارِثِ بِأَنْ يَخْصَّ بِهَا بَعْضٌ مَنْ يَرَاهُ أَحْوَجَ مِنَ الْوَرَثَةِ) . وَإِذَا أَسْلَمَ الْكَافِرُ
وَحَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، وَوَالِدَاهُ كَافِرَانِ ، فَلَهُ أَنْ يُوصِيَ لَهُمَا بِشَيْءٍ يَتَأَلَّفُ بِهِ قُلُوبَهُمَا . وَقَدْ
جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْإِصْبَاءَ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . (وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ
بِآيَةِ الْمَوَارِيثِ) . وَإِذَا صَدَرَتْ الْوَصِيَّةُ عَنِ الْمَوْصِي كَانَتْ حَقًّا وَاجِبًا لَا يُجُوزُ تَغْيِيرُهُ وَلَا
تَبْدِيلُهُ ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ الْوَصِيَّةُ مُجَافِيَةً لِلْعَدْلِ ، فَمَنْ بَدَّلَ الْوَصِيَّةَ - سَوَاءً أَكَانَ وَصِيًّا أَوْ
شَاهِدًا - أَوْ حَرَفَهَا فَعَيَّرَ فِي حُكْمِهَا وَزَادَ فِيهَا أَوْ أَنْقَصَ أَوْ كَتَمَهَا ، فَإِثْمُ التَّبْدِيلِ يَقَعُ
عَلَى الَّذِينَ يَقُومُونَ بِهِ ، وَيَقَعُ أَجْرُ الْمَيِّتِ عَلَى اللَّهِ ، لِأَنَّهُ اطَّلَعَ عَلَى مَا أَوْصَى بِهِ الْمَيِّتُ ،
وَعَلِمَ بِهِ وَبِمَا بَدَّلَهُ الْمَوْصَى إِلَيْهِمْ . وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِ الْمُبْدِلِينَ وَالْمُوصِينَ ، وَيَعْلَمُ نِيَّاتِهِمْ ،
وَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا . فَإِذَا خَافَ الْوَصِيُّ خُرُوجَ الْمَوْصِي فِي وَصِيَّتِهِ عَنْ نَهْجِ الشَّرْعِ وَالْعَدْلِ
خَطَأً أَوْ عَمْدًا ، بِأَنْ زَادَ فِي حِصَّةٍ ، أَوْ أَنْقَصَ فِيهَا . . . وَتَنَازَعَ الْمَوْصَى لَهُمْ بِالْمَالِ فِيمَا
بَيْنَهُمْ ، : أَوْ تَنَازَعُوا مَعَ الْوَرَثَةِ ، فَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمْ مَنْ يَعْلَمُ بِذَلِكَ ، وَأَصْلَحَ بِتَبْدِيلِ هَذَا
الْحَيْفِ وَالْجَنَفِ ، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي هَذَا التَّبْدِيلِ ، لِأَنَّهُ تَبْدِيلٌ بَاطِلٌ بِحَقٍّ ، وَاللَّهُ يَعْفِرُ لَهُ ،
وَيُنِيْبُهُ عَلَى عَمَلِهِ .^{٤٩}

^{٤٩} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٨٧)

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَأَ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨) } [المائدة/١٠٦-١٠٨]

قِيلَ إِنَّ حُكْمَ هَذِهِ الْآيَةِ مَنْسُوخٌ . وَلَكِنَّ الْأَكْثَرِيَّةَ مُتَّفَقَةٌ عَلَى أَنَّهُ مُحْكَمٌ . وَهَذِهِ الْآيَةُ تَتَضَمَّنُ حُكْمَ مَنْ تُؤْفَى وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ - وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ، وَالنَّاسُ كُفَّارٌ ، وَالْأَرْضُ أَرْضُ حَرْبٍ - وَكَانَ النَّاسُ يَتَوَارَثُونَ بِالْوَصِيَّةِ ، ثُمَّ تُسِيختِ الْوَصِيَّةُ ، وَفُرِضَتِ الْفَرَائِضُ ، وَعَمِلَ النَّاسُ بِهَا .

فَإِذَا ظَهَرَ أَنَّ الشَّاهِدَيْنِ قَدْ خَانَا الْأَمَانَةَ ، أَوْ غَلَا شَيْئًا مِنَ الْمَالِ الْمَوْصَىٰ بِهِ إِلَيْهِمَا ، فَلْيَقُمْ اثْنَانِ مِنَ الْوَرَثَةِ الْمُسْتَحِقِّينَ لِلتَّرِكَةِ ، وَلْيَكُونَا مِنْ أَوْلَىٰ مَنْ يَرِثُ ذَلِكَ الْمَالِ ، فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ مِنْ شَهَادَةِ الشَّاهِدَيْنِ الْآخَرَيْنِ ، وَإِنْ قَوْلُنَا إِنَّهُمَا خَانَا أَحَقُّ بِالْقَبُولِ ، وَأَصَحُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَمَا اعْتَدَيْنَا فِيمَا قُلْنَا فِيهِمَا مِنَ الْخِيَانَةِ ، وَإِنْ كُنَّا كَذِبْنَا عَلَيْهِمَا وَافْتَرَيْنَا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ رَجُلًا تُؤْفَى وَأَوْصَىٰ بِتَرِكَتِهِ إِلَىٰ ذَمِيَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَلَمَّا سَلِمَا الْمَالَ إِلَىٰ أَهْلِ الْمَيِّتِ أَنْكَرَ أَهْلُ الْمَيِّتِ ، وَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَىٰ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، فَأَرَادَ أَبُو مُوسَى أَنْ يَسْتَحْلِفَهُمَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّهُمَا لَا يُبَالِيَانِ صَلَاةَ الْعَصْرِ ، وَلَكِنْ اسْتَحْلَفَهُمَا بَعْدَ صَلَاتِهِمَا الْمُقَرَّرَةِ فِي دِينِهِمَا .

وَيَقُولُ الْإِمَامُ قَبْلَ أَنْ يُحْلِفَهُمَا : (إِنْ كَتَمْتُمَا أَوْ حَنَنْتُمَا فَضَحْتُكُمَا فِي قَوْمِكُمَا ، وَلَمْ تُجْزِ لَكُمَا شَهَادَةٌ ، وَعَاقِبْتُكُمَا) ثُمَّ يُحْلِفُهُمَا . فَإِذَا قَالَ الْإِمَامُ لَهُمَا ذَلِكَ ، وَحَمَلَهُمَا عَلَى الْحَلْفِ أَمَامَ النَّاسِ بِالْأَيْمَانِ الْمُعْلَظَةِ ، كَانَ ذَلِكَ أَقْرَبَ السَّبِيلِ إِلَى أَنْ يُؤَدِّيا الشَّهَادَةَ

عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ (أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا) . كَمَا أَنَّ قَدْ يَكُونُ الْحَامِلَ
لَهُمَا عَلَى الْإِثْبَانِ بِالشَّهَادَةِ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ ، هُوَ تَعْظِيمُ الْحَلْفِ بِاللَّهِ ، وَمُرَاعَاةُ جَانِبِهِ
وَإِجْلَالُهُ ، وَالْخَوْفُ مِنَ الْفَضِيحَةِ بَيْنَ النَّاسِ ، إِنْ رُدَّتِ الْيَمِينُ عَلَى الْوَرِثَةِ ، فَيَحْلِفُونَ
وَيَسْتَحِقُّونَ مَا يَدْعُونَ . (أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ) . ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى
الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَبِأَنْ لَا يَحْلِفُوا أَيْمَانًا
كَاذِبَةً . وَيَقُولُ تَعَالَى : إِنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ . أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا
بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا - أَقْرَبُ إِلَى قَوْلِ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ فِي الشَّهَادَةِ .^{٥٠}

^{٥٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٧٧٦)

المبحث الرابع عشر الملائكة تقبض أرواح الناس

قال تعالى : { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢) [الأنعام/٦٠-٦٢] يقول تعالى إِنَّهُ يَتَوَفَّى أَنْفُسَ الْعِبَادِ فِي حَالِ نَوْمِهِمْ فِي اللَّيْلِ ، فَيُرِيهِمْ أَحْسَاسَهَا ، وَيَمْنَعُهَا مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْأَبْدَانِ (وَهُوَ التَّوَفَّى الْأَصْغَرُ) ، وَيَعْلَمُ مَا يَكْسِبُهُ الْعِبَادُ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي النَّهَارِ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى عِلْمِهِ تَعَالَى بِكُلِّ شَيْءٍ ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ فِي النَّهَارِ لِكَسْبِ أَقْوَاتِهِمْ ، وَتَأْمِينَ مَعَاشِهِمْ ، وَلِيَسْتَوْفِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ أَجَلَهُ كَامِلًا ، (لِيَقْضِيَ أَجَلَ مُسَمًّى) ، ثُمَّ يَرْجِعُ الْخَلْقُ إِلَى اللَّهِ حِينَئِذٍ تَنْتَهِي آجَالُهُمْ ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَحْزِيهِمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ الْجَزَاءُ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ .

وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَالِبُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، وَيُرْسِلُ حَفَظَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْعِبَادِ ، يَتَعَقَّبُونَ عَلَيْهِمْ لَيْلاً وَنَهَاراً ، يَحْفَظُونَ أَعْمَالَهُمْ ، وَيُحْصُونَهَا ، مَا دَامُوا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ، وَلَا يُفَرِّطُونَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا ، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ أَجَلُهُ ، تَوَفَّتْهُ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلُونَ بِذَلِكَ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ، وَهُمْ لَا يُقْصِرُونَ فِيمَا يُوَكَّلُ إِلَيْهِمْ . ثُمَّ يَرُدُّ الْعِبَادُ ، الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ، إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ تَعَالَى مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ، فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ صَاحِبُ الْحُكْمِ وَالْقَوْلِ الْفَصْلِ ، وَهُوَ تَعَالَى أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ .^{٥١}

" فهو صاحب السلطان القاهر وهم تحت سيطرته وقهره. هم ضعاف في قبضة هذا

السلطان لا قوة لهم ولا ناصر. هم عباد. والقهر فوقهم. وهم خاضعون له مقهورون .. وهذه هي العبودية المطلقة للألوهية القاهرة .. وهذه هي الحقيقة التي ينطق بها واقع الناس - مهما ترك لهم من الحرية ليتصرفوا ، ومن العلم ليعرفوا ، ومن القدرة ليقوموا بالخلافة

^{٥١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٨٥٠)

- إن كل نفس من أنفاسهم بقدر وكل حركة في كيانهم خاضعة لسلطان الله بما أودعه في كيانهم من ناموس لا يملكون أن يخالفوه. وإن كان هذا الناموس يجري في كل مرة بقدر خاص حتى في النفس والحركة! «وَيُرْسَلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ» ..

لا يذكر النص هنا ما نوعهم .. وفي مواضع أخرى أنهم ملائكة يحصون على كل إنسان كل ما يصدر عنه .. أما هنا فالمقصود الظاهر هو إلقاء ظل الرقابة المباشرة على كل نفس. ظل الشعور بأن النفس غير منفردة لحظة واحدة ، وغير متروكة لذاها لحظة واحدة. فهناك حفيظ عليها رقيب يحصي كل حركة وكل نأمة ويحفظ ما يصدر عنها لا يند عنه شيء .. وهذا التصور كفيلا بأن ينتفض له الكيان البشري وتستيقظ فيه كل خالجة وكل جارحة .. «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ» .. الظل نفسه ، في صورة أخرى .. فكل نفس معدودة الأنفاس ، متروكة لأجل لا تعلمه - فهو بالنسبة لها غيب لا سبيل إلى كشفه - بينما هو مرسوم محدد في علم الله ، لا يتقدم ولا يتأخر. وكل نفس موكل بأنفاسها وأجلها حفيظ قريب مباشر حاضر ، ولا يغفو ولا يغفل ولا يهمل - فهو حفيظ من الحفظة - وهو رسول من الملائكة - فإذا جاءت اللحظة المرسومة الموعودة - والنفس غافلة مشغولة - أدى الحفيظ مهمته ، وقام الرسول برسالته .. وهذا التصور كفيلا كذلك بأن يرتعش له الكيان البشري وهو يحس بالقدر الغيبي يحيط به ويعرف أنه في كل لحظة قد يقبض ، وفي كل نفس قد يحين الأجل المحتوم.

«ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ» .. مولا هم الحق من دون الآلهة المدعاة .. مولا هم الذي أنشأهم ، والذي أطلقهم للحياة ما شاء .. في رقبته التي لا تغفل ولا تفرط .. ثم ردهم إليه عند ما شاء ليقضي فيهم بحكمه بلا معقب : «أَلَا لَهُ الْحُكْمُ ، وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ» فهو وحده يحكم ، وهو وحده يحاسب. وهو لا يبطيء في الحكم ، ولا يهمل في الجزاء .. ولذا السرعة هنا وقعه في القلب البشري. فهو ليس متروكا ولو إلى مهلة في الحساب! وتصور المسلم للأمر على هذا النحو الذي توحى به أصول عقيدته في الحياة والموت والبعث والحساب ، كفيلا بأن يترع كل تردد في أفراد الله سبحانه بالحكم - في هذه الأرض - في أمر العباد ..

إن الحساب والجزاء والحكم في الآخرة ، إنما يقوم على عمل الناس في الدنيا ولا يحاسب الناس على ما اجترحوا في الدنيا إلا أن تكون هناك شريعة من الله تعين لهم ما يحل وما يحرم ، مما يحاسبون يوم القيامة على أساسه وتوحد الحاكمية في الدنيا والآخرة على هذا الأساس ..

فأما حين يحكم الناس في الأرض بشريعة غير شريعة الله فعلام يحاسبون في الآخرة؟
أيحاسبون وفق شريعة الأرض البشرية التي كانوا يحكمون بها ويتحاكمون إليها؟ أم يحاسبون وفق شريعة الله السماوية التي لم يكونوا يحكمون بها ولا يتحاكمون إليها؟
إنه لا بد أن يستيقن الناس أن الله محاسبهم على أساس شريعته هو لا شريعة العباد. وأنهم إن لم ينظموا حياتهم ، وقيموا معاملاتهم - كما يقيمون شعائرهم وعباداتهم - وفق شريعة الله في الدنيا ، فإن هذا سيكون أول ما يحاسبون عليه بين يدي الله. وأنهم سيحاسبون على أنهم لم يتخذوا الله - سبحانه - إلها في الأرض ولكنهم اتخذوا من دونه أربابا متفرقة. وأنهم محاسبون إذن على الكفر بالوحيية الله - أو الشرك به باتباعهم شريعته في جانب العبادات والشعائر ، واتباعهم شريعة غيره في النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، وفي المعاملات والارتباطات - والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .."^{٥٢}

وقال تعالى : { وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) [السجدة/١٠، ١١]

وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ ، الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ : هَلْ إِذَا صَارَتْ لُحُومُنَا وَعِظَامُنَا ثُرَابًا ، وَتَفَرَّقَتْ فِي الْأَرْضِ ، وَاخْتَلَطَتْ بِثَرَابِهَا فَلَمْ تَعُدْ تَتَمَيَّزُ عَنْهُ ، سَنُبْعَثُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَنُخْلَقُ خَلْقًا جَدِيدًا؟ وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يُنْكِرُونَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ ، وَيَكْفُرُونَ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ . قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ : إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ ، الَّذِي وُكِّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ ،

^{٥٢} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٢ / ١١٢٢)

يَقُومُ بِمَا كُفِّ بِهِ ، وَيَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ حِينَما تَسْتَنْفِدُ الْخَلَائِقُ آحَالَها ، ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى رَبِّكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجَازِي كُلُّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ .^{٥٣}

"الضلال في الأرض : الضياع ، والفناء في ترابها .. وذلك بما يحدث للأجساد بعد الموت
من تحلل وفناء.

والحديث هنا عن المشركين ، الذين ينكرون البعث ، ويرون أن انحلال أجسادهم بعد
الموت ، وتحويلهم إلى تراب من تراب الأرض ، يجعل من المستحيل أن يعودوا مرة أخرى
إلى ما كانوا عليه ، إذ ما أبعد ما بين هذه الأجساد التي أبلاها البلى ، وبين الحال التي
ستصبح عليها لو صحَّ أنهم سيبعثون ..

ولو أنهم نظروا إلى ما دعاهم الله سبحانه وتعالى إليه ، من النظر في قوله تعالى : « وَبَدَأَ
خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ » .

. وفي قوله : « ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ » — لوجدوا أن لا فرق بين هذا
التراب الذي جاءوا منه ، أو تلك النطفة التي تخلقوا منها ، وبين هذا التراب الذي صارت
إليه أجسادهم .. بل إن في أجسادهم الغائبة تحت التراب ، إشارات تشير إليهم ، وتاريخاً
يحدث عنهم! إنهم — وهم في التراب — أشبه بغائب ترجى له عودة ، وهم لم يكونوا من
قبل شيئاً! وشيء يعود إلى أصله ، أقرب في التصور من توقع وجود شيء من عدم! —
وفي قوله تعالى : « بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ » — إشارة إلى أن هؤلاء المشركين على
ضلال في حياتهم الدنيا .. قد فتنوا بها ، وأذهبوا طيباتهم فيها ، وأطلقوا لهوهم العنان
يذهب بهم كلَّ مذهب .. وهذا ما أوقع في تفكيرهم أن لا حياة بعد الموت ، وأن لا
حساب ولا جزاء ... لأن ذلك يعنى أن يعملوا حساباً لهذا الحساب ، وأن يتخففوا كثيراً
مما هم فيه من ضلال ، وأن يستبقوا من يومهم شيئاً لما بعد هذا اليوم .. وإنه ليس لهم إلى
ذلك من سبيل ، وقد غلبتهم أهواؤهم ، واستولت عليهم دنياهم .. وإذن فلا يوم بعد
هذا اليوم ، ولا حياة بعد هذه الحياة .. إنهم — والحال كذلك أشبه بالجنود في ليلة الحرب

^{٥٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٣٩٤)

.. يقضونها ليلة صاحبة معرودة ، حتى الصباح ، ينفقون فيها كل ما معهم .. ثم ليكن في الغد ما يكون!!

قوله تعالى : « قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ » .توفية الشيء : استيفاءه وأخذه كاملا وافيًا ، وعبر عن الموت بالتوفى ، لأنه لا يكون الموت حتى يستوفى الحي ما قدر الله له من حياة ، دون زيادة أو نقصان . وفي قوله تعالى : « قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ » — إشارة إلى أن الموت الذي يحل بهم ، ليس أمرا يقع من تلقاء نفسه ، اعتباطا ، كما يظنون وكما يقول شاعرهم :

رَأَيْتَ الْمَنَايَا خَبِطَ عَشَوَاءَ مِنْ تَصَبَّ قَتَمُهُ وَمِنْ تَخْطِئِ يَعْمَرُ فِيهِمْ
وَكَلًّا ، فَإِنَّ الْمَوْتَ بِيَدِ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ ، الذي جعل لكل نفس أجلا محدودا ، فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .. ثم إن الموت يقوم به رسول من رسل الله ، مهمته هي قبض الأرواح من الأجساد ، بعد أن تستوفى أجلها .. وإذا كان ذلك كذلك ، فإن الذي إليه الموت ، له أيضا الحياة قبل الموت ، وبعد الموت .. فمن أعطى الحياة ، ثم سلبها ، لا يعجز أن يعطى ما سلب! « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ، وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (٢٨ : البقرة).^{٥٤}

"إنهم يستبعدون أن يخلقهم الله خلقا جديدا ، بعد موتهم ودفنهم ، وتحول أجسامهم إلى رفات يغيب في الأرض ، ويختلط بذراتها ، ويضل فيها ، فماذا في هذا من غرابة أمام النشأة الأولى؟ لقد بدأ الله خلق الإنسان من طين. من هذه الأرض التي يقولون إن رفاتهم سيضل فيها ويختلط بها. فالنشأة الآخرة شبيهة بالنشأة الأولى ، وليس فيها غريب ولا جديد!

«بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ» .. ومن ثم يقولون ما يقولون. فهذا الكفر بقاء الله هو الذي يلقي على أنفسهم ظل الشك والاعتراض على الأمر الواضح الذي وقع مرة ، والذي يقع ما هو قريب منه في كل لحظة. لذلك يرد على اعتراضهم بتقرير وفاتهم

^{٥٤} - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١١ / ٦١٢)

ورجعتهم ، مكتفيا بالبرهان الحي الماثل في نشأتهم الأولى ولا زيادة : «قُلْ : يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» ..هكذا في صورة الخبر اليقين .. فأما ملك الموت من هو؟ وكيف يتوفى الأنفس فهذا من غيب الله ، الذي نتلقى خبره من هذا المصدر الوثيق الأكيد. ولا زيادة على ما نتلقاه من هذا المصدر الوحيد.^{٥٥}

^{٥٥} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٨١١)

المبحث الخامس عشر حال الكفار أثناء نزع الروح

قال تعالى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) [الأنعام/ ٩٣] }
لَا أَحَدٌ أَكْثَرُ ظُلْمًا مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ، فَجَعَلَ لَهُ شَرِيكًا أَوْ وَلَدًا ، أَوْ ادَّعَى أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ رَسُولًا إِلَى النَّاسِ ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلَهُ (كَالَّذِينَ يَدْعُونَ النَّبُوَّةَ) ، أَوْ ادَّعَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ (كَالَّذِينَ قَالُوا : لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا) .

وهؤلاء الظالمون وأمثالهم جُرمهم عند الله عظيم . وَلَوْ تَرَى يَا مُحَمَّدُ حَالَهُمْ وَهُمْ يُعَانُونَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ، وَالْأَمَّ اللَّحْظَاتِ الْآخِرَةِ مِنْ حَيَاتِهِمِ التَّعِيسَةِ ، لَرَأَيْتَ مَالًا سَبِيلَ إِلَى وَصْفِهِ وَتَصْوِيرِهِ مِنْ سُوءٍ ، وَقَدْ جَاءَتْهُمْ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ بِأَسْطِينِ إِلَيْهِمْ أَيْدِيَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالْعَذَابِ لِيَسْتَخْرِجُوا أَرْوَاحَهُمْ مِنْ أَحْسَادِهِمْ ، بِقَسْوَةٍ وَعُنفٍ ، لِمَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ ، وَتَسْتَكْبِرُونَ عَنْ اتِّبَاعِ آيَاتِهِ ، وَالْإِنْقِيَادِ إِلَى رُسُلِهِ .^{٥٦}

" حماية للرسول — عليهم الصلاة والسلام — من أن يكونوا مظنة تهمة في صدقهم ، وصدق ما جاءوا به من عند الله .. إذ أن الافتراء على الله ، والتلبس على الناس باسمه ، وادعاء النبوة واختلاق ما يكون بين يديها من كلمات الله وآياته — كل هذا عدوان على الله ، وتطاول على ما تفرد به سبحانه من قدرة وعظمة ، وفي هذا مهلكة وضياع لكل من يتلبس بمنكر من هذه المنكرات .. وليس ثمة عاقل تسول له نفسه أن يقف هذا الموقف المفضوح ، ويعرض نفسه للفضيحة الفاضحة ، والخزي المبين بين الناس! فكيف بأنبياء الله

^{٥٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٨٨٣)

ورسله ، وهم دعاة هدى ، لا ييغون عليه من أحد أجرا — كيف يكون منهم الكذب على الله والتقوّل عليه بما لم يقل ؟

وإذن فالذين يصطفيهم الله لحمل رسالته ، ويضع بين أيديهم وعلى ألسنتهم كلماته وآياته — لا يختلط أمرهم على ذى عقل ، ولا تلبس دعوتهم بدعوة أدعياء النبوة ، لما بين النبىّ والدعىّ من مفارقات بعيدة ، سواء فى ذات النبىّ والدعىّ ، أو فى محامل دعوة النبىّ ودعوة الدعىّ.

ففى سلوك النبىّ ، استقامة ، وصدق ، وعفّة ، وكمال ، فى كل أموره ، ظاهرها وباطنها جميعا ، مما لا يكون موضع شك أو إنكار عند أعدائه ، فضلا عن أوليائه .. وليس كذلك الدعىّ الذي لا يمكن أن يقف هذا الموقف المخزى إلّا إذا كان على قدر كبير من الوقاحة ، والتجرد من الحياء ، وعدم المبالاة باقّام الناس له ، وتشنيعهم عليه ..

وفى محامل رسالة النبىّ .. النور والهدى ، والخير ، والعدل ، والإحسان .. للناس جميعا .. لا لطائفة من الطوائف ، ولا لطبقة من الطبقات .. أما ما تحمل رسالة المدعى — إن كان له رسالة — فهو الملق والرياء ، والاستجابة للعواطف الخسيسة فى الناس ، وإباحة المنكرات لهم ، ودعوتهم إلى تلك المنكرات باسم هذا الدين الكاذب ، الذي يباركها ويبارك أهلها ..

وفى قوله تعالى : « وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ » عرض لهؤلاء الظالمين الذي افتروا على الله الكذب ، وقالوا بما لم يقبله الله. وفى هذا العرض يبدو المصير الذي يصير إليه كل ظالم ، حين تنتهى أيامه القصيرة فى هذه الدنيا ، بجلوها ومرها ، وبلهوها وعبثها ، وإذ هو على مشارف الحياة الآخرة ، وملائكة الرحمن يمدّون أيديهم لانتزاع ثوب الحياة الذي يلبسه هذا الجسد ، الذي كان يمشى فى الأرض مختالا فخورا ، يحسب أن ماله أخلده .. وما هى إلا لحظات ، يعالج فيها سكرات الموت ، حتى يكون جثة هامدة ، كأنهلقىلقى ملقى على الطريق ، بل إنه يصبح سوأة يجب أن تختفى وتتوارى عن الأنظار ، وتغيّب فى باطن الأرض .. وليس هذا فحسب ، بل إن

ذلك هو بدء لمرحلة جديدة ، حياة أخرى غير الحياة التي كان فيها .. إنه سيبعث من جديد ، ويلبس ثوب الحياة مرة أخرى ، ولكن لا ليكون مطلق السراح ، يلهو ويعبث ، بل ليلقى به في جهنم ، وليكون وقودا لجحيمها المتسعر! وفي قوله تعالى : « أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ » إشارة إلى هذا الأمر الملزم ، الذي يحمله الملائكة ، لقبض أرواح الظالمين ، وأن الملائكة ، وهم الموكلون بقبض هذه الأرواح ، يحملون هؤلاء الظالمين حملا على انتزاعها بأنفسهم ، وإعطائها لهم بأيديهم ، وفي هذا تنكيل بهم ، وإذلال وقهر لهم ، بأن يحملوا حملا على انتزاع حياتهم بأيديهم .. هكذا « أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ».

. وهل يعطى الإنسان نفسه بيده ؟ إنه لأهون عليه كثيرا أن ينتزعها أحد منه قهرا وقسرا ، من أن يكون هو الذي يقدم بيديه أعز شيء يملكه ، بل كل شيء يملكه ..^{٥٧} والمشهد الذي يرسمه السياق في جزاء هؤلاء الظالمين (أي المشركين) مشهد مفزع مرعب مكروب مرهوب. الظالمون في غمرات الموت وسكراته - ولفظ غمرات يلقي ظله المكروب - والملائكة يسطون إليهم أيديهم بالعذاب ، وهم يطلبون أرواحهم للخروج! وهم يتابعونهم بالتأنيب : « وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ : أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ » ..

وجزاء الاستكبار العذاب المهين ، وجزاء الكذب على الله هذا التأنيب الفاضح .. وكله مما يضيفي على المشهد ظلالا مكروبة ، تأخذ بالحناق من الهول والكآبة والضيق!^{٥٨}

^{٥٧} - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٣٩)

^{٥٨} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٢ / ١١٤٩)

المبحث السادس عشر

الأمم لها آجال أيضا

قال تعالى : { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } (٣٤)
[الأعراف/٣٤]

جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلاً وَمِيقَاتاً قَدَرَهُ لِهَلَاكِهِمْ . فَإِذَا جَاءَ الْأَجَلُ الَّذِي حَدَدَهُ اللَّهُ لِهَلَاكِهِمْ ، وَحُلُولِ الْعِقَابِ بِهِمْ ، أَخَذَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ إِبْطَاءً وَلَا تَعْجِلاً وَلَوْ سَاعَةً وَاحِدَةً .

"إنها حقيقة أساسية من حقائق هذه العقيدة ، يوقع بها السياق على أوتار القلوب الغافلة - غير الذاكرة ولا الشاكرة - لتستيقظ ، فلا يغيرها امتداد الحياة!

والأجل المضروب إما أجل كل جيل من الناس بالموت المعروف الذي يقطع الحياة. وإما أجل كل أمة من الأمم بمعنى الأمد المقدر لقوتها في الأرض واستخلاصها .. وسواء هذا الأجل أو ذاك فإنه مرسوم لا يتقدمون عنه ولا يستأخرون.^{٥٩}

لقد عني المنهج القرآني بمشاهد القيامة .. البعث والحساب ، والنعيم والعذاب .. عناية واضحة. فلم يعد ذلك العالم الذي وعده الله الناس ، بعد هذا العالم الحاضر ، موصوفاً فحسب ، بل عاد مصوراً محسوساً ، وحياً متحركاً ، وبارزاً شاخصاً .. وعاش المسلمون في ذلك العالم عيشة كاملة. رأوا مشاهدته وتأثروا بها ، وخفقت قلوبهم تارة ، واقشعرت جلودهم تارة ، وسرى في نفوسهم الفرع مرة ، وعادوهم الاطمئنان أخرى ، ولاح لهم من بعيد لفح النار ، ورفت إليهم من الجنة أنسام! ومن ثم باتوا يعرفون ذلك العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود .. والذي يراجع كلماتهم ومشاعرهم عن ذلك العالم يحس أنهم كانوا يعيشون فيه عيشة أعمق وأصدق من حياتهم في هذه الدار الدنيا وكانوا ينتقلون بحسهم كله إليه ، كما ينتقل الإنسان من دار إلى دار ، ومن أرض إلى أرض ، في هذه

^{٥٩} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٣ / ١٢٨٥)

الحياة المشهوددة المحسوسة .. ولم يكن ذلك العالم مستقبلا موعودا في حسهم ، وإنما كان واقعا مشهودا ..

وربما كانت هذه المشاهد - المعروضة هنا - أطول مشاهد القيامة في القرآن ، وأحفلها بالحركة ، وبالمناظر المتتابعة ، وبالحوار المتنوع ، في حيوية فائضة يعجب الإنسان كيف تنقلها الألفاظ ، حيث لا ينقلها للحس هكذا إلا المشاهدة! وهي تحيء في السورة - كما أسلفنا - تعقيبا على قصة آدم ، وخروجه من الجنة هو وزوجه بإغواء الشيطان لهما ، وتحذير الله لبني آدم أن يفتنهم الشيطان كما أخرج أبويهم من الجنة ، وتحذيرهم من اتباع عدوهم القديم فيما يوحي به إليهم ويوسوس ، وتهديدهم بتولية الشيطان لهم إن هم احتاروا اتباعه على اتباع ما سيرسل به الرسل إليهم من الهدى والشرعة .. ثم يأخذ في عرض مشهد الاحتضار ، ومشاهد القيامة - وكأنها تالية له بلا فاصل من الزمان! - فإذا الذي يقع فيها مصداق ما ينبيء به هؤلاء الرسل ، وإذا الذين يطيعون الشيطان قد حرموا العودة إلى الجنة ، وفتنوا عنها كما أخرج أبويهم منها. وإذا الذين خالفوا الشيطان فأطاعوا الله ، قد ردوا إلى الجنة ، ونودوا من الملائكة الأعلى : «أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» .. فكأنما هي أوبة المهاجرين ، وعودة المغتربين ، إلى دار النعيم! وفي هذا التناسق بين القصة السابقة والتعقيبات عليها ، ومشاهد القيامة اللاحقة من مبدئها إلى منتهاها من الجمال ما فيه. فهي قصة تبدأ في الملائكة الأعلى ، على مشهد من الملائكة - يوم أن خلق الله آدم وزوجه وأسكنهما الجنة ، فدلاهما الشيطان عن مرتبة الطاعة والعبودية الكاملة الخالصة ، وأخرجهما من الجنة - وتنتهي كذلك في الملائكة الأعلى على مشهد من الملائكة .. فيتصل البدء بالنهاية. ويضمان بينهما فترة الحياة الدنيا ومشهد الاحتضار في نهايتها. وهو يتسق في الوسط مع البدء والنهاية كل الاتساق.

والآن نأخذ في استعراض هذه المشاهد العجيبة :

ها نحن أولاء أمام مشهد الاحتضار. احتضار الذين افتروا على الله الكذب ، فزعموا أن ما ورثوه عن آبائهم من التصورات والشعائر ، وما شرعوه هم لأنفسهم من التقاليد والأحكام ، أمرهم به الله ، والذين كذبوا بآيات الله التي جاءهم بها الرسل - وهي شرع

اللّه المستيقن - وآثروا الظن والحرص على اليقين والعلم. وقد نالوا نصيبهم من متاع الدنيا الذي كتب لهم ، ومن فترة الابتلاء التي قدرها الله ، كما نالوا نصيبهم من آيات الله التي أرسل بها رسله وأبلغهم الرسل نصيبهم من الكتاب : «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ؟ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوهُمْ ، قَالُوا : أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ قَالُوا : ضَلُّوا عَنَّا ، وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ» ..

ها نحن أولاء أمام مشهد هؤلاء الذين افتروا على الله كذباً أو كذبوا بآياته وقد جاءهم رسل ربهم من الملائكة يتوفونهم ، ويقبضون أرواحهم. فدار بين هؤلاء وهؤلاء حوار : «قَالُوا : أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟» ..

أين دعاويكم التي افتريت على الله؟ وأين آلهتكم التي توليتم في الدنيا ، وقتنتم بها عما جاءكم من الله على لسان الرسل؟ أين هي الآن في اللحظة الحاسمة التي تسلب منكم فيها الحياة فلا تجدون لكم عاصماً من الموت يؤخركم ساعة عن الميقات الذي أجله الله؟ ويكون الجواب هو الجواب الوحيد ، الذي لا معدى عنه ، ولا مغالطة فيه : «قَالُوا : ضَلُّوا عَنَّا! غَابُوا عَنَّا وَتَاهُوا! فلا نحن نعرف لهم مقراً ، ولا هم يسلكون إلينا طريقاً! .. فما أضيع عبادة لا تهتدي إليهم آلهتهم ، ولا تسعفهم في مثل هذه اللحظة الحاسمة! وما أحيب آلهة لا تهتدي إلى عبادها. في مثل هذا الأوان!

«وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ» .. وكذلك شهدناهم من قبل في سياق السورة عند ما جاءهم بأس الله في الدنيا : «فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنًا إِلَّا أَنْ قَالُوا : إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ! فإذا انتهى مشهد الاحتضار ، فنحن أمام المشهد التالي ، وهؤلاء المحتضرون في النار! .. ٦٠

وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَّاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠) أَلَمْ تَرَ إِذَا

٦٠ - في ظلال القرآن - موافقاً للمطبوع - (٣ / ١٢٨٨)

مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٢) وَيَسْتَبْشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٣) [يونس/٤٨-٥٣]

وَيَمْنَعُنْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ فِي تَكْذِيبِهِمْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَيَسْتَعْجِلُونَ بِهِ سَاحِرِينَ مُتَهَكِّمِينَ ، وَيَقُولُونَ : مَتَى يَكُونُ هَذَا الَّذِي تَعِدُّنَا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ، إِنْ كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ وَأَصْحَابُكَ صَادِقِينَ فِيمَا تَعِدُّونَنَا بِهِ مِنْ حَشَرٍ وَحِسَابٍ وَجَزَاءٍ؟

قُلْ لَهُؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ : إِنِّي بَشَرٌ مِثْلُكُمْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَلَا أَمْلِكُ أَنْزَالَ الْعَذَابِ بِالْكَافِرِ الْمَعَانِدِينَ ، وَلَا تَحْقِيقَ النَّصْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ ، يُحَقِّقُهُ مَتَى شَاءَ ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، فَإِذَا جَاءَ الْأَجَلُ فَلَا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يُقَدِّمَهُ أَوْ يُؤَخِّرَهُ سَاعَةً عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ لَهَا .

قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ الْكَرِيمُ لَهُؤُلَاءِ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ : أَخْبِرُونِي عَنْ حَالِكُمْ ، وَمَا يُمَكِّنُكُمْ أَنْ تَفْعَلُوهُ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَهُ ، فِي وَقْتٍ مَبِيتِكُمْ بِاللَّيْلِ ، أَوْ وَقْتِ اسْتِغَالِكُمْ بِلَهْوِكُمْ وَلَعِبِكُمْ وَأُمُورٍ مَعَاشِكُمْ نَهَارًا؟ وَأَيَّ عَذَابٍ يَسْتَعْجِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ الْمَكْذِبُونَ؟ أَهُوَ عَذَابُ الدُّنْيَا أَمْ عَذَابُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ وَاسْتَعْجَلَهُم بِالْعَذَابِ أَيًّا كَانَ فَهُوَ جَهَالَةٌ . وَحِينَ يَقَعُ الْعَذَابُ يُعْلِنُونَ إِيمَانَهُمْ ، وَيَقُولُونَ : رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى . وَيُقَرِّعُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَسَلِكِهِمْ هَذَا فَيَقُولُ لَهُمْ : آمَنْتُمْ بِهِ الْآنَ حِينَمَا وَقَعَ ، وَكُنْتُمْ قَبْلًا تُكْذِبُونَ بِهِ ، وَتَسْخَرُونَ مِنْهُ ، وَتَسْتَعْجِلُونَ بِهِ؟

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ رَأَوْا الْعَذَابَ فَاْمَنُوا : ذُوقُوا عَذَابًا تَخْلُدُونَ فِيهِ ، وَهُوَ جَزَاءٌ وَفَاقٌ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ، وَتَكْسِبُونَ مِنْ ظُلْمٍ ، وَفَسَادٍ فِي الْأَرْضِ .

وَيَسْتَخْبِرُكَ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ تَعِدُّهُمْ بِالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنْ اللَّهَ سَيِّعَتْ مَنْ فِي الْقُبُورِ مِنَ الْأَمْوَاتِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، أَحَقًّا سَيَقَعُ ذَلِكَ ، أَمْ أَنَّهُ إِرْهَابٌ وَتَخْوِيفٌ؟ وَهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ وَالِاسْتِهْزَاءِ ، فَقُلْ لَهُمْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ

، وَلَيْسَ فِي صَيْرُورَتِكُمْ ثُرَابًا مَّا يُعْجِزُ اللَّهُ عَنْ إِعَادَتِكُمْ كَمَا بَدَأَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنَ الْعَدَمِ ،
وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ الْبَعْثِ مَّا يُعْجِزُ اللَّهَ .^{٦١}

"إن أمر هذا اليوم لا يعلمه إلا الله .. وهو سبحانه وحده الذي يملك الكشف عنه ،
وليس للنبي ولا لغيره سلطان إلى جانب سلطان الله ، ولا تقدير مع تقديره ..
فالنبي ، لا يملك لخاصة نفسه شيئاً .. إنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ضرراً ، أو يجلب لها
خيراً إلا ما شاء الله وأراد له ، من دفع الضرر عنه ، وجلب الخير له .. فكيف يكون له
سلطان في مصائر الناس ، ومقادير العباد ؟ « لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ » عند الله « إذا جاء أَجْلُهُمْ
» التقوا بهذا اليوم الموعود الذي يسألون عنه الآن سؤال المنكر : « متى هو ؟ » . « فلا
يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » بل يمضى فيهم قدر الله ، وتنفذ فيهم مشيئته في
الوقت المقدور ، إذ لا مبدل لكلماته ، ولا معوق ولا معطل لمشيئته .. تعالى الله عن ذلك
علواً كبيراً .

وفي قوله تعالى : « قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا » — في هذا ما يسأل عنه ، وهو :
إذا كان الإنسان يملك النفع لنفسه ، بما يعمل في سبيل ما يعود بالنفع عليه والخير له ..
فكيف يملك الضرر لنفسه ، ويسوقه إليها ؟

وهل هذا مما يكون من إنسان ، فضلاً عن النبي الكريم ؟
والجواب — والله أعلم — أن ذلك للدلالة على سلطان الله سبحانه وتعالى في عباده ،
وأنه ليس لأحد منهم شيء مع سلطان الله القائم عليه ، في ذات نفسه ، حتى لو أراد —
متعمداً — أن يسوق إلى نفسه شراً ، أو يوردها مورد الهلاك ، فإن ذلك ليس إلى يده ،
وإنما هو لله سبحانه وتعالى ..

والضرر لا يتكلف له الإنسان جهداً ، ولا يبذل له مالا ، وحسبه أن يقف موقفاً سلبيّاً من
الحياة ، وعند ذلك يجد الضرر يزحف عليه من كل جهة .. على خلاف النفع ، فإنه لا
يحصل إلا بجهد ، ولا ينال إلا ببذل وعمل .. ومن هنا كان عجز الإنسان عن أن يملك
لنفسه ضرراً — أبلغ وأظهر في الدلالة على ضعف الإنسان وعجزه ، وأنه إذا عجز عن أن

^{٦١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٤١٣)

يملك لنفسه ضرًا ، فإنه أعجز من أن يملك لها نفعا .. قوله تعالى : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ».

الضمير في قوله تعالى : « عذابه » يعود إلى « الوعد » في قوله تعالى : « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » وهو يوم القيامة .. الذي يسأل عنه المجرمون هذا السؤال الإنكارى : متى هو ؟ . حتى لكأنهم قد عملوا له ، واستعدّوا للقائه ، فاستعجلوا الجزاء الحسن الذي ينتظرهم فيه!!

وفي قوله تعالى : « بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا » إشارة إلى أن هذا اليوم لا يأتى على موعد معلوم للناس ، بل إنه سيأتيهم فجأة ، وعلى حين غفلة .. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا .. قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي .. لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .. لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً » (١٨٧ : الأعراف).

وفي قوله سبحانه : « مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ » إشارة إلى أن هذا اليوم هو بلاء وويل للمشركين والضالين .. وكل ما فيه هو شرّ واقع بهم .. فماذا يستعجلون من هذا الشرّ ، وذلك العذاب ؟ إن المجرم لا يستعجل قطف ثمار ما زرع من شرّ ، ولكن هؤلاء المجرمين .. حمقى جهلاء ، لا يدرون ما هو واقع بهم في هذا اليوم العصيب ، فهم لذلك يستعجلونه استعجال الجزاء الحسن المحبوب .

قوله تعالى : « أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ؟ » . « أَتُمْ » الهمزة للاستفهام ، وثم حرف عطف ، عطف ما بعده على كلام سابق محذوف ، تقديره : أتستعجلون هذا اليوم ، ثم إذا ما وقع آمنتم به ؟

إن ذلك الإيمان لا ينفعكم شيئا ، ولا يدفع عنكم عذاب الله الواقع بكم .. فهلا آمنتم به الآن في هذا الوقت ، وأنتم في سعة من أمركم ، قبل أن يلقاكم هذا اليوم ، ويترل بكم فيه البلاء ، ويحلّ عليكم العذاب ؟

وفي قوله تعالى : « الْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ » استفهام إنكارى لإيمانهم بهذا اليوم ، يوم يقع بهم . وقد كانوا في دنياهم ينكرونه ، ويبالغون في إنكاره ، ويستعجلون مجيئه ، إمعانا في الإنكار والاستهزاء ، بقولهم : « متى هو ؟ » . و« الْآن » أصله « الْآن » أي

الحال والوقت ، ثم دخلت عليه همزة الاستفهام. فصار « أَلآن » ثم صارت الهمزتان همزة مدّ ، أي : آَلآن تَوَمنون به بعد أن وقع ؟ "٦٢

" وإذا كان الرسول - ﷺ - لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، فهو لا يملك لهم الضر والنفع بطبيعة الحال. (و قد قدم ذكر الضر هنا ، وإن كان مأمورا أن يتحدث عن نفسه ، لأنهم هم يستعجلون الضر ، فمن باب التناسق قدم ذكر الضر. أما في موضع آخر في سورة الأعراف فقدم النفع في مثل هذا التعبير ، لأنه الأنسب أن يطلبه لنفسه وهو يقول : ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسي السوء).

«قُلْ : لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا .. إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ..». فالأمر إذن لله بحقق وعيده في الوقت الذي يشاؤه. وسنة الله لا تتخلف ، وأجله الذي أجله لا يستعجل : «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» ..

والأجل قد ينتهي بالهلاك الحسي. هلاك الاستتصال كما وقع لبعض الأمم الخالية. وقد ينتهي بالهلاك المعنوي. هلاك الهزيمة والضياع. وهو ما يقع للأمم ، إما لفترة تعود بعدها للحياة ، وإما دائما فتضمحل وتنمحي شخصيتها وتنتهي إلى اندثارها كأمة ، وإن بقيت كأفراد .. وكل أولئك وفق سنة الله التي لا تتبدل ، لا مصادفة ولا جزافا ولا ظلما ولا محابة. فالأمم التي تأخذ بأسباب الحياة تحيا والأمم التي تنحرف عنها تضعف أو تضمحل أو تموت بحسب انحرافها. والأمة الإسلامية منصوص على أن حياتها في اتباع رسولها ، والرسول يدعوها لما يحييها. لا بمجرد الاعتقاد ، ولكن بالعمل الذي تنص عليه العقيدة في شتى مرافق الحياة. وبالحياة وفق المنهج الذي شرعه الله لها ، والشرعية التي أنزلها ، والقيم التي قررها. وإلا جاءها الأجل وفق سنة الله ..

ثم يبادرهم السياق بلمسة وجدانية تنقلهم من موقف السائل المستهزئ المتحدي ، إلى موقف المهّد الذي قد يفاجئه المخطور في كل لحظة من الليل أو النهار : «قُلْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا ، مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ؟» .. لا يجديكم في رده الصحو .. ما الذي يستعجل منه المجرمون؟ وهو عذاب لا خير لهم في استعجاله على كل حال.

٦٢ - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (٦ / ١٠٢٦)

وبينما هم في مفاجأة السؤال الذي ينقل مشاعرهم إلى تصور الخطر وتوقعه ، تفجؤهم الآية التالية بوقوعه فعلا .. وهو لم يقع بعد .. ولكن التصور القرآني يرسمه واقعا ، ويغمر به المشاعر ، ويلمس به الوجدان : «أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ؟ أَلَا نَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ؟!».

فكأنما قد وقع. وكأنما قد آمنوا به ، وكأنما يخاطبون بهذا التبكيت في مشهد حاضر يشهدونه الآن! وتتمة المشهد الحاضر : «ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا : ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ. هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ؟» ..

وهكذا نجدنا مع السياق في ساحة الحساب والعذاب ، وقد كنا منذ لحظات وفقرات في الدنيا نشهد خطاب الله لرسوله عن هذا المصير!!

وختام هذه الجولة ، هو استنباء القوم للرسول : إن كان هذا الوعيد حقا. فهم مزلزلون من الداخل تجاهه يريدون أن يستوثقوا وليس بهم من يقين. والجواب بالإيجاب حاسم مؤكدا يمين : «وَيَسْتَنْبِئُونَكَ : أَحَقُّ هُوَ؟ قُلْ : إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» .. «إِي وَرَبِّي» .. الذي أعرف قيمة ربوبيته فلا أقسم به حائثا ، ولا أقسم به إلا في جد وفي يقين .. «إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» .. ما أنتم بمعجزين أن يأتي بكم ، وما أنتم بمعجزين أن يحاسبكم ، وأن يجازيكم.^{٦٣}



^{٦٣} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٣ / ١٧٩٧)

الباب الثاني الموت في السَّنة النبوية

المبحث الأول الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ

المبحث الثاني موت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

موت آدم عليه السلام

موسى وملك الموت عليهما السلام

موت النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -

المبحث الثالث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

المبحث الرابع لمثل هذا فأعدوا

المبحث الخامس فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله

المبحث السادس الموت على عمل صالح

المبحث السابع التحذير من سوء الخاتمة

المبحث الثامن أسباب حسن الخاتمة

الباب الثاني الموت في السنة النبوية

المبحث الأول

الأعمال بالخواتيم

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ، قَالَ : نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ ، فَقَالَ : " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا " فَتَبِعَهُ رَجُلٌ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ ، فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ نَدْيَيْهِ ، فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ ، عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ ، عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا " ^{٦٤}

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا " فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، حَتَّى جُرِحَ ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ ، فَجَعَلَ ذُبَابَةُ سَيْفِهِ بَيْنَ نَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مُسْرِعًا ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ : " وَمَا ذَاكَ " قَالَ : قُلْتُ لِفُلَانٍ : " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِ " وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِنَا غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا جُرِحَ اسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَيَعْمَلُ عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِاخْوَاتِيمِهَا " ^{٦٥}

^{٦٤} - صحيح البخارى (٦٤٩٣)

^{٦٥} - صحيح البخارى (٦٦٠٧)

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ " ٦٦

وَعَنْ سَهْلِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّهُ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ " ٦٧

وَعَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَمَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمَاتَ وَدَخَلَ الْجَنَّةَ ٦٨ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ » ٦٩ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ : إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، فَيَقُولُ : اكْتُبْ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

٦٦ - مسند أحمد (٢٣٥٢٩) صحيح

٦٧ - الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ (٥٦٦٧) صحيح

٦٨ - الْأَعْتِقَادُ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٤١) صحيح

٦٩ - صحيح البخاري (٣٣٣٢)

الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الَّذِي سَبَقَ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الَّذِي سَبَقَ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ.^{٧٠}

وَفِيهِ أَنَّ الْأَعْمَالَ حَسَنَهَا وَسَيِّئَهَا أَمَارَاتٌ وَلَيْسَتْ بِمُوجِبَاتٍ ، وَأَنَّ مَصِيرَ الْأُمُورِ فِي الْعَاقِبَةِ إِلَى مَا سَبَقَ بِهِ الْقَضَاءُ وَجَرَى بِهِ الْقَدَرُ فِي الْبِأْتِدَاءِ قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ .

وَفِيهِ أَنَّ السَّعِيدَ قَدْ يَنْشَقِي وَأَنَّ الشَّقِيَّ قَدْ يَسْعُدُ لَكِنْ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَأَمَّا مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ - تَعَالَى - فَلَا يَتَغَيَّرُ . وَفِيهِ أَنَّ الْعَتَبَارَ بِالْخَاتِمَةِ . قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ : هَذِهِ النَّبِيُّ قَطَعَتْ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ حُسْنِ الْحَالِ لِأَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ بِمَاذَا يُخْتَمُ لَهُمْ . وَفِيهِ أَنَّ عُمُومَ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ) الْآيَةَ مَخْصُوصَ بِمَنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ وَأَنَّ مَنْ عَمِلَ السَّعَادَةَ وَخَتَمَ لَهُ بِالشَّقَاءِ فَهُوَ فِي طُولِ عُمرِهِ عِنْدَ اللَّهِ شَقِيٌّ وَبِالْعَكْسِ وَمَا وَرَدَ مِمَّا يُخَالَفُهُ يُؤْوَلُ إِلَى أَنْ يُؤْوَلَ إِلَى هَذَا ، وَقَدْ أَشْتَهَرَ الْخِلَافُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالْحَنْفِيَّةِ وَتَمَسَّكَ الْأَشَاعِرَةُ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ وَتَمَسَّكَ الْحَنْفِيَّةُ بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) وَأَكْثَرَ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ الْإِحْتِجَاجَ لِقَوْلِهِ ، وَالْحَقُّ أَنَّ النَّزَاعَ لَفُظِيٍّ ، وَأَنَّ الَّذِي سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ ، وَأَنَّ الَّذِي يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَالتَّبَدُّلُ مَا يَبْدُو لِلنَّاسِ مِنْ عَمَلِ الْعَامِلِ وَلَا يَبْدُو أَنَّ يَتَعَلَّقُ ذَلِكَ بِمَا فِي عِلْمِ الْحَفَظَةِ وَالْمُؤَكَّلِينَ بِالْأَدَمِيِّ فَيَقَعُ فِيهِ الْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ كَالزِّيَادَةِ فِي الْعُمُرِ وَالتَّقْصُصِ ، وَأَمَّا مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ فَلَا مَحْوَ فِيهِ وَلَا إِثْبَاتٌ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ . وَفِيهِ الْحَثُّ الْقَوِيُّ عَلَى الْقَنَاعَةِ ، وَالزَّجْرُ الشَّدِيدُ عَنِ الْحِرْصِ ؛ لِأَنَّ الرِّزْقَ إِذَا كَانَ قَدْ سَبَقَ تَقْدِيرُهُ لَمْ يُعْنِ التَّعْنِي فِي طَلْبِهِ وَإِنَّمَا شُرِعَ الْاِكْتِسَابُ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي اقْتَضَتْهَا الْحِكْمَةُ فِي دَارِ الدُّنْيَا . وَفِيهِ أَنَّ الْأَعْمَالَ سَبَبُ دُخُولِ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ ، وَأَمَّا مَا قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ فِي " كِتَابِ الْعَاقِبَةِ " إِنَّ سُوءَ الْخَاتِمَةِ لَا يَقَعُ لِمَنْ اسْتَقَامَ بَاطِنُهُ وَصَلَحَ ظَاهِرُهُ وَإِنَّمَا يَقَعُ لِمَنْ فِي طَوَيْتِهِ فَسَادٌ أَوْ ارْتِيَابٌ وَيَكْثُرُ وَقُوعُهُ لِلْمُصْرِ عَلَى الْكِبَائِرِ وَالْمُجْتَرِئِ عَلَى الْعِظَائِمِ فَيَهْجُمُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَغْتَةً فَيَصْطَلِمُهُ الشَّيْطَانُ

^{٧٠} - صحيح ابن حبان - (ج ١٤ / ص ٤٨) (٦١٧٤) صحيح

عند تلك الصدمة ، فقد يكون ذلك سبباً لسوء الخاتمة نسأل الله السلامة ، فهو محمول
على الأكثر الأغلب وفي الحديث أن الأقدار غالبية ، والعاقبة غائبة فلا ينبغي لأحد أن يعترض
بظاهر الحال ، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين وبحسن الخاتمة^{٧١}

^{٧١} - فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٤٣٧)

المبحث الثاني

موت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

موت آدم عليه السلام

عَنْ عُمَيْيٍّ ، قَالَ : رَأَيْتُ شَيْخًا بِالْمَدِينَةِ يَتَكَلَّمُ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقَالُوا : هَذَا أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ ، فَقَالَ : " إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ : أَيُّ بَنِيَّ إِنِّي أَشْتَهِي مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، فَذَهَبُوا يَطْلُبُونَ لَهُ ، فَاسْتَقْبَلَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَمَعَهُمْ أَكْفَانُهُ وَحَنُوطُهُ ، وَمَعَهُمُ الْفُؤُوسُ وَالْمَسَاحِي وَالْمَكَاتِلُ ، فَقَالُوا لَهُمْ : يَا بَنِي آدَمَ ، مَا تُرِيدُونَ وَمَا تَطْلُبُونَ ، أَوْ مَا تُرِيدُونَ وَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ ، قَالُوا : أَبُونَا مَرِيضٌ فَاشْتَهَى مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، قَالُوا لَهُمْ : ارْجِعُوا فَقَدْ قُضِيَ قَضَاءُ أَبِيكُمْ . فَجَاءُوا ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَوَاءُ عَرَفَتْهُمْ ، فَلَاذَتْ بِآدَمَ ، فَقَالَ : إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنِّي إِنَّمَا أُوتِيتُ مِنْ قَبْلِكَ ، خَلَى بَيْنِي وَبَيْنَ مَلَائِكَةِ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى . فَقَبَضُوهُ ، وَغَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ وَحَنَطُوهُ ، وَحَفَرُوا لَهُ وَالْحَدُّوا لَهُ ، وَصَلُّوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلُوا قَبْرَهُ فَوَضَعُوهُ فِي قَبْرِهِ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ اللَّبَنَ ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنَ الْقَبْرِ ، ثُمَّ حَثُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ ، ثُمَّ قَالُوا : يَا بَنِي آدَمَ هَذِهِ سُنَّتُكُمْ " ٧٢

وَعَنْ أَبِيِّ بْنِ كَعْبٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لَمَّا تُوفِّيَ آدَمُ غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمَاءِ وَثَرَا ، وَلَحَدَ لَهُ ، وَقَالَتْ : هَذِهِ سُنَّةُ آدَمَ وَوَلَدِهِ " ٧٣

وَعَنْ أَبِيِّ بْنِ كَعْبٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ أَبَاكُمْ آدَمَ ﷺ كَانَ طَوَالًا مِثْلَ النَّخْلَةِ السَّحُوقِ ، سِتِّينَ ذِرَاعًا . وَكَانَ طَوِيلَ الشَّعْرِ ، مُوَارِيًا الْعَوْرَةَ . فَلَمَّا أَصَابَ الْخَطِيئَةَ بَدَتْ لَهُ سَوَاتُهُ ، فَخَرَجَ هَارِبًا فِي الْجَنَّةِ . فَلَقِيَتْهُ شَجَرَةٌ ، فَأَخَذَتْ بِنَاصِيَتِهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا آدَمُ أَفِرَارًا مِنِّي ؟ قَالَ : لَا يَا رَبِّ ، وَلَكِنْ حَيَاءٌ مِمَّا جِئْتُ بِهِ . قَالَ : فَأَهْبِطْهُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْ وَفَاتُهُ ، بَعَثَ اللَّهُ بِكَفْنِهِ وَحَنُوطِهِ مِنَ الْجَنَّةِ . فَلَمَّا رَأَتْ حَوَاءُ الْمَلَائِكَةَ ذَهَبَتْ لِتَدْخُلَ دُونَهُمْ ، فَقَالَ : خَلَى بَيْنِي وَبَيْنَ رُسُلِ رَبِّي ، فَمَا لَقِيتُ مَا لَقِيتُ

٧٢ - مسند أحمد (٢١٨٤١) صحيح موقوف

٧٣ - الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ لِلطَّبْرَانِيِّ (٨٤٩٧) حسن

إِلَّا مِنْ قَبْلِكَ وَمَا أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلَّا فِيكَ . فَعَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمَاءِ وَالسَّدْرِ وَثَرًا ، وَكَفَّنُوهُ فِي وَثَرٍ مِنَ الثِّيَابِ ، وَأَلْحَدُوا لَهُ ، وَدَفَنُوهُ ، وَقَالُوا : هَذِهِ سَنَةٌ وَلَدَ آدَمُ مِنْ بَعْدِهِ " ٧٤
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبَيْضًا مِنْ نُورٍ ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبٍّ مِنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَأَعْجَبَهُ وَبَيْضُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبٍّ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ فِي آخِرِ الْأُمَمِ يُقَالُ لَهُ : دَاوُدُ ، قَالَ : يَا رَبِّ ، كَمْ جَعَلْتَ عُمرَهُ ؟ قَالَ : سِتِّينَ سَنَةً ، قَالَ : زِدْهُ مِنْ عُمرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قَالَ : إِذَا يُكْتَبُ وَيُحْتَمُ وَلَا يُبَدَّلُ ، فَلَمَّا انْقَضَى عُمرُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، فَقَالَ : أَوْلَمْ يَنْقُ مِنْ عُمرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : أَوْلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ ؟ فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، وَخَطِيئَ فَخَطِيئَتْ ذُرِّيَّتُهُ . ٧٥

فجحد آدم أي ذلك لأنه كان في عالم الذر فلم يستحضره حالة مجيء ملك الموت له قاله ابن حجر، فجحدت ذريته لأن الولد سر أبيه، ونسي آدم إشارة إلى أن الجحد كان نسيانا أيضا، إذ لا يجوز جحده عنادا، فأكل من الشجرة قيل نسي أن النهي عن جنس الشجرة أو الشجرة بعينها فأكل من غير المعينة، وكان النهي عن الجنس والله أعلم، فنسيت ذريته، ولذا قيل: أول الناس أول الناسي وخطأ بفتح الطاء، أي في اجتهاده من جهة التعيين والتخصيص وخطأت ذريته، والأظهر أن خطأ بمعنى عصي لقوله تعالى: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (١٢١) سورة طه ، ولحديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : : كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَّابُونَ " ٧٦ .

٧٤ - الرِّقَّةُ وَالْبِكَاءُ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٣٠١) فيه ضعف

٧٥ - سنن الترمذی (٣٣٥٦) و مسند أبي يعلى الموصلي (٦٦٥٤) صحيح
النسمة : النفس والروح = الوبيص : البريق ، (فَجَحَدَ آدَمُ) أي ذَلِكْ لِأَنَّ كَانَ فِي عَالَمِ الذَّرِّ فَلَمْ يَسْتَحْضِرْهُ حَالَةَ مَجِيءِ
مَلَكِ الْمَوْتِ لَهُ (فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ) لِأَنَّ الْوَلَدَ سِرُّ أَبِيهِ
٧٦ - المستدرک للحاکم (٧٦١٧) صحيح

وفي الحديث إشارة إلى حديث أنس قال قال رسول الله ﷺ - « يَهْرُمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ فِيهِ اثْنَتَانِ : الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمْرِ. »^{٧٧} .
وابن آدم وارد على سبيل الاستطراد وإن ابن آدم مجبول من أصل خلقته على الجحد والنسيان والخطأ إلا من عصمه الله تعالى .^{٧٨}

^{٧٧} - صحيح مسلم (٢٤٥٩) و صحيح ابن حبان - (ج ٨ / ص ٢٥) (٣٢٢٩) - يشب : يقوى - يهرم : يكبر في السن

^{٧٨} - انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (ج ١ / ص ٤٣١)

موسى وملك الموت عليهما السلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : " أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ ، فَقَالَ : أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ : ارْجِعْ ، فَقُلْ لَهُ : يَضَعُ يَدُهُ عَلَى مَنْ ثَوَّرَ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ ، قَالَ : أَيُّ رَبِّ ، ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : ثُمَّ الْمَوْتُ ، قَالَ : فَالآنَ ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ " ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ ، عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ " ٧٩

وَعَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، قَالَ : هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَقَالَ لَهُ : أَحَبُّ رَبِّكَ قَالَ فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَّاهَا ، قَالَ فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ : إِنَّكَ أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ ، وَقَدْ فَقَّاهُ عَيْنِي ، قَالَ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ : الْحَيَاةُ تُرِيدُ ؟ فَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعُ يَدَكَ عَلَى مَنْ ثَوَّرَ ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً ، قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ : ثُمَّ تَمُوتُ ، قَالَ : فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ ، رَبِّ أُمَتِّنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، رَمِيَةً بِحَجَرٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " وَاللَّهِ لَوْ أَتَى عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ ، عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ " ٨٠

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ يُونُسُ : رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - " كَانَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَأْتِي النَّاسَ عِيَانًا ، قَالَ : فَأَتَى مُوسَى فَلَطَمَهُ فَفَقَّاهُ عَيْنَهُ ، فَأَتَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : يَا رَبِّ عَبْدُكَ مُوسَى ، فَقَّاهُ عَيْنِي ، وَلَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَعَنْتُ بِهِ - وَقَالَ يُونُسُ : لَشَقَقْتُ عَلَيْهِ - فَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ لَهُ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى جِلْدٍ - أَوْ مَسْكٍ ثَوَّرَ ، فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ وَارَتْ يَدُهُ سَنَةٌ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : فَقَالَ مَا بَعْدَ هَذَا ؟ قَالَ :

٧٩ - صحيح البخارى (١٣٣٩) و صحيح مسلم (٦٢٩٧)

٨٠ - صحيح مسلم (٦٢٩٨)

الْمَوْتُ ، قَالَ : فَالآنَ ، قَالَ : فَشَمَّهُ شَمَّةً فَقَبِضَ رُوحَهُ ، قَالَ يُونُسُ : فَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ فَكَانَ يَأْتِي النَّاسَ خُفْيَةً ^{٨١}

وَأَمَّا سُؤَالُهُ الْإِدْنَاءَ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَلَشَرَفُهَا وَفَضِيلَةُ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَدْفُونِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ . قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : وَإِنَّمَا سَأَلَ الْإِدْنَاءَ ، وَلَمْ يَسْأَلْ نَفْسَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَبْرُهُ مَشْهُورًا عَنْهُمْ فَيَفْتَنَ بِهِ النَّاسَ وَفِي هَذَا اسْتِحْبَابُ الدَّفْنِ فِي الْمَوَاضِعِ الْفَاضِلَةِ وَالْمَوَاطِنِ الْمُبَارَكَةِ ، وَالْقُرْبُ مِنْ مَدَائِنِ الصَّالِحِينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . قَالَ الْمَازِرِيُّ : وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ هَذَا الْحَدِيثَ ، وَأَنْكَرَ تَصَوُّرَهُ ، قَالُوا كَيْفَ يَجُوزُ عَلَى مُوسَى فَقَّءَ عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ ؟ قَالَ : وَأَحَابَ الْعُلَمَاءِ عَنْ هَذَا بِأَجْوَبَةٍ : أَحَدُهَا أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مُوسَى ﷺ قَدْ أَدْنَى اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي هَذِهِ اللَّطْمَةِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ امْتِحَانًا لِلْمَلْطُومِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفْعَلُ فِي خَلْقِهِ مَا شَاءَ ، وَيَمْتَحِنُهُمْ بِمَا أَرَادَ . وَالثَّانِي أَنَّ هَذَا عَلَى الْمَجَازِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ مُوسَى نَظَرَهُ وَحَاجَّهُ فَعَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ ، وَيُقَالُ : فَقَأَ فُلَانٌ عَيْنَ فُلَانٍ إِذَا غَالَبَهُ بِالْحُجَّةِ ، وَيُقَالُ : عَوَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَدَخَلْتُ فِيهِ نَقْصًا قَالَ : وَفِي هَذَا ضَعْفٌ لِقَوْلِهِ ﷺ : " فَرَدَّ اللَّهُ عَيْنَهُ " فَإِنْ قِيلَ : أَرَادَ رَدَّ حُجَّتَهُ كَانَ بَعِيدًا . وَالثَّلَاثُ أَنَّ مُوسَى ﷺ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مَلِكٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ رَجُلٌ قَصَدَهُ يُرِيدُ نَفْسَهُ ، فَدَافَعَهُ عَنْهَا ، فَأَدَّتِ الْمُدَافَعَةُ إِلَى فَقَّءِ عَيْنِهِ ، لَا أَنَّهُ قَصَدَهَا بِالْفَقَّءِ ، وَتُوَيِّدُهُ رِوَايَةُ (صَكَّهُ) ، وَهَذَا جَوَابُ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خُزَيْمَةَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَاخْتَارَهُ الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي عِيَّاضُ ، قَالُوا : وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُ تَعَمَّدَ فَقَّءَ عَيْنَهُ ، فَإِنْ قِيلَ : فَقَدْ اعْتَرَفَ مُوسَى حِينَ جَاءَهُ ثَانِيًا بِأَنَّهُ مَلِكُ الْمَوْتِ ، فَالْجَوَابُ أَنَّهُ أَتَاهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ بِعَلَامَةٍ عَلِمَ بِهَا أَنَّهُ مَلِكُ الْمَوْتِ ، فَاسْتَسَلَّمَ بِخِلَافِ الْمَرَّةِ الْأُولَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ^{٨٢}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : " أُرْسِلَ مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَلَطَمَهُ مُوسَى فَفَقَّأَ عَيْنَهُ . قَالَ : فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ . قَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ : إِنَّ شَيْئًا فَضَعْتُ يَدَكَ عَلَى مَنْ تَوَرَّ ، فَلَكَ بِكُلِّ مَا

^{٨١} - مسند أحمد (١١١٩٣) حسن صحيح

^{٨٢} - شرح النووي على مسلم - (ج ٨ / ص ١٠٣)

غَطَّتْ يَدُكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً . قَالَ : فَقَالَ لَهُ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : ثُمَّ الْمَوْتُ . قَالَ : فَالآنَ يَا رَبِّ . قَالَ : فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةَ حَجَرٍ " ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَوْ كُنْتُ ثَمَّتْ لَأَرَيْتُكُمْ مَوْضِعَ قَبْرِهِ إِلَى جَانِبِ الطُّورِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ " قَالَ مَعْمَرٌ : وَأَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ الْحَسَنَ يُحَدِّثُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَهُ " .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : " إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُعَلِّمًا لِحَلْقِهِ فَأَنْزَلَهُ مَوْضِعَ الْإِبَانَةِ عَنْ مُرَادِهِ ، فَبَلَغَ ﷺ رِسَالَتَهُ ، وَبَيَّنَ عَنْ آيَاتِهِ بِالْفَظِّ مُجْمَلَةً وَمُفَسَّرَةً عَقَلَهَا عَنْهُ أَصْحَابُهُ أَوْ بَعْضُهُمْ ، وَهَذَا الْخَبَرُ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي يُدْرِكُ مَعْنَاهُ مَنْ لَمْ يَحْرُمِ التَّوْفِيقَ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ . وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَرْسَلَ مَلَكَ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى رِسَالَةً ابْتِلَاءٍ وَاخْتِبَارٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ : أَجِبْ رَبِّكَ ، أَمَرَ اخْتِبَارٍ وَابْتِلَاءٍ لَا أَمْرًا يُرِيدُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا إِمْضَاءَهُ كَمَا أَمَرَ خَلِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ بِذِيحِ ابْنِهِ أَمَرَ اخْتِبَارٍ وَابْتِلَاءٍ ، دُونَ الْأَمْرِ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا إِمْضَاءَهُ ، فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذِيحِ ابْنِهِ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ فَذَاهُ بِالذُّبْحِ الْعَظِيمِ . وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الْمَلَائِكَةَ إِلَى رُسُلِهِ فِي صُورٍ لَا يَعْرِفُونَهَا كَدْخُولِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى رَسُولِهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَلَمْ يَعْرِفْهُمْ حَتَّى أَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، وَكَمَجِيءِ جِبْرِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُؤَالِهِ إِيَّاهُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ الْمُصْطَفَى ﷺ حَتَّى وَلَّى . فَكَانَ مَجِيءُ مَلَكِ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَى غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي كَانَ يَعْرِفُهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ مُوسَى غَيُورًا فَرَأَى فِي دَارِهِ رَجُلًا لَمْ يَعْرِفْهُ ، فَشَالَ يَدَهُ فَلَطَمَهُ فَأَتَتْ لَطْمَتُهُ عَلَى فَقْءِ عَيْنِهِ الَّتِي فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَتَصَوَّرُ بِهَا لَا الصُّورَةَ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَلَمَّا كَانَ الْمُصْرَحُ عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ فِي خَبَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، حَيْثُ قَالَ : " أَمَّنِي جِبْرِيلُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ " ، فَذَكَرَ الْخَبَرَ . وَقَالَ فِي آخِرِهِ : " هَذَا وَقْتُكَ وَوَقْتُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ " : كَانَ فِي هَذَا الْخَبَرِ الْبَيَانُ الْوَاضِحُ أَنَّ بَعْضَ شَرَائِعِنَا قَدْ تَتَّفَقَ بَعْضُ شَرَائِعِ مَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْأُمَمِ ، وَلَمَّا كَانَ مِنْ شَرِيعَتِنَا أَنَّ مَنْ فَقَأَ عَيْنَ الدَّاحِلِ دَارَهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ أَوْ النَّظَرِ إِلَى بَيْتِهِ بِغَيْرِ أَمْرِهِ جُنَاحٌ عَلَى فَاعِلِهِ ، وَلَا حَرَجَ عَلَى مُرْتَكِبِهِ ، لِلْأَخْبَارِ الْحَمَّةِ الْوَارِدَةِ فِيهِ الَّتِي أَمْلَيْنَاهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كُتُبِنَا : كَانَ جَائِزًا اتِّفَاقًا هَذِهِ الشَّرِيعَةُ بِشَرِيعَةِ مُوسَى ، بِاسْتِقْطِ الْحَرَجِ عَمَّنْ فَقَأَ عَيْنَ الدَّاحِلِ دَارَهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ ، فَكَانَ اسْتِعْمَالُ مُوسَى هَذَا الْفِعْلِ مُبَاحًا لَهُ وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي فِعْلِهِ ، فَلَمَّا

رَجَعَ مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى رَبِّهِ ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ مُوسَى فِيهِ ، أَمْرُهُ ثَانِيًا بِأَمْرِ آخَرَ أَمَرَ
اِخْتِبَارَ وَابْتِلَاءَ . كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلُ ، إِذْ قَالَ اللَّهُ لَهُ : قُلْ لَهُ : إِنْ شِئْتَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَشْنِ
ثَوْرٍ فَلِكُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ يَدُكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً ، فَلَمَّا عَلِمَ مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى
نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ أَنَّهُ مَلِكُ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ جَاءَهُ بِالرَّسَالَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، طَابَتْ نَفْسُهُ بِالْمَوْتِ ، وَلَمْ
يَسْتَمْهِلْ ، وَقَالَ : فَالآنَ . فَلَوْ كَانَتْ الْمَرَّةُ الْأُولَى عَرَفَهُ مُوسَى أَنَّهُ مَلِكُ الْمَوْتِ ،
لَا سَتَعْمَلُ مَا اسْتَعْمَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُخْرَى عِنْدَ تَيَقُّنِهِ وَعِلْمِهِ بِهِ ضِدَّ قَوْلٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَصْحَابَ
الْحَدِيثِ حَمَالَةُ الْحَطَبِ ، وَرِعَاةُ اللَّيْلِ يَجْمَعُونَ مَا لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَيَرَوُّونَ مَا لَا يُؤْجِرُونَ
عَلَيْهِ ، وَيَقُولُونَ بِمَا يُنْطَلُهُ الْإِسْلَامُ جَهْلًا مِنْهُ لِمَعَانِي الْأَخْبَارِ ، وَتَرَكَ التَّفَقُّهَ فِي الْأَثَارِ
مُعْتَمِدًا مِنْهُ عَلَى رَأْيِهِ الْمُنْكَوسِ وَقِيَاسِهِ الْمَعْكُوسِ^{٨٣}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " جَاءَ مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى لِيَقْبِضَ
رُوحَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَجِبْ رَبِّكَ ، فَلَطَمَ مُوسَى عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَ عَيْنَهُ ، فَرَجَعَ مَلِكُ
الْمَوْتِ إِلَى رَبِّهِ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي ، فَردَّ
اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ ، فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ إِلَيْهِ ، فَقُلْ لَهُ : الْحَيَاةُ تُرِيدُ ، فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ
يَدَكَ عَلَى مَشْنِ ثَوْرٍ ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ وَارَتْ يَدُكَ سَنَةً . قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ :
الْمَوْتُ . قَالَ : فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ ، ثُمَّ قَالَ : رَبِّ ، أَذْنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ
" . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى حَنْبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكُثِيبِ
الْأَحْمَرِ " .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : " هَذِهِ اللَّفْظَةُ " أَجِبْ رَبِّكَ " قَدْ ثَوَّهْمُ مَنْ لَمْ يَتَّبَحَّرْ فِي الْعِلْمِ أَنَّ التَّأْوِيلَ
الَّذِي قُلْنَا لِلْخَبَرِ مَذْخُولٌ ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ مَلِكِ الْمَوْتِ لِمُوسَى " أَجِبْ رَبِّكَ " بَيَانٌ أَنَّهُ
عَرَفَهُ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا شَالَ يَدَهُ وَلَطَمَهُ قَالَ لَهُ : " أَجِبْ رَبِّكَ "
ثَوَّهْمُ مُوسَى أَنَّهُ يَتَعَوَّذُ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ دُونَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِ ، فَكَانَ قَوْلُهُ : " أَجِبْ
رَبِّكَ " الْكَشْفَ عَنْ قَصْدِ الْبِدَايَةِ فِي نَفْسِ الْإِبْتِلَاءِ ، وَالِاخْتِبَارِ الَّذِي أُريدَ مِنْهُ^{٨٤}

^{٨٣} - صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ (٦٣٢٩) صَحِيحُ

^{٨٤} - صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ (٦٣٣٠) صَحِيحُ

وَعَنْ حَبِيبِ بْنِ سَالِمٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَبُو الْقَاسِمِ عليه السلام : " أَتَى مَلَكُ الْمَوْتِ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا لِيَقْبِضَ نَفْسَهُ فَلَطَمَهُ لَطْمَةً فَفَقَأَ عَيْنَهُ ، فَرَفَعَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى رَبِّهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا صَنَعَ قَالَ : رَبِّ أَتَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ ، وَصَنَعَ هَذَا بَعَيْنِي قَالَ : فَرَدَّ اللَّهُ عَيْنَهُ ، وَقَالَ : ائْتِ عَبْدِي فَخَبِّرْهُ أَنْ يَضْرِبَ يَدَهُ عَلَى جِلْدِ ثَوْرٍ فَمَا وَارَتْ يَدُهُ مِنْ شَعَرٍ فَهُوَ يَعِيشُ بِهَا سَنَةً ثُمَّ يَمُوتُ قَالَ مُوسَى : لَا بَلِ الْآنَ يَا رَبِّ إِنْ كَانَ لَا بُدَّ ، وَلَكِنْ بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ قَالَ : فَدْفِنَ عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ ، وَلَوْ أَنِّي كُنْتُ عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ قَبْرِهِ "

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الزَّاهِدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : رَوَتْ الْأَئِمَّةُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ ، وَوَضَعُوهُ فِي كُتُبِهِمْ وَصَحَّحُوهُ ، وَعَدَّلُوا رِوَايَتَهُ ، وَاسْتَفْظَعُوهُ قَوْمٌ فَجَحَدُوهُ ، وَأَنْكَرُوهُ فَرَدُّوهُ لِضَبِّ صُدُورِهِمْ ، وَقُصُورِ عِلْمِهِمْ ، وَقَلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ بِالْحَدِيثِ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ أَذْخَلُوهُ فِي الصَّحَاحِ حَتَّى رَضَوْا إِسْنَادَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ ، وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالرِّجَالِ ، وَالْحَدِيثُ إِذَا صَحَّ مِنْ جِهَةِ الثَّقَلِ فَإِنَّهُ يَجِبُ قَبُولُهُ ، فَإِنْ كَانَ مِنْ بَابِ الْمُتَوَاتَرِ فَإِنَّهُ يُوجِبُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ بَابِ الْأَحَادِ ، فَإِنَّهُ يُوجِبُ الْعَمَلَ ، وَلَا يُوجِبُ الْعِلْمَ . وَهَذَا الْحَدِيثُ وَإِنْ كَانَ مِمَّا لَا يُوجِبُ الْعِلْمَ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ مِمَّا يُوجِبُ الْعَمَلَ لَوْ كَانَ مِنْ بَابِ الْعَمَلِ لِشُهْرَتِهِ فِي نَفْسِهِ ، وَعَدَالَةِ رُؤْيَتِهِ وَصِحَّةِ إِسْنَادِهِ ، وَمِمَّا كَانَ هَذَا سَبِيلُهُ وَإِنْ كَانَ لَا يُوجِبُ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ رَدُّهُ وَإِنْكَارُهُ وَدَفْعُهُ ، فَإِنْ فِي رَدِّهِ تَكْذِيبُ الْأَئِمَّةِ وَجَرَحَ عُدُولِ الْأَئِمَّةِ . وَسَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ بَنَ أَحْمَدَ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِّيَّ يَقُولُ : لِعُلَمَاءِ الْأَثَرِ فِي تَلْقِي الْأَخْبَارِ الْمُشَابِهَةِ مَذْهَبَانِ ، أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْإِيمَانَ بِهَا فَرَضٌ كَالْإِيمَانِ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ حِينَ يَقُولُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا أَيُّ : كُلٌّ مِنَ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَقَدْ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِلَعْلَمِ الْمُشَابِهَةِ فِي هَذَا الْقَوْلِ فَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالُوا : فَمِثْلُهُ الْمُتَشَابِهُ مِنْ أَخْبَارِ الرَّسُولِ عليه السلام إِذَا حُجِبَ عَنَّا عِلْمُ تَأْوِيلِهِ آمَنَّا وَصَدَّقْنَا بِمَا قَالَ ، وَوَكَلْنَا عِلْمَ تَأْوِيلِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ^{٨٥}

^{٨٥} - بَحْرُ الْفَوَائِدِ الْمُسَمَّى بِمَعَانِي الْأَخْبَارِ لِلْكَلاَبَادِيِّ (٣١٦) صَحِيح

موت النبي محمد ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ أَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ تَمْشِي ، كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « مَرْحَبًا بِابْنَتِي » . ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ، ثُمَّ أَسْرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا ، فَبَكَتْ فَقُلْتُ لَهَا لِمَ تَبْكِينَ ثُمَّ أَسْرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكْتُ فَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ . فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ - ﷺ - فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ أَسْرَّ إِلَيَّ « إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي ، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي » . فَبَكَيتُ فَقَالَ « أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ - أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ » . فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ ^{٨٦} .

وفي هذا الحديث دليل قاطع وإشارة واضحة إلى اقتراب أجل رسول الله ﷺ، وأن ساعة الفراق قد باتت قريبة، إلا أن النبي ﷺ قد اختص ابنته فاطمة - رضي الله عنها - بعلم ذلك، ولم يعلم به المسلمون إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ وعن جابر ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ يَقُولُ : لِنَاخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ حَجَّةَ أُخْرَى. ^{٨٧}

قال النووي: فيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ، وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه وانتهاز الفرصة من ملازمته وتعلم أمور الدين، وبهذا سميت حجة الوداع ^{٨٨} وعن أبي سعيد الخدري قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ - ﷺ - فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ » . فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - هُوَ الْعَبْدُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا . قَالَ « يَا أَبَا بَكْرٍ لَا

^{٨٦} - صحيح البخارى (٣٦٢٣ و ٣٦٢٤)

^{٨٧} - مسند الشاميين (٩٠٨) صحيح

^{٨٨} - انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٤٥/٩).

تَبَّكَ ، إِنَّ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ ، لَا يَنْفِقَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا

بَابُ أَبِي بَكْرٍ» ^{٨٩}.

قال الحافظ ابن حجر: وكان أبا بكر فهم الرمز الذي أشار به النبي ﷺ من قرينة ذكره ذلك في مرض موته، فاستشعر منه أنه أراد نفسه؛ فلذلك بكى. ^{٩٠}

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، قَالَ : رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ الْأَرْضَ تُنْزَعُ إِلَى السَّمَاءِ بِأَشْطَانٍ شِدَادٍ ، فَقَصَصْتُ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : ذَاكَ وَفَاةُ ابْنِ أَخِيكَ. ^{٩١}

وفي هذا الحديث إخبار النبي ﷺ بقرب وفاته، وفيه صدق رؤيا المؤمن، واستشعار بعض الصحابة وفاته ﷺ.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَى الْيَمَنِ ، خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يُوصِيهِ ، وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : " يَا مُعَاذُ ، إِنَّكَ عَسَى أَلَّا تُلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا ، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا ، وَقَبْرِي " . فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا ؛ لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - ثُمَّ التَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : " إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ ، مَنْ كَانُوا ، وَحَيْثُ كَانُوا " . رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادَيْنِ ، وَقَالَ فِي أَحَدِهِمَا : عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ أَنَّ مُعَاذًا ، وَقَالَ وَفِيهَا : قَالَ : " لَا تَبْكُ يَا مُعَاذُ ، الْبُكَاءُ - أَوْ إِنَّ الْبُكَاءَ - مِنَ الشَّيْطَانِ " . ^{٩٢}

وفي الحديث إخبار النبي ﷺ بمعاذ بن جبل باقتراب أجله، وأنه يمكن ألا يلقاه بعد عامه هذا، وفيه شدة محبة الصحابة للنبي ﷺ وبكاؤهم إذا ذكروا فراقه

وَعَنْ أَبِي مُوَيْهَبَةَ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنِّي قَدْ أَمِرْتُ أَنْ أَسْتَعْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ ، فَأَنْطَلِقُ مَعِي ، فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ فِي حَوْفِ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ ،

^{٨٩} - صحيح البخارى (٤٦٦)

^{٩٠} - فتح الباري (١٦/٧).

^{٩١} - مسند الزوار (١٣١٧) صحيح

^{٩٢} - أمالي ابن بشران (٣٦٢) وتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة - (ج ٣ / ص ١٢٨) [١/٣٠٠٦] وجمع

الزوائد (١٤٢٣٨) صحيح

قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ ، لِيَهْنِكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ ، أَقْبَلْتُ الْفَتَنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يَتَّبِعُ آخِرُهَا أَوَّلُهَا ، الْآخِرَةُ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ، ثُمَّ الْحَنَّةُ ، فَخَيْرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي ، قُلْتُ : يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ ، لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَالْخُلْدَ فِيهَا ، ثُمَّ الْحَنَّةُ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ ، لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَبَدِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ.^{٩٣}

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ ، كَالْمُودِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، ثُمَّ طَلَعَ الْمَنْبَرُ فَقَالَ « إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا ، وَإِنِّي لَسْتُ أَحْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا ، وَلَكِنِّي أَحْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا » . قَالَ فَكَانَتْ آخِرَ نَظَرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -^{٩٤}

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرُضُ إِلَّا خَيْرَ بَيْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " ، وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ ، أَخَذَتْهُ بَحَّةٌ شَدِيدَةً ، فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ : مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خَيْرٌ^{٩٥}

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا^{٩٦} وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ الرُّقِيَةِ بِالْقُرْآنِ وَبِالذِّكْرِ ، وَإِنَّمَا رَفَى بِالْمُعَوِّذَاتِ لِأَنَّهَا جَامِعَاتٌ لِلِاسْتِعَاذَةِ مِنْ كُلِّ الْمَكْرُوهَاتِ جُمْلَةً وَفَصِيلًا ، فَفِيهَا الْاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ

^{٩٣} - سنن الدارمي (٧٩) ومسنند أحمد (١٦٤١٩) حسن

^{٩٤} - صحيح البخارى (٤٠٤٢)

^{٩٥} - صحيح البخارى (٤٥٨٦)

^{٩٦} - صحيح البخارى (٥٠١٦)

، فَيَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ ، وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ، وَمِنْ شَرِّ السَّوَاحِرِ ، وَمِنْ شَرِّ الْحَاسِدِينَ ، وَمِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .^{٩٧} .

وَعَنِ الرَّهْزَرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ - ﷺ - وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرِّضَ فِي بَيْتِي ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ - ﷺ - - بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخَطُّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسٍ وَرَجُلٍ آخَرَ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ أَتَدْرِي مِنَ الرَّجُلِ الْآخَرُ قُلْتُ لَا . قَالَ هُوَ عَلِيٌّ . وَكَانَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ بَعْدَ مَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ « هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَعِ قَرَبٍ ، لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِتُهُنَّ ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ » . وَأَجْلَسَ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - ﷺ - ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُ عَلَيْهِ تِلْكَ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ قَدْ فَعَلْتَنَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ .^{٩٨}

وَقَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجِ النَّبِيِّ - ﷺ - لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرِّضَ فِي بَيْتِي ، فَأَذِنَ ، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ ، تَخَطُّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسٍ وَآخَرَ . فَأَخْبَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ هَلْ تَدْرِي مِنَ الرَّجُلِ الْآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ قُلْتُ لَا . قَالَ هُوَ عَلِيٌّ . قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - بَعْدَ مَا دَخَلَ بَيْتَهَا وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ « هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَعِ قَرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِتُهُنَّ ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ » . قَالَتْ فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - ﷺ - ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ ، حَتَّى جَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ قَدْ فَعَلْتَنَ . قَالَتْ وَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَصَلَّى لَهُمْ وَخَطَبَهُمْ^{٩٩}

وَعَنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا . قَالَ « أَجَلُ إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ » . قُلْتُ ذَلِكَ

^{٩٧} - شرح النووي على مسلم - (ج ٧ / ص ٣٣٢)

^{٩٨} - صحيح البخاري (١٩٨)

^{٩٩} - صحيح البخاري (٥٧١٤)

أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ قَالَ « أَجَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذَى شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا ، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا » ١٠٠ .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مُسْنِدُهُ إِلَى صَدْرِي ، وَمَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ سِوَاكَ رَطْبٌ يَسْتَنْ بِهِ ، فَأَبَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصَرَهُ ، فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ فَقَصَمْتُهُ ، وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَنْ بِهِ ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنْ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَمَا عَدَا أَنْ فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ يَدَهُ أَوْ إصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ " فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى " . ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَضَى ، وَكَانَتْ تَقُولُ : مَاتَ بَيْنَ حَافَتَيْ وَذَاقَتِي " ١٠١

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ : إِنْ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ : أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوفِّيَ فِي بَيْتِي ، وَفِي يَوْمِي ، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ : دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَبِيَدِهِ السِّوَاكَ ، وَأَنَا مُسْنِدُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ ، فَقُلْتُ : آخِذْهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ : " أَنْ نَعَمْ " فَتَنَاوَلْتُهُ ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : أَلَيْسَ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ : " أَنْ نَعَمْ " فَلَيْتَنَّهُ ، فَأَمَرَهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعٌ أَوْ عُلبَةٌ - يَشْكُ عُمُرٌ - فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ ، يَقُولُ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ " ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : " فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى " حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ " ١٠٢

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعٌ - أَوْ عُلبَةٌ فِيهَا مَاءٌ ، يَشْكُ عُمُرٌ - فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ » . ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ « فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » . حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ . ١٠٣

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ - جَعَلَ يَتَعَشَّاهُ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - وَكَرَبَ أَبَاهُ . فَقَالَ لَهَا « لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ » . فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ يَا أَبَتَاهُ ،

١٠٠ - صحيح البخارى (٥٦٤٨)

١٠١ - صحيح البخارى (٤٤٣٨)

١٠٢ - صحيح البخارى (٤٤٤٩)

١٠٣ - صحيح البخارى (٦٥١٠)

أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ ، يَا أَبْتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ ، يَا أَبْتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ نَعَّاهُ . فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - يَا أَنَسُ ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - التُّرَابَ ١٠٤

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَأْسُهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي قَالَتْ فَلَمَّا خَرَجَتْ نَفْسُهُ لَمْ أَجِدْ رِيحًا قَطُّ أَطِيبَ مِنْهَا ١٠٥

وَعَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، قَالَ : وَمَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا مِنْ تُرَابِ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا ١٠٦

قال ابن رجب: ولما توفي رسول الله ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دهش فحولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية.

قال القرطبي مبينا عظم هذه المصيبة وما ترتب عليها من أمور:

من أعظم المصائب المصيبة في الدين.. فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا أَكْبَرُ الْمَصَائِبِ عِنْدَهُ" ١٠٧. وصدق رسول الله ﷺ، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب، وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه ١٠٨

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ - ﷺ - أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ ، حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -

١٠٤ - صحيح البخاري (٤٤٦٢)

١٠٥ - مسند أحمد (٢٤٩٠٥) صحيح

١٠٦ - مسند أبي يعلى الموصلي (٣٣٧٨) صحيح

١٠٧ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٦ / ص ٢٩٩) (٦٥٧٩) صحيح لغيره

١٠٨ - انظر: تفسير القرطبي (١٧٦/٢).

فَتَيَمَّمُ النَّبِيُّ - ﷺ - وَهُوَ مُسَجَّى بِبُرْدِ حَبْرَةٍ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ بِأَبَى أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَيْنِ ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مَتَّهَا ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ فَأَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خَرَجَ وَعُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُكَلِّمُ النَّاسَ . فَقَالَ اجْلِسْ . فَأَبَى . فَقَالَ اجْلِسْ . فَأَبَى ، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، وَتَرَكُوا عُمَرَ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا - ﷺ - فَإِنَّ مُحَمَّدًا - ﷺ - قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } (١٤٤) سورة آل عمران، وَاللَّهُ لَكَانَ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ ، فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلَّا يَتْلُوهَا. ١٠٩ .

قال القرطبي: هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراسته، فإن الشجاعة والجرازة حدهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ، فظهرت شجاعته وعلمه، قال الناس: لم يمت رسول الله ﷺ ومنهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسنح. ١١٠

فرحم الله الصديق الأكبر، كم من مصيبة درأها عن الأمة! وكم من فتنة كان المخرج على يديه! وكم من مشكلة ومعضلة كشفها بشهب الأدلة من القرآن والسنة، التي خفيت على مثل عمر رضي الله عنه! فاعرفوا للصديق حقه، واقدروا له قدره، وأحبوا حبيب رسول الله ﷺ، فحبه إيمان وبغضه نفاق

وَعَنْ عَبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالُوا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي أَنْجَرْدُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نُغَسِّلُهُ وَعَلَيْهِ

١٠٩ - صحيح البخاري (١٢٤١) - تيمم : قصد - المسجى : المغطى

١١٠ - انظر: تفسير القرطبي (٢٢٢/٤).

ثِيَابُهُ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَذَفْنُهُ فِي صَدْرِهِ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنَ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ أَنْ اغْسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ - وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَعَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ وَيُدْلِكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِى مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَهُ إِلَّا نِسَاؤُهُ. ١١١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : نُعِيَ إِلَيْنَا حَبِيبُنَا وَنَبِيَّنَا بِأَبِي هُوَ وَنَفْسِي لَهُ الْفِدَاءُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسِتٍّ ، فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقَ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ أُمِّنَا عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْنَا فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : " مَرْحَبًا بِكُمْ وَحَيَّاكُمْ اللَّهُ ، حَفِظَكُمُ اللَّهُ ، آوَاكُمُ اللَّهُ ، نَصَرَكُمُ اللَّهُ ، رَفَعَكُمُ اللَّهُ ، هَدَاكُمُ اللَّهُ ، رَزَقَكُمُ اللَّهُ ، وَفَقَكُمُ اللَّهُ ، سَلَّمَكُمُ اللَّهُ ، قَبَلَکُمُ اللَّهُ ، أَوْصِيَكُمُ بِنُفُوسِكُمُ اللَّهُ ، وَأَوْصِي اللَّهُ بِكُمْ وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي وَلَكُمْ : تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ " ، ثُمَّ قَالَ : " قَدْ دَنَا الْأَحْلُ وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَإِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى ، وَالْكَأْسِ الْأَوْفَى وَالرَّفِيقِ الْأَعْلَى " — أَحْسَبُهُ — فَقُلْنَا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَمَنْ يُعَسِّلُكَ إِذَنْ ؟ قَالَ : " رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى " ، قُلْنَا : فَفِيمَا تُكْفِنُكَ ؟ قَالَ : " فِي ثِيَابِي هَذِهِ إِنْ شِئْتُمْ ، أَوْ فِي حُلَّةٍ يَمْنِيَّةٍ ، أَوْ فِي بِيَاضِ مِصْرَ " ، قَالَ : قُلْنَا : فَمَنْ يُصَلِّي عَلَيْكَ مَنَا ؟ فَبَكَيْنَا وَبَكَى ، وَقَالَ : " مَهْلًا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْرًا ، إِذَا غَسَلْتُمُونِي ثُمَّ وَضَعْتُمُونِي عَلَى سَرِيرِي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي فَاخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ خَلِيلِي وَجَلِيسِي جِبْرِيلُ ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ ﷺ ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ﷺ ، ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ ﷻ اللَّهُ ﷻ مَعَ جُنُودِهِ ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَجْمَعِهَا ، ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجًا فَوْجًا فَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وَلَا تُؤْذُونِي بِبَاكِئَةٍ — أَحْسَبُهُ قَالَ — : وَلَا صَارِخَةٍ وَلَا رَاثَةٍ ، وَلْيَبْدَأْ بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي ، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ ، وَاقْرَءُوا أَنْفُسَكُمْ مِنِّي السَّلَامَ ، وَمَنْ غَابَ مِنْ إِخْوَانِي فَأَبْلِغُوهُ مِنِّي السَّلَامَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَعَكُمْ فِي دِينِكُمْ بَعْدِي فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ

أَنِّي أَقْرَأُ السَّلَامَ — أَحْسِبُهُ قَالَ — عَلَيَّ وَعَلَى كُلِّ مَنْ تَابَعَنِي عَلَى دِينِي مِنْ يَوْمِي إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ " قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ﷺ ، فَمَنْ يُدْخِلُكَ قَبْرَكَ مِنَّا ؟ قَالَ : " رَجُلٌ أَهْلُ بَيْتِي
مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ يَرَوْنَكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ " ١١٢

١١٢ - الْبَحْرُ الزَّخَّارُ مُسْنَدُ الْبَزَّازِ (١٧٩٠) وَالدُّعَاءُ لِلطَّبْرِائِيِّ (١١٢١) وَالْمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ
الْعَسْقَلَانِيِّ (٤٤٥١) وَحِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ ١٩٨/٤ (٥٢٧٨) وَالطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ ١٩٧/٢ (١٩٨١) وَإِتْحَافُ السَّادَةِ
الْمُنْتَقَيْنِ ٢٨٦/١ وَ ٢٩٠ وَ الْمَجْمَعُ ٢٥/٩ وَ دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ ٢٣٢/٧ وَ الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ٢٥٣/٥ حَدِيثٌ حَسَنٌ لغيره
قَالَ الْبَزَّازُ : وَهَذَا الْكَلَامُ قَدْ رُوِيَ عَنْ مُرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ وَأَسَانِيدُهَا ، عَنْ مُرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مُتَقَارِبَةٌ ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَصْبَهَانِيِّ لَمْ يَسْمَعْ هَذَا مِنْ مُرَّةَ وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ مَنْ أَخْبَرَهُ عَنْ مُرَّةَ ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا رَوَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
غَيْرَ مُرَّةَ .

وَوَهْمُ الذَّهَبِيِّ فَحَكَمَ بَوَاضِعَهُ لَوْجُودِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَفَاتَهُ أَنَّهُ قَدْ تَوَبَعَ عِنْدَ طَبِّ وَسَعْدٍ وَغَيْرِهِمَا

المبحث الثالث

من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

عن عائشة قالت كان النبي ﷺ - يقول وهو صحيح « إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ يُخَيَّرَ » . فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى » . فَقُلْتُ إِذَا لَا يَخْتَارُنَا . وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ قَالَتْ فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمُ بِهَا « اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى » ١١٣ .

وعن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ - قال « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » . قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ . قَالَ « لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » ١١٤ .

وعن عبادة بن الصامت ، عن رسول الله ﷺ قال : مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ إِنَّا نَكْرَهُ الْمَوْتَ ، فَذَاكَ كَرَاهِيَتُنَا لِقَاءَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حُضِرَ فُبَشِّرَ بِمَا أَمَامَهُ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ ، وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ ، فُبَشِّرَ بِمَا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ. ١١٥

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم البداءة بأهل الخير في الذكر لشرفهم وإن كان أهل الشر أكثر وفيه أن المجازاة من جنس العمل فإنه قابل المحبة بالمحبة والكراهة بالكراهة وفيه أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة وفيه نظر فإن اللقاء أعم من الرؤية

١١٣ - صحيح البخارى (٤٤٦٣)

١١٤ - صحيح البخارى (٦٥٠٧)

١١٥ - صحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٢٧٩) (٣٠٠٩) صحيح

وَيَحْتَمِلُ عَلَى بُعْدِ أَنْ يَكُونَ فِي قَوْلِهِ " لِقَاءَ اللَّهِ " حَذْفُ تَقْدِيرِهِ لِقَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَوَجْهُ الْبُعْدِ فِيهِ الْإِثْنَانُ بِمُقَابِلِهِ لِأَنَّ أَحَدًا مِنَ الْعُقَلَاءِ لَا يَكْرَهُ لِقَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ بَلْ كُلُّ مَنْ يَكْرَهُ الْمَوْتَ إِنَّمَا يَكْرَهُهُ خَشْيَةً أَنْ لَا يَلْقَى ثَوَابَ اللَّهِ إِمَّا لِإِبْطَائِهِ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ بِالشُّغْلِ بِالتَّبَعَاتِ وَإِمَّا لِعَدَمِ دُخُولِهَا أَصْلًا كَالْكَافِرِ . وَفِيهِ أَنَّ الْمُحْتَضِرَ إِذَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِ عِلَامَاتُ السُّرُورِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ بُشِّرَ بِالْخَيْرِ وَكَذَا بِالْعَكْسِ . وَفِيهِ أَنَّ مَحَبَّةَ لِقَاءِ اللَّهِ لَا تَدْخُلُ فِي النَّهْيِ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتَ لِأَنَّهَا مُمَكِّنَةٌ مَعَ عَدَمِ تَمَنِّي الْمَوْتَ كَأَنْ تَكُونَ الْمَحَبَّةُ حَاصِلَةً لَا يَفْتَرِقُ حَالُهُ فِيهَا بِحُصُولِ الْمَوْتَ وَلَا بِتَأَخُّرِهِ وَأَنَّ النَّهْيَ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتَ مَحْمُولٌ عَلَى حَالَةِ الْحَيَاةِ الْمُسْتَمِرَّةِ وَأَمَّا عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ وَالْمُعَايَنَةِ فَلَا تَدْخُلُ تَحْتَ النَّهْيِ بَلْ هِيَ مُسْتَحَبَّةٌ . وَفِيهِ أَنَّ فِي كِرَاهَةِ الْمَوْتَ فِي حَالِ الصَّحَّةِ تَفْصِيلًا فَمَنْ كَرِهَهُ إِثَارًا لِلْحَيَاةِ عَلَى مَا بَعْدَ الْمَوْتَ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ كَانَ مَذْمُومًا وَمَنْ كَرِهَهُ خَشْيَةً أَنْ يُفْضِيَ إِلَى الْمُؤَاخَذَةِ كَأَنْ يَكُونَ مُقْصَرًّا فِي الْعَمَلِ لَمْ يَسْتَعِدَّ لَهُ بِالْأُهْبَةِ بَأَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ التَّبَعَاتِ وَيَقُومَ بِأَمْرِ اللَّهِ كَمَا يَجِبُ فَهُوَ مَعْدُورٌ لَكِنْ يَنْبَغِي لِمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ أَنْ يُبَادِرَ إِلَى أَخْذِ الْأُهْبَةِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ الْمَوْتَ لَا يَكْرَهُهُ بَلْ يُحِبُّهُ لِمَا يَرْجُو بَعْدَهُ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى . وَفِيهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَإِنَّمَا يَقَعُ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْمَوْتَ أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ " وَالْمَوْتُ دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ " وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ اللَّقَاءَ أَعْمٌ مِنَ الرُّؤْيَةِ فَإِذَا انْتَفَى اللَّقَاءُ انْتَفَتْ الرُّؤْيَةُ وَقَدْ وَرَدَ بِأَصْرَحِ مِنْ هَذَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ مَرْفُوعًا فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ وَفِيهِ " وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا " ١١٦ .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ « أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا » . فَلَمَّا مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَقُلَ أَخَذَتْ بِيَدِهِ لِأَصْنَعُ بِهِ نَحْوَ مَا كَانَ يَصْنَعُ فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » . قَالَتْ فَذَهَبَتْ أَنْظَرُ فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى. ١١٧ .

١١٦ - فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٣٤٨)

١١٧ - صحيح مسلم (٥٨٣٦)

فِيهِ اسْتِحْبَابُ مَسْحِ الْمَرِيضِ بِالْيَمِينِ ، وَالِدُّعَاءُ لَهُ ، وَقَدْ جَاءَتْ فِيهِ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ
صَحِيحَةٌ جَمَعَتْهَا فِي كِتَابِ الْأَذْكَارِ ، وَهَذَا الْمَذْكُورُ هُنَا مِنْ أَحْسَنِهَا .^{١١٨}

^{١١٨} - شرح النووي على مسلم - (ج ٧ / ص ٣٣١)

المبحث الرابع

لمثل هذا فأعدوا

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي جَنَازَةٍ فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ جَثَا عَلَى الْقَبْرِ فَاسْتَدْرْتُ فَاسْتَقْبَلْتُهُ فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى ثُمَّ قَالَ : « إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا » .^{١١٩}

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ فَقَالَ « عَلَامَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ » . قِيلَ عَلَى قَبْرِ يَحْفَرُونَهُ . قَالَ فَفَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيِ أَصْحَابِهِ مُسْرِعاً حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ فَجَثَا عَلَيْهِ - قَالَ - فَاسْتَقْبَلْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لَأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا قَالَ « أَيْ إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا » .^{١٢٠}

(أي إخواني لمثل هذا اليوم فأعدوا) أي لمثل نزول أحدكم قبره فليعدّ، وكان ﷺ واقفاً على شفير قبر وبكى حتى بلّ الثرى وإذا كان هذا حال ذاك الجناب الأفخم فكيف حال أمثالنا؟ والعجب كل العجب من غفلة من لحظاته معدودة وأنفاسه محدودة فمطايا الليل والنهار تسرع إليه ولا يتفكر إلى أن يحمل ويسار به أعظم من سير البريد ولا يدري إلى أي الدارين ينقل فإذا نزل به الموت قلق لخراب ذاته وذهاب لذاته لما سبق من جنائياته وسلف من تفريطاته حيث لم يقدم لحياته وفيه ندب تذكير الغافل خصوصاً الإخوان ومثلهم الأقارب لأن الغفلة من طبع البشر وينبغي للمرء أن يتفقد نفسه ومن يحبه بالتذكير، ولله در حسان رضي الله عنه حيث يقول:

تخير خليلاً من فعالك إنما * قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

قَالَ أَبُو مُوسَى التَّمِيمِيُّ : تُوفِّيَتِ النَّوَارُ امْرَأَةُ الْفَرَزْدَقِ ، فَخَرَجَ فِي جَنَازَتِهَا وَجُوهُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَخَرَجَ فِيهَا الْحَسَنُ ، فَقَالَ الْحَسَنُ لِلْفَرَزْدَقِ : مَا أَعَدَدْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ يَا أَبَا فِرَاسٍ

^{١١٩} - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٣ / ص ٣٦٩) (٦٧٥٠) حسن

^{١٢٠} - مسند أحمد (١٩١٠٨) حسن

، قَالَ : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُنْذُ ، ثَمَانِينَ سَنَةً ، قَالَ : فَلَمَّا دُفِنَتْ قَامَ عَلَى قَبْرِهَا ، فَقَالَ :

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي ... أَشَدُّ مِنَ الْقَبْرِ التَّهَابَا وَأَضْيَقَا
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ ... عَنيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ دَارِمٍ مَنْ مَشَى ... إِلَى النَّارِ مَعْلُولَ الْقِلَادَةِ أَرْزَقَا^{١٢١}
وَعَنْ أَبَانَ ؛ قَالَ : خَرَجْنَا فِي جَنَازَةِ النَّوَّارِ بِنْتِ أَعْيُنٍ ، وَكَانَتْ تَحْتَ الْفَرَزْدَقِ ، وَفِيهَا
الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، فَلَمَّا كُنَّا فِي الطَّرِيقِ ؛ قَالَ الْفَرَزْدَقُ لِلْحَسَنِ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ! تَدْرِي مَا
يَقُولُ النَّاسُ ؟ قَالَ : وَمَا يَقُولُونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : فِي هَذِهِ الْجَنَازَةِ خَيْرُ النَّاسِ وَشَرُّ النَّاسِ
. قَالَ : يَقُولُونَ : إِنَّكَ خَيْرُ النَّاسِ ، وَإِنِّي شَرُّ النَّاسِ . فَقَالَ الْحَسَنُ : لَسْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ
وَلَا أَنْتَ بِشَرِّ النَّاسِ . فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْجَبَّانِ تَقَدَّمَ الْحَسَنُ ، فَصَلَّى عَلَيْهَا ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا
إِلَى الْقَبْرِ ؛ قَامَ الْحَسَنُ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا فِرَاسٍ ! مَا أَعْدَدْتَ لِهَذَا الْمَضْجَعِ .
قَالَ : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُنْذُ بَضْعِ وَسَبْعِينَ سَنَةً . فَقَالَ الْحَسَنُ : خُذْهَا مِنْ غَيْرِ فَقِيهِ
. ثُمَّ تَنَحَّى الْحَسَنُ وَجَلَسَ وَاحْتَبَى وَأَحْدَقَ النَّاسُ بِهِ ، فَجَاءَ الْفَرَزْدَقُ وَتَخَطَّى النَّاسَ حَتَّى
وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْحَسَنِ ؛ فَأَثَشَدَهُ شَعْرًا ؛ فَقَالَ :

(أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي ... أَشَدُّ مِنَ الْقَبْرِ التَّهَابَا وَأَضْيَقَا)

(إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ ... عَنيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا)

(لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى ... إِلَى النَّارِ مُحَمَّرَ الْقِلَادَةِ أَرْزَقَا)

(يُسَاقُ إِلَى دَارِ الْجَحِيمِ مُسْرَبِلًا ... سَرَابِيلَ قَطْرَانَ لِبَاسًا مُحَرَّقًا)

(إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الصَّدِيدَ رَأَيْتَهُمْ ... يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الصَّدِيدِ تَمَرُّقًا)^{١٢٢}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَدِمَ الْحَارُودُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَ سَيِّدًا فِي قَوْمِهِ ، مُطَاعًا
عَظِيمًا فِي عَشِيرَتِهِ ، مُطَاعَ الْأَمْرِ رَفِيعَ الْقَدْرِ ، عَظِيمَ الْخَطَرِ ، ظَاهِرَ الْأَدَبِ ، شَامِخَ

^{١٢١} - مصنف ابن أبي شيبة - (١٤ / ٦٦) (٣٦٨٨٢) و فيض القدير، شرح الجامع الصغير (٣٠٢٠) والكشكول -

(١ / ١٢٦)

^{١٢٢} - المجالسة وجواهر العلم - (٤ / ٤٧١) (١٦٨٩) أبان ضعيف

الْحَسَبِ ، بَدِيعَ الْجَمَالِ ، حَسَنَ الْفِعَالِ ، ذَا مَنَّةٍ وَمَالٍ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ مِنْ ذَوِي الْأَخْطَارِ وَالْأَفْدَارِ ، وَالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالْفَصَاحَةِ وَالْبُرْهَانِ ، كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ كَالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ ، عَلَى نَاقَةٍ كَالْفَحْلِ الْفَنِيقِ قَدْ جَنَّبُوا الْحِيَادَ ، وَأَعَدُّوا لِلْجِلَادِ ، مُجِدِّينَ فِي سَيْرِهِمْ ، حَازِمِينَ فِي أَمْرِهِمْ ، يَسِيرُونَ ذَمِيلًا ، وَيَقْطَعُونَ مِيلًا فَمِيلًا حَتَّى أَنْأَحُوا عِنْدَ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَقْبَلَ الْجَارُودُ عَلَى قَوْمِهِ وَالْمَشَايخِ مِنْ بَنِي عَمِّهِ ، فَقَالَ : يَا قَوْمُ ، هَذَا مُحَمَّدٌ الْأَعْرُ ، سَيِّدُ الْعَرَبِ ، وَخَيْرُ وَلَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَإِذَا دَخَلْتُمْ عَلَيْهِ ، وَوَقَفْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَحْسِنُوا عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَأَقْلُوا عِنْدَهُ الْكَلَامَ . فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ وَالْأَسَدُ الصَّرْغَامُ ، لَنْ نَتَكَلَّمَ إِذَا حَضَرْتَ وَلَنْ نُجَاوِزَ إِذَا أَمَرْتَ ، فَقُلْ مَا شِئْتَ ، فَإِنَّا سَامِعُونَ ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ ، فَإِنَّا تَابِعُونَ . فَهَضَّ الْجَارُودُ فِي كُلِّ كَمِيٍّ صَنِيدٍ ، قَدْ دَوَّمُوا الْعَمَائِمَ ، وَتَرَدُّوا بِالصَّمَائِمِ ، يَجْرُونَ أَسْيَافَهُمْ وَيَسْجُبُونَ أَذْيَالَهُمْ ، يَتَنَاشَدُونَ الْأَشْعَارَ ، وَيَتَذَكَّرُونَ مَنَاقِبَ الْأَخْيَارِ ، لَا يَتَكَلَّمُونَ طَوِيلًا ، وَلَا يَسْكُتُونَ عِيًّا ، إِنْ أَمَرَهُمْ اتَّمَرُوا ، وَإِنْ زَجَرَهُمْ ازْدَجَرُوا ، كَأَنَّهُمْ أَسَدٌ غِيْلٍ يَقْدِمُهَا ذُو لَبْوَةٍ مَهُولٍ حَتَّى مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا دَخَلَ الْقَوْمُ الْمَسْجِدَ ، وَأَبْصَرَهُمْ أَهْلُ الْمَشْهَدِ ، ذَلَفَ الْجَارُودُ أَمَامَ النَّبِيِّ ﷺ وَحَسَرَ لثَامَهُ وَأَحْسَنَ سَلَامَهُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا نَبِيَّ الْهُدَى أَتَتْكَ رِجَالٌ قَطَعَتْ فَدَفْدًا وَآلًا فَآلَا

وَطَوَتْ نَحْوَكَ الصَّحَاحِ طُرًّا لَا تَخَالُ الْكَلَالَ فَبِكَ كَلَالَا

كُلُّ دَهْمَاءٍ يَقْصُرُ الطَّرْفُ عَنْهَا أَرْقَلَتْهَا قِلَاصُنَا إِرْقَالَا

وَطَوَتْهَا الْحِيَادُ تَجْمَحُ فِيهَا بِكَمَاءَ كَأَنَّهُمْ تَنَلَلَا

تَبْتَغِي دَفْعَ بَاسٍ يَوْمَ عَبُوسٍ أَوْجَلَ الْقَلْبَ ذِكْرُهُ ثُمَّ هَالَا

فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا ، وَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ ، وَرَفَعَ مَجْلِسَهُ وَحَبَّاهُ وَأَكْرَمَهُ ، وَقَالَ : " يَا جَارُودُ ، لَقَدْ تَأَخَّرَ بِكَ وَبِقَوْمِكَ الْمَوْعِدُ ، وَطَالَ بِكُمْ الْأَمَدُ . قَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ أَخْطَأَ مَنْ أَخْطَأَكَ قَصْدُهُ ، وَعَدِمَ رُشْدُهُ ، وَتَلَكَ وَائِمُ اللَّهِ أَكْبَرُ حَيَّةٍ ، وَأَعْظَمُ حَوَیَّةٍ ، وَالرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلُهُ ، وَلَا يَعِشُ نَفْسُهُ . لَقَدْ جِئْتُ بِالْحَقِّ ، وَنَطَقْتُ بِالصِّدْقِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاخْتَارَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِيًّا ، لَقَدْ وَجَدْتُ وَصْفَكَ

فِي الْإِنْجِيلِ ، وَلَقَدْ بَشَّرَ بِكَ ابْنُ الْبُتُولِ ، وَطُولُ التَّحِيَّةِ لَكَ وَالشُّكْرُ لِمَنْ أَكْرَمَكَ وَأَرْسَلَكَ ، لَا أَثَرَ بَعْدَ عَيْنٍ ، وَلَا شَكَّ بَعْدَ يَقِينٍ . مَدَّ يَدَكَ ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : فَأَمَنْ الْجَارُودُ ، وَأَمِنْ مِنْ قَوْمِهِ كُلِّ سَيِّدٍ ، وَسَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِهِمْ سُرُورًا ، وَابْتَهَجَ حُبُورًا ، وَقَالَ : " يَا جَارُودُ ، هَلْ فِي جَمَاعَةٍ وَقَدْ عَبْدَ الْقَيْسَ مَنْ يَعْرِفُ لَنَا قُسًا ؟ قَالَ : كُلُّنَا نَعْرِفُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَنَا مِنْ بَيْنِ قَوْمِي كُنْتُ أَقْفُو أَثَرَهُ وَأَطْلُبُ خَبْرَهُ كَانَ قُسٌّ سِبْطًا مِنْ أَسْبَاطِ الْعَرَبِ ، صَحِيحَ النَّسَبِ ، فَصِيحًا إِذَا خَطَبَ ، ذَا شَيْبَةٍ حَسَنَةٍ عُمُرَ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ ، يَتَفَقَّرُ الْقَفَارَ ، لَا تُكْنُهُ دَارٌ ، وَلَا يُقْرَهُ قَرَارٌ ، يَنْحَسِي فِي تَقْفَرِهِ بَيْضَ النِّعَامِ ، وَيَأْتِسُ بِالْوَحْشِ وَالْهَوَامِّ ، يَلْبَسُ الْمُسُوحَ وَيَتَّبِعُ السَّيَّاحَ عَلَى مَنَاجِ الْمَسِيحِ ، لَا يَفْتَرُ مِنَ الرَّهْبَانِيَّةِ ، مُقَرَّرٌ لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، تُضْرَبُ بِحِكْمَتِهِ الْأُمَثَالُ ، وَتُكْشَفُ بِهِ الْأَهْوَالُ ، وَتَتَّبَعُهُ الْأَبْدَالُ . أَدْرَكَ رَأْسَ الْحَوَارِيِّينَ سَمْعَانَ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَأَلَّاهُ مِنَ الْعَرَبِ وَأَعْبَدُ مَنْ تَعَبَّدَ فِي الْحَقَبِ ، وَأَيَقَنَ بِالْبُعْثِ وَالْحِسَابِ وَحَذَرَ سُوءِ الْمُتَقَلَّبِ وَالْمَآبِ ، وَوَعَظَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَأَمَرَ بِالْعَمَلِ قَبْلَ الْفَوْتِ ، الْحَسَنُ الْأَلْفَاظِ ، الْخَاطِبُ بِسُوقِ عُكَاطِ ، الْعَالِمُ بِشَرْقٍ وَغَرْبٍ ، وَيَابِسٍ وَرَطْبٍ ، وَأُجَاجٍ وَعَذْبٍ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَالْعَرَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، يُقَسِّمُ بِالرَّبِّ الَّذِي هُوَ لَهُ لِيُبْلَغَنَّ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَلِيُؤْفِقَنَّ كُلُّ عَامِلٍ عَمَلَهُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

هَاجَ لِلْقَلْبِ مِنْ جَوَاهِ أَدْكَارُ وَلَيَالٍ خِلَالِهِنَّ نَهَارُ
وَنُجُومٌ يَحُثُّهَا قَمَرُ اللَّيْلِ وَشَمْسٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَدَارُ
ضَوْءُهَا يَطْمِسُ الْعُيُونَ وَرِعَادُ شَدِيدٍ فِي الْخَافِقِينَ مُطَارُ
وَعِلَامٌ وَأَشْمَطُ وَرَضِيْعٌ كُلُّهُمْ فِي الثَّرَابِ يَوْمًا يُزَارُ
وَقُصُورٌ مُشَيَّدَةٌ حَوَتْ الْخَيْرَ وَأُخْرَى خَلَتْ فَهِنَّ قِفَارُ
وَكَثِيرٌ مِمَّا يُقْصَرُ عَنْهُ جَوْسَةُ النَّاطِرِ الَّذِي لَا يَحَارُ
وَالَّذِي قَدْ ذَكَرْتُ دَلَّ عَلَى اللَّهِ نُفُوسًا لَهَا هُدًى وَاعْتَبَارُ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " عَلَى رِسْلِكَ يَا جَارُودُ ، فَلَسْتُ أَنْسَاهُ بِسُوقِ عُكَاطٍ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَوْرَقَ ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ مُوثِقٍ ، مَا أَظُنُّ أَنِّي أَحْفَظُهُ ، فَهَلْ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنْصَارِ مَنْ يَحْفَظُ لَنَا مِنْهُ شَيْئًا ؟ فَوَتَبَ أَبُو بَكْرٍ قَائِمًا ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَحْفَظُهُ ، وَكُنْتُ حَاضِرًا ذَلِكَ الْيَوْمَ بِسُوقِ عُكَاظٍ حِينَ خَطَبَ فَأَطْنَبَ ، وَرَغَبَ وَرَهَبَ ، وَحَذَرَ وَأَنْذَرَ ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : " أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا وَعُوا ، فَإِذَا وَعَيْتُمْ فَانْتَفِعُوا إِنَّهُ مِنْ عَاشٍ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، مَطَرٌ وَتَبَاتٌ ، وَأَرْزَاقٌ وَأَقْوَاتٌ ، وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ ، وَأَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ ، جَمِيعٌ وَأَشْتَاتٌ ، وَآيَاتٌ بَعْدَ آيَاتٍ . إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا ، لَيْلٌ دَاجٌ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَأَرْضٌ ذَاتُ رِجَاجٍ وَبَحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ ؟ أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا ؟ أَمْ تُرِكُوا هُنَاكَ فَنَامُوا ؟ أَقَسَمَ قُسٌّ قَسَمًا حَقًّا لَا حَانًا فِيهِ وَلَا آثَمًا إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَنَبِيًّا قَدْ حَانَ حِينُهُ ، وَأَظْلَكُمْ أَوَانُهُ ، وَأَدْرَكَكُمْ إِبَائُهُ ، فَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِهِ فَهَدَاهُ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ وَعَصَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : تَبَا لِرَبَابِ الْعُفْلَةِ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ، وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ . يَا مَعْشَرَ إِبَادِ ، أَيْنَ الْأَبَاءُ وَالْأَجْدَادُ ؟ وَأَيْنَ الْمَرِيضُ وَالْعَوَادُ ؟ وَأَيْنَ الْفِرَاعَةِ الشَّدَادُ ؟ أَيْنَ مَنْ بَنَى وَشَيَّدَ ؟ وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ ؟ وَغَرَهُ الْمَالُ وَالْوَلَدُ ؟ أَيْنَ مَنْ بَعَى وَطَعَى ، وَجَمَعَ فَأَوْعَى ، وَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ أَمْوَالًا ، وَأَبْعَدَ مِنْكُمْ أَمَالًا ، وَأَطْوَلَ مِنْكُمْ أَحَالًا ؟ طَحَنَهُمُ الثَّرَى بِكُلِّكَلِهِ ، وَمَزَقَهُمْ بِتَطَاوُلِهِ ، فَتَلَكَ عِظَامُهُمْ بِالْيَةِ ، وَبَيَّوْهُمْ خَالِيَةً ، عَمَرَتْهَا الذُّنَابُ الْعَاوِيَةُ ، كَلَّا ، بَلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْمَعْبُودُ ، لَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٌ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْكَابِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَيَّ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ
أَبْقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَالَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

قَالَ : ثُمَّ جَلَسَ . فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَعْدَهُ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ جَبَلٍ ، ذُو هَامَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَقَامَةٍ جَسِيمَةٍ ، قَدْ دَوَّمَ عِمَامَتَهُ ، وَأَرْخَى ذُؤَابَتَهُ ، مُنِيفٌ أَنْوَفٌ أَحْدَقُ أَجَشُّ الصَّوْتِ ، فَقَالَ : يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، وَصَفْوَةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ قَسٍّ عَجَبًا ، وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَرَعَبًا

. فَقَالَ : " وَمَا الَّذِي رَأَيْتَهُ مِنْهُ وَحَفِظْتَهُ عَنْهُ " ؟ فَقَالَ : خَرَجْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَطْلُبُ بَعِيرًا لِي شَرَدَ مِنِّي كُنْتُ أَقْفُو أَثَرَهُ وَأَطْلُبُ خَبْرَهُ فِي نَتَائِفِ حَقَائِفَ ، ذَاتِ دَعَادَ وَزَعَارِعَ ، لَيْسَ بِهَا لِلرَّكَبِ مَقِيلٌ ، وَلَا لِعَيْرِ الْحِنِّ سَبِيلٌ ، وَإِذَا أَنَا بِمَوْتِلٍ مَهُولٍ فِي طُودٍ عَظِيمٍ لَيْسَ بِهِ إِلَّا الْبُومُ . وَأَذْرَكْنِي اللَّيْلُ فَوَلَجْتُهُ مَدْعُورًا لَا أَمْنُ فِيهِ حَتْفِي ، وَلَا أُرْكُنُ إِلَى غَيْرِ سَيْفِي . فَبِتُّ بَلِيلٍ طَوِيلٍ ، كَأَنَّهُ بَلِيلُ مَوْصُولٍ ، أَرْقُبُ الْكُوكَبَ ، وَأَرْمُقُ الْغَيْهَبَ حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ عَسَسَ ، وَكَادَ الصُّبْحُ أَنْ يَتَنَفَّسَ ، هَتَفَ بِي هَاتِفٌ يَقُولُ :

يَا أَيُّهَا الرَّاقِدُ فِي اللَّيْلِ الْأَحْمَ قَدْ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا فِي الْحَرَمِ
مِنْ هَاشِمٍ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ يَجْلُو دُجَنَاتِ الدِّيَاجِي وَالْبُهَمِ
قَالَ : فَأَذْرْتُ طَرْفِي فَمَا رَأَيْتُ لَهُ شَخْصًا وَلَا سَمِعْتُ لَهُ فَحْصًا ، فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

يَا أَيُّهَا الْهَاتِفُ فِي دَاغِي الظُّلَمِ أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ طَيْفٍ أَلَمَ
بَيْنَ هَذَاكَ اللَّهُ فِي لَحْنِ الْكَلِمِ مَاذَا الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ يُعْتَنَمُ ؟

قَالَ : فَإِذَا أَنَا بِنَحْنَحَةٍ ، وَقَائِلٍ يَقُولُ : ظَهَرَ الثَّوْرُ ، وَبَطَلَ الزُّورُ ، وَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحُبُورِ ، صَاحِبَ النَّجِيبِ الْأَحْمَرِ ، وَالتَّاجِ وَالْمِغْفَرِ ، ذَا الْوَجْهِ الْأَزْهَرِ ، وَالْحَاجِبِ الْأَقْمَرِ ، وَالطَّرْفِ الْأَحْوَرِ ، صَاحِبَ قَوْلِ شَهَادَةِ : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَذَلِكَ مُحَمَّدٌ الْمَبْعُوثُ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ أَهْلِ الْمَدَرِ وَالْوَبَرِ ، ثُمَّ أَنْشَأْتُ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ عَبَثَ لَمْ يُخْلِنَا حِينًا سُدًى مِنْ بَعْدِ عَيْسَى وَكَثُرَتْ أَرْسَلُ فِينَا أَحْمَدَ خَيْرَ نَبِيٍّ قَدْ بَعَثَ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا حَجَّ لَهُ رَكْبٌ وَحَثَّ . قَالَ : فَذَهَلْتُ عَنِ الْبَعِيرِ وَاكْتَنَفَنِي السُّرُورُ ، وَلَاحَ الصَّبَاحُ ، وَاتَّسَعَ الْإِبْضَاحُ ، فَتَرَكْتُ الْمَوْرَاءَ ، وَأَخَذْتُ الْجَبَلَ ، فَإِذَا أَنَا بِالْفَنِيْقِ يَسْتَنْشِقُ النُّوقَ ، فَمَلَكْتُ خِطَامَهُ ، وَعَلَوْتُ سَنَامَهُ ، فَخَرَجَ طَاعَةً وَهَزْزُهُ سَاعَةً حَتَّى إِذَا لَعَبَ ، وَذَلَّ مِنْهُ مَا صَعُبَ ، وَحَمِيَتْ الْوِسَادَةُ ، وَبَرَدَتْ الْمَزَادَةُ ، فَإِذَا الرَّادُّ قَدْ هَشَّ لَهُ الْفُؤَادُ تَرَكْتُهُ فَتَرَكَ ، وَأَذْنْتُ لَهُ فَبَرَكَ ، فِي رَوْضَةٍ خَضِرَةٍ ، نَضْرَةٍ عَطِرَةٍ ، ذَاتِ حَوْذَانٍ وَقُرْبَانٍ وَعَنْقُرَانٍ وَعَبِيرَانٍ وَجُلَى وَأَقَاحٍ وَجَشْجَاشٍ وَبَرَارٍ ، وَشَقَائِقَ وَنَهَارٍ ، كَأَنَّمَا قَدْ بَاتَ الْجَوْ بِهَا مَطِيرًا ، وَبَاكَرَهَا الْمُنْزُ بُكُورًا ، فَخَلَّلَهَا شَجَرٌ ، وَقَرَّارُهَا نَهْرٌ ، فَجَعَلَ يَرْتَعُ أَبَا ، وَأَصِيدُ ضَبًّا حَتَّى إِذَا أَكَلْتُ وَأَكَلْتُ وَنَهَلْتُ وَنَهَلْتُ ، وَعَلَلْتُ وَعَلَّ ، حَلَلْتُ عِقَالَهُ

، وَعَلَوْتُ جِلْدَهُ ، وَأَوْسَعْتُ مَجَالَهُ ، فَاعْتَنَمَ الْحَمْلَةَ وَمَرَّ كَالنَّبْلَةِ ، يَسْبِقُ الرِّيحَ ، وَيَقْطَعُ
عَرْضَ الْفَسِيحِ حَتَّى أَشْرَفَ بِي عَلَى وَادٍ وَشَجَرٍ مِنْ شَجَرٍ عَادَ مُورِقَةً مُونِقَةً ، قَدْ تَهَدَّلَ
أَغْصَانُهَا كَأَنَّمَا بَرِيرُهَا حَبُّ فُلْفُلٍ ، فَدَنَوْتُ فَإِذَا أَنَا بِقُسٍّ بَنٍ سَاعِدَةٍ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ، بِيَدِهِ
قَضِيبٌ مِنْ أَرَاكِ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ وَهُوَ يَتَرْتَّمُ بِشَعْرِ ، وَهُوَ :

يَا نَاعِي الْمَوْتِ وَالْمَلْحُودِ فِي جَدَثٍ عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا بَزَّهِمْ حَرَقُ
دَعْنِهِمْ فَإِنَّ لَهُمْ يَوْمًا يُصَاحُ بِهِمْ فَهُمْ إِذَا أَنْبَهُوا مِنْ نَوْمِهِمْ فَرَقُوا
حَتَّى يَعُودُوا لِلْحَالِ غَيْرِ حَالِهِمْ خَلَقًا جَدِيدًا كَمَا مِنْ قَبْلِهِ خَلَقُوا
مِنْهُمْ عُرَاةً وَمِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ مِنْهَا الْجَدِيدُ وَمِنْهَا الْمَنْهَجُ الْخَلْقُ

قَالَ : فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ، وَإِذَا بَعَيْنِ خَرَّارَةٍ ، فِي أَرْضٍ خَوَّارَةٍ ،
وَمَسْجِدٍ بَيْنَ قَبْرَيْنِ ، وَأَسَدَيْنِ عَظِيمَيْنِ يُلُودَانِ بِهِ ، وَيَتَمَسَّحَانِ بِأَنْوَابِهِ ، وَإِذَا أَحَدُهُمَا
يَسْبِقُ صَاحِبَهُ إِلَى الْمَاءِ فَتَبِعَهُ الْآخَرُ وَطَلَبَ الْمَاءَ ، فَضَرَبَهُ بِالْقَضِيبِ الَّذِي فِي يَدِهِ ، وَقَالَ
: ارْجِعْ ، تَكَلَّنَكَ أُمُّكَ حَتَّى يَشْرَبَ الَّذِي وَرَدَ قَبْلَكَ . فَرَجَعَ ، ثُمَّ وَرَدَ بَعْدَهُ . فَقُلْتُ لَهُ :
مَا هَذَا الْقَبْرَانِ ؟ فَقَالَ : هَذَا قَبْرَا أَخَوَيْنِ لِي كَانَا يَعْبُدَانِ اللَّهَ تَعَالَى مَعِيَ فِي هَذَا
الْمَكَانِ ، لَا يُشْرِكَانِ بِاللَّهِ شَيْئًا ، فَأَذْرَكُهُمَا الْمَوْتُ فَقَبْرَتُهُمَا ، وَهَآنَا بَيْنَ قَبْرَيْهِمَا حَتَّى
أَلْحَقَ بِهِمَا ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِمَا ، فَتَعَرَّعَتْ عَيْنَاهُ بِالْذُّمُوعِ ، فَأَنْكَبَ عَلَيْهِمَا وَجَعَلَ يَقُولُ :

خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا أَحَدُكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَائِكُمَا
أَلَمْ تَرَيَا أَنِّي بِسَمْعَانِ مُفْرَدٍ وَمَالِي فِيهَا مِنْ خَلِيلٍ سُوَاكُمَا
مُقِيمٌ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبُ صَدَاكُمَا
أُبْكِيكُمَا طَوَالَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَيَّ ذِي عَوْلَةٍ إِنْ بَكَاكُمَا
أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لَا تُجِيبَانِ دَاعِيَا كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْعَقَّارَ سَقَاكُمَا
كَأَنَّكُمَا وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ غَايَةٍ بِرُوحِي فِي قَبْرَيْكُمَا قَدْ أَتَاكُمَا
فَلَوْ جَعَلْتُ نَفْسِي لِنَفْسٍ وَقَايَةً لَجَدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَاكُمَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " رَحِمَ اللَّهُ قَسًا ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَبْعَثَهُ اللَّهُ أُمَّةً وَحَدَهُ " ١٢٣

١٢٣ - دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٤٢٤) وَفُتُونُ الْعَجَائِبِ لِأَبِي سَعِيدِ التَّقَاشِ (٤٠) وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَقَدْ رُوِيَ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ ، عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، مُنْقَطِعًا ، وَرُوِيَ مُخْتَصَرًا مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَإِذَا رُوِيَ حَدِيثٌ مِنْ أَوْجِهِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا ضَعِيفًا دَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْحَدِيثِ أَصْلًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

- المنعة : القوة - الجياد : جمع جواد وهو النجيب من الخيل - المناقب : الصفات ، وأكثر ما تستعمل في الفضائل وما يحمد من الأفعال - العي : العجز عن التعبير اللفظي بما يفيد المعنى المقصود - حسر : كشف - القلوص : الناقة الشابة القوية - الأمد : الغاية والزمن - وائم الله : أسلوب قسم بالله تعالى وأصلها إيمان الله - الحوبة : الخطيئة - الأثر : موضع السير - السبط : الجماعة أو الأمة أو القبيلة - الهوام : جمع هامة وهي كل ذات سم يقتل ، وأيضاً ما يدب من الحيوان وإن لم يقتل كالحشرات - المسوح : جمع مسح ، وهو كساء غليظ من الشعر - الفتور : الكسل والضعف - الأبدال : الأولياء والعباد ، سُمُوا بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أُبدلَ بآخر - على رسلك : تمهل ولا تعجل - الخنث في اليمين : نقضها ، والنكث فيها - طوي : اسم الجنة ، وقيل هي شجرة فيها - تبا : هلاكاً وخسراناً - الثرى : التراب التدي ، وقيل : هو التراب الذي إذا بُلَّ يصير طيناً - الهام : الرأس - الذؤابة : هي الشعر المضفور من شعر الرأس ، وذؤابة الشيء أعلاه - الأجرش : الذي في صوته جشّة ، وهي شدّة وغلظ - شرد : نفر وذهب في الأرض وهرب - عسّس : إذا أقبل بظلامه وإذا أدبر ، فهو من الأضداد - الطرف : النظر - الكلم : الكلام المختصر المفيد - المزاودة : الوعاء الذي يُحمل فيه الماء - الروضة : البستان - القضيب : العود - الأراك : هو شجر معروف له حَمْلٌ كعناقيد العنب ، واسمه الكبأ بفتح الكاف ، وإذا نُضِجَ يسمى المرّد - الفرق : الخوف والفرع - الخلق : القدم البالي - الدنو : الاقتراب - لاذ : لجأ واحتمى - الثكلي : من فقدت ولدها ، وثكلتك أمك : دعاء بالفقد والمراد به التعجب

المبحث الخامس

فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله

عَنْ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ ، مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ ، أَيُّهَا شَاءَ » ١٢٤ .

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَبَكَيْتُ فَقَالَ مَهْلًا لَمْ تَبْكِي فَوَاللَّهِ لَئِنْ اسْتَشْهَدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ وَلَئِنْ شَفَعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمْوَهُ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمْوَهُ الْيَوْمَ وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ » ١٢٥ .

وَعَنِ الصُّنَابِحِيِّ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ ، فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ لِي : مَهْ ، لَمْ تَبْكِي ؟ فَوَاللَّهِ لَئِنْ اسْتَشْهَدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ ، وَلَئِنْ شَفَعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ ، وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمْوَهُ ، إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمْوَهُ الْيَوْمَ ، وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ : مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ . ١٢٦

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ الْمَوْقِعَ وَهُوَ أَجْمَعُ أَوْ مِنْ أَجْمَعَ الْأَحَادِيثِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْعَقَائِدِ فَإِنَّهُ ﷺ جَمَعَ فِيهِ مَا يُخْرِجُ عَنْ جَمِيعِ مِلَلِ الْكُفْرِ عَلَى اخْتِلَافِ عَقَائِدِهِمْ وَتَبَاعُدِهِمْ فَاخْتَصَرَ ﷺ فِي هَذِهِ الْأَحْرُفِ عَلَى مَا يُبَيِّنُ بِهِ جَمِيعَهُمْ وَسَمَّى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَةً لِأَنَّهُ كَانَ

١٢٤ - صحيح البخاري (٣٤٣٥) و صحيح مسلم (١٤٩)

١٢٥ - صحيح مسلم (١٥١)

١٢٦ - صحيح ابن حبان - (ج ١ / ص ٤٣٢) (٢٠٢) صحيح

بِكَلِمَةٍ " كُنْ " فَحُسِبَ مِنْ غَيْرِ أَبِي بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ . قَالَ الْهَرَوِيُّ سُمِّيَ كَلِمَةً لِأَنَّهُ كَانَ عَنْ الْكَلِمَةِ فَسُمِّيَ بِهَا . كَمَا يُقَالُ لِلْمُطَرِّ رَحْمَةً . قَالَ الْهَرَوِيُّ : وَقَوْلُهُ تَعَالَى : { وَرُوحٌ مِنْهُ } أَيُّ رَحْمَةٍ . قَالَ : وَقَالَ ابْنُ عَرَفَةَ : أَيُّ لَيْسَ مِنْ أَبِي إِنَّمَا تَفَخَّ فِي أُمِّهِ الرُّوحُ وَقَالَ غَيْرُهُ وَرُوحٌ مِنْهُ أَيُّ مَخْلُوقَةٍ مِنْ عِنْدِهِ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ إِضَافَتُهَا إِلَيْهِ إِضَافَةً تَشْرِيفٍ كَنَاقَةِ اللَّهِ وَبَيَّتَ اللَّهُ . وَإِلَّا فَالْعَالَمُ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمِنْ عِنْدِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَوْلُهُ ﷺ : (أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ) هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى إِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ فِي الْجُمْلَةِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ مَعَاصٍ مِنَ الْكِبَائِرِ فَهُوَ فِي الْمَشِئَةِ فَإِنْ عَذَّبَ خُتِمَ لَهُ بِالْجَنَّةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا فِي كَلَامِ الْقَاضِي وَغَيْرِهِ مَبْسُوطًا مَعَ بَيَانِ الْاِخْتِلَافِ فِيهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .^{١٢٧}

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَعَاذِيِّ الْحُبْلِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سَجَلًا ، كُلُّ سَجَلٍ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ هَذَا ؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَلَفَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ ؟ فَيَنْهَتْ الرَّجُلُ وَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلَى ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ، فَيُخْرِجُ لَهُ بَطَاقَةً فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزَنْتَكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ . قَالَ : فَتَوَضَّعَ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ ، وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ ، وَثَقَلَتِ الْبَطَاقَةُ ، قَالَ : فَلَا يَثْقُلُ اسْمُ اللَّهِ شَيْئًا .^{١٢٨}

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبْلِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَلَكِ عُذْرٌ ، أَوْ حَسَنَةٌ ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ ، فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ ، فَيُخْرِجُ لَهُ بَطَاقَةً فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزَنْتَكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ . قَالَ : فَتَوَضَّعَ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ ، وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ ، وَثَقَلَتِ الْبَطَاقَةُ ، قَالَ : فَلَا يَثْقُلُ اسْمُ اللَّهِ شَيْئًا .^{١٢٨}

^{١٢٧} - شرح النووي على مسلم - (ج ١ / ص ١٠٣)

^{١٢٨} - صحيح ابن حبان - (ج ١ / ص ٤٦١) (٢٢٥) صحيح لغيره

إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبُطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ ؟
فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ ، قَالَ : فَيُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ ، وَالْبُطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتْ
السَّجَلَاتُ ، وَثَقُلَتِ الْبُطَاقَةُ^{١٢٩}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ
عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيحَانٌ مَزْرُورَةٌ بِالْدِّيَاكِجِ ، فَقَالَ : أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا (قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ
ابْنَ فَارِسٍ ! قَالَ) : يُرِيدُ (أَنْ) يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ (ابْنَ فَارِسٍ) وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاغٍ ابْنَ رَاغٍ
! قَالَ : فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ وَقَالَ : " أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا
يَقِيلُ " . ثُمَّ قَالَ : " إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا - ﷺ - لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ : إِنِّي قَاصٌّ
عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ : أَمْرُكَ بِاثْنَيْنِ ، وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَيْنِ . أَمْرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ
السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ (وَضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ ، رَجَحَتْ
بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ) كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً قَصَمْتُهُنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ ، وَأَنْهَاكَ
عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ " . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الْكِبْرُ ؟ الْكِبْرُ
أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ ؟ قَالَ : " لَا " . قَالَ : هُوَ أَنْ
يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبُسُهَا ؟ قَالَ : " لَا " . قَالَ : هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا ؟ قَالَ
: " لَا " . قَالَ : فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : " لَا " . قِيلَ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ فَمَا الْكِبْرُ ؟ قَالَ : " سَفَهُهُ الْحَقُّ وَغَمَصُ النَّاسِ " .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - أَعْرَابِيٌّ عَلَيْهِ جُبَّةٌ طَيَالِسَةٌ مَلْفُوفَةٌ بِدِيَاكِجٍ ، فَذَكَرَ
نَحْوَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَجَلَسَ فَقَالَ : " إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا
حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَعَا ابْنَيْهِ فَقَالَ : إِنِّي قَاصِرٌ عَلَيْكُمَا الْوَصِيَّةَ أَمْرُكُمَا بِاثْنَيْنِ ، وَأَنْهَاكُمَا عَنْ
اثْنَيْنِ أَنْهَاكُمَا عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ وَأَمْرُكُمَا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا لَوْ وَضِعَتْ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى كَانَتْ أَرْجَحَ

^{١٢٩} - المستدرک للحاکم (١٩٣٦) صحیح لغيره

وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا حَلَقَةً فَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهَا لَفَصَمَتْهَا أَوْ لَفَصَمَتْهَا " . رَوَاهُ كُلُّهُ أَحْمَدُ ١٣٠

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : " تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ ، وَيُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عَلَيْهِ فِي كِفَّةٍ ، فَيَتَمَازِلُ بِهِ الْمِيزَانُ ، فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَى النَّارِ " . قَالَ : " فَإِذَا أَدْبَرَ بِهِ إِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ : لَا تُعْجِلُوا لَا تُعْجِلُوا فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ ، فَيُؤْتَى بِبِطَاقَةٍ فِيهَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ حَتَّى يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ " رَوَاهُ أَحْمَدُ ١٣١

وَعَنْ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّامِتِ ، فَأَقْبَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصُّنَابِحِيُّ ، فَلَمَّا رَأَاهُ مُقْبِلًا قَالَ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ عُرِجَ بِهِ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ فَرَجَعَ وَهُوَ يَعْمَلُ عَلَى مَا رَأَى فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : حُرِّمَتْ النَّارُ عَلَى مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ . ١٣٢

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَا مُعَاذُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ ، قَالَ : " بَشِّرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ " . ١٣٣

١٣٠ - مسند أحمد (٦٧٤٠) صحيح

١٣١ - مسند أحمد (٧٢٦٤) حسن

١٣٢ - مسند الشاميين (٣٤) صحيح

١٣٣ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٤ / ص ٤٤٤) (١٦٥٠٩) صحيح

المبحث السادس الموت على عمل صالح

عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ: " يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ " ^{١٣٤}.
وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ ،
الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيْمَانِهِ ، وَالْمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِهِ. ^{١٣٥}
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجُمَحِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عَامِرٍ الْعَقَدِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ
الثَّوْرِيَّ ، وَتَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ
كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } (٢١) سورة
الْجاثية ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يُحَدِّثُ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ " ^{١٣٦}
وعن أبي هاني الخولاني ، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي وخالد بن أبي عمران ، يقولان :
قال رسول الله ﷺ : " من مات على خير عمله فأرجو له خيرا ، ومن مات على سيئ
عمله فخافوا عليه ولا تيأسوا " ^{١٣٧}
قال الشاعر ^{١٣٨}:

تزود من التقوى فإنك لا تدري...إذا جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من عروسٍ زينوها لزوجها...وقد أخذت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم...وقد أدخلت أرواحهم ظلمة القبر
وكم من سليم مات من غير علة...وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح لاهيًّا...وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

^{١٣٤} - صحيح مسلم (٧٤١٣)

^{١٣٥} - صحيح ابن حبان - (ج ١٦ / ص ٣٠٤) (٧٣١٣) صحيح

^{١٣٦} - المستدرک للحاکم (٣٦٨٨) صحيح

^{١٣٧} - مسند الشهاب القضاعي (٤٧٤) حسن

^{١٣٨} - موسوعة الشعر الإسلامي - (٣٨٣ / ١) وموسوعة خطب المنبر - (١ / ٤٤٦٦)

وكم ساكن عند الصباح بقصره... وعند المساء قد كان من ساكني القبر
فكن مخلصاً واعمل من الخير دائماً... لعلك تحظى بالمشوبة والأجر
وداوم على تقوى الإله فإنها... أمان من الأهوال في موقف الحشر

المبحث السابع

التحذير من سوء الخاتمة

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً وَلَا فَاذَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ ، فَقَالَ مَا أَجْزَأُ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأُ فُلَانٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَنَا صَاحِبُهُ . قَالَ فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ قَالَ فَجَرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ تَدْيِيهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : « وَمَا ذَاكَ » . قَالَ الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ أَنفَأَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ . فَقُلْتُ أَنَا لَكُمْ بِهِ . فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ تَدْيِيهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « عِنْدَ ذَلِكَ : » إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلُ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .^{١٣٩}

فَفِيهِ التَّحْذِيرُ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالْأَعْمَالِ ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ لَا يَتَّكِلَ عَلَيْهَا ، وَلَا يَرْكَنَ إِلَيْهَا مَخَافَةً مِنْ انْقِلَابِ الْحَالِ لِلْقَدَرِ السَّابِقِ . وَكَذَا يَنْبَغِي لِلْعَاصِي أَنْ لَا يَقْنَطَ وَلِغَيْرِهِ أَنْ لَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَمَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَكَذَا عَكْسُهُ أَنَّ هَذَا قَدْ يَقَعُ .^{١٤٠}

^{١٣٩} - صحيح البخارى (٢٨٩٨) - ذباب : طرف السيف الأسفل الذى يضرب به - الشاذة : الخارج عن صف الكفار

^{١٤٠} - شرح النووي على مسلم - (ج ١ / ص ٢٢٦)

المبحث الثامن

أسباب حسن الخاتمة

إقامة التوحيد لله جل وعلا

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} (٢٧) سورة إبراهيم^{١٤١}

والمسألة في القبر هي السؤال عن الرب والدين والنبي محمد ﷺ، فالسؤال يكون عن هذه الأمور الثلاثة، فالذي يوفقه الله عز وجل يأتي بالجواب السديد، ويأتي بالجواب المنجى، فيقول: إن الله ربه، وإن الإسلام دينه، وإن محمداً ﷺ نبيه، أو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ومن كان بخلاف ذلك وأدركه الخذلان، أو حصل له العذاب، فإنه يقول: ها ها لا أدري، فلا يجيب بالجواب الذي ينفعه، وإنما يأتي بالجواب الذي يضره. والسؤال في القبر هو لإظهار عدل الله عز وجل، وكون الإنسان ينعم بإحسانه وبإيمانه، ويعذب بمعصيته وعدم إيمانه، وليس ذلك ليعلم الله شيئاً كان غير معلوم له، بل هو عالم قد علم أولاً كل شيء سبحانه وتعالى، ولكن ليظهر للإنسان عدل الله عز وجل، وأن الإنسان يثاب على إحسانه ويعاقب على إساءته، وأن الإنسان إنما يؤتى من قبل نفسه. والسؤال في القبر هو مثل مسألة الميزان، فإن ذلك يرجع إلى إظهار عدل الله عز وجل، وأن الإنسان لا يبخس في شيء، فلا ينقص من الحسنات ولا يزداد من السيئات، ولا يعاقب بذنب لم يحصل منه، ويثاب بشيء قد حصل منه وبشيء لم يحصل منه فضلاً من الله عز وجل^{١٤٢}

^{١٤١} - صحيح البخارى (٤٦٩٩)

^{١٤٢} - شرح سنن أبي داود - عبد المحسن العباد - (ج ٢٧ / ص ٢٨٧)

التقوى

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (١٠٢) سورة آل عمران، قال: أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.^{١٤٣}

وعن مرة بن شراحيل، قال: قال عبد الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (١٠٢) سورة آل عمران، وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر وإيتاء المال على حبه أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخاف الفقر، وفضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية.^{١٤٤}

وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات. ومعنى ذكره فلا ينسى: ذكر العبد بقلبه لأوامر الله في حركاته وسكناته وكلماته فيمتثلها، ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها.

وهذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى الممات، فإن من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال صحته ونشاطه وإمكانه مداوما لتقوى ربه وطاعته، منيبا إليه على الدوام، ثبته الله عند موته وورثه حسن الخاتمة، وتقوى الله حق تقواه كما قال ابن مسعود: وهو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وهذه الآية بيان لما يستحقه تعالى من التقوى، وأما ما يجب على العبد منها، فكما قال تعالى: {فاتقوا الله ما استطعتم} وتفصيل التقوى المتعلقة بالقلب والجوارح كثيرة جدا، يجمعها فعل ما أمر الله به وترك كل ما نهى الله عنه.^{١٤٥}

وعن عبد الله، أنه كان يقول في خطبته: إن أصدق الحديث كلام الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير المِلل مِلَّة إبراهيم، وأحسن القصص هذا القرآن، وأحسن السنن

^{١٤٣} - المستدرک للحاکم (٣١٥٩) صحيح

^{١٤٤} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ٢٩٧) (٣٥٦٩٥) والسنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة - (ج ٧ / ص

٢٢٤) (١١٨٤٧) صحيح لغيره

^{١٤٥} - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ١٤١)

سُنَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأَشْرَفَ الْحَدِيثِ ذِكْرُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْأُمُورِ عَزَائِمُهَا ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَأَحْسَنَ الْهُدَى هَدْيُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَشْرَفَ الْمَوْتِ قَتْلُ الشَّهْدَاءِ ، وَأَعَزَّ الضَّلَالَةِ الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَى ، وَخَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَ ، وَخَيْرَ الْهُدَى مَا اتَّبَعَ ، وَشَرُّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ .

وَالْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَمَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى ، وَنَفْسٌ تُنْجِيهَا خَيْرٌ مِنْ أَمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا ، وَشَرُّ الْعَذَلَةِ عِنْدَ حَضْرَةِ الْمَوْتِ ، وَشَرُّ النَّدَامَةِ نَدَامَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الصَّلَاةَ إِلَّا دَبْرِيًّا ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا مُهَاجِرًا ، وَأَعْظَمَ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذُوبُ ، وَخَيْرَ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ، وَخَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَرَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ مَا أُلْقِيَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ ، وَالرَّيْبُ مِنَ الْكُفْرِ ، وَالنُّوحُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالْعُلُولُ مِنْ جَمَرِ جَهَنَّمَ ، وَالْكَنْزُ كَيْ مِنَ النَّارِ .
وَالشَّعْرُ مَزَامِيرُ إِبْلِيسَ ، وَالْخَمْرُ جِمَاعُ الْإِثْمِ ، وَالنِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ ، وَالشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ ، وَشَرُّ الْمَكَاسِبِ كَسْبُ الرِّبَا ، وَشَرُّ الْمَاكِلِ أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَإِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ مَا قَنَعَتْ بِهِ نَفْسُهُ ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ إِلَى مَوْضِعِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ وَالْأَمْرُ بِأَحْرِهِ ، وَأَمْلَكَ الْعَمَلِ بِهِ خَوَاتِمُهُ ، وَشَرُّ الرِّوَايَا رَوَايَا الْكَذِبِ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ .

وَسَبَابَ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقَتَالُهُ كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ ، وَمَنْ يَتَأَلَّى عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبُهُ ، وَمَنْ يَغْفِرُ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ ، وَمَنْ يَغْفُ يَغْفُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَنْ يَكْظِمُ الْغَيْظَ يَأْجُرُهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى الرَّزَايَا يُعْقِبَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَعْرِفَ الْبَلَاءَ يَصْبِرْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُهُ يُنْكِرُهُ ، وَمَنْ يَسْتَكْبِرْ يَضَعُهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ السُّمْعَةَ يُسْمِعَ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ يَنْوِ الدُّنْيَا تُعْجِزُهُ ، وَمَنْ يُطِيعِ الشَّيْطَانَ يَعْصِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ يَعْذِبُهُ .^{١٤٦}

^{١٤٦} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ٢٩٥) (٣٥٦٩٤) صحيح موقوف

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : تَقْوَى اللَّهِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ قِيلَ : فَمَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ ؟ قَالَ : الْأَجُوفَانِ : الْفَمُ وَالْفَرْجُ. ١٤٧

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَأَبِي الدَّهْمَاءِ قَالَا كَانَا يُكْثِرَانِ السَّفَرَ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ. قَالَا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ الْبَدَوِيُّ أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَالَ « إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللَّهِ حَلَّ وَعَزَّ إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ » ١٤٨.

التوكل على الله

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ لَا رُقِيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ . فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمْرُونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى رَفَعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، قُلْتُ مَا هَذَا أُمَّتِي هَذِهِ قِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ . قِيلَ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ . فَإِذَا سَوَادٌ يَمَلَأُ الْأُفُقَ ، ثُمَّ قِيلَ لِي انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ قِيلَ هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ ، فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَإِنَّا وَلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ - فَخَرَجَ فَقَالَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَلَا يَكْتُمُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » . فَقَالَ عُرْكَاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: « نَعَمْ » . فَقَامَ آخِرُ فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا قَالَ: « سَبَقَكَ عُرْكَاشَةُ » ١٤٩.

١٤٧ - صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ٢٢٤) (٤٧٦) صحيح

١٤٨ - مسند أحمد (٢١٢٨٢) صحيح

١٤٩ - صحيح البخاري (٥٧٠٥)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بَغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^{١٥٠}

الاستقامة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، أَرَادَ سَفَرًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: اعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ: إِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ: اسْتَقِمْ وَلْتَحَسِّنْ خُلُقَكَ^{١٥١}

وَعَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ^{١٥٢}

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ عِنْدَهَا امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ: هَذِهِ فُلَانَةُ، لَا تَنَامُ اللَّيْلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ مِنَ الْعَمَلِ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمْلُوا، قَالَتْ: وَكَانَ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَيْهِ الَّذِي يُدَاوِمُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، وَإِنْ قَلَّ^{١٥٣}

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّقْفِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ»^{١٥٤}

الأمانة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَلَّمَا خَطَبَنَا نَبِيُّنَا -ﷺ- أَوْ قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- إِلَّا قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»^{١٥٥}

^{١٥٠} - صحيح البخارى (٦٤٧٢)

^{١٥١} - المستدرک للحاکم (١٧٩) صحيح

^{١٥٢} - مسند الطيالسي (١٠٨٩) صحيح

^{١٥٣} - مسند أبي عوانة (١٧٧٨) صحيح

^{١٥٤} - صحيح مسلم (١٦٨)

^{١٥٥} - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٦ / ص ٢٨٨) (١٣٠٦٥) صحيح

وَعَنْ عُرْوَةَ قَالَ : لَا تَغُرَّتْكُمْ صَلَاةُ امْرِئٍ ، وَلَا صِيَامُهُ ، مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ صَلَّى ،
أَلَا لَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةٌ لَهُ.^{١٥٦}

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي كِلَابٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ
يَقُولُ : لَا يُعْجِبُكُمْ مِنَ الرَّجُلِ طَنْطَنَتُهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ وَكَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ فَهُوَ
الرَّجُلُ.^{١٥٧}



^{١٥٦} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١١ / ص ١٣) (٣٠٩٦٢) صحيح
^{١٥٧} - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٦ / ص ٢٨٨) (١٣٠٧٠) حسن لغيره

الباب الثالث الإنسان من مرضه حتى دفته

- المبحثُ الأولُ الترغيب في سؤال العفو والعافية
- المبحثُ الثانيُ النهي عن تمني الموت لضر نزل به
- المبحثُ الثالثُ الترغيب في الصبر وفضل البلاء
- المبحثُ الرابعُ فضل طول الحياة في طاعة الله تعالى
- المبحثُ الخامسُ الترغيب في كلمات يقولهن من آلمه شيء من جسده
- المبحثُ السادسُ الترغيب في عيادة المرضى
- المبحثُ السابعُ الترغيب في الوصية والعدل فيها
- المبحثُ الثامنُ فضل الموت
- المبحثُ التاسعُ الترهيب من كراهية الموت والترغيب بمحبته
- المبحثُ العاشرُ استحباب ذكر الموت والاستعداد له
- المبحثُ الحادي عشرُ تحسين الظن بالله والخوف منه
- المبحثُ الثاني عشرُ نذير الموت
- المبحثُ الثالث عشرُ علامة خاتمة الخير وسوءها
- المبحثُ الرابع عشرُ كيفية الموت وشدته
- المبحثُ الخامس عشرُ تلقين الميت
- المبحثُ السادس عشرُ ما جاء في ملك الموت وأعوانه
- المبحثُ السابع عشرُ من يحضر الميت من الملائكة
- المبحثُ الثامن عشرُ الحث على التوبة قبل فوات الأوان
- المبحثُ التاسع عشرُ الترغيب في كلمات يقولهن من مات له ميت
- المبحثُ العشرون معرفة الميت بمن يغسله ويجهزه
- المبحثُ الواحد والعشرون بكاء السموات والأرض على المؤمن
- المبحثُ الثاني والعشرون الترغيب في حفر القبور وغسل الموتى
- المبحثُ الثالث والعشرون الترغيب في تشييع الميت وحضور دفنه
- المبحثُ الرابع والعشرون الترغيب في كثرة المصلين على الجنازة
- المبحثُ الخامس والعشرون الترغيب في الإسراع بالجنازة وتعجيل الدفن

- المبحثُ السادس والعشرون الدفن في المكان المقدّر
- المبحثُ السابع والعشرون ما يقال عند الدفن
- المبحثُ الثامن والعشرون ضمة القبر
- المبحثُ التاسع والعشرون مخاطبة القبر للميت
- المبحثُ الثلاثون الترغيب في الدعاء للميت
- المبحثُ الواحد والثلاثون عذاب القبر ونعيمه
- المبحثُ الثاني والثلاثون من لا يسأل في القبر وما ينجي من عذاب القبر
- المبحثُ الثالث والثلاثون الترهيب من النياحة على الميت وغيرها
- المبحثُ الرابع والثلاثون الترهيب من إحداث المرأة على غير زوجها فوق ثلاث
- المبحثُ الخامس والثلاثون النهي عن أكل ما اليتيم بغير حق
- المبحثُ السادس والثلاثون الترغيب في زيارة القبور
- المبحثُ السابع والثلاثون الترهيب من المرور بقبور الظالمين
- المبحثُ الثامن والثلاثون أحوال الموتى في قبورهم
- المبحثُ التاسع والثلاثون باب صفة الدفن
- المبحثُ الأربعون الترهيب من الجلوس على القبر وكسر عظم الميت أو نبشه إلا لضرورة
- المبحثُ الواحد والأربعون النهي عن تجصيص القبر ورفعہ والصلاة إليه
- المبحثُ الثاني والأربعون الحث على تعزية المسلم
- المبحثُ الثالث والأربعون الحث على صنع الطعام لأهل الميت
- المبحثُ الرابع والأربعون النهي عن شق الجيوب ولطم الخدود والدعاء بدعوى الجاهلية
- المبحثُ الخامس والأربعون ما ينفع الميت في قبره

الباب الثالث

الإنسان من مرضه حتى دفته

المبحث الأول

الترغيب في سؤال العفو والعافية

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ قَالَ « سَلْ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ». ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ « فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَأُعْطِيتَهَا فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ ».. رواه الترمذي ^{١٥٨}

وَعَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ يَقُولُ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ - فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ حِينَ ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ - فِي هَذَا الْقَيْظِ عَامَ الْأَوَّلِ « سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْيَقِينَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى » رواه أحمد ^{١٥٩}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » أخرجه ابن ماجه ^{١٦٠}

وعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ - وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي قَالَ « قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي ». وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا إِبْهَامَ « فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ » رواه مسلم ^{١٦١}

^{١٥٨} - سنن الترمذي - المكثر - (٣٨٥٤) وابن ماجه (٣٨٤٨) والبيهقي في السنن ٥٠/٧ والمجمع ١٧٥/١٠ وهو

حديث حسن. فرت ونجحت.

^{١٥٩} - أحمد في مسنده برقم (٦) و الترمذي برقم (٣٥٠٩) وجامع الأصول ٣٣٩/٤. وهو حديث حسن

^{١٦٠} - برقم (٣٨٥١) ومصباح الزجاجة (١٣٥٧) وصححه والصحيحة (١١٣٨) وهو حديث صحيح.

^{١٦١} - برقم (٢٦٩٦) وأحمد ١٨٠/١ و ٤٧٢/٣ و ٣٨٢/٤

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: «تَقُولِينَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» ١٦٢ رواه الترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ » ١٦٣ رواه الترمذي

مَنْ رَأَى مُبْتَلًى : مرض أو مخنة أو عاهة ، فشكر الله وأثنى عليه.

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ رَأَى أَحَدًا بِهِ شَيْءٌ مِنْ الْبَلَاءِ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَيْكَ وَعَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ تِلْكَ النِّعْمَةِ " « أخرجه الطبراني في الدعاء ١٦٤

قلت : ومع سؤال المؤمن ربه العافية ، فلا بد أن يتلى ويختبر في هذه الدار ، قال تعالى { أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) } [العنكبوت/٢ ، ٣]

هَلْ ظَنَّ النَّاسُ أَنْ تَتْرَكُهُمْ وَشَأْنُهُمْ بِمُحَرَّدٍ نُطْقِهِمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَقَوْلِهِمْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، دُونَ أَنْ يَبْتَلِيَهُمُ اللَّهُ ، وَيَخْتَبِرَ صِدْقَ إِيْمَانِهِمْ : بِالْهَجْرَةِ ، وَالتَّكَالُيفِ الدِّيْنِيَّةِ الْآخَرَى ، وَالْجِهَادِ ، وَالْمَصَائِبِ؟ كَلَّا ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، يَحْسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ إِيْمَانٍ .

وَلَقَدْ أَمْتَحَنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ السَّالِفِينَ ، وَعَرَضَهُمْ لِلْفِتْنَةِ وَالْإِخْتِبَارِ ، وَغَايَتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِخْتِبَارِ هِيَ أَنْ يُمَحِّصَهُمْ فَيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَى الْإِيْمَانِ ، مِمَّنْ هُمْ كَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ ، وَلِيَجَازِيَ كَلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ .

١٦٢ - برقم (٣٥١٣) وابن ماجه (٣٥٨٠) وأحمد (١٨٥/٦) و٢٥٨ ، والحاكم ٥٣٠/١ وهو حديث صحيح.

١٦٣ - برقم (٣٤٣١ و ٣٤٣٢). و الدعاء طب (٨٠٠) والشعب (٤٤٤٥) وهو حديث صحيح لغيره

١٦٤ - برقم (٧٣٢ و ٧٣١) و المجمع ١٣٨/١٠ (١٧١٣٨) والشعب (٤٢٧١ و ١٠٧٠١) وهو حديث حسن.

" إن الإيمان بالله ، ليس مجرد كلمة ينطق بها اللسان ، وإنما هو عقيدة تسكن القلب ، وعمل تقوم به الجوارح ، وجهاد شاق متصل .. وبهذا يكون للإيمان وزنه واعتباره ، ويكون للمؤمنين شأنهم ومقامهم ..

فالمؤمنون ، الذين لقيتهم هذه الآيات في أول الدعوة الإسلامية — كانوا في وجه محنة قاسية ، حيث انخلعوا عن أهليهم ، وانعزلوا عن مجتمعهم ، وكانوا قلة قليلة في مواجهة عاصفة عاتية ، تسوق إليهم البلاء بغير حساب ، حتى هاجروا من ديارهم ، وخرجوا من أموالهم .. فلما اجتمع لهم في موطنهم الجديد ، شيء من القوة ، وأذن الله لهم في القتال — كان أول لقاء لهم ، مع آبائهم ، وأبنائهم ، وإخوتهم ، فعملت سيوفهم في رقاب المشركين من أهليهم وذوي رحمتهم ، فما نكل أحد منهم عن أن يضرب بسيفه من كان — قبل الإسلام — يفديه بنفسه ، ويلقى الموت دونه .. وقد حدث التاريخ أن أبا بكر لقي ابنه في معركة بدر ، وقد عرفه ابنه ولم يعرفه .. فلما كان بعد زمن ، ودخل ابنه في الإسلام ، قال لأبيه : لقد عرضت لي يوم بدر ، فأعرضت عنك ، فقال له أبو بكر ، لو عرضت لي يومئذ ، وأمكنني الله منك ، لما رددت سيفي عنك!! ولا شك أن هذه كانت تجربة ثقيلة على نفوس المؤمنين ، وقد احتملوها صابرين ، وكانت آيات الله تنزل عليهم ، فتبعث في نفوسهم المضطربة ، سكنا ، وتسوق إلى قلوبهم المتهبة ، بردا وسلاما.

ونجد في قوله تعالى : « أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » تصحيحا لما يقع في بعض النفوس المؤمنة من انزعاج أو استئفال لهذا العبء الذي حملوه من الإيمان بالله .. كما نجد في الآية والآيات التي بعدها إجابات قاطعة على تلك التساؤلات التي كانت تتردد في الخواطر : لم يكون الإيمان هكذا غالى الثمن ، باهظ التكاليف ؟ ولم يحملنا إيماننا بالله على هذا المركب الوعر ؟ ألسنا على الهدى ، وعلى الصراط المستقيم ؟ وهل هذا الطريق هكذا وعر المسالك ، مزدحم العقبات ؟ ونعم .. إن الإيمان هكذا غالى الثمن ، باهظ التكاليف ، وإن طريقه وعر المسالك جمّ العقبات!!

إنه الطريق إلى الجنة ، وإن طريق الجنة محفوف بالمكاره! وإن هذا البلاء الذي يلقيه المؤمن على طريق إيمانه ، هو ابتلاء له ، وتمحيص لما عنده من صبر ومصابرة .. وهل يصفى الذهب من الغناء الذي علق به ، إلا إذا صهر بالنار ؟ « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُؤَا أَخْبَارَكُمْ » (٣١ : محمد). « ما كان الله لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ » (١٧٩ : آل عمران). وهل انكشف وجه النفاق ، وعرف المنافقون إلا في بوتقة الابتلاء ، وفي مقام التضحية والبذل ؟

إن الناس جميعا على سواء في حال الأمن والعافية .. فإذا كانت المحن والشدائد ، فهم أنماط وأشكال ، وهم معادن مختلفة ، بين غث وthin! والاستفهام في الآية الكريمة ، للإنتكار ، والنفي .. أي ليس الأمر على ما يظن الناس وما يقدرّون ، من أنهم إذا قالوا آمنا كانوا مؤمنين .. كلا ، إن ذلك لا يكون حتى يفتنوا ، وحتى يبتلوا .. وعندئذ ينكشف ما عندهم من إيمان ..

قوله تعالى : « وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ » هكذا حكم الله في عباده .. فكما امتحن الله المؤمنين في الأمم السابقة ، يمتحن سبحانه الذين أسلموا ، بما يفتنهم ، في دينهم مما يلقيهم من شدائد ومحن .. فمن كان صادق الإيمان ، سليم العقيدة ، خالص النية ، أمسك إيمانه في قلبه ، وثبت عليه ، ومن كان على غير تلك الصفة انخلع عن دينه ، وألقى به لأول مرة تمسه من بلاء ، وباعه بأبخس ثمن!.

— وفي قوله تعالى : « فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ » — بهذا الأمر المؤكد — إعلان للمؤمنين بأنهم في وجه ابتلاء ، وفي مواجهة فتن ، لا بد لهم منها .. إن لم تكن واقعة بهم فعلا ، فإنها ستقع حتما .. هكذا يجب أن يتقرر في نفوسهم من أول الطريق .. فمن شاء أن يكون في المؤمنين ، فليوطن نفسه على هذا ، وليستعد لحمل أفدح الضربات .. وإلا فليأخذ طريقا غير هذا الطريق ، وأمامه أكثر من طريق فسيح!

والمؤمنون الأولون الذين دخلوا في الإسلام ، ورسخت أقدامهم فيه ، هم — كما شهد التاريخ — أصفى الناس جوهرًا ، وأكرمهم معدنًا .. فقد كانوا خلاصة مجتمعهم ، وثيقة عزم ، وقوة يقين .. فاحتملوا من الشدائد والحن ما تتصدع به الجبال الراسيات .. « فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا .. وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ » « ١٤٦ : آل عمران » ومن أجل هذا ، فقد شهد القرآن الكريم لهذه الصفوة المستخيرة من عباد الله أكرم شهادة ، وجعل ميزان الواحد منهم يعدل عشرة من غير المؤمنين ، فقال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ » (٦٥ : الأنفال) ..

وأنت ترى أن الصفة التي فرق بها القرآن بين هؤلاء المؤمنين ، والمشركون ، هي « الفقه » . وهو ليس ذلك العلم النظري ، وإنما هو الحق الذي يملأ القلوب نورا ، فيكشف لصاحبه من آيات الله ، ودلائل قدرته ، وعلمه ، وحكمته ، ما يصغر به كل شيء ، إزاء عظمة الخالق وجلاله .. "١٦٥

" إن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء وجهاد يحتاج إلى صبر ، وجهد يحتاج إلى احتمال. فلا يكفي أن يقول الناس : آمنا. وهم لا يتركون لهذه الدعوى ، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم. كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به - وهذا هو أصل الكلمة اللغوي وله دلالة وظله وإجاؤه - وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب.

هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت ، وسنة جارية ، في ميزان الله سبحانه : « وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ » ..

والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكتشف لعلم الله ، مغيب عن علم البشر فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم. وهو فضل من الله من جانب ، وعدل من

١٦٥ - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١٠ / ٤٠٠)

جانب ، وتربية للناس من جانب ، فلا يأخذوا أحدا إلا بما استعلن من أمره ، وبما حققه فعله. فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه!.

ونعود إلى سنة الله في ابتلاء الذين يؤمنون وتعريضهم للفتنة حتى يعلم الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين.

إن الإيمان أمانة الله في الأرض ، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة ، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص. وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة ، وعلى الأمن والسلامة ، وعلى المتاع والإغراء. وإنها لأمانة الخلافة في الأرض ، وقيادة الناس إلى طريق الله ، وتحقيق كلمته في عالم الحياة. فهي أمانة كريمة وهي أمانة ثقيلة ، وهي من أمر الله يضطلع بها الناس ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء.

ومن الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله ثم لا يجد النصير الذي يساعده ويدفع عنه ، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان. وهذه هي الصورة البارزة للفتنة ، المعهودة في الذهن حين تذكر الفتنة. ولكنها ليست أعنف صور الفتنة. فهناك فتن كثيرة في صور شتى ، ربما كانت أمر وأدهى.

هناك فتنة الأهل والأحياء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه ، وهو لا يملك عنهم دفعا. وقد يهتفون به ليسالم أو ليستسلم وينادونه باسم الحب والقرابة ، واتقاء الله في الرحم التي يعرضها للأذى أو الهلاك. وقد أشير في هذه السورة إلى لون من هذه الفتنة مع الوالدين وهو شاق عسير.

وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين ، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين ، تهتف لهم الدنيا ، وتصفق لهم الجماهير ، وتتحطم في طريقهم العوائق ، وتصاغ لهم الأبحاد ، وتصفو لهم الحياة. وهو مهمل منكر لا يحس به أحد ، ولا يحامي عنه أحد ، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئا.

وهناك فتنة الغربة في البيئة والاستيحاش بالعقيدة ، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حوله غارقا في تيار الضلالة وهو وحده موحد عريب طريد.

وهناك فتنة من نوع آخر قد نراها بارزة في هذه الأيام. فتنة أن يجد المؤمن أمما ودولا غارقة في الرذيلة ، وهي مع ذلك راقية في مجتمعتها ، متحضرة في حياتها ، يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الإنسان.

ويجدها غنية قوية ، وهي مشاققة لله! وهنا لك الفتنة الكبرى. أكبر من هذا كله وأعنف. فتنة النفس والشهوة. وجاذبية الأرض ، وثقله اللحم والدم ، والرغبة في المتاع والسلطان ، أو في الدعة والاطمئنان. وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه ، مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس ، وفي ملابسات الحياة ، وفي منطق البيئة ، وفي تصورات أهل الزمان! فإذا طال الأمد ، وابطأ نصر الله ، كانت الفتنة أشد وأقسى. وكان الابتلاء أشد وأعنف. ولم يثبت إلا من عصم الله. وهؤلاء هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان ، ويؤمنون على تلك الأمانة الكبرى ، أمانة السماء في الأرض ، وأمانة الله في ضمير الإنسان.

وما بالله - حاشا لله - أن يعذب المؤمنين بالابتلاء ، وأن يؤذيههم بالفتنة. ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة.

فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات ، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام ، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله أو في ثوابه ، على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء.

والنفس تصهرها الشدائد فتتفني عنها الخبث ، وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع. وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل. وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات ، فلا يبقى صامدا إلا أصلبها عودا وأقواها طبيعة ، وأشدّها اتصالا بالله ، وثقة فيما عنده من الحسنيين : النصر أو الأجر ، وهؤلاء هم الذين يسلّمون الراية في النهاية. مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار.

وإنهم ليتسلمون الأمانة وهي عزيزة على نفوسهم بما أدوا لها من غالي الثمن وبما بذلوا لها من الصبر على الحن وبما ذاقوا في سبيلها من الآلام والتضحيات. والذي يذل من دمه وأعصابه ، ومن راحته واطمئنانه ، ومن رغائبه ولذاته. ثم يصبر على الأذى والحرمان

يشعر ولا شك بقيمة الأمانة التي بذل فيها ما بذل فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه التضحيات والآلام.

فأما انتصار الإيمان والحق في النهاية فأمر تكفل به وعد الله. وما يشك مؤمن في وعد الله. فإن أبطأ فلحكمة مقدرة ، فيها الخير للإيمان وأهله. وليس أحد بأغير على الحق وأهله من الله. وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة ، ويقع عليهم البلاء ، أن يكونوا هم المختارين من الله ، ليكونوا أمناء على حق الله. وأن يشهد الله لهم بأن في دينهم صلابة فهو يختارهم للابتلاء : جاء في الصحيح : «أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء» ..^{١٦٦}

^{١٦٦} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٧٢٠)

المبحث الثاني

النهي عن تمني الموت لضر نزل به

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ: « اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي » أَخْرَجَهُ الشَّيْخَان ^{١٦٧}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ ^{١٦٨} ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا » أَخْرَجَهُ مُسْلِم ^{١٦٩}

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا تَمْنُوا الْمَوْتَ ، فَإِنْ هَوَلَ الْمُطَّلِعُ شَدِيدًا ^{١٧٠} وَإِنْ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَطُولَ عُمُرُ الْعَبْدِ وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ » أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ^{١٧١}

وَعَنْ أُمِّ الْفَضْلِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِمْ وَعَبَّاسُ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَشْتَكِي ، فَتَمَنَّى عَبَّاسُ الْمَوْتَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَا عَمَّ ، لَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ ، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ مُحْسِنًا ، فَإِنْ تَوَخَّرَ تَزَدَدَ إِحْسَانًا إِلَى إِحْسَانِكَ خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئًا فَإِنْ تَوَخَّرَ فَتُسَعِّتَبْ مِنْ إِسَاءَتِكَ خَيْرٌ لَكَ ، فَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ » أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ^{١٧٢}

^{١٦٧} - البخاري برقم (٥٦٧١ و ٦٥٣١ و ٧٢٣٣) ومسلم (٢٦٨٠).

^{١٦٨} - إلا من ثلاث كما سيمر إن شاء الله .

^{١٦٩} - برقم (٢٦٨٢) وأحمد في مسنده برقم (٨٤١٣).

^{١٧٠} - ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقب الموت.

^{١٧١} - ٣٣٢/٣ (١٤٩٣٨) والجمع ٢٠٣/١٠ وهو حديث حسن لغيره. الإنابة: الرجوع إلى الله بالتوبة

^{١٧٢} - برقم (١٢٥٤) وطب (٢٠٥٦٧) وأحمد في مسنده ٦/٣٣٦ والجمع ٢٠٢/١٠ ٣٣٩ وهو حديث صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: « لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ وَلَا يَدْعُو بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ وَثِقَ بِعَمَلِهِ، فَإِنَّهُ إِنْ مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمرُهُ إِلَّا خَيْرًا » أخرجه أحمد في مسنده ١٧٣

وَعَنْ عبيدة ، قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ : مَا يُحْبَسُ أَشْقَاهَا أَنْ يَجِيءَ فَيَقْتُلُنِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ سَمِعْتُهُمْ وَسَمِعُونِي ، فَأَرْحَمِي مِنْهُمْ وَأَرْحَهُمْ مِنِّي . أخرجه عبد الرزاق ١٧٤

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ لَمَّا صَدَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ مَنَى أَنَاخَ بِالْأَبْطَحِ ثُمَّ كَوَّمَ كَوْمَةً بَطْحَاءَ ثُمَّ طَرَحَ عَلَيْهَا رِداءَهُ وَاسْتَلْقَى ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ اللَّهُمَّ كَبِّرْتَ سِنِّي وَضَعَفْتَ قُوَّتِي وَانْتَشَرْتَ رَعِيَّتِي . فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُضِيعٍ وَلَا مُفَرِّطٍ » أخرجه مالك في الموطأ ١٧٥

أفادت هذه الأحاديث النهي عن تمني الموت، وحمله قوم على الضرر الديني، فإن وجد الضرر الأخرى بأن حشي الفتنة في دينه لم يدخل في النهي لحديث: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ))^{١٧٦}. ولحديث « وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ » رواه الترمذي^{١٧٧}، وللأحاديث التي ذكرت أعلاه عن تمني بعض الصحابة الموت ، وتمني مطلق الموت فيه نوع اعتراض على الله ، ومراغمة للقدر المحتوم ..))^{١٧٨}

وَقَالَ التَّوَوِيُّ فِي الْحَدِيثِ التَّصْرِيحُ بِكَرَاهَةِ تَمَنِّي الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلِ بِهِ مِنْ فَاقَةٍ أَوْ مِحْنَةٍ بَعْدُو وَنَحْوِهِ مِنْ مَشَاقِّ الدُّنْيَا ، فَأَمَّا إِذَا خَافَ ضَرَرًا أَوْ فِتْنَةً فِي دِينِهِ فَلَا كَرَاهَةَ فِيهِ لِمَقْهُومِ هَذَا الْحَدِيثِ ، وَقَدْ فَعَلَهُ خَلَائِقُ مِنَ السَّلَفِ بِذَلِكَ ، وَفِيهِ أَنْ مَنْ خَالَفَ فَلَمْ يَصْبِرْ

^{١٧٣} - (٨٨٣٩) والمتمين عن الحسن مرسلا (١١١) وهو حديث صحيح، ولكن من يثق بعمله !؟

^{١٧٤} - برقم (٢٠٦٣٨ و ١٨٦٧١) ومصنف ابن أبي شيبة (ج ١٤ / ص ٥٩٧) (٣٨٢٥٥) وابن سعد ٣٤/٣ صحيح موقوف.

^{١٧٥} - برقم (١٥١٢) وابن سعد ٣٣٤/٣ و ٣٣٥ وعب (٢٠٦٣٩ و ٢٠٦٤٠) وطب (١٥٠٢٠) وإسناده صحيح.

^{١٧٦} - أخرجه في الموطأ برقم (٥٧) والبخاري برقم (٧١١٥) ومسلم برقم (١٥٧).

^{١٧٧} - برقم (٣٥٤١) وهو صحيح

^{١٧٨} - راجع الفتح ١٠/١٢٨ - ١٣١.

عَلَى الضَّرِّ وَتَمَنَّى الْمَوْتَ لِضَرْ نَزَلَ بِهِ فَلْيَقُلْ الدُّعَاءَ الْمَذْكُورَ . قُلْتُ : ظَاهِرُ الْحَدِيثِ
الْمَنْعُ مُطْلَقًا وَالِاقْتِصَارُ عَلَى الدُّعَاءِ مُطْلَقًا ، لَكِنَّ الَّذِي قَالَهُ الشَّيْخُ لَا بَأْسَ بِهِ لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُ
التَّمَنِّي لِيَكُونَ عَوْنًا عَلَى تَرْكِ التَّمَنِّي . ١٧٩

١٧٩ - فتح الباري لابن حجر - (ج ٢٠ / ص ٢٧٩)

المبحث الثالث

الترغيب في الصبر وفضل البلاء

لقد وردت آيات عديدة تحت على الصبر ، وتبين أجر الصابرين ، قال تعالى :
{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ
عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) [البقرة/١٥٥-١٥٧]}

يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ سَيَبْلُوهُمْ وَيَخْتَبِرُهُمْ بِقَلِيلٍ (بَشْيءٍ) مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ،
وَبِذَهَابِ بَعْضِ الْمَالِ ، وَبِمَوْتِ بَعْضِ الْأَصْحَابِ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَحْبَابِ ، وَبِنَقْصِ غِلَالِ
الْمَزَارِعِ . . . فَمَنْ صَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ أَتَابَهُ ، وَمَنْ قَنَطَ وَلَجَّ أَحَلَّ بِهِ عِقَابَهُ .

أَمَّا الصَّابِرُونَ الَّذِينَ خَصَّهُمُ اللَّهُ بِالْبُشْرَى فَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنَ اللَّهِ ، وَإِذَا
نَزَلَتْ بِهِمْ مُصِيبَةٌ صَبَرُوا ، وَتَمَسَّكُوا بِقَوْلِهِمْ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ، أَيْ إِنَّهُمْ عَبِيدُ
اللَّهِ وَمُلْكُهُ ، وَإِنَّهُمْ رَاغِبُونَ إِلَيْهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ .

يُثْنِي اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّابِرِينَ ، وَيُخَبِّرُ بِأَنَّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ، وَأَنَّهُمْ يَجِدُونَ أَثَرَهَا
فِي بَرْدِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ نَزُولِ الْمُصِيبَةِ ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الْمُهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ ، وَإِلَى الْحَقِّ
وَالصَّوَابِ ، وَأَنَّهُمْ اسْتَسْلَمُوا لِقَضَاءِ اللَّهِ فَلَمْ يَسْتَحْذِرُوا الْجَزَعَ عَلَيْهِمْ .

" فالناس جميعا مبتلون في هذه الحياة — سواء أكانوا أفرادا أو جماعات أو أمما — بشيء
من الخوف والجوع — يختلف قلة وكثرة — وينقص في الأموال والأنفس والثمرات ..
فليس أحد في هذه الدنيا بمأمن أبدا من أن تنزل به هذه النوازل ، متفرقة أو مجمعة ..

والجزع في هذه المواطن هو الذي يثقل المصيبة ، ويولد منها مصائب ، فيضاعف معها
البلاء ، ويعظم الألم ، ويطبق اليأس ، ويغلق كل باب للأمل والرجاء!.

أما الذي يلقي أحداث الحياة ومصائبها بالصبر ، ويواجهها بالتسليم والرضا ، عن يقين
وإيمان بأن ما وقع إنما هو بقضاء الله وقدره — فإن ذلك يهون عليه من وقع المصائب وإن
عظمت ، ويمدّه بمعين عظيم من الصبر والاحتمال ، ويفتح له بابا واسعا من الأمل

والرجاء فيما هو خير عند الله وأبقى : « وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ » فحين يذكر المؤمن أنه — ذاتا ومالا وأهلا وولدا — ملك لله ، لا يملك مثقال ذرة مما في ملك الله ، وأن مصائر الأمور كلها إلى الله ، ومردّها جميعا إليه — حين يذكر المؤمن هذا لا يأسى على فائت ، ولا يحزن على مفقود ، وتلك هى أولى بشرى المؤمنين فى هذه الدنيا ، لا يتزل الحزن ساحتهم ، ولا يرهق الهم والكرب قلوبهم : « أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ».^{١٨٠}

" فلا بد من تربية النفوس بالبلاء ، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد ، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات .. لا بد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة ، كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف. والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى. فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين. وكلما تألموا في سبيلها ، وكلما بذلوا من أجلها .. كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها. كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها .. إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم : لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيرا مما يتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء ، ولا صبروا عليه .. وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها ، مقدرين لها ، مندفعين إليها .. وعندئذ يجيء نصر الله والفتح ويدخل الناس في دين الله أفواجا ..

ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى. فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد. والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتصدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون ، والران عن القلوب.

وأهم من هذا كله ، أو القاعدة لهذا كله .. الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها ، وتتوارى الأوهام وهي شتى ، ويخلو القلب إلى الله وحده. لا يجد سندا إلا سنده. وفي

^{١٨٠} - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١ / ١٧٦)

هذه اللحظة فقط تنجلي الغشاوات ، وتفتح البصيرة ، وينجلي الأفق على مد البصر ..
لا شيء إلا الله .. لا قوة إلا قوته .. لا حول إلا حوله .. لا إرادة إلا إرادته .. لا ملجأ
إلا إليه .. وعندئذ تلتقي الروح بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها تصور صحيح ..
والنص القرآني هنا يصل بالنفس إلى هذه النقطة على الأفق : «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» .. إنا لله .. كلنا .. كل ما فينا .. كل
كياننا وذاتيتنا .. لله .. وإليه المرجع والمآب في كل أمر وفي كل مصير .. التسليم ..
التسليم المطلق .. تسليم الالتجاء الأخير المنبثق من الالتقاء وجهها لوجه بالحقيقة الوحيدة ،
وبالتصور الصحيح.

هؤلاء هم الصابرون .. الذين يبلغهم الرسول الكريم بالبشرى من المنعم الجليل ..
وهؤلاء هم الذين يعلن المنعم الجليل مكانهم عنده جزاء الصبر الجميل : «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» .. صلوات من ربهم .. يرفعهم بها
إلى المشاركة في نصيب نبيه الذي يصلي عليه هو وملائكته سبحانه .. وهو مقام كريم ..
ورحمة .. وشهادة من الله بأنهم هم المهتدون .. وكل أمر من هذه هائل عظيم ..
وبعد .. فلا بد من وقفة أمام هذه الخاتمة في تلك التعبئة للصف الإسلامي . التعبئة في
مواجهة المشقة والجهد ، والاستشهاد والقتل ، والجوع والخوف ، ونقص الأموال
والأنفس والثمرات . والتعبئة في هذه المعركة الطويلة الشاقة العظيمة التكليف .
إن الله يضع هذا كله في كفة . ويضع في الكفة الأخرى أمرا واحدا .. صلوات من ربهم
ورحمة وأولئك هم المهتدون .. إنه لا يعدهم هنا نصرا ، ولا يعدهم هنا تمكينا ، ولا
يعدهم هنا مغنا ، ولا يعدهم هنا شيئا إلا صلوات الله ورحمته وشهادته .. لقد كان الله
يعد هذه الجماعة لأمر أكبر من ذواتها وأكبر من حياتها .

فكان من ثم يجردها من كل غاية ، ومن كل هدف ومن كل رغبة من الرغبات البشرية -
حتى الرغبة في انتصار العقيدة - كان يجردها من كل شائبة تشوب التجرد المطلق له
ولطاعته ولدعوته .. كان عليهم أن يمضوا في طريقهم لا يتطلعون إلى شيء إلا رضى الله
وصلواته ورحمته وشهادته لهم بأنهم مهتدون .. هذا هو الهدف ، وهذه هي الغاية ، وهذه

هي الشجرة الحلوة التي تهفو إليها قلوبهم وحدها .. فأما ما يكتبه الله لهم بعد ذلك من النصر والتمكين فليس لهم ، إنما هو لدعوة الله التي يحملونها.

إن لهم في صلوات الله ورحمته وشهادته جزاء. جزاء على التضحية بالأموال والأنفس والشرات. وجزاء على الخوف والجوع والشدة. وجزاء على القتل والشهادة .. إن الكفة ترجح بهذا العطاء فهو أثقل في الميزان من كل عطاء. أرجح من النصر وأرجح من التمكين وأرجح من شفاء غيظ الصدور ..

هذه هي التربية التي أخذ الله بها الصف المسلم ليعده ذلك الإعداد العجيب ، وهذا هو المنهج الإلهي في التربية لمن يريد استخلاصهم لنفسه ودعوته ودينه من بين البشر أجمعين.^{١٨١}

وقال تعالى : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣) [آل عمران/ ١٤٢، ١٤٣] }

وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّكُمْ تُدْخِلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَبِرَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَيُمَحِّصَكُمْ فِي الشَّدَائِدِ وَالْجِهَادِ لِيَرَى صِدْقَ إِيْمَانِكُمْ ، وَيَرَى مَنْ يَسْتَجِيبُ لِلَّهِ ، وَيُخْلِصُ فِي طَاعَتِهِ ، وَقَالَ أَعْدَائِهِ ، وَيَصْبِرُ عَلَى مَكَارِهِ الْحُرُوبِ .

يُخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَهِدَ وَقَعَةَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا ، وَكَانُوا يَتَحَرَّقُونَ شَوْقًا لِلْقِتَالِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَكُونَ لَهُمْ يَوْمَ كَيْومٍ بَدْرٌ ، وَقَدْ أَلْحُوا عَلَى الرَّسُولِ ﷺ فِي الْخُرُوجِ إِلَى أَحَدٍ لِيُقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ . وَيَقُولُ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ : لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُلَاقُوا الْقَوْمَ فِي مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ ، فَهَذَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ فَمَا بِالْكُمْ دَهَشْتُمْ عِنْدَمَا وَقَعَ الْمَوْتُ فِيكُمْ؟ وَمَا بِالْكُمْ تَحْزَنُونَ وَتَضَعِفُونَ عَنْ لِقَاءِ مَا كُنْتُمْ تُحِبُّونَ وَتَمَنَّوْنَ؟^{١٨٢}

^{١٨١} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ١٤٥)

^{١٨٢} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٣٥)

" إن بلاء المؤمنين وجهادهم ، هو الذي يكشف عن إيمانهم ، ويعطى الدليل العملي لهم وللناس ، أنهم مؤمنون حقاً ، وأنهم أدوا حقّ هذا الإيمان ، بلاء وجهاداً .
وفى قوله تعالى : « وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ » لا يتعلق علم الله بجهادهم وصبرهم . فعلم الله واقع على ما كان منهم وما سيكون قبل أن يكون ، ولكن المراد بالعلم هنا ، علم المعلوم في حال وقوعه ، أي علمه على الصفة التي وقع عليها .. وهذا وإن كان واقعا في علم الله ، إلا أنه علم غيب لما سيقع ، والمراد بالعلم هنا علم الشهادة لما وقع .

والذي تضمنته هذه الآيات الكريمة ، تعقيبا على هذا الحدث — هو عزاء جميل من الله سبحانه وتعالى للنبي وللمؤمنين .. ففي قوله تعالى : « وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ » نفحة من الله ، تنزل على النبي وعلى المؤمنين معه ، بما يهون عليهم كل مصاب ، ويجلو عن صدورهم كل همّ وحزن ! وهل مع قول العزيز الرحيم : « وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا » يكون ما يوهن ويضعف ، أو يبقى ما يسوء ويحزن ؟
وسبحانك ربّي ! ما أوسع رحمتك ، وما أعظم فضلك ، وما أكثر بركّ بالمؤمنين ، ورعايتك للمجاهدين ! تبتليهم في أموالهم وأنفسهم ، لتضاعف لهم الأجر ، وتعظم لهم المثوبة ، ثم تعود بفضلك ورحمتك فتعافيهم مما ابتليتهم به ، وتملأ قلوبهم سكينه ورضى ومسرة ، بما تسوق إليهم من رحمتك وبشريات ! وفى قوله تعالى : « وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ » حكم من لدن حكيم عليم ، حكم به للمؤمنين أن يكونوا دائما في المرتلة العليا في هذه الحياة .. لهم العزة والغلب على أعدائهم أبدا ، مصداقا لقوله تعالى : « وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا » (١٤١ : النساء) وفى قوله تعالى : « إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » تثبيت للمؤمنين على الإيمان ..

وأنهم إذا ثبتوا على إيمانهم ، وأعطوا هذا الإيمان حقّه من الصبر والتقوى ، فإنهم لن يهنوا ولن يحزنوا أبدا ، وأنهم الأعلون أبدا ..
وقوله تعالى : « إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ » هو عزاء آخر للمؤمنين لما أصيبوا به في أنفسهم ، ولما أصيبوا به في أهلهم ..

وأنهم إن يكونوا قد أصيبوا اليوم بما يؤلم ويوجع ، فقد أصابوا هم أعداءهم بما يؤلم ويوجع! ثم ليعلم المؤمنون من هذا أن طريقهم في مسيرتهم مع الإسلام ليست كلها يوما واحدا كيوم بدر ، بل إنهم سيغلبون ويغلبون ، ويقتلون ويقتلون ، ويصيبون ويصابون .. وهكذا الدنيا .. وتلك سنة الحياة فيها .. لا تدوم على وجه واحد ، بل هي وجوه متقلبة متغيرة! تقبل وتدبر ، وتضحك وتبكي ..

وذلك هو الذي يعطى الحياة حيوية ، وهو الذي يغرى الناس بالسعي والعمل ، لينتقلوا من حال إلى حال ، ومن وضع إلى وضع .. ولو أخذ الناس بوضع ثابت مستقر — ولو كان ذلك في أحسن حال ، وأمكن وضع — لما ت في أنفسهم نوازع التطلعات إلى المستقبل ، ولحمت فيهم جذوة الحماس للكفاح والنضال.

وقوله تعالى : « وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ » بيان لحكمة الله من هذا الابتلاء .. ففي هذا الابتلاء ، وتحت وطأة القتال ، ينكشف إيمان المؤمنين ، ويعرف ما عندهم من صدق وبلاء .. فيكتب لهم ما كان في علم الله ، وما وقع منهم ، وهو أنهم مؤمنون مجاهدون! وفي قوله تعالى : « وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ » إشارة إلى أن جماعة المؤمنين الذين كانوا مع النبي في أحد — كانوا جميعا على درجة عالية من الإيمان ، وأن أنزلهم درجة في هذا الإيمان كان مؤهلا لأن يكون في عداد الشهداء ، ولهذا جاء قوله تعالى : « وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ » خطابا لهم جميعا ، وكان نسق النظم أن يجيء هكذا : « وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ » ، ولكن هذا يعزل بعض المجاهدين عن أن يكونوا في المؤمنين ، الصالحين لأن يتخذ الله منهم شهداء ..

وفي قوله تعالى : « وَيَتَّخِذَ » إشارة كريمة إلى هذا المقام الكريم الذي يرتفع إليه الشهداء ، وأنهم خيار المؤمنين ، والمصطفين منهم ، ولهذا اتخذهم الله شهداء .. إذ الاتخاذ أخذ عن اختبار واختيار .. وفي قوله تعالى : « وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » تحريض للمسلمين على قتال المشركين ، واحتمال المكروه في سبيل إضعافهم أو القضاء عليهم ، لأنهم ظالمون لأنفسهم ، بصرفها عن الهدى إلى الضلال ، وظالمون للإنسانية إذ هم قوى شريرة عاملة على طمس معالم الهدى وصد الناس عن الخير .. « وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » ومن لا يحبّه

اللّٰهُ فهو عدو للّٰه ، يجب على أولياء اللّٰه أن يعادوه ، ويخلصوه من الذي في يديه ، يرمى به نفسه ، ويصيب به الناس .

وقوله تعالى : « وَلِيْمَحْصَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِيْنَ » أي من تمام حكمة هذا الابتلاء فيما بين المؤمنين والكافرين أن يمحّص اللّٰه المؤمنين بهذا الابتلاء ، وينقيهم من دخائل الضعف والوهن ، بملاقاة الشدائد والصبر عليها ، كما أن في هذا الابتلاء إضعافا لشوكة الكافرين وتوهينا لقوى البغي والعدوان ، المتربصة بالإيمان وبالمؤمنين .

وقوله تعالى : « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰبِرِيْنَ » بيان آخر للحكمة من هذا الابتلاء الذي ابتلى اللّٰه به المؤمنين ، في قتال الكافرين ، وهو أن هذا الابتلاء هو الذي يكشف عن إيمان المؤمنين ، وصبرهم على المكروه ، واحتمالهم الأذى في سبيل اللّٰه ، وذلك هو الذي يميز الخبيث من الطيب ، ويجعل لكل مكانه عند اللّٰه .. فالجنة للمجاهدين الصابرين .. والنار للمشركين المعاندين .

وقوله تعالى : « وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ » .

هو عتاب رقيق للمؤمنين الذين شهدوا القتال في أحد ، ثم تحوّل بعضهم عن موقف الموت ، إلى حيث السلامة وجمع الغنائم ، بعد أن لاحت بوارق النصر للمؤمنين : كما أن كثيرا منهم ترك القتال بعد أن بانت الهزيمة في جانب المسلمين .. فلقد كان كثير من المسلمين الذين شهدوا أحدا ، ولم يكونوا قد شهدوا بدرا — كانوا يأسفون على أن فاتهم حظّهم من الجهاد في معركة بدر ، وتعرضهم للاستشهاد في سبيل اللّٰه .. فخرجوا إلى أحد على نية الاستشهاد .. فلما كان من هؤلاء وهؤلاء ، ما كان في أحد ، من إقبال على الغنائم ، أو فرار من المعركة — كان هذا العتاب الرقيق من اللّٰه سبحانه وتعالى لهم ، ليذكّرهم بأنهم قالوا ولم يفعلوا ، وهذا موقف لا يرضاه اللّٰه لهم ، إذ يقول سبحانه : « يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » (٢) — ٣ : الصف) وفي قوله تعالى : « فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ »

تأسيف وتندم ، لأولئك الذين فاتهم الاستشهاد في « أحد » وأهم قد ضنوا بأنفسهم عن هذا المقام الكريم ، حتى لقد اكتفوا بأن يروا الموت في غيرهم وهم ينظرون إليه من بعيد! ^{١٨٣}

" إن صيغة السؤال الاستنكارية يقصد بها إلى التنبيه بشدة إلى خطأ هذا التصور : تصور أنه يكفي الإنسان أن يقولها كلمة باللسان : أسلمت وأنا على استعداد للموت. فيبلغ بهذه الكلمة أن يؤدي تكاليف الإيمان ، وأن ينتهي إلى الجنة والرضوان! إنما هي التجربة الواقعية ، والامتحان العملي. وإنما هو الجهاد وملاقاة البلاء ، ثم الصبر على تكاليف الجهاد ، وعلى معاناة البلاء.

وفي النص القرآني لفظة ذات مغزى : «وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ» .. «وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ» ..

فلا يكفي أن يجاهد المؤمنون. إنما هو الصبر على تكاليف هذه الدعوة أيضا. التكاليف المستمرة المتنوعة التي لا تقف عند الجهاد في الميدان. فربما كان الجهاد في الميدان أخف تكاليف هذه الدعوة التي يطلب لها الصبر ، ويختبر بها الإيمان. إنما هنالك المعاناة اليومية التي لا تنتهي : معاناة الاستقامة على أفق الإيمان. والاستقرار على مقتضياته في الشعور والسلوك ، والصبر في أثناء ذلك على الضعف الإنساني : في النفس وفي الغير ، ممن يتعامل معهم المؤمن في حياته اليومية. والصبر على الفترات التي يستعلي فيها الباطل وينتفش ويبدو كالمنتصر! والصبر على طول الطريق وبعد الشقة وكثرة العقبات. والصبر على وسوسة الراحة وهفوة النفس لها في زحمة الجهد والكرب والنضال. والصبر على أشياء كثيرة ليس الجهاد في الميدان إلا واحدا منها ، في الطريق المحفوف بالمكاره. طريق الجنة التي لا تنال بالأمان وبكلمات اللسان!

«وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ. فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» .. وهكذا يفهم السياق وجهها لوجه مرة أخرى أمام الموت الذي واجهوه في المعركة ، وقد كانوا من قبل يتمنون لقاءه. ليوازنوا في حسهم بين وزن الكلمة يقولها اللسان ، ووزن الحقيقة

^{١٨٣} - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (٢ / ٦٠١)

يواجهها في العيان. فيعلمهم بهذا أن يحسبوا حسابا لكل كلمة تطلقها ألسنتهم ، ويزنوا حقيقة رصيدها الواقعي في نفوسهم ، على ضوء ما واجهوه من حقيقتها حين واجهتهم! وبذلك يقدرون قيمة الكلمة ، وقيمة الأمنية ، وقيمة الوعد ، في ضوء الواقع الثقيل! ثم يعلمهم أن ليست الكلمات الطائفة ، والأمانى المرفرفة هي التي تبلغهم الجنة ، إنما هو تحقيق الكلمة ، وتجسيم الأمنية ، والجهد الحقيقي ، والصبر على المعاناة. حتى يعلم الله منهم ذلك كله واقعا كائنا في دنيا الناس!

ولقد كان الله - سبحانه - قادرا على أن يمنح النصر لنبيه ولدعوته ولدينه ولمنجه منذ اللحظة الأولى ، وبلا كد من المؤمنين ولا عناء. وكان قادرا أن يتزل الملائكة تقاتل معهم - أو بدوهم - وتدمر على المشركين ، كما دمرت على عاد وثمود وقوم لوط .. ولكن المسألة ليست هي النصر .. إنما هي تربية الجماعة المسلمة ، التي تعد لتسلم قيادة البشرية .. البشرية بكل ضعفها ونقصها وبكل شهواتها ونزواتها وبكل جاهليتها وانحرافها .. وقيادتها قيادة راشدة تقتضي استعدادا عاليا من القادة. وأول ما تقتضيه صلابة في الخلق ، وثبات على الحق ، وصبر على المعاناة ، ومعرفة بمواطن الضعف ومواطن القوة في النفس البشرية ، وخبرة بمواطن الزلل ودواعي الانحراف ، ووسائل العلاج .. ثم صبر على الرخاء كالصبر على الشدة. وصبر على الشدة بعد الرخاء. وطعمها يومئذ لاذع مرير! ..

وهذه التربية هي التي يأخذ الله بها الجماعة المسلمة حين يأذن بتسليمها مقاليد القيادة ، ليعدها بهذه التربية للدور العظيم الهائل الشاق ، الذي ينوطه بها في هذه الأرض. وقد شاء - سبحانه - أن يجعل هذا الدور من نصيب «الإنسان» الذي استخلفه في هذا الملك العريض!

وقدر الله في إعداد الجماعة المسلمة للقيادة بمضي في طريقه ، بشتى الأسباب والوسائل ، وشتى الملابسات والوقائع .. يمضي أحيانا عن طريق النصر الحاسم للجماعة المسلمة ، فتستبشر ، وترتفع ثقتها بنفسها - في ظل العون الإلهي - وتجرب لذة النصر ، وتصبر على نشوته ، وتجرب مقدرتها على مغالبة البطر والزهو والخيلاء ، وعلى التزام التواضع

والشكر لله .. ويمضي أحيانا عن طريق الهزيمة والكرب والشدة. فتلجأ إلى الله ، وتعرف حقيقة قوتها الذاتية ، وضعفها حين تنحرف أدنى انحراف عن منهج الله. وتجرب مرارة الهزيمة وتستعلي مع ذلك على الباطل ، بما عندها من الحق المجرد وتعرف مواضع نقصها وضعفها ، ومدخل شهواتها ، ومزالق أقدامها فتحاول أن تصلح من هذا كله في الجولة القادمة .. وتخرج من النصر ومن الهزيمة بالزاد والرصيد .. ويمضي قدر الله وفق سنته لا يتخلف ولا يجيد ..

وقد كان هذا كله طرفا من رصيد معركة أحد الذي يحشده السياق القرآني للجماعة المسلمة - على نحو ما نرى في هذه الآيات - وهو رصيد مدخر لكل جماعة مسلمة ولكل جيل من أجيال المسلمين.^{١٨٤}

وقال تعالى : { قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (١٠) سورة الزمر يأمر الله تعالى رسوله الكريم بأن يعظ المؤمنين ، وبأن يأمرهم بتقوى الله تعالى ، والثبات على طاعته ، وبأن يذكر لهم أنه من أحسن من عملهم العمل فله الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة ، وأن يقول للمؤمنين مرغبا إياهم في الهجرة من مكة إلى المدينة : إِنَّ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعُوا الْقِيَامَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ فِي الْبَلَدِ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، فَعَلَيْهِمُ الْهَجْرَةُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ تَتَوَفَّرُ فِيهِ حُرِّيَّةُ الْعِبَادَةِ ، وَإِنَّ اللَّهَ يُوفِّي الصَّابِرِينَ عَلَى الْإِبْتِلَاءِ ، ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا شَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .^{١٨٥}

" فهو نداء من رب كريم إلى عباده الذين آمنوا به ، واستجابوا لرسوله ، بعد أن سمعوا آيات ربهم ، وعرفوا مواقع الحق منها .. وفي هذا النداء الكريم يستدعيهم ربهم إليه بالتقوى التي تقرهم منه ، وتدنبهم من رحمته وإحسانه ..

فالإيمان هو أول خطوة إلى الله .. والوقوف عند هذه الخطوة تقصير بالإيمان وتعطيل لمعطياته التي كان جديرا بالمؤمن أن يحصل عليها بإيمانه .. والعمل بهذا الإيمان ، والغرس في

^{١٨٤} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ٤٨٣)

^{١٨٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٩٤٧)

مغارسه هو الذي يحقق للمؤمن الوصول إلى الله ، وإلى مواقع رحمته ورضوانه .. وفي هذا يقول سبحانه : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ » (٩ : يونس) .. فالإيمان مصباح يضئ للمؤمن الطريق إلى ربه .. والعمل الصالح هو الزيت يمدّ هذا المصباح بالوقود الذي تظلّ به شعلته متقدّة مضيئة أبدا .. وقوله تعالى : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ » — إشارة إلى أن الأعمال ، الحسنة ، تعطى ثمرة حسنة معجلة في هذه الدنيا إلى ما تعطيه من حسنات كثيرة في الآخرة .. فالعمل الحسن هو حسن في ذاته ، لا يجيء منه إلا ما هو حسن .. وهذا من شأنه أن يضمن للمحسنين حياة طيبة معه في الدنيا — مع صرف النظر — عما يكون له من آثار طيبة فيما وراء هذه الدنيا .. وبهذا.

الحساب يرى المحسنون أنهم غير مغبونين في تعاملهم بالإحسان في دنياهم ، وأنهم — وبصرف النظر عن الحياة الأخرى ، وبمعزل عنها — ينالون بإحسانهم حياة طيبة ، ويجدونها في راحة الضمير ، وصفاء النفس ، وإن لم يجدوها فيما يحصلون من متاع مادي ، وشهوات عاجلة لا تلبث أن تخذ ، فلا يجد المرء لها أثرا ..

وفي أفراد كلمة « حسنة » وتنكيرها ، إشارة إلى أن ما يجزى به المحسنون بإحسانهم في الدنيا ، هو قليل قليل بالإضافة إلى ما يجزون به في الآخرة ..

وقوله تعالى : « وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ » — إشارة إلى أن المؤمن قد لا يجد في مكان ما سبيلا إلى العمل ، وإلى الغرس في مغارس الإحسان ، حيث تكون الأرض التي يعيش فيها أرضا خبيثة ، لا تمسك ماء ، ولا تنبت نباتا .. وهنا ينبغي على المؤمن أن يتحول عن هذه الأرض ، إلى غيرها ، مما هو طيب صالح.

فأرض الله واسعة ، وكما أن فيها الخبيث النكد ، ففيها الطيب الكريم .. وفي هذا ، دعوة للمؤمنين الذين كانوا يعيشون في مكة قبل الهجرة ، محاصرين من المشركين ، لا يستطيعون أن يعطوا إيمانهم حقه ، ولا أن يفجروا ينابيع الخير منه — في هذا دعوة لهم أن يتحولوا عن هذا الموقع من الأرض إلى أرض أخرى ، حيث تطيب فيها مغارسهم ، وحيث يرفعون مصابيح الهدى التي بين أيديهم ، فتملأ الدنيا من حولهم هدى

ونورا .. وقد كان ، فهاجر المؤمنون إلى المدينة ، وفي هذا المكان الطيب من الأرض سطح نور الإسلام ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ..

وقوله تعالى : « إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » — دعوة للمؤمنين إلى الصبر ، الذي هو ملاك كل أمر يراد منه الخير الكثير الدائم الذي لا ينقطع ..

إن كل ثمرة إنما تكون قيمتها بقدر ما يبذل فيها من جهد ، وما يحتمل في سبيلها من عناء ومعاناة .. ومن طلب ثمرة بلا عمل ، فقد طلب رياء من سراب! وفي قوله تعالى : « بِغَيْرِ حِسَابٍ » — إشارة إلى أن جزاء الصبر جزاء عظيم ، وأن ميزان العمل الذي يجيء في أعقاب الصبر يرجح جميع الأعمال كلها ، حيث ينال الصابر جزاء صبره ، ما يشاء من فضل وإحسان ، بلا حساب! "١٨٦

"والتقوى هي تلك الحساسية في القلب ، والتطلع إلى الله في حذر وخشية ، وفي رجاء وطمع ، ومراقبة غضبه ورضاه في توفز وإرهاف .. إنها تلك الصورة الوضيئة المشرقة ، التي رسمتها الآية السابقة لذلك الصنف الخاشع القانت من عباد الله .

«لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ» .. وما أجزل الجزاء! حسنة في الدنيا القصيرة الأيام الهزيلة المقام . تقابلها حسنة في الآخرة دار البقاء والدوام .

ولكنه فضل الله على هذا الإنسان . الذي يعرف منه ضعفه وعجزه وضآلة جهده . فيكرمه ويرعاه!

«وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ» . فلا يقعد بكم حب الأرض ، وإلف المكان ، وأواصر النسب والقربى والصحبة في دار عن الهجرة منها ، إذا ضاقت بكم في دينكم ، وأعجزكم فيها الإحسان . فإن الالتصاق بالأرض في هذه الحالة مدخل من مداخل الشيطان ولون من اتخاذ الأنداد لله في قلب الإنسان .

وهي لفظة قرآنية لطيفة إلى مداخل الشرك الخفية في القلب البشري ، في معرض الحديث عن توحيد الله وتقواه ، تنبئ عن مصدر هذا القرآن . فما يعالج القلب البشري هذا العلاج إلا خالقه البصير به ، العليم بخفائيه .

١٨٦ - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (١٢ / ١١٢٩)

والله خالق الناس يعلم أن الهجرة من الأرض عسيرة على النفس ، وأن التجرد من تلك
الوشائج أمر شاق ، وأن ترك مألوف الحياة ووسائل الرزق واستقبال الحياة في أرض
جديدة تكليف صعب على بني الإنسان : ومن ثم يشير في هذا الموضع إلى الصبر وجزائه
المطلق عند الله بلا حساب : «إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» .. فيأخذ قلوبهم
بهذه اللمسة في موضعها المناسب ، ويعالج ما يشق على تلك القلوب الضعيفة العلاج
الشافئ ، وينسم عليها في موقف الشدة نسمة القرب والرحمة. ويفتح لها أبواب العوض
عن الوطن والأرض والأهل والإلف عطاء من عنده بغير حساب .. فسبحان العليم بهذه
القلوب ، الخبير بمدخلها ومسارها ، المطلع فيها على خفي الدبيب.^{١٨٧}
وغير ذلك من الآيات كثير .

وأما في السنة فقد وردت أحاديث كثيرة منها:
عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
تَمْلَأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو
فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا » رواه مسلم^{١٨٨}

الطهور: التطهير والنظافة، تملأ أي بالثواب، نور: لأنها تمنع عن المعاصي، برهان: حجة
على إيمان صاحبه، ضياء: لا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب. معتقها:
مبعدها عن النار، موبقها: مهلكها.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -
- فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ، حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: «. مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ
فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ
اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » رواه البخاري ومسلم^{١٨٩}

^{١٨٧} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (٥ / ٣٠٤٣)

^{١٨٨} - الطهارة برقم (١) وأحمد ٣٤٢/٥ و ٣٤٣ و ٣٤٤.

^{١٨٩} - البخاري برقم (١٤٦٩ و ٦٤٧٠) ومسلم برقم (١٠٥٣) ومالك في الموطأ (١٨٥٠)

يتصبر: يتكلف تحمل الصبر والمكاره ، يعينه الله ويساعده.

وَعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « عَجَبًا لَأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ »^{١٩٠} رواه مسلم

فعلى المريض أن يرضى بقضاء الله، ويصبر على قدره، ويحسن الظن بربه، ذلك خير له
وَعَنْ أَبِي حَلْبَسٍ يَزِيدُ بْنُ مَيْسَرَةَ قَالَ سَمِعْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ تَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ
سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ - يَقُولُ مَا سَمِعْتُهُ يُكْنِيهِ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا يَقُولُ: « إِنْ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ يَقُولُ يَا عِيسَى ابْنِي بَاعِثْ مِنْ بَعْدِكَ أُمَّةً إِنْ أَصَابَهُمْ مَا يُحِبُّونَ حَمِدُوا اللَّهَ وَشَكَرُوا
وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ احْتَسَبُوا وَصَبَرُوا وَلَا حِلْمٌ وَلَا عِلْمٌ. قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ هَذَا لَهُمْ
وَلَا حِلْمٌ وَلَا عِلْمٌ قَالَ أُعْطِيَهُمْ مِنْ حِلْمِي وَعِلْمِي » رواه أحمد في مسنده^{١٩١}

احتسبوا: سلموها لله تعالى طلباً لوجه الله وثوابه، صبروا: تحملوا الآلام . لا حلم ولا
علم: ليس عندهم خلقا الحلم والعلم. ولكن يمنحهم الله تعالى ذلك بمنه وكرمه
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ
تُثْبِلُهُ وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ لَا تَهْتَزُّ حَتَّى
تَسْتَحْصِدَ » رواه مسلم والترمذي^{١٩٢}

وَعَنْ مُصَنَّبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ : «
الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا أَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ
وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي
عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » رواه الترمذي^{١٩٣} -بلاء: محناً وشدائد، الأمثل: المقارب،
صلباً: قوياً، يبرح: يستمر .

^{١٩٠} - برقم (٢٩٩٩).

^{١٩١} - ٤٥٠/٦ (٢٨٣١٠) والحاكم برقم (١٢٨٩) والمجمع ٦٧/١٠ والشعب (٤٣٠٦ و٩٥٩٧) والأسماء

والصفات (٢٢٩) والصبر والثواب عليه (٩٦) وهو حديث حسن. وقد ضعفه بعض أهل العلم

^{١٩٢} - مسلم برقم (٢٨٠٩) والترمذي (٢٨٦٦) وأحمد برقم (٨٠٣٣). تفني: تحرك وتميل يمينا وشمالا

^{١٩٣} - الترمذي (٢٣٩٨) وابن ماجه برقم (٤٠٢٣) والحاكم ٤١/١ و ٢٠٧/٤ وهو حديث صحيح.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مَحْمُومٌ ، فَوَضَعْتُ يَدَيَّ مِنْ فَوْقِ الْقَطِيفَةِ ، فَوَجَدْتُ حَرَارَةَ الْحُمَّى ، فَقُلْتُ : مَا أَشَدَّ حُمَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : إِنَّا كَذَلِكَ مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ ، يُضَاعَفُ عَلَيْنَا الْوَجَعُ ، لِيُضَاعَفَ لَنَا الْأَجْرُ ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَتَلَى بِالْفَقْرِ ، حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعَبَاءَ ، فَيَحْوِيهَا وَيَلْبَسُهَا ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لِيَتَلَى بِالْقَمَلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ الْقَمَلُ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَطَاءِ إِلَيْكُمْ^{١٩٤} أخرجه الحاكم

موعوك: مريض، حُمَّاك: حرارتك، يشدد علينا البلاء: نسر بدخول المصائب. أشد فرحاً: لزيادة الأجر بالصبر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ »^{١٩٥} رواه البخاري

وعن أنس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ : « إِنْ عِظَمَ الْجَزَاءُ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ »^{١٩٦} رواه الترمذي
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ فَلَا يَزَالُ يَتَلَبَّسُ بِمَا يَكْرَهُ^{١٩٧} حَتَّى يُبْلَغَهُ ذَلِكَ » رواه الحاكم في المستدرک^{١٩٨}
وَعَنِ الرَّهْزِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُّهَا »^{١٩٩} رواه البخاري ومسلم

^{١٩٤} - برقم (٧٨٤٧) والأدب المفرد (٥٢٨) والمرض الكفارات (١) وهو صحيح على شرط مسلم.

^{١٩٥} - برقم (٥٦٤٥) ومالك (١٧٢٠) ، يصب منه: أي يوجه إليه مصيبة ويصب ببلاء.

^{١٩٦} - برقم (٢٣٩٦) والشهاب (١٠٤١) والشعب (٩٤٤٤) وصحيح الجامع (٢١١٠) وهو حديث حسن.

^{١٩٧} - يستمر بمنحه ما يكره من الأمراض والمصائب حتى يرتقي إلى العلياء.

^{١٩٨} - برقم (١٢٧٤) وأبو يعلى (٥٩٦١) والإحسان (٢٩٧٠) والمطالب (٢٤٢) وهو حديث صحيح.

^{١٩٩} - البخاري برقم (٥٦٤٠) ومسلم برقم (٣٥٧٢) ، النَّصْبُ : التعب ، الوصب : الألم والسقم الدائم

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةُ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » رواه الترمذي ^{٢٠٠}

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا » رواه البخاري ^{٢٠١}

وعن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ ، قَالَ اللَّهُ اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ فَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ » رواه أحمد ^{٢٠٢}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ فَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عَوَادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ إِسَارِي ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ » رواه البيهقي في السنن الكبرى ^{٢٠٣}

وَعَنْ عَائِشَةَ " أَنَّ رَجُلًا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) فَقَالَ : إِنَّا لَنُجْزِي بِكُلِّ مَا عَمَلْنَاهُ ؟ هَلَكْنَا إِذَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : « نَعَمْ يُجْزَى بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ مُصِيبَةٍ فِي جَسَدِهِ مِمَّا يُؤْذِيهِ » رواه ابن حبان في صحيحه ^{٢٠٤}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ صَدَعَ رَأْسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاحْتَسَبَ ، غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ ذَنْبٍ » رواه البزار ^{٢٠٥}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتِي عَبْدِي فَصَبِرَ وَاحْتَسَبَ ، لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ » رواه الطبراني في الكبير ^{٢٠٦}

^{٢٠٠} - برقم (٢٥٧٩) والحاكم ٣١٤/٤ (٧٨٧٩) والإحسان (٢٩٨٦) وهو حديث صحيح.

^{٢٠١} - برقم (٢٩٩٦) وأحمد (٢٠٢٠٩) والمقصود أنه كان يعمل صالحاً قبل مرضه ومنعه المرض من ممارسته.

^{٢٠٢} - ٢٥٨/٣ (١٢٨٣٩) و (١٤٠٦٣) وشرح السنة ٢٤١/٥ والمجمع ٣٠٤/٢ وهو صحيح لغيره.

^{٢٠٣} - البيهقي ٣٧٥/٣ (٦٧٨٦) والحاكم ٣٤٨/١ (١٢٩٠) وهو حديث صحيح، يستأنف يبتدئ.

^{٢٠٤} - ٢٥٥/٤ برقم (٢٩١٢) و (٢٩٨٥) والفتح ١٠٤/١٠ وهو حديث صحيح.

^{٢٠٥} - برقم (٢٤٣٧) والمجمع ٣٠٢/٢ (٣٨٠٠) والمطالب العالية (١٨٨١) وإسناده حسن.

^{٢٠٦} - برقم (١٢٢٨٢) وأبو يعلى (٢٣١١) والضياء ٣١٦/٤ والإحسان (٢٩٣٠) وهو حديث صحيح مشهور مروى عن أنس والعرياض وعائشة بنت قداحة وأبي هريرة وابن عباس وزيد بن أرقم وبريدة وابن عمر ... الكريمتان: العينان.

وَعَنْ حَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ قَالَ شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ « كَانِ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ ، مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهُ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٢٠٧

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: « رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ ٢٠٨

وَعَنْ شَيْخٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، قُلْتُ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: ابْنُ عُمَرَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: « الْمُسْلِمُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ » أَخْرَجَهُ الْبُغْوِيُّ فِي شَرْحِ السَّنَةِ ٢٠٩

قُلْتُ: وَيَكْفِي الصَّابِرِينَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) } [البقرة/١٥٥-١٥٦] .

وبشّر -أيها النبي- الصابرين على هذا وأمثاله بما يفرحهم ويسرهم من حسن العاقبة في الدنيا والآخرة. من صفة هؤلاء الصابرين أنهم إذا أصابهم شيء يكرهونه قالوا: إِنَّا عبيد مملوكون لله، مدبرون بأمره وتصريفه، يفعل بنا ما يشاء، وإنا إليه راجعون بالموت، ثم بالبعث للحساب والجزاء. أولئك الصابرون لهم ثناء من ربهم ورحمة عظيمة منه سبحانه، وأولئك هم المهتدون إلى الرشاد. ٢١٠

ويكفيهم قول الله تعالى كذلك: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } (سورة البقرة ١٥٣)

٢٠٧ - برقم (٣٦١٢)

٢٠٨ - (البخاري برقم ٦٩٢٩ و ٣٤٧٧) ومسلم برقم (١٧٩٢) واللفظ له

٢٠٩ - برقم (٣٣٨٤) والطبري (١٩٧٦) وغيرهما وهو صحيح

٢١٠ - التفسير الميسر - (١ / ١٦٩)

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ أَنَّ خَيْرَ مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ دِينِهِمْ ، وَالِدَّفَاعَ عَنْهُ ، وَعَلَى سَائِرِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مَصَائِبِ الْحَيَاةِ هُوَ التَّحَلِّيُ بِالصَّبْرِ ، وَتَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَى احْتِمَالِ الْمَكَارِهِ ، وَأَدَاءِ الصَّلَاةِ وَإِقَامَتِهَا حَقَّ إِقَامَتِهَا. فَالصَّبْرُ أَشَدُّ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ عَلَى النَّفْسِ ، وَالصَّلَاةُ أَشَدُّ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ عَلَى الْبَدَنِ، وَاللَّهُ نَاصِرُ الصَّابِرِينَ ، وَمُجِيبُ لِدُعَائِهِمْ .^{٢١١}

" إن الإيمان بلا عمل زرع بلا ماء .. لا يزهر ولا يثمر. والصبر هو عدة المؤمنين ، وزادهم العتيد في الطريق الشاق الذي يصحبون به الإيمان ، ليصل بهم إلى التقوى ، فبالصبر يغلب الإنسان شهواته ، ويقهر أهواءه ، ويحتمل تكاليف الشريعة ، ويؤديها على الوجه الأكمل لها .. « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » (٥٢ : البقرة) والصبر ملاك أمره الصّدق .. الصّدق في القول والعمل .. والصّدق مع النفس ، ومع الناس ، ومع الله — فإذا لم يكن ذلك كان الصبر بلاذة ، وموانا ، وموقفا سلبيا من الحياة. ولكن إذا واجه الإنسان الحياة ومعه الصبر وجد في كل موقف شاق طريقين : طريق الكذب والهروب ، وطريق الصّدق والثبات .. وهنا تظهر فضيلة الصبر ، ويتجلى أثره .. « الْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ». والولاء لله ، والإنفاق في سبيله ، وقيام الليل واستقبال الأسحار بالتوبة والاستغفار .. كل هذه مواقف يمتحن فيها إيمان المؤمنين ، وصبرهم ، واستمسакهم بالحق الذي أمر الله به.

فبهذه المجاهدات — مع الإيمان — يبلغ الإنسان منازل المتقين ، وينال رضوان الله ، وينعم بجنات النعيم.^{٢١٢}

" يتكرر ذكر الصبر في القرآن كثيرا ذلك أن الله سبحانه يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع والذي يقتضيه القيام على دعوة الله في الأرض بين شتى الصراعات والعقبات والذي يتطلب أن تبقى النفس مشدودة الأعصاب ، بمجدة القوى ، يقظة للمداخل والمخارج ..

^{٢١١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٦٠)

^{٢١٢} - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (٢ / ٤١٧)

ولا بد من الصبر في هذا كله .. لا بد من الصبر على الطاعات ، والصبر عن المعاصي ، والصبر على جهاد المشايق لله ، والصبر على الكيد بشقي صنوفه ، والصبر على بطء النصر ، والصبر على بعد الشقة ، والصبر على انتفاش الباطل ، والصبر على قلة الناصر ، والصبر على طول الطريق الشائك ، والصبر على التواء النفوس ، وضلال القلوب ، وثقله العناد ، ومضاضة الإعراض ..

وحين يطول الأمد ، ويشق الجهد ، قد يضعف الصبر ، أو ينفد ، إذا لم يكن هناك زاد ومدد. ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر فهي المعين الذي لا ينضب ، والزاد الذي لا ينفد. المعين الذي يجدد الطاقة ، والزاد الذي يزود القلب فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع. ثم يضيف إلى الصبر ، الرضى والبشاشة ، والطمأنينة ، والثقة ، واليقين.

إنه لا بد للإنسان الفاني الضعيف المحدود أن يتصل بالقوة الكبرى ، يستمد منها العون حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة. حينما تواجهه قوى الشر الباطنة والظاهرة. حينما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق بين دفع الشهوات وإغراء المطامع ، وحينما تثقل عليه مجاهدة الطغيان والفساد وهي عنيفة. حينما يطول به الطريق وتبعد به الشقة في عمره المحدود ، ثم ينظر فإذا هو لم يبلغ شيئاً وقد أوشك المغيب ، ولم ينل شيئاً وشمس العمر تميل للغروب. حينما يجد الشر نافشا والخير ضاويًا ، ولا شعاع في الأفق ولا معلم في الطريق هنا تبدو قيمة الصلاة .. إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني والقوة الباقية. إنها الموعد المختار لالتقاء القطرة المنعزلة بالنبع الذي لا يغيض. إنها مفتاح الكثر الذي يغني ويقني ويفيض. إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع الكوني الكبير. إنها الروح والندى والظلال في الهاجرة ، إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود .. ومن هنا كان رسول الله - ﷺ - إذا كان في الشدة قال : «أرحنا بها يا بلال» .. ويكثر من الصلاة إذا حزبه أمر ليكثر من اللقاء بالله.

إن هذا المنهج الإسلامي منهج عبادة. والعبادة فيه ذات أسرار. ومن أسرارها أنها زاد الطريق. وأنها مدد الروح. وأنها جلاء القلب. وأنه حينما كان تكليف كانت العبادة هي مفتاح القلب لتذوق هذا التكليف في حلاوة وبشاشة ويسر .. إن الله سبحانه حينما

انتدب محمدا - ﷺ - للدور الكبير الشاق الثقيل ، قال له : «يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا. نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا .. إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» .. فكان الإعداد للقول الثقيل ، والتكليف الشاق ، والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن .. إنها العبادة التي تفتح القلب ، وتوثق الصلة ، وتيسر الأمر ، وتشرق بالنور ، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان. ومن ثم يوجه الله المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام .. إلى الصبر وإلى الصلاة ..

ثم يجيء التعقيب بعد هذا التوجيه : «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» .. معهم ، يؤيدهم ، ويثبتهم ، ويقويهم ، ويؤنسهم ، ولا يدعهم يقطعون الطريق وحدهم ، ولا يتركهم لطاقتهم المحدودة ، وقوتهم الضعيفة ، إنما يمدهم حين ينفد زادهم ، ويجدد عزيمتهم حين تطول بهم الطريق ..

وهو يناديهم في أول الآية ذلك النداء الحبيب : «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» .. ويختم النداء بذلك التشجيع العجيب : «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ»^{٢١٣}.

^{٢١٣} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (١ / ١٤١)

المبحث الرابع

فضل طول الحياة في طاعة الله تعالى

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَالَ « مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ ». قَالَ فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ قَالَ « مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ »

٢١٤

أخرجه أحمد

وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « أَلَا أُبَيِّتُكُمْ بِخَيْرِكُمْ ». قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالًا » أخرجه أحمد في مسنده ٢١٥

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَتَأَمَّلْنَا هَذَا الْحَدِيثَ ، فَوَجَدْنَا مَنْ كَانَتْ صِفَتُهُ الصِّفَةُ الْمَذْكُورَةَ فِيهِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ بِذَلِكَ خَيْرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَا خَيْرًا مِنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ مِنْهُمْ بِقَوْلِهِ : لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا فَعَقَلْنَا بِذَلِكَ أَنَّ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِمَّا عَمَّ بِهِ النَّاسَ بظَاهِرِهِ ، لَمْ يُرَدِّ بِهِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُهُ ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِهِ : مِنْ خَيْرِ النَّاسِ ؟ فَعَمَّ بِذَلِكَ مَا الْمُرَادُ بَعْضُهُ ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ هَذَا كَثِيرًا ، وَقَدْ جَاءَ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ صَاحِبَةِ سُلَيْمَانَ : وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَمْ تُؤْتَ مِمَّا أُوتِيَ سُلَيْمَانُ ﷺ شَيْئًا وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الرِّيحِ : نُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عَلَى خَاصٍّ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، لَا عَلَى كُلِّ الْأَشْيَاءِ ، فَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا قَالَهُ هُوَ عَلَى بَعْضٍ مِنْ ذِكْرِهِ ، لَا عَلَى كُلِّهِمْ ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ : خَيْرُ النَّاسِ ، أَوْ أَفْضَلُ النَّاسِ ، بِمَعْنَى : مِنْ خَيْرِ النَّاسِ ، أَوْ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْبَابِ أَيْضًا ٢١٦

٢١٤ - ٤٠/٥ و ٤٧ و (٢٠٩٥٣ و ٢٠٩٨٣ و ٢١٠٢٠ و ٢١٠٢١ و ٢١٠٣١ و ٢١٠٤١ و ٢١٠٤٥ و ٢١٠٤٥) والترمذي (٢٣٣١)

و(٢٤٩٩ و ٢٥٠٠) والحاكم ٣٣٦/١ (١٢٥٦) وهو حديث صحيح.

٢١٥ - أحمد ٢٣٥/٢ و ٤٠٣ (٧٤١٣ و ٩٤٧٣) والبيهقي ٣/٣٧١ (٦٧٦٥) وابن حبان (٢٤٦٥) موارد والإحسان

(٣٠٤٣) والصحيحة (١٢٩٨) والمستدرک (١٢٥٥) عن جابر وهو حديث صحيح.

٢١٦ - مشکل الآثار للطحاوي - (ج ١١ / ص ٣٥٤) (٤٥٢٩) حسن

وَعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ثَلَاثَةٌ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ - فَأَسْلَمُوا - قَالَ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « مَنْ يَكْفِينِهِمْ » . قَالَ طَلْحَةُ أَنَا . قَالَ فَكَانُوا عِنْدَ طَلْحَةَ فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ - بَعْنًا فَخَرَجَ فِيهِ أَحَدُهُمْ فَاسْتَشْهَدَ - قَالَ - ثُمَّ بَعَثَ بَعْنًا فَخَرَجَ فِيهِ آخَرُ فَاسْتَشْهَدَ - قَالَ - ثُمَّ مَاتَ الثَّالِثُ عَلَى فِرَاشِهِ قَالَ طَلْحَةُ فَرَأَيْتُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدِي فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ الْمَيِّتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَمَامَهُمْ وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتَشْهَدَ آخِرًا يَلِيهِ وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتَشْهَدَ أَوَّلَهُمْ آخِرَهُمْ - قَالَ - فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ - قَالَ - فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ - فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ - قَالَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « وَمَا أَكْرَمْتَ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمِّرُ فِي الْإِسْلَامِ لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ » أخرجه أحمد في مسنده ٢١٧

وقد دلت هذه الأحاديث على فضل طول العمر مع حسن العمل، لأن من شأن المرء

الازدياد والترقي من مقام إلى مقام، حتى ينتهي إلى مقام القرب.

قَالَ الطَّبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ كَرَأْسِ الْمَالِ لِلتَّاجِرِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَجَرَ فِيمَا يَرْبَحُ فِيهِ وَكَلَمًا كَانَ رَأْسُ مَالِهِ كَثِيرًا كَانَ الرَّبْحُ أَكْثَرَ ، فَمَنْ انْتَفَعَ مِنْ عُمْرِهِ بِأَنْ حَسُنَ عَمَلُهُ فَقَدْ فَازَ وَأَفْلَحَ ، وَمَنْ أَضَاعَ رَأْسَ مَالِهِ لَمْ يَرْبَحْ وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا انْتَهَى . ٢١٨

٢١٧ - ١٦٣/١ (١٤١٧) ون (١٠٦٠٦) والجمع ٢٠٤/١٠ والتلخيص ١١٩/٢ والصحيحة (٦٥٤) وهو حديث

حسن

٢١٨ - راجع فيض القدير ٤٨٠/٣ والأحاديث رقم (٤٠٣٨ و ٤٠٤٨ و ٥٣٠٧ و ٧٥٨٨)

المبحث الخامس

الترغيب في كلمات يقولهن من آله شيء من جسده

عَنْ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ أَنَّهُ شَكََا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ. ثَلَاثًا. وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ ». أخرجه

٢١٩

مسلم

أحاذر: أخاف. وَمَقْصُودُهُ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ وَضْعُ يَدِهِ عَلَى مَوْضِعِ أَلَمٍ ، وَيَأْتِي بِالِدُّعَاءِ الْمَذْكُورِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

وقال الباجي : قَوْلُ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ : وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لِلْعَلِيلِ أَنْ يَصِفَ مَا بِهِ مِنَ أَلَمٍ لِمُسْتَدْعَاءِ الدَّوَاءِ ، أَوْ الرُّقِيَّةِ أَوْ الشِّفَاءِ بِأَيِّ وَجْهِ أَمَكَّنَ وَقَدْ قَالَ : النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ : لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ إِنَّكَ لَتُوَعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا قَالَ : أَجَلٌ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمُ وَهَذَا مِمَّا لَمْ يُرَدْ بِهِ التَّشْكِي وَقِلَّةُ الصَّبْرِ كَمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ فَقَالَ : لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ فَقَالَ : النَّبِيُّ ﷺ فَنَعَمْ إِذَا وَقَوْلُهُ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ امْسَحْهُ بِيَمِينِكَ يُرِيدُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ عَلَى مَعْنَى التَّبَرُّكِ بِالتَّيَامُنِ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقَدْ خَصَّ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الْعَدَدَ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ فَقَالَ : فِي مَرَضِهِ بَعْدَ مَا دَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِتِهِنَّ لِعَلِّيْ أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ وَقَدْ رَوَى ابْنُ شِهَابٍ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ بَنٍ مُطْعَمٍ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ فَقَالَ : فِيهِ ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَأْلُمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ .

٢١٩ - في السلام باب ٢٤ برقم (٢٢٠٢) وابن ماجه برقم (٣٦٥١) وصحيح ابن حبان (٣٠٢٦ و٣٠٢٩) والموطأ

(١٧٢٢) وأبو داود (٣٨٩٣) -

وَقَوْلُهُ ﷺ : وَقُلْ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ نَصٌّ عَلَى التَّعَوُّذِ فِيمَا نَزَلَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الْاسْتِرْقَاءِ وَالِدُّعَاءِ لِإِذْهَابِ الْمَرَضِ وَفِي مَعْنَاهُ التَّدَاوِي بِذَلِكَ وَيَحْتَمِلُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ يُرِيدَ بِهِ أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ مَعَ كُلِّ مَسْحَةٍ وَهُوَ الْأَظْهَرُ عِنْدِي وَقَوْلُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنِّي مَا كَانَ بِي يُرِيدُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ وَلِذَلِكَ كَانَ يَأْمُرُ بِهِ أَهْلُهُ وَغَيْرُهُمْ لَمَّا جَرَّبَهُ مِنْ مَنَفْعَتِهَا وَإِذْهَابِ الْأَدْوَاءِ بِهَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - ٢٢٠ .

وَعَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ ، قَالَ : قَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ ؛ إِذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعْ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي ، وَقُلْ : بِسْمِ اللَّهِ ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجْعِي هَذَا ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ ، ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ وَتَرَا. فَإِنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَنِي ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُ بِذَلِكَ. رواه الترمذي ٢٢١

قال المناوي رحمه الله: (إذا اشتكيت) أي مرضت (فضع يدك حيث تشتكي) على الموضع الذي يؤلمك ولعل حكمة الموضع أنه كبسط اليد للسؤال (ثم قل) ندباً (بسم الله) ظاهره أنه لا يزيد الرحمن الرحيم ويحتمل أن المراد بالبسملة بكما لها (أعوذ) أي أعتصم بحضور قلب وجمع همة. قال الزمخشري: والعياذ واللياذ من واد واحد (بعزة الله وقدرته من شر ما أجد) زاد في رواية لابن ماجه وأحاذر (من وجعي هذا) أي مرضي وألمي هذا تأكيد لطلب زوال الألم، وآخر التعوذ لاقتضاء المقام ذلك (ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك) أي الموضع والتسمية والاستعاذة بهذه الكلمات (وتراً) أي ثلاثاً كما بينه في رواية مسلم وفي حديث آخر سبعة كما يأتي إن شاء الله تعالى وفي أخرى التسمية ثلاثاً والاستعاذة سبعة يعني فإن ذلك يزيل الألم أو يخففه بشرط قوة اليقين وصدق النية ويظهر أنه إذا كان المريض نحو طفل أن يأتي به من يعوده ويقول من شر ما يجد هذا ويحاذر وإطلاق اليد يتناول اليسرى فتحصل السنة بوضعها لكن الظاهر من عدة أحاديث تعيين اليمين لليمين أي إلا لعذر. فإن قلت لم عبر بالموضع دون الألم؟ قلت: إشارة إلى ندب الذكر المذكور وإن لم يكن المرض

٢٢٠ - المنتقى - شرح الموطأ - (ج ٤ / ص ٣٥٩) (١٤٧٩)

٢٢١ - برقم (٣٩٣٧) والحاكم برقم (٧٥١٥) والمرض والكفارات (١٥١) وهو صحيح لغيره

شديداً إذ الألم كما قال الراغب: الوجع الشديد فلو عبر به اقتضى أن الندب مقيد بما إذا
اشتد الوجع وأنه بدون الشدة غير مشروع وهذا الحديث من الطب الروحاني^{٢٢٢}

^{٢٢٢} - فيض القدير (٤٤٨)

المبحث السادس

الترغيب في عيادة المرضى

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « حق المسلم على المسلم خمس رد السلام ، وعيادة المريض ، وأتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العطس »^{٢٢٣} رواه البخاري ومسلم

وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول « حق المسلم على المسلم خمس يسلم عليه إذا لقيه ويشمته إذا عطس ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات ويحييه إذا دعاه »^{٢٢٤}

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني . قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين . قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعنني . قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين . قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني . قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي »^{٢٢٥} رواه مسلم

قال النووي رحمه الله : قال العلماء : إنما أضاف المريض إليه سبحانه وتعالى ، والمُراد العبد تشريفاً للعبد وتقريباً له . قالوا : ومعنى (وجدته عنده) أي وجدت ثوابي وكرامتي ، ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث : " لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، لو أسقيته لوجدت ذلك عندي " أي ثوابه . والله أعلم .

^{٢٢٣} - البخاري ٩٠/٢ (١٢٤٠) ومسلم (٢١٦٢)

^{٢٢٤} - أحمد (١١٢٥٧) صحيح

^{٢٢٥} - في البر باب ١٣ (٢٥٦٩)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُودُوا الْمَرْضَى وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ
تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ» رواه أحمد ٢٢٦

وعن أبي سعيد الخدري ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : « خمسٌ من عملهنَّ في يومٍ كتبه الله
من أهل الجنة: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، وشهد جنازةً، وصام يوماً، وراح إلى الجمعة، وأعتق
رقبةً ». رواه ابن حبان في صحيحه ٢٢٧

وَعَنْ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةٍ
الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجَعَ» رواه مسلم ٢٢٨

وَعَنْ ثَوْبَانَ هُوَ ابْنُ أَبِي فَاخِثَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي قَالَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الْحَسَنِ
نَعُودُهُ. فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعَانِدَا جِئْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا
فَقَالَ لَا بَلْ عَائِدًا. فَقَالَ عَلِيٌّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ
مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمَسِّيَ وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ
سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ» رواه الترمذي ٢٢٩

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي
الرَّحْمَةِ حَتَّى يَجْلِسَ فَإِذَا جَلَسَ اغْتَمَسَ فِيهَا» رواه أحمد ٢٣٠

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا دَخَلْتَ عَلَى مَرِيضٍ فَمُرَّهُ أَنْ
يَدْعُوَ لَكَ فَإِنْ دُعَاةُ كَدْعَاءِ الْمَلَائِكَةِ» رواه ابن ماجه ٢٣١

٢٢٦ - ٤٨٠/٣ (١١٧٥٦ و ١١٤٨١) وعب (٦٧٦٣) وش (١٠٨٤١) وهو صحيح.

٢٢٧ - ١٩١/٤ (٢٨٢٦) والمجمع ١٦٦/٢ (٣٠٢٧) والصحيحة (١٠٢٣) وهو صحيح.

٢٢٨ - برقم (٢٥٦٨) وأحمد ٢٧٩/٥ و ٢٨٣ (٢٣١٠٧ و ٢٣٠٧٠) والترمذي (٩٨٣). الحرفه : أى اجتناء ثمر الجنة

٢٢٩ - الترمذي (٩٨٥) وأحمد ١١٨/١ (٩٦٧) والبخاري (٧٧٧) وابن ماجه (١٥٠٩) وعب (٦٧٦٨) وش (١٠٨٣٦) والضياء ١/ ٤٠٠ و (١٢٩٤ و ١٢٩٣) وصحيح الترغيب (٣٤٧٦) من طرق عنه وهو حديث صحيح لطرقه .

٢٣٠ - ٣٠٤/٣ (١٤٦٣١) والمستدرک (١٢٩٥) والبيهقي في السنن (٦٨٢٢) والإحسان (٣٠١٨) وهو حديث صحيح. اغتمس: أغلق الله بنعمه عليه وعمه برضاه

٢٣١ - برقم (١٤٤١) و (١٥٠٨) وابن السني (٥٥٦) إسناده صحيح لكنه منقطع ميمون بن مهران لم يسمع من عمر . وله شاهد غير قوي الشعب (٦٢١٤) وأعله ابن حجر في التهذيب بعله خفية وهي أن كثير بن هشام رواه عن عيسى

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ : قَوْلُهُ لَمْ يَزَلْ فِي حُرْفَةِ الْحِجَّةِ فَإِنَّ مَمَشَاهُ إِلَى الْمَرِيضِ لَمَّا كَانَ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى كُلِّ خُطْوَةٍ كَانَ الْخُطَا سَبَبًا إِلَى نَيْلِ الدَّرَجَاتِ فِي التَّعِيمِ الْمُقِيمِ ، عَبَّرَ بِهَا عَنْهَا لِأَنَّهُ بِسَبَبِهَا مَحَازٍ انْتَهَى

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ : « مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَخْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ »

٢٣٢

أخرجه أبو داود

وَعَنْ الْأَعْرَضِيِّ أَبِي مُسْلِمٍ قَالَ أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. صَدَّقَهُ رَبُّهُ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ. وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ. قَالَ يَقُولُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا وَحْدِي. وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ. قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي. وَكَانَ يَقُولُ مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمُهُ النَّارُ » أخرجه الترمذي ٢٣٣

بن إبراهيم الهاشمي عن جعفر بن برقان.. وعيسى متروك وتابعه الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في الضعيفة (١٠٠٤)

أقول : ما قالاه مجرد احتمال لكن سند ابن ماجه ثنا جعفر بن مسافر ثني كثير بن هشام ثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن عمر . وجعفر صدوق كما في الكاشف (٨١١) وقد روى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم وهو يرويه عن شيخه كثير بصيغة التحديث وكثير يرويه عن جعفر بصيغة التحديث ولم يوصف أحد منهم بالتدليس ، كما أن كثير بن هشام مجمع على ثقته وهو من أروى الناس عن جعفر بن برقان كما في التهذيب فلم لا تكون الرواية الثانية التي فيها عيسى بن إبراهيم وهم من راويها وغلط ! ولا سيما أن جعفر بن مسافر من شيوخ ابن ماجه المباشرين . ومن هنا فإن المنذري والبوصيري والنووي وغيرهم أعلوه فقط بالانقطاع . كما أن الحافظ ابن حجر حسنه في الفتح وأعله بالانقطاع وهذا هو الراجح لأن الفتح مؤلف بعد التهذيب بكثير وهو من الكتب التي رضى عنها .. الفيض (٥٩٥)

٢٣٢ - أبو داود (٣١٠٨) والحاكم ٣٤٢/١ و ٢١٣/٤ و ٤١٦ (١٢٦٨ و ١٢٦٩ و ٨٢٨٢) والضياء (٣٦٨/١٠) ، رقم (٣٩٤) وهو حديث صحيح لغيره.

٢٣٣ - برقم (٣٧٥٨) ون عمل (٢٩) ون (٩٧٧٣-٩٧٧٧ و ١٠١٠٨) وصحيح الترغيب وهو صحيح لغيره.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٌ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمَشَاكَ وَتَبَوَّاتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا » رواه الترمذي^{٢٣٤}

فمن هذه النصوص النبوية التي سبقت يتضح لنا ما لعيادة المريض من أهمية، وما للقاء بها من الأجر العظيم، فينبغي على المسلم أن يعنى بها وأن لا يتكاسل عنها، فإذا علم بأخ له مريض فليسارع في عيادته، وتفقد حاله، وإخبار أصحابه بما حصل لأخيه، حتى يقوموا بزيارته، والدعاء له.

ولما كان أهل الحي الواحد، كالأسرة الواحدة يعرف بعضهم بعضاً في الغالب، فينبغي عليهم إذا مرض أحدهم أن يزوروه، ويتفقدوا أحواله، ويعينوه على ما يحتاج. فبهذه الزيارة يدخل الفرح إلى قلوب المرضى، ويتنفس عنهم ما يجدون من الهم والغم، ويعلمون أن لهم إخواناً يواسونهم ويعينونهم على ما يحتاجون، وكذلك يعرف المسلم عظمة هذا الدين، وما حث عليه، وأنه ما من خير إلا ودلهم عليه، وما من شر إلا وحذرهم منه.

وبما أن أصحاب الحي كثير ويتعذر زيارتهم في وقت واحد، إما لمشاغلتهم أو لكثرتهم، أو لظروف أخرى، فينبغي الترتيب لهذه الزيارة، بحيث تؤدي الغرض على أكمل وجه، وذلك من خلال الترتيب فيما بينهم في كيفية الزيارة، وعدد الزائرين والتنسيق مع أهل المريض، وتقديم بعض الهدايا، حتى تكون زيارة موفقة، وتؤدي الغرض، ويحصل بها النفع.

ويستحب للزائرين أن يدعو للمريض بالشفاء والعافية، وأن يوصوه بالصبر والاحتمال، وأن يقولوا له الكلمات الطيبة التي تطيب نفسه، وتقوي روحه، وكان ﷺ - إذا دخل على من يعود قال: (لا بأس طهور إن شاء الله) ويستحب تخفيف العيادة وتقليلها ما أمكن، حتى لا يثقل على المريض؛ إلا إذا رغب في ذلك.

وفي الموسوعة الفقهية^{٢٣٥}

آدابُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ :

^{٢٣٤} - برقم (٢١٣٩) وابن ماجة (١٥١٠) وحرم (٧٨٦٣) والإحسان (٣٠٢٣) وصحيح الترغيب (٢٥٧٨) حسن

لغيره

^{٢٣٥} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ٣١ / ص ٧٨) فما بعد

مِنْ آدَابِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ : أَنْ لَا يُطِيلَ الْجُلُوسَ إِلَّا إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَشْقُ عَلَيْهِ وَيَأْنَسَ بِهِ ، وَأَنْ يَدْنُو مِنْهُ ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى جِسْمِهِ ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ ، وَيُنَفِّسَ لَهُ فِي الْأَجَلِ بِأَنْ يَقُولَ مَا يُسِّرُ بِهِ ، وَيُوصِيهِ بِالصَّبْرِ عَلَى مَرَضِهِ ، وَيَذْكُرَ لَهُ فَضْلَهُ إِنْ صَبَرَ عَلَيْهِ . وَيَسْأَلُ مِنْهُ الدُّعَاءَ فَدُعَاؤُهُ مُجَابٌ كَمَا وَرَدَ .

وَمِنْ الْأَدَابِ : أَنْ يَسْتَصْحِبَ مَعَهُ مَا يَسْتَرْوِحُ بِهِ كَرِيحَانٍ أَوْ فَاكِهَةٍ . وَأَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مُحْتَاجًا لِذَلِكَ ، وَأَنْ يُرَغِّبَهُ فِي التَّوْبَةِ وَالْوَصِيَّةِ إِنْ لَمْ يَتَأَذَّ بِذَلِكَ وَإِنْ لَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ مَوْتٍ عَلَى الْأُوجْهِ ، وَأَنْ يَتَأَمَّلَ حَالَ الْمَرِيضِ وَكَلِمَاتِهِ ، فَإِنْ رَأَى الْغَالِبَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ أَزَالَهُ عَنْهُ بِذِكْرِ مَحَاسِنِ عَمَلِهِ لَهُ .

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَادَ الْمَرِيضَ جَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ فَإِنْ كَانَ فِي أَجَلِهِ تَأَخِيرٌ غُوفِي مِنْ وَجَعِهِ ^{٢٣٦}

وَقْتُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ :

تُسَنُّ الْعِيَادَةُ فِي كُلِّ وَقْتٍ قَابِلٍ لَهَا بِأَنْ لَا يَشْقُ عَلَى الْمَرِيضِ الدُّخُولُ عَلَيْهِ فِيهِ ، وَهِيَ غَيْرُ مُقَيَّدَةٍ بِوَقْتٍ يَمْضِي مِنْ ابْتِدَاءِ مَرَضِهِ ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ ، وَلَا يَرَى مَرَضٌ كَانَ . وَكَرَاهَتُهَا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لَا أَصْلَ لَهُ . وَتَكُونُ عَقِبَ الْعِلْمِ بِالْمَرَضِ وَإِنْ لَمْ تَطُلْ مُدَّةٌ ^{٢٣٧}

مَنْ تُشْرَعُ لَهُ زِيَارَةُ الْمَرِيضِ ؟

تُشْرَعُ عِيَادَةُ الْمَرِيضِ لِلْمُسْلِمِينَ كَافَّةً ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ مَنْ يَعْرِفُ الْمَرِيضَ وَمَنْ لَا يَعْرِفُهُ ، وَيَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْقَرِيبُ وَالْأَجَنَبِيُّ ، إِلَّا أَنَّهَا لِلْقَرِيبِ وَمَنْ يَعْرِفُهُ أَكْثَرُ وَأَفْضَلُ لِعُمُومِ الْأَحَادِيثِ ، فَالْجَارُ هُوَ الْقَرِيبُ مِنْ مَحَلِّهِ بَحِثْ تَقْضِي الْعَادَةَ بِوُدِّهِ وَتَفَقُّدِهِ وَلَوْ مَرَّةً .

وَأَمَّا الْعَدُوُّ فَإِنَّهُ إِنْ أَرَادَ الْعِيَادَةَ وَعَلِمَ أَوْ ظَنَّ كَرَاهَةَ الْمَرِيضِ لِدُخُولِ مَحَلِّهِ وَأَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ بِرُؤْيَيْهِ ضَرَرٌ لَا يُحْتَمَلُ عَادَةً حَرُمَتِ الْعِيَادَةُ أَوْ كُرِهَتْ ^{٢٣٨}

^{٢٣٦} - الأدب المفرد (٥٣٦) صحيح

^{٢٣٧} - فتح الباري ١٠ / ١١٣ ، ودليل الفالحين ٣ / ٣٧٢ .

الدُّعَاءُ لِلْمَرِيضِ :

كَانَ ﷺ إِذَا عَادَ مَرِيضًا يَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ وَالْعَافِيَةِ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : تَشَكَّيْتُ بِمَكَّةَ فَجَاءَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِي ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَبَطْنِي ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا وَأَتَمِّ لَهُ هِجْرَتَهُ . قَالَ : فَمَا زِلْتُ أَحْدُ بَرْدَهُ عَلَى كَبِدِي فِيمَا يُخَالِ إِلَيَّ حَتَّى السَّاعَةِ ^{٢٣٩}

وَقَدْ أَمَرَ ﷺ كُلَّ مَنْ يَعُودُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَدْعُو لَهُ مَا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ . فَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَيَقُولَ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عُوفِيَ . ^{٢٤٠}

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أَتَى بِهِ إِلَيْهِ قَالَ أَذْهَبَ الْبَاسُ رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقَمًا ^{٢٤١} وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : فِي وَضْعِ الْيَدِ عَلَى الْمَرِيضِ تَأْنِيسٌ لَهُ ، وَتَعَرُّفٌ لِشِدَّةِ مَرَضِهِ ، لِيَدْعُو لَهُ بِالْعَافِيَةِ عَلَى حَسَبِ مَا يَبْدُو لَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّمَا رَقَاهُ بِيَدِهِ وَمَسَحَ عَلَى أَلَمِهِ بِمَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَلِيلُ ^{٢٤٢}

^{٢٣٨} - فتح الباري ١٠ / ١١٣ .

^{٢٣٩} - صحيح البخاري (٥٦٥٩)

^{٢٤٠} - مر تخرجه

^{٢٤١} - صحيح البخاري (٥٦٧٥)

^{٢٤٢} - الطب النبوي لابن القيم ص ٧٥ .

المبحث السابع

الترغيب في الوصية والعدل فيها

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ ثَلَاثَ لَيَالٍ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ » . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي رواه البخاري ومسلم ٢٤٣

والمراد الحزم والاحتياط لأنه قد يفجؤه الموت، وهي غير واجبة، والواجب الخروج من الحقوق الواجبة للغير.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ وَالْمَرْأَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِينَ سَنَةً ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا الْمَوْتُ فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ » فَتَجِبُ لَهُمَا النَّارُ . قَالَ وَقَرَأَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ هَا هُنَا (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ) حَتَّى بَلَغَ (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) رواه أبو داود ٢٤٤

المضارة في الوصية: إعطائها لغير مستحقيها أو تكون في معصية .

وفي تحفة الأحوذى : (فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ) مِنَ الْمُضَارَّةِ أَيْ يُوصِّلَانِ الضَّرَرَ إِلَى الْوَارِثِ بِسَبَبِ الْوَصِيَّةِ لِلْأَحَبِّ بِأَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ، أَوْ بِأَنْ يَهَبَ جَمِيعَ مَالِهِ لِوَاحِدٍ مِنَ الْوَرَثَةِ كَيْ لَا يُورِثُ وَارِثٌ آخَرُ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا فَهَذَا مَكْرُوهٌ وَفَرَارٌ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْمَلَكِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَأَنْ يُوصَى لِغَيْرِ أَهْلِ الْوَصِيَّةِ أَوْ يُوصَى بِعَدَمِ إِمْضَاءِ مَا أَوْصَى بِهِ حَقًّا بِأَنْ نَدِمَ مِنْ وَصِيَّتِهِ أَوْ يَنْقُضَ بَعْضَ الْوَصِيَّةِ (فَيَجِبُ لَهُمَا النَّارُ) أَيْ فَتَثْبُتُ . وَالْمَعْنَى يَسْتَحِقَّانِ الْعُقُوبَةَ وَلَكِنَّهُمَا تَحْتَ الْمَشِيئَةِ (ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ) بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ ، قَائِلُهُ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ أَيْ قَرَأَ عَلَيَّ أَبُو هُرَيْرَةَ اسْتِشْهَادًا وَاعْتِضَادًا ({ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ }) مُتَعَلِّقٌ بِمَا تَقْدَمُ مِنْ قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ ({ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ }) بَيْنَاءِ الْمَجْهُولِ

٢٤٣ - البخاري ٢/٤ (٢٧٣٨) ومسلم في الوصية ج ١ و ٤ (١٦٢٧) ومالك (١٤٥٨)

٢٤٤ - برقم (٢٨٦٩) والترمذي (٢٢٦٣) والبيهقي ٢٧١/٦ (١٢٩٦١) وهو حديث حسن.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْخَيْرِ سَبْعِينَ سَنَةً فَإِذَا أُوصِيَ حَافٍ فِي وَصِيَّتِهِ فَيُخْتَمُ لَهُ بِشَرِّ عَمَلِهِ فَيَدْخُلُ النَّارَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الشَّرِّ سَبْعِينَ سَنَةً فَيُعَدِّلُ فِي وَصِيَّتِهِ فَيُخْتَمُ لَهُ بِخَيْرِ عَمَلِهِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٤) [النساء/١٣-١٥] أخرجه ابن ماجه ٢٤٥

خاف: حار وظلم سواء أكان حاكماً أو غير حاكم، فهو خائف قال تعالى: { وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } (٩) سورة النساء

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْراً؟ فَقَالَ: «أَمَّا وَأَبْيَكَ لِنَبَأْتُهُ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَحِيحٍ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْبَقَاءَ وَلَا تُمِهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْخُلُقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ» رواه البخاري ٢٤٦ ومسلم

الروح الخلقوم: أي بلغت الروح موضع خروجها، ففي هذا الوقت انتهى العمل وخرج المال من يد المورث إلى الورثة، فلا تنفع الصدقة كما لا تنفع المثوبة.
قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الشُّحُّ أَعَمُّ مِنَ الْبُخْلِ، وَكَأَنَّ الشُّحَّ جِنْسٌ وَالْبُخْلُ نَوْعٌ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ الْبُخْلُ فِي أَفْرَادِ الْأُمُورِ، وَالشُّحُّ عَامٌ كَالْوَصْفِ لِلْأَزْمِ وَمَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الطَّبْعِ قَالَ: فَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الشُّحَّ غَالِبٌ فِي حَالِ الصَّحَّةِ، فَإِذَا شَحَّ فِيهَا وَتَصَدَّقَ كَانَ أَصْدَقَ فِي نَبْتِهِ وَأَعْظَمَ لَأَجْرِهِ، بِخِلَافِ مَنْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ وَآيَسَ مِنَ الْحَيَاةِ وَرَأَى مَصِيرَ الْمَالِ لَعْيَرِهِ فَإِنَّ صَدَقَتَهُ حِينَئِذٍ نَاقِصَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَالَةِ الصَّحَّةِ، وَالشُّحُّ رَجَاءُ الْبَقَاءِ وَخَوْفُ الْفَقْرِ. (وَتَأْمُلُ الْغِنَى). بِضَمِّ الْمِيمِ أَيُّ تَطْمَعُ بِهِ. وَمَعْنَى (بَلَغَ الْخُلُقُومَ): بَلَغَتْ الرُّوحُ، وَالْمُرَادُ قَارَبَتْ بُلُوغَ الْخُلُقُومِ إِذْ لَوْ بَلَغَتْهُ حَقِيقَةُ لَمْ تَصِحَّ وَصِيَّتُهُ وَلَا صَدَقَتُهُ وَلَا

٢٤٥ - ابن ماجه (٢٧٠٤) وأحمد ٢٧٨/٢ (٧٩٥٨) وطب (٥٩٧) وطس (٣١٢٠) حديث حسن.

٢٤٦ - البخاري ١٣٧/٢ و ٥/٤ (١٤١٩ و ٢٧٤٨) ومسلم في الزكاة ج ٩٢ و (١٠٣٢) واللفظ له

شَيْءٍ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِ بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ . وَقَوْلُهُ ﷺ: (لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : الْمُرَادُ بِهِ الْوَارِثُ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : الْمُرَادُ بِهِ سَبَقُ الْقَضَاءِ بِهِ لِلْمُوصَى لَهُ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ عَنْ تَصَرُّفِهِ وَكَمَالِ مِلْكِهِ وَاسْتِقْلَالِهِ بِمَا شَاءَ مِنْ التَّصَرُّفِ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَصِيَّتِهِ كَبِيرُ ثَوَابٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى صَدَقَةِ الصَّحِيحِ الشَّحِيحِ ٢٤٧ .

وَعَنْ أَبِي حَبِيبَةَ الطَّائِيِّ قَالَ أَوْصَى إِلَى أَخِي بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ فَلَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقُلْتُ إِنَّ أَخِي أَوْصَى إِلَى بَطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ فَأَيْنَ تَرَى لِي وَضَعَهُ فِي الْفُقَرَاءِ أَوِ الْمَسَاكِينِ أَوِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ أَمَّا أَنَا فَلَوْ كُنْتُ لَمْ أَعْدِلْ بِالْمُجَاهِدِينَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ: « مَثَلُ الَّذِي يُعْتِقُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدَى إِذَا شَبِعَ » ٢٤٨ . رواه

٢٤٩

الترمذي

قَوْلُهُ : (أَمَّا أَنَا فَلَوْ كُنْتُ لَمْ أَعْدِلْ بِالْمُجَاهِدِينَ) أَي لَمْ أُسَاوِ بِهِمُ الْفُقَرَاءَ أَوِ الْمَسَاكِينِ وَغَيْرَهُمْ . وَالْمَعْنَى لَوْ كُنْتُ أَنَا مُوصِيًا لَمْ أُوصِ إِلَّا لِلْمُجَاهِدِينَ (مَثَلُ الَّذِي يُعْتِقُ) وَفِي رِوَايَةٍ يَتَصَدَّقُ (عِنْدَ الْمَوْتِ) أَي عِنْدَ احْتِضَارِهِ . وَفِي الْمَشْكَاةِ : مَثَلُ الَّذِي يَتَصَدَّقُ عِنْدَ مَوْتِهِ يُعْتِقُ (كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدَى إِذَا شَبِعَ) قَالَ الطَّبِيبِيُّ : فِي هَذَا الْإِهْدَاءِ نَوْعٌ اسْتِخْفَافٌ بِالْمُهْدَى إِلَيْهِ انْتَهَى . وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ مَرْتَبَةٌ نَاقِصَةٌ لِأَنَّ التَّصَدَّقَ وَالْإِعْتِقَ حَالٌ الصَّحَّةِ أَفْضَلُ ، كَمَا أَنَّ السَّخَاوَةَ عِنْدَ الْمَجَاعَةِ أَكْمَلُ قَالَهُ الْقَارِي ٢٥٠ .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « مَثَلُ الَّذِي يُعْتِقُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَمَثَلِ

٢٥١

الَّذِي يُهْدَى إِذَا شَبِعَ » رواه أبو داود

وَفِي عَوْنِ الْمَعْبُودِ : (إِذَا شَبِعَ) : لِأَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ إِنَّمَا هِيَ عِنْدَ الطَّمَعِ فِي الدُّنْيَا وَالْحَرِصِ عَلَى الْمَالِ فَيَكُونُ مُؤْتَرًّا لِآخِرَتِهِ عَلَى دُنْيَاهُ صَادِرًا فِعْلُهُ عَنْ قَلْبِ سَلِيمٍ وَنِيَّةٍ

٢٤٧ - شرح النووي على مسلم - (ج ٣ / ص ٤٨٢)

٢٤٨ - أي ما لا قيمة له .

٢٤٩ - في الوصية باب ٣ (٢٨٦٨) والفتح ٣٧٤/٥ والإحسان (٣٤٠٣) وهو حديث حسن

٢٥٠ - تحفة الأحوذى - (ج ٥ / ص ٤٠٥)

٢٥١ - برقم (٢٢٦٩) وأبو داود برقم (٣٩٧٠) وعب (١٦٧٤١) وحس (٢٢٣٥١) وك (٢٨٤٦) والفتح

٣٧٤/٥ وهو حديث حسن.

مُخْلِصَةً فَإِذَا أَخَّرَ فَعَلَ ذَلِكَ حَتَّى حَضَرَهُ الْمَوْتُ كَانَ اسْتِثْنَاءً دُونَ الْوَرَثَةِ وَتَقْدِيمًا لِنَفْسِهِ
فِي وَقْتٍ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ فِي دُنْيَاهُ فَيَنْقُصُ حَظَّهُ . قَالَ الْمُنَاوِيُّ فِي فَتْحِ الْقَدِيرِ : وَالْحَدِيثُ
صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَأَقْرَأَهُ الذَّهَبِيُّ . وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ : إِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ ،
وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ بِزِيَادَةِ الصَّدَقَةِ ، فَقَالَ " مَثَلُ الَّذِي يَتَصَدَّقُ عِنْدَ مَوْتِهِ أَوْ يُعْتَقُ كَالَّذِي يُهْدَى
إِذَا شَبِعَ " . قَالَ الْمُنْدَرِيُّ : وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ
صَحِيحٌ

المبحث الثامن

فضل الموت

قال العلماء : الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقة وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار لدار.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ: « ائْتَنَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَيَكْرَهُ قَلَّةَ الْمَالِ وَقَلَّةَ الْمَالِ أَقْلٌ لِلْحِسَابِ ». أخرجه أحمد ^{٢٥٢}

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ: « مُسْتَرِيحٌ ، وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ قَالَ: « الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ » أخرجه الشيخان ^{٢٥٣}

قَالَ ابْنُ التَّيْنِ . يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِالْمُؤْمِنِ التَّقِيَّ خَاصَّةً وَيَحْتَمِلُ كُلُّ مُؤْمِنٍ . وَالْفَاجِرُ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْكَافِرَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ الْعَاصِي . وَقَالَ الدَّوْدِيُّ : أَمَّا اسْتِرَاحَةُ الْعِبَادِ فَلَمَّا يَأْتِي بِهِ مِنَ الْمُنْكَرِ فَإِنْ أَنْكَرُوا عَلَيْهِ آذَاهُمْ وَإِنْ تَرَكُوهُ أَثْمُوا وَاسْتِرَاحَةُ الْبِلَادِ مِمَّا يَأْتِي بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي فَإِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَحْصُلُ بِهِ الْجَدْبُ فَيَقْتَضِي هَلَاكَ الْحَرثِ وَالنَّسْلِ . وَتَعَقَّبَ الْبَاجِي أَوَّلَ كَلَامِهِ بِأَنْ مَنْ نَالَهُ أَذَاهُ لَا يَأْتُمُ بِتَرْكِهِ لِأَنَّهُ بَعْدَ أَنْ يُنْكَرَ بِقَلْبِهِ أَوْ يُنْكَرَ بَوَجْهِهِ لَا يَنَالُهُ بِهِ أَذًى وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِرَاحَةِ الْعِبَادِ مِنْهُ لِمَا يَقَعُ لَهُمْ مِنْ ظُلْمِهِ وَرَاحَةِ الْأَرْضِ مِنْهُ لِمَا يَقَعُ عَلَيْهَا مِنْ غَضَبِهَا وَمَنْعِهَا مِنْ حَقِّهَا وَصَرْفِهَا فِي غَيْرِ وَجْهِهِ وَرَاحَةِ الدَّوَابِّ مِمَّا لَا يَجُوزُ مِنْ إِتْعَابِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^{٢٥٤} .

^{٢٥٢} - ٤٢٧/٥ (٢٤٣٤٣) والمجمع ٢٥٧/١٠ (٣٩٠٤ و ١٧٨٧٩) وشرح السنة (٣٨٩٠) والصحيحة (٨١٣) وهو

حديث صحيح.

^{٢٥٣} - البخاري ١٣٣/٥ و ١٣٤ (٦٥١٢ و ٦٥١٣) ومسلم (٩٥٠) ونص (١٩٤٢ و ١٩٤٣) وأحمد (٢٣١٩٩).

^{٢٥٤} - فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٣٥٤)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَسَنَّتُهُ فَإِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا فَارَقَ السِّجْنَ وَالسَّنَةَ » أخرجه أحمد ^{٢٥٥}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسْرُهَا أَنَّهَا تَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدُ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ » أخرجه مسلم ^{٢٥٦}

قال النووي رحمه الله: هَذَا مِنْ صَرَاحِ الْأَدِلَّةِ فِي عَظِيمِ فَضْلِ الشَّهَادَةِ ، وَاللَّهُ الْمَحْمُودُ الْمَشْكُورُ . وَأَمَّا سَبَبُ تَسْمِيَّتِهِ شَهِيدًا : فَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ : لِأَنَّهُ حَيٌّ ، فَإِنْ أَرْوَاهُمْ شَهِدَتْ وَحَضَرَتْ دَارَ السَّلَامِ وَأَرْوَاهُ غَيْرَهُمْ إِيَّامًا تَشْهَدُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "

وَعَنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ: "وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا مِنْ نَفْسٍ حَيَّةٍ إِلَّا الْمَوْتُ خَيْرٌ لَهَا إِنْ كَانَ بَرًّا، إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ" [آل عمران: ١٩٨] وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا ، إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: "وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِيَّامًا نُثَمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا" [آل عمران: ١٧٨] ". أخرجه الطبراني ^{٢٥٧}

وفي هذه الآية يصل السياق إلى العقدة التي تحيك في بعض الصدور ، والشبهة التي تحول في بعض القلوب ، والعتاب الذي تجيش به بعض الأرواح ، وهي ترى أعداء الله وأعداء الحق ، متروكين لا يأخذهم العذاب ، متمعين في ظاهر الأمر ، بالقوة والسلطة والمال والجاه! مما يوقع الفتنة في قلوبهم وفي قلوب الناس من حولهم ومما يجعل ضعف الإيمان يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يحسبون أن الله - حاشاه - يرضى عن الباطل والشر والجحود والطغيان ، فيملي له ويرخي له العنان! أو يحسبون أن الله - سبحانه - لا يتدخل في المعركة بين الحق والباطل ، فيدع للباطل أن يحطم الحق ، ولا يتدخل لنصرته! أو يحسبون أن هذا الباطل حق ، وإلا فلم تركه الله ينمو ويكبر ويغلب؟!!

^{٢٥٥} - برقم (٧٠٣٤) برقم (٥٩٨) والمجمع ٢٨٩/١٠ (١٧٠٧٩) ومب (٥٨٧) وشرح السنة (٣٩٣٠) والحاكم ٣١٥/٤ (٧٨٨٢) والمقاصد الحسنة (٤٩٥) وهو حديث حسن لغيره . السنة : الجذب والقحط
^{٢٥٦} - برقم (١٨٧٧) ونص (٣١٧٢) وش (١٩٣١٥) وأحمد ٣١٨/٥ (١٢٦٠٧)
^{٢٥٧} - برقم (٨٦٧٢) والقضاء والقدر للبيهقي (٢٦٤) وك (٣١٦٨) وهو صحيح موقوف.

أو يحسبون أن من شأن الباطل أن يغلب على الحق في هذه الأرض ، وأن ليس من شأن الحق أن ينتصر! ثم .. يدع المبطلين الظلمة الطغاة المفسدين ، يلجئون في عتوهم ، ويسارعون في كفرهم ، ويلجئون في طغيانهم ، ويظنون أن الأمر قد استقام لهم ، وأن ليس هنالك من قوة تقوى على الوقوف في وجههم!!! وهذا كله وهم باطل ، وظن بالله غير الحق ، والأمر ليس كذلك. وها هو ذا الله سبحانه وتعالى يحذر الذين كفروا أن يظنوا هذا الظن .. إنه إذا كان الله لا يأخذهم بكفرهم الذي يسارعون فيه ، وإذا كان يعطيهم حظا في الدنيا يستمتعون به ويلهون فيه .. إذا كان الله يأخذهم بهذا الابتلاء ، فإنما هي الفتنة وإنما هو الكيد المتين ، وإنما هو الاستدراج البعيد :

« وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ .. إِنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا! » ولو كانوا يستحقون أن يخرجهم الله من غمرة النعمة ، بالابتلاء الموقظ ، لابتلاهم .. ولكنه لا يريد بهم خيرا ، وقد اشتروا الكفر بالإيمان ، وسارعوا في الكفر واجتهدوا فيه! فلم يعودوا يستحقون أن يوقظهم الله من هذه الغمرة - غمرة النعمة والسلطان - بالابتلاء! «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ» .. والإهانة هي المقابل لما هم فيه من مقام ومكانة ونعماء.

وهكذا يتكشف أن الابتلاء من الله نعمة لا تصيب إلا من يريد له الله به الخير. فإذا أصابت أوليائه ، فإنما تصيبهم لخير يريده الله لهم - ولو وقع الابتلاء مترتبا على تصرفات هؤلاء الأولياء - فهناك الحكمة المغيبة والتدبير اللطيف ، وفضل الله على أوليائه المؤمنين. وهكذا تستقر القلوب ، وتطمئن النفوس ، وتستقر الحقائق الأصيلة البسيطة في التصور الإسلامي الواضح المستقيم.^{٢٥٨}

^{٢٥٨} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ٥٢٤)

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ حَبْتَرٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "يَا حَبْدَا الْمَكْرُوهَانِ: الْمَوْتُ وَالْفَقْرُ، وَأَيُّمُ اللَّهِ
أَلَا إِنَّ الْغِنَى وَالْفَقْرَ وَمَا أُبَالِي بَأَيِّهِمَا ابْتُلِيتُ، إِنْ كَانَ الْغِنَى إِنْ فِيهِ لِلْعَطْفِ، وَإِنْ كَانَ
الْفَقْرُ إِنْ فِيهِ لِلصَّبْرِ". أخرجه الطبراني ٢٥٩

ولا شك أن المؤمن الصادق يحب الموت ، لأن فيه لقاء الله تعالى وهو أعلى أمنية عنده،
ولأنه يتخلص من عذاب الدنيا وهمومها وغمومها التي لا تنقطع، ومن أسباب ضياع
المسلمين اليوم هو حب الدنيا وكرهية الموت، كما ورد هذا في حديث صحيح عَنْ
ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى
قَصْعَتِهَا ». فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ
كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ
الْوَهْنَ ». فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ». ٢٦٠

٢٥٩ - برقم (٨٤٣٦) وتهذيب الآثار (٢٥٥٧) وهب (٩٦١٧) والزهد لأحمد (٨٥٤) والجلية ١٢١/٣ و تاريخ
أصفهان ٢٣١/٢ وتاريخ بغداد ٣٤٧/١ والفيض ٢٧٩/٦ وهو حسن موقوف . وإيم الله : أسلوب قسم بالله تعالى
وأصلها إيمان الله ، الابتلاء : الاختبار والامتحان بالخير أو الشر
٢٦٠ - أخرجه أبو داود برقم (٤٢٩٩) صحيح

المبحث التاسع

الترهيب من كراهية الموت والترغيب بمحبته

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » . قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ . قَالَ « لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ »

٢٦١

رواه البخاري ومسلم

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « قَالَ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ »

٢٦٢

رواه البخاري

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهْيَةِ : الْمُرَادُ بِلِقَاءِ اللَّهِ هُنَا الْمَصِيرُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ وَطَلَبُ مَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَيْسَ الْغَرَضُ بِهِ الْمَوْتُ لَأَنَّ كُلًّا يَكْرَهُهُ فَمَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَأَبْغَضَهَا أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَمَنْ آتَرَهَا وَرَكَّنَ إِلَيْهَا كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَصِلُ إِلَيْهِ بِالْمَوْتِ . وَقَوْلُ عَائِشَةَ وَالْمَوْتُ دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ يُبَيِّنُ أَنَّ الْمَوْتَ غَيْرُ اللَّقَاءِ وَلَكِنَّهُ مُعْتَرِضٌ دُونَ الْغَرَضِ الْمَطْلُوبِ فَيَجِبُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَيْهِ وَيَحْتَمِلَ مَشَاقِقَهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْفَوْزِ بِاللِّقَاءِ .

وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "اللَّهُمَّ مَنْ آمَنَ بِكَ وَشَهِدَ أَنِّي رَسُولُكَ ، فَحَبَّبَ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ قَضَاءَكَ ، وَأَقْلَلَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِكَ وَيَشْهَدْ أَنِّي رَسُولُكَ ، فَلَا تُحَبِّبْ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ ، وَلَا تُسَهِّلْ عَلَيْهِ قَضَاءَكَ ، وَأَكْثِرْ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا" رواه

٢٦٣

الطبراني

٢٦١ - البخاري ١٣٣/٨ (٦٥٠٧٦٥٠٨) ومسلم (٢٦٨٣-٢٦٨٦) والترمذي (١٠٨٧ و١٠٨٨) وهو حديث

متواتر . انظر جامع الأصول ٥٩٥/٩ - ٥٩٨ .

٢٦٢ - البخاري (٧٥٠٤) ومسلم (٢٦٨٥) ومالك (٥٧٣) وجامع الأصول ٥٩٨/٥

٢٦٣ - برقم (١٥٢٠٣) وتهذيب الآثار (٢٥٣٦) والإحسان (٢٠٨) وصحيح الجامع (١٣١١) وهو حديث

صحيح .

وقال المناوي ^{٢٦٤}: (اللهم من آمن بك) أي صدق بأنك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك (وشهد أني رسولك) إلى الثقلين (فحبب إليه لقاءك وسهل عليه قضاءك) فیتلقاك بقلب سليم وخاطر منشراح ولا ينهمك في شيء من قضائك ويعلم أنه ما من شيء قدرته إلا وله وفيه خيور كثيرة دينية فيحسن ظنه بك (وأقلل له من الدنيا) أي من زهرتها وزينتها ليتجافى بالقلب عن دار الغرور ويميل به إلى دار الخلود (ومن لم يؤمن ويشهد أني رسولك فلا تحبب إليه لقاءك ولا تسهل عليه قضاءك وكثر له من الدنيا) وذلك هو غاية الشقاء فإن موآاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة يورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقتة وإذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأنس بها فتصير كالسجن له وخروجه منها غاية اللذة كالخلاص من السجن.

وعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ رواه

٢٦٥

الحاكم

وفي الفتوحات: " الموت للمؤمن تحفة، والنعش له محفة ينقله من العدو الدينا إلى العدو القصوى حيث لا فتنة ولا بلوى فيترله أحسن منزل في أحصب منزل، منزل لذة ونعيم ويسقى من عين مزاجها من تسنيم "

" وما مات أحدٌ إلا بحلول أجله، وما قبضَ إلا دونَ أمله، ليس بخاسرٍ ولا مغبونٍ من كان أمله المنون، فإن فيه اللقاءَ الإلهيَّ، والبقاءَ الكيانيَّ، ومن ذلك سرُّ الموت وما فيه من الفوت " ٢٦٦

^{٢٦٤} - في فيض القدير (١٥٠٠)

^{٢٦٥} - الحاكم ٣١٩/٤ (٧٩٠٠) والمجمع ٣٢٠/٢ وهب (٩٥٣٥) وإتحاف الخيرة (١٨٣١) وشرح السنة (١٤٢٤)

وابن المبرك في الزهد (٥٨٨) والمطالب (٧٠٨ و ٣٠٩٤) وكشف الخفاء (٩٤٨) وهو حديث حسن لغيره

^{٢٦٦} - الفتوحات المكية - (٧ / ٩٥)

المبحث العاشر

استحباب ذكر الموت والاستعداد له

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ٢٦٧
هَازِمٌ: هَازِمٌ: قَاطِعٌ. بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ بِمَعْنَى قَاطِعِهَا أَوْ بِالْمُهْمَلَةِ مِنْ هَدَمِ الْبِنَاءِ وَالْمُرَادُ
الْمَوْتُ وَهُوَ هَازِمٌ اللَّذَاتِ إِمَّا لِأَن ذِكْرَهُ يُزْهِدُ فِيهَا أَوْ لِأَنَّهُ إِذَا جَاءَ مَا يُبْقِي مِنَ لَذَائِدِ الدُّنْيَا
شَيْئًا وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ، فَإِنَّهُ مَا
ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي ضَيْقٍ مِنَ الْعِيشِ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ » أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ ٢٦٨
وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى
النَّبِيِّ ﷺ - ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ قَالَ: « أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ». قَالَ
فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ قَالَ: « أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا أَوْ لَيْسَ
الْأَكْيَاسُ ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه ٢٦٩

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ
وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ ». قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. قَالَ وَمَعْنَى قَوْلِهِ
: « مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ». يَقُولُ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَيُرْوَى
عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ وَإِنَّمَا

٢٦٧ - برقم (٢٤٧٧) والنسائي ٤/٤ (١٨٣٥) وابن ماجه (٤٣٩٩) والحاكم ٣٢١/٤ (٧٩٠٩) وابن حبان

(٢٥٥٩) موارد وهو حديث صحيح

٢٦٨ - المجمع ٣٠٨/١٠ (١٨٢٠٥) والأموال لابن زنجويه (٧٤٠) والزهد هق (٥٦٠) وصحيح الترغيب (٣٣٣٤)

والإحسان (٣٠٥٥) وهو حديث صحيح لغيره .

٢٦٩ - برقم (٤٤٠٠) والحاكم ٥٤٠/٤ (٨٦٢٣) وطس (٤٨٢٧) وهب (١٠١٥٤ و ٧٧٦٤) والشاميين (١٥٢٩)

والحلية ٣١٣/١ وهو حديث حسن . الكيس : العقل والفتنة ، الأكياس : من الكياسة وهي تمكن النفوس من استنباط ما هو أنفع

يَخْفُ الْحَسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا. ^{٢٧٠} وَيُرَوَّى عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ ^{٢٧١}: لَا يَكُونُ الرَّجُلُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الرَّجُلِ شَرِيكَهُ حَتَّى يَنْظُرَ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ وَمَكْسَبُهُ.. أخرجه الترمذي ^{٢٧٢}

(الْكَيْسُ) أَيِ الْعَاقِلِ الْمُتَبَصِّرِ فِي الْأُمُورِ النَّاطِرِ فِي الْعَوَاقِبِ (مَنْ دَانَ نَفْسَهُ) أَيِ حَاسِبَهَا وَأَذَلَّهَا وَاسْتَعْبَدَهَا وَقَهَرَهَا حَتَّى صَارَتْ مُطِيعَةً مُنْقَادَةً (وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ) قَبْلَ نُزُولِهِ لِيَصِيرَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَالْمَوْتُ عَاقِبَةُ أَمْرِ الدُّنْيَا ، فَالْكَيْسُ مَنْ أَبْصَرَ الْعَاقِبَةَ (وَالْعَاجِزُ) الْمُقْصِرُ فِي الْأُمُورِ (مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا) مِنَ الْإِتْبَاعِ أَيِ جَعَلَهَا تَابِعَةً لِهَوَاهَا فَلَمْ يَكْنُفْهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ وَلَمْ يَمْنَعْهَا عَنْ مُقَارَنَةِ الْمُحَرَّمَاتِ (وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ) وَفِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ فَهُوَ مَعَ تَفْرِيطِهِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ وَاتِّبَاعِ شَهَوَاتِهِ لَمْ يَتَذَكَّرْ بَلْ يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ أَنْ يَغْفُو عَنْهُ .

قَالَ الطَّبِيبُ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالْعَاجِزُ الَّذِي غَلَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَمِلَ مَا أَمَرَتْهُ بِهِ نَفْسُهُ فَصَارَ عَاجِزًا لِنَفْسِهِ فَاتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَأَعْطَاهَا مَا اشْتَهَتْهُ ، قُوبِلَ الْكَيْسُ بِالْعَاجِزِ وَالْمُقَابِلُ الْحَقِيقِيُّ لِلْكَيْسِ السَّفِيهِ الرَّأْيِ وَلِلْعَاجِزِ الْقَادِرُ لِيُؤْذَنَ بِأَنَّ الْكَيْسَ هُوَ الْقَادِرُ ، وَالْعَاجِزُ هُوَ السَّفِيهِ وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَيِ يُذْنِبُ وَيَتَمَنَّى الْجَنَّةَ مِنْ غَيْرِ الْإِسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ ^{٢٧٣} .

^{٢٧٠} - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ : حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَتَزِنُوا لِلْعُرْضِ الْأَكْبَرِ ، يَوْمَ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ. مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ٢٧٠) (٣٥٦٠٠) وأخبار أصبهان (١١٥٦) وأدب النفوس للأجري (١٧) حسن لغيره

^{٢٧١} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ٥١٩) (٣٦٤١٩) صحيح

^{٢٧٢} - برقم (٢٦٤٧) وهـ (٤٤٠١) وأحمد ٢٤/٤ (١٧٥٨٨) والحاكم ٥٧/١ و ٢٥١/٤ (١٩١ و ٧٦٣٩) وطب (٦٩٩٥ و ٦٩٩٧) وهق (٦٧٤٩) وهو حديث حسن.

ملاحظة : أخطأ الذهبي في رده لتصحيح الحاكم وتابعه المناوي في الفيض ٦٨ / ٥ والألباني في ضعيف الجامع (٤٣٠٥) لظنهم أنه مما تفرد به أبو بكر بن أبي مرزوق الغساني ، وفاتهم أنه قد تابعه ثور بن يزيد وغالب عن مكحول عن ابن غنم عن شداد بن أوس وكذلك مكحول البيروتي ثنا إبراهيم بن بكر بن عمرو قال : سمعت أبي يحدث عن ثور وغالب به الإتحاف ٨ / ٤٢٨ فتأمل يا رعاك الله واحذر التسرع في تضعيف الأحاديث.

^{٢٧٣} - تحفة الأحوذى - (ج ٦ / ص ٢٥١)

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُونَ مِنْ عِبَادَتِهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاكِتٌ، فَلَمَّا سَكَتُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَلْ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَ الْمَوْتِ؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: "فَهَلْ كَانَ يَدْعُ كَثِيرًا مِمَّا يَسْتَهْجِي؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: "مَا بَلَغَ صَاحِبُكُمْ كَثِيرًا مِمَّا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ" « رَوَاهُ

٢٧٤

الطبراني

فالإكثار من ذكر الموت يجعل الإنسان على استعداد تام له، فمن تذكر الموت لا يعصي الله خشية أن يأتيه الموت وهو متلبس بالمعصية، وإذا ذكر الموت وكان عاصياً ثاب إلى رشده قبل فوات الأوان، وإذا تذكر الموت انضبط بشكل دقيق، بحيث لا يسمح لأهوائه وشهواته أن تسيطر عليه.

إنه لا إصلاح للبشرية إلا بذكر الموت، لأنه صمام الأمان من الفساد والسقوط والتردي، فالذي يتذكر الموت، لا بد أن يتذكر ما بعد الموت، وإلى أين سيذهب، ولا بد أن يتذكر الجزاء، والوقوف بين يدي الله، لا حول له ولا طول، وليس معه إلا ما قدم من عمل. لذا قالوا: من أكثر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة، اللهم اجعلنا ممن يتذكر الموت قبل الفوت يا أرحم الراحمين.

٢٧٤ - برقم (٥٨٠٨) المجمع ٣٠٩/١٠ (١٨٢٠٦) وقال رواه الطبراني وإسناده حسن.

المبحث الحادي عشر تحسين الظن بالله والخوف منه

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ « لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .^{٢٧٥} أخرجه مسلم

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ الْمُهَذَّبِ : مَعْنَى تَحْسِينِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَظُنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْحَمُهُ وَيَرْجُو ذَلِكَ بِتَدْبِيرِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَفْوِهِ وَمَا وَعَدَ بِهِ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَمَا سَيَبْدُلُهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي " هَذَا هُوَ الصَّوَابُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ وَهُوَ الَّذِي قَالَهُ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ . وَشَذَّ الْحَطَّابِيُّ فَذَكَرَ تَأْوِيلًا آخَرَ أَنَّ مَعْنَاهُ أَحْسِنُوا أَعْمَالَكُمْ حَتَّى يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِرَبِّكُمْ ، فَمَنْ حَسَّنَ عَمَلَهُ حَسُنَ ظَنُّهُ ، وَمَنْ سَاءَ عَمَلُهُ سَاءَ ظَنُّهُ ، وَهَذَا تَأْوِيلُ بَاطِلٍ نَبَّهْتَ عَلَيْهِ لَعَلَّا يُعْتَرَّ بِهِ انْتَهَى

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ « كَيْفَ تَجِدُكَ » . قَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ »^{٢٧٦}

أخرجه الترمذي

قَوْلُهُ (لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ) يُدَلُّ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي وُجُودُ الْأَمْرَيْنِ عَلَى الدَّوَامِ حَتَّى فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَغْلِبَ الرَّجَاءُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِحَيْثُ لَا يَبْقَى مِنَ الْخَوْفِ شَيْءٌ .

^{٢٧٥} - برقم (٢٨٧٧) وأحمد ٣٢٥/١ و ٣٣٠ و ٢٩٣/٣ (١٤٤٨٩) و ١٤٨٥٥ و ١٤٩٠٩ و ١٤٩٥٤ و ١٤٥٨٨

وَأَبُو دَاوُدَ (٣١١٥) وَهـ (٤٣٠٦)

^{٢٧٦} - الترمذي (٩٩٩) وابن ماجه (٤٤٠٢) ون (١٠٨٣٤) والمجمع ٢٩٦/٢ و ٣٢٢ والفتح ٣٠١/١١ وك (٢٣٩٤)

والصحيحة (١٠٥١) وهو حديث صحيح لغيره.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا ، قَالَ : وَعَزَّيْتُ لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٧٧

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - : « أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، إِنَّ ظَنِّي بِي خَيْرٌ فَلَهُ ، وَإِنْ ظَنُّ شَرًّا فَلَهُ ». أخرجه أحمد ٢٧٨

وقال المناوي في فيض القدير : (قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي إن ظن) بي (خيراً (فله) مقتضى ظنه (وإن ظن) بي (شراً) أي أي أفعل به شراً (فله) ما ظنه فالمعاملة تدور مع الظن فإذا أحسن ظنه بربه وفي له بما أمل وظن والتطير سوء الظن بالله وهروب عن قضائه فالعقوبة إليه سريعة والمقت له كائن، ألا ترى إلى العصابة التي فرت من الطاعون كيف أماتهم؟ قال الحكيم الترمذي: الظن ما تردد في الصدر وإنما يحدث من الوهم والظن حاجسة النفس وللنفس إحساس بالأشياء فإذا عرض أمر دبر لها الحس شأن الأمر العارض فما خرج لها من التدبير فهو هواجس النفس فالؤمن نور التوحيد في قلبه فإذا هجست نفسه لعارض أضاء النور فاستقرت النفس فاطمن القلب فحسن ظنه لأن ذلك النور يريه من علائم التوحيد وشواهد ما تسكن النفس إليه وتعلمه أن الله كافيه وحسبه في كل أموره وأنه كريم رحيم عطوف به فهذا حسن الظن بالله وأما إذا غلب شره النفس وشهواتها فيفور دخان شهواتها كدخان الحريق فيظلم القلب وتغلب الظلمة على الضوء فتحي النفس بهواجسها وأفكارها وتضطرب ويتزعزع القلب عن مستقره وتفقد الطمأنينة وتعمى عين الفؤاد لكثرة الظلمة والدخان فذلك سوء الظن بالله فإذا أراد الله بعبده خيراً أعطاه حسن الظن بأن يزيده نوراً يقذفه في قلبه ليقشع ظلمة الصدر كسحاب ينقشع عن ضوء القمر ومن لم يمنح ذلك فصدره مظلم لما أتت به النفس من داخل شهواتها والعبء

٢٧٧ - برقم (٢٤٩٤) موارد والإحسان (٦٤٢) وهب (٧٩٤) وتاريخ البخاري ١٢/٨ والحلية ٩٨/٦ والجمع ٣٠٨/١٠ (١٨٢٠٠) والصحيحة (٧٤٢) وهو حديث صحيح.
٢٧٨ - ٣١٥/٢ (٩٣١٤) والإحسان (٦٤١) والجمع ٣١٩/٢ (٣٨٨٨) وصحيح الجامع (٤٣١٥) وهو حديث صحيح لغيره.

ملوم على تقوية الشهوات من استعمالها فإذا استعملها فقد قوّاها، ككانون: كلما أُلقيت فيه حطباً ازداد لظماً ودخاناً..

وعن أبي عيَّاشٍ قَالَ قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ مَا أَوَّلُ مَا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا أَوَّلُ مَا يَقُولُونَ لَهُ». قُلْنَا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِي فَيَقُولُونَ نَعَمْ يَا رَبَّنَا. فَيَقُولُ لِمَ فَيَقُولُونَ رَجَوْنَا عَفْوَكَ وَمَغْفِرَتَكَ. فَيَقُولُ قَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ مَغْفِرَتِي». أخرجه أحمد^{٢٧٩}

وعن أنسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ «يَخْرُجُ أَرْبَعَةٌ مِنَ النَّارِ - قَالَ أَبُو عَمْرٍاءَ أَرْبَعَةٌ. وَقَالَ ثَابِتٌ رَجُلَانِ - فَيَعْرِضُونَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ. قَالَ فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ قَدْ كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ لَا تُعِيدَنِي فِيهَا. فَيُنَجِّيهِ اللَّهُ مِنْهَا عَزَّ وَجَلَّ». أخرجه أحمد^{٢٨٠}

ففي هذه الأحاديث تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، ومن حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه سيرحمه وسيعفو عنه، ففي حال الصحة غلب الخوف، وإذا دنا الأجل غلب الرجاء، لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتعمد للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له^{٢٨١}

^{٢٧٩} - ٢٣٨/٥ (٢٢٧٢٣) وطب (١٦٦٧٥) وهب (١٠٦٣) وطبا (٥٥٩) والجمع ٣٢١/٢ و ٣٥٨/١٠ (٣٩٠٣ و ١٨٤٣٩) والخلية ١٧٩/٨ وهو حديث حسن لغيره .

^{٢٨٠} - برقم (١٤٤٠٥) والإحسان برقم (٦٣٤) ١٤/٢ و أبو عوانة ١٨٧/١ (٣٤٥) والتوحيد لابن خزيمة (٤٤٠) صحيح.

^{٢٨١} - راجع شرح مسلم للنووي ٢٠٩/١٧ - ٢١٠ والفتح ٣٨٥/١٣ - ٣٨٦

المبحث الثاني عشر

نذير الموت

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَ: «أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَى أَمْرِي أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَهُ سِتِّينَ سَنَةً» أخرجه البخاري ٢٨٢

قال ابن بطال رحمه الله: أى أعذر إليه غاية الإعذار، الذى لا إعذار بعده، لأن الستين قريب من معترك العباد، وهو سن الإنابة والخشوع والاستسلام لله تعالى وترقب المنية ولقاء الله تعالى فهذا إعذار بعد إعذار فى عمر ابن آدم، لطفاً من الله لعباده حين نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم، وأعذر إليهم مرة بعد أخرى، ولم يعاقبهم إلا بعد الحجج اللائحة المبكّنة لهم، وإن كانوا قد فطروهم الله تعالى على حب الدنيا وطول الأمل، فلم يتركهم مهملين دون إعذار لهم وتنبيه، وأكبر الإعذار إلى بنى آدم بعثه الرسل إليهم ٢٨٣

ومعنى الحديث: أنه لم يبق له اعتذار، كأن يقول: لو مُدّ في عمري لفعلت ما أمرت به، وإذا لم يكن له عذر فى ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذى حصل له، فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة، والإقبال على الآخرة بالكلية، ونسبة الإعذار إلى الله مجازية، والمعنى أن الله تعالى لم يترك للعبد سبباً فى الاعتذار يصلح لأن يتمسك به ... ٢٨٤

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: "مَا مِنْ مَرَضٍ يَمْرُضُهُ الْعَبْدُ إِلَّا رَسُولُ مَلِكِ الْمَوْتِ عِنْدَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ مَرَضٍ يَمْرُضُهُ أَتَاهُ مَلِكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَتَاكَ رَسُولُ بَعْدَ رَسُولٍ فَلَمْ تَعْبَأْ بِهِ، وَقَدْ أَتَاكَ رَسُولٌ يَقْطَعُ أَثْرَكَ مِنَ الدُّنْيَا" أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٢٨٥

ومعنى الحديث: أنه لم يبق له اعتذار، كأن يقول: لو مُدّ في عمري لفعلت ما أمرت به، وإذا لم يكن له عذر فى ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذى حصل له، فلا ينبغي له

٢٨٢ - ٢٣٨/١١ (٦٤١٩) .

٢٨٣ - شرح ابن بطال - (ج ١٩ / ص ٢٠٢)

٢٨٤ - راجع الفتح ٢٤٠/١١

٢٨٥ - حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ (٤٢٤٣) ٢٩١/٣ والفيض القدير (٣٨٤٤) وهو بلسان الحال لا المقال.

حيثئذ إلا الاستغفار والطاعة، والإقبال على الآخرة بالكلية، ونسبة الإعذار إلى الله مجازية، والمعنى أن الله تعالى لم يترك للعبد سبباً في الاعتذار يصلح لأن يتمسك به ...^{٢٨٦}

^{٢٨٦} - راجع الفتوح ٢٤٠/١١

المبحث الثالث عشر

علامة خاتمة الخير وسوئها

إن آخر ساعة في حياة الإنسان هي الملخص لما كانت عليه حياته كلها، فمن كان مقيماً على طاعة الله عز وجل بدا ذلك عليه في آخر حياته ذكراً وتسبيحاً وتهللاً وعبادة وشهادة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: " إِنْ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ بَكْتَبِ رِزْقِهِ وَعَمَلِهِ، وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٍّ هُوَ أَمْ سَعِيدٌ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ، وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا " رواه الشيخان^{٢٨٧}

في هذا الحديث الشريف بشارة وتخويف، بشارة لمن تاب وأصلح عمله قبل الموت بأنه إذا ختم له بعمل أهل الجنة كان من أهلها، وتخويف للمؤمن الطائع من أن يزل ويعمل بعمل أهل النار خشية أن يحضره أجله وهو على هذه الحالة فيدخلها والعياذ بالله.

والناس في خاتمهم على أقسام:

١- أشرفها من كان في حياته مؤمناً صالحاً فلما قرب أجله ازداد اجتهاداً في العبادة، فمات على أكمل أحواله، وعلى رأس هؤلاء رسول الله ﷺ، فَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا تُعَادِرُ مِنْهُنَّ امْرَأَةً فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِي مَشْيَهَا مِنْ مَشْيَةِ أَبِيهَا ﷺ فَقَالَ: " مَرْحَبًا يَا بِنْتِي "، فَأَقْعَدَهَا، عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ سَارَّهَا فَضَحِكَتْ، فَقُلْنَا لَهَا: خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِنَا لِسِرٍّ

^{٢٨٧} - شعب الإيمان - (١ / ٣٦١) (١٨٤) وصحيح البخارى - المكثر - (٣٢٠٨) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٨٩٣)

وَبَكِينَ ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ لَهَا : أَخْبِرِينِي بِمَا سَارَكَ ، قَالَتْ : مَا كُنْتُ
لَأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ ، فَلَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قُلْتُ لَهَا : أَسْأَلُكَ بِمَا
لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتَنِي ، فَقَالَتْ : أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ ، سَارَنِي ، فَقَالَ لِي : " إِنْ
جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ ، وَلَا أَرَى
ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ اقْتِرَابِ أَجَلِي ، فَاتَّقِيَ اللَّهَ ، وَاصْبِرِي فَنِعَمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ " ، فَبَكَيْتُ ، ثُمَّ
سَارَنِي فَقَالَ : " أَمَّا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ " أَوْ قَالَ : " نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
" ، فَضَحَكَتُ " ٢٨٨

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَعُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ ، وَابْنِهِ نُؤَيْفٍ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
خَطَبَ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : " رَأَيْتُ رُؤْيَا ، وَمَا أَظُنُّ ذَلِكَ إِلَّا عَنِ اقْتِرَابِ أَجَلِي ، رَأَيْتُ كَأَنَّ
دِيكًا أَحْمَرَ نَزَا فَتَقَرَّنِي ثَلَاثَ نَفَرَاتٍ ، فَاسْتَعْبَرْتُ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
فَقَالَتْ : يَقْتُلُكَ عَبْدٌ مِنْ هَذِهِ الْحَمَرَاءِ ، فَإِنْ أَهْلَكَ قَبْلَ أَنْ أُوصِيَ فَأَمْرُكُمْ إِلَى هَؤُلَاءِ السِّتَةِ
الَّذِينَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ،
وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ ،
وَإِنْ أَعِشَ فَسَاءَ عَهْدٌ " ٢٨٩

٢- من كان في حياته كافرًا أو فاسقًا فلما قرب أجله أسلم وتاب واستقام وحسن عمله،
فمات على ذلك، كالرجل الذي قتل مائة نفس ثم تاب، فعن أبي سعيد، أن رسول الله
ﷺ قال: " كَانَ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ
فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ " فَأَتَاهُ فَقَالَ: " إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ " فَقَالَ:
لَا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ الْمِائَةَ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ:
" قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ " فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى
أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَاعْبُدْ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا
أَرْضُ سُوءٍ، فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا أَتَى نِصْفَ الطَّرِيقِ فَأَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ

٢٨٨ - الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ (١٧٦٥٩) صحيح ، واصله في الصحيحين

٢٨٩ - تَارِيخُ الْمَدِينَةِ لِابْنِ شَيْبَةَ (١٤٠٠) صحيح

الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ " قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ نَاءَ بِصَدْرِهِ " رواه البخاري ومسلم. ٢٩٠

٣- مَنْ كَانَ فِي حَيَاتِهِ كَافِرًا أَوْ فَاسِقًا فَازْدَادَ قَبْلَ حُلُولِ أَجَلِهِ فَسَقًا وَكَفْرًا، فَمَاتَ عَلَى أَسْوَأِ أَحْوَالِهِ.

٤- مَنْ كَانَ فِي حَيَاتِهِ مُؤْمِنًا ثُمَّ كَفَرَ أَوْ صَالِحًا ثُمَّ فَسَقَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَهَذَا أَعْظَمُهُمْ حَسْرَةً وَنَدَامَةً، وَهَذِهِ الَّتِي خَافَهَا الصَّالِحُونَ. قَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الذُّنُوبُ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ هَذِهِ — وَأَشَارَ إِلَى تَبَنَةِ كَانَتْ فِي يَدِهِ — وَإِنَّمَا أَخَافُ مِنَ سُوءِ الْخَاتِمَةِ، قَالَ تَعَالَى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢١٧) سورة البقرة.

ولكن في الحديث بشارة بإذن الله لمن عمل بعمل أهل الجنة مخلصاً إذا بدا للناس وإذا خلا بنفسه؛ لأن النبي ﷺ بين أن الذين يحتم لهم بالسوء وكانوا يعملون عمل أهل الجنة إنما كانوا يعملون به فيما يبدو للناس ، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ

٢٩٠- شعب الإيمان - (٩ / ٢٨٤) (٦٦٦٤) وصحيح البخاري- المكثر - (٣٤٧٠) وصحيح مسلم- المكثر - (٧١٨٤)

" نَاءَ بِصَدْرِهِ " يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ تَبَاعُدَ عَنْ مَعَاصِيهِ وَتَكْرَهُ عَلَيْهِا قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِي هَذَا اسْتِحْبَابُ مُفَارَقَةِ النَّائِبِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَصَابَ بِهَا الذُّنُوبُ ، وَالْإِخْلَافُ الْمُسَاعِدِينَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ وَمُقَاطَعَتَهُمْ مَا دَامُوا عَلَى حَالِهِمْ ، وَأَنْ يَسْتَبْدِلَ بِهِمْ صُحْبَةَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْمُتَعَبِّدِينَ الْوَرَعِينَ وَمَنْ يَقْتَدِي بِهِمْ ، وَيَنْتَفِعُ بِصُحْبَتِهِمْ ، وَتَنَاقُدُ بِذَلِكَ تَوْبَتَهُ . وَأَمَّا قِيَاسُ الْمَلَائِكَةِ مَا بَيْنَ الْقَرَيْنَيْنِ ، وَحُكْمُ الْمَلِكِ الَّذِي جَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ بِذَلِكَ ، فَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُمْ عِنْدَ اشْتِبَاهِ أَمْرِهِ عَلَيْهِمْ ، وَاجْتِلَافِهِمْ فِيهِ أَنْ يُحْكَمُوا رَجُلًا مِنْ يَمَرُ بِهِمْ ، فَمَرَّ الْمَلِكُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ ، فَحَكَمَ بِذَلِكَ . شرح النووي على مسلم - (٩ / ١٤٣)

رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً وَلَا فَازَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ ، فَقَالَ مَا أَجْزَأُ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأُ فَلَانَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَنَا صَاحِبُهُ . قَالَ فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ قَالَ فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ « وَمَا ذَاكَ » . قَالَ الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ أَنفَأَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ . فَقُلْتُ أَنَا لَكُمْ بِهِ . فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « عِنْدَ ذَلِكَ » إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » ٢٩١ .

إن حسن الخاتمة أن يوفق العبد قبل موته للبعد عما يغضب ربه سبحانه، والتوبة من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة.

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ اسْتَعْمَلَهُ » . فَقِيلَ كَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : « يُوفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ » . أخرجه

٢٩٢

الترمذي

وفي رواية عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ : " لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تُعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَاذَا يُخْتَمُ لَهُ ، فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمْرِهِ أَوْ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ يَعْمَلُ صَالِحٍ لَوْ

٢٩١ - صحيح البخاري - المكثر - (٢٨٩٨) وصحيح مسلم - المكثر - (٣٢٠)

ذباب : طرف السيف الأسفل الذي يضرب به - الشاذة : الخارج عن صف الكفار

٢٩٢ - برقم (٢١٤٣) و (٢٢٩٢) وأحمد ١٣٥ / ٤ (١٢٣٦٢) و (١٧٦٨٠) و (٢٢٥٩٢) من طرق والآحاد والمثاني (٢٣٨٢) والحاكم ٣٤٠ / ١ (٢٢٥٧) وهو حديث صحيح مشهور .

مَاتَ عَلَيْهِ لَدَخَلَ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ لِيَعْمَلَ عَمَلًا سَيِّئًا ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْبُرْهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بَعْمَلٍ سَيِّئٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بَعْدَ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ " ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ ؟ قَالَ : " يُؤَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ " . رَوَاهُ أَحْمَدُ ٢٩٣

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ حَدَّثَنَا جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ أَنَّ عُمَرَ الْجُمُعِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ » . فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مَا اسْتَعْمَلَهُ قَالَ « يَهْدِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَى ذَلِكَ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٢٩٤
وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ غَسَلَهُ " ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ غَسَلَهُ ؟ قَالَ : " يُؤَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ فَيَقْبِضُهُ عَلَيْهِ " رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ٢٩٥

في الأوسط

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ خَيْرٍ غَسَلَهُ وَهَلْ تَدْرُونَ مَا غَسَلُهُ ؟ " قَالُوا : اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : " يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ جِرَائُهُ أَوْ مِنْ حَوْلِهِ " ٢٩٦
قَالَ الطَّحَاوِيُّ : فَطَلَبْنَا مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا هُوَ فَوَجَدْنَا الْعَرَبَ تَقُولُ هَذَا رُمُحٌ فِيهِ عَسَلٌ يُرِيدُونَ فِيهِ اضْطِرَابٌ فَشَبَّهَ سُرْعَتَهُ الَّتِي هِيَ اضْطِرَابُهُ بِاضْطِرَابِ مَا سِوَاهُ مِنَ الرُّمُحِ وَمِنْ غَيْرِهِ فَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ ﷺ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ غَسَلَهُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِمِثْلِهِ إِيَّاهُ إِلَى مَا يُحِبُّ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِإِدْخَالِهِ إِيَّاهُ جَنَّتَهُ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسَأَلُهُ التَّوْفِيقَ "

٢٩٣ - مسند أحمد (١٢٢١٤) صحيح

٢٩٤ - برقم (١٧٦٨٠) والآحاد (٢٣٨٤) وأبو يعلى (٣٦٥٤) والشاميين (١١٢١) ومعرفة الصحابة (٤٣٦٩) والضياء (١٩٧٨) والمجمع ٢١٤/٧ (١١٩٣٠ و ١١٩٢٩) وهو حديث صحيح

٢٩٥ - برقم (٤٨١٢) والمجمع ٢١٥/٧ (١١٩٣٣) وبنحوه عند أحمد ٢٠٠/٤ والحاكم ٣٤٠/١ (١٢٥٨) ومشكل الآثار (٢٢٠٢) وصحيح الترغيب (٣٣٥٨) وابن حبان (٨٢٢) موارد وهو حديث صحيح.

٢٩٦ - مُشْكِلُ الْأَثَارِ لِلطَّحَاوِيِّ (٢٢٠٢) صحيح

فمن وفقه الله لحسن الخاتمة فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، ولا كرب عليه بعد ذلك التوفيق، ومن ختم له بسوء خاتمة فقد خسر في دنياه وأخراه.

والصالحون تعظم عنايتهم بالأعمال الصالحة السوابق للخاتمة، كما أنهم يجتهدون في طلب التوفيق للخاتمة الحسنة، فيحسنون الأعمال، ويحسنون الرجاء والظن بالله تعالى، ويسئون الظن بأنفسهم، كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [البقرة: ٢١٨].

ومن صدق الله في نيته وعمل بسنة رسول الله وأتبع هدي أصحابه فقد جرت سنة الله تعالى أن يختم له بخير، وأن يجعل الله عواقب أمورهِ إلى خير، قال تعالى: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا [الكهف: ٣٠]، وقال تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا [طه: ١١٢]، وقال تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ [البقرة: ١٤٣].

وأسباب التوفيق إلى حسن الخاتمة النية الصالحة والإخلاص لله تعالى؛ لأن النية الصالحة والإخلاص شرط الأعمال المقبولة عند الله عز وجل. قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (١١٠) سورة الكهف .

ولحسن الخاتمة علامات، كل واحدة منها كافية بإذن الله في الاستبشار بحسن الخاتمة من غير جزم بذلك^{٢٩٧}:

١ - النطق بالشهادة عند الموت، فعن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ " رواه الحاكم^{٢٩٨}.

^{٢٩٧} - انظر موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٤١٤٦) - حسن الخاتمة والتحذير من سوءها

الرقاق والأخلاق والآداب

^{٢٩٨} - المستدرک للحاکم (١٢٩٩) صحيح

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالْمُرَادُ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ كَلِمَتَا الشَّهَادَةِ، فَلَا يَرِدُ إِشْكَالُ تَرْكِ ذِكْرِ الرَّسَالَةِ. قَالَ الرَّزَيْنِيُّ بْنُ الْمُنِيرِ: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَقَبٌ جَرَى عَلَى التُّطُقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ شَرْعًا أَنْتَهَى. عون المعبود - (٧ / ١٠٠)

وعن أبي جعفر بن علي السَّوَيِّ وَرَّاقِ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ، قَالَ: حَضَرْتُ أَبَا زُرْعَةَ وَهُوَ فِي السُّوقِ، وَعِنْدَهُ أَبُو حَاتِمٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَالْمُنْدَرِيُّ بْنُ شَاذَانَ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَذَكَرُوا حَدِيثَ التَّلْقِينِ، وَاسْتَحْيَوْا مِنْ أَبِي زُرْعَةَ أَنْ يُلَقِّنُوهُ التَّوْحِيدَ فَقَالُوا: تَعَالَوْا نَذْكُرُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ: نَا الصَّحَّاحُ بْنُ مَخْلَدٍ أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ صَالِحٍ، وَجَعَلَ يَقُولُ ابْنُ ابْنٍ وَلَمْ يُجَاوِزْ، فَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: نَا بُنْدَارٌ، قَالَ: نَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَسَكَتَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ، وَالْبَاقُونَ سَكَتُوا، فَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ وَهُوَ فِي السُّوقِ: نَا بُنْدَارٌ، نَا أَبُو عَاصِمٍ، نَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَرِيبٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ " وَتُوفِّي أَبُو زُرْعَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٩٩

٢- أن يرشح جبينه ، فعن عبد الله بن بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَوْتُ الْمُؤْمِنِ بِعَرَقِ الْجَبِينِ ».. ٣٠٠
وعن عَلْقَمَةَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " مَوْتُ الْمُؤْمِنِ عَرَقُ الْجَبِينِ ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ تَبَقَّى عَلَيْهِ خَطَايَا مِنْ خَطَايَاهُ يُجَازَى بِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ ، فَيَعْرَقُ مِنْ ذَلِكَ جَبِينُهُ " ٣٠١ .

٣- أن يموت يوم الجمعة أو ليلتها وهو مسلم فعن عبد الله بن عمرو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ ».. ٣٠٢

٤- أن يموت شهيداً في سبيل الله أو وهو مرابط في سبيل الله أو يموت بإحدى الميقات التي صاحبها في درجة الشهيد، وهي المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والحريق والموت بذات الجنب والمرأة يقتلها ولدها أي: تموت وهي حامل أو بسبب الوضع.

٢٩٩ - شعب الإيمان - (١١ / ٤٤٠) (٨٨٠٠)

٣٠٠ - سنن النسائي - المكثر - (١٨٣٩) صحيح

٣٠١ - الْمُطَالِبُ الْعَالِيَةُ لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ (٨٢١) صحيح

٣٠٢ - سنن الترمذي - المكثر - (١٠٩٥) ومسنند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦١٢) ٦٥٨٢ - إِبْنَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٣٥ - ١٣٨) صحيح لغيره

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمَّنَهُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ. " ٣٠٣

وَعَنْ سَلْمَانَ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَنَمَا لَهُ أَجْرُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. " ٣٠٤

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ ، وَالصَّدِيقُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ فِي نَاحِيَةِ الْمِصْرِ لَا يَزُورُهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَنِسَاؤُكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْوَدُودُ ، الْوَلُودُ ، الْعَتُودُ عَلَى زَوْجِهَا ، الَّتِي إِذَا غَضِبَ جَاءَتْ حَتَّى تَضَعَ يَدَهَا فِي يَدِ زَوْجِهَا ، وَتَقُولُ : لَا أَذُوقُ غَمَضًا حَتَّى تَرْضَى. " ٣٠٥

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ فِي الْجَنَّةِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ ، وَالصَّدِيقُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ فِي نَاحِيَةِ الْمِصْرِ لَا يَزُورُهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : كُلُّ وَلُودٍ وَدُودٍ ، إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ ، أَيُّ زَوْجِهَا ، قَالَتْ : هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ لَا أَكْتَحِلُ بِغَمَضٍ حَتَّى تَرْضَى " ٣٠٦

وَعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ ، قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ فِي الْجَنَّةِ ؟ ، قَالَ : النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ. " ٣٠٧

وَعَنْ عَتِيكَ بْنِ الْحَارِثِ ، وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو أُمِّهِ ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَتِيكَ أَخْبَرَهُ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ يَعُودُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ ثَابِتٍ ، فَوَجَدَهُ قَدْ غَلِبَ عَلَيْهِ ، فَصَاحَ بِهِ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَاسْتَرْجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : قَدْ غَلِبْنَا عَلَيْكَ أَبَا الرَّبِيعِ ، فَصَحْنِ النِّسَاءَ وَبَكَيْنَ ،

٣٠٣ - الفوائد لتمام ٤١٤ - (٢ / ٤٠١) (١٦٧٨) صحيح

٣٠٤ - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٤٨٥) (٤٦٢٥) صحيح

٣٠٥ - الفوائد لتمام ٤١٤ - (٢ / ٢٠٤) (١٣١١) صحيح

٣٠٦ - المعجم الصغير للطبراني - (١ / ٨٩) (١١٨) والصحيحة (٢٨٧) وصحيح الجامع (٢٦٠٤) صحيح لغيره

٣٠٧ - المعجم الكبير للطبراني - (١ / ٣٥٨) (٨٣٦) صحيح

فَجَعَلَ ابْنُ عَتِيكَ يُسَكِّتُهُنَّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : دَعَهُنَّ ، فَإِذَا وَجَبَ ، فَلَا تَبْكِينَ بَاكِئَةً . قَالُوا : وَمَا الْوُجُوبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْمَوْتُ . قَالَتْ ابْنَتُهُ : إِنْ كُنْتُ لِأَرْجُو أَنْ تَكُونَ شَهِيدًا ، قَدْ كُنْتُ قَضَيْتَ جَهَارَكَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَإِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، قَدْ أَوْقَعَ أَحْرَهُ عَلَيْهِ عَلَى قَدَرِ نَيْتِهِ ، وَمَا تُعْدُونَ الشَّهَادَةَ ؟ قَالُوا : الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الشَّهَادَةُ سَبْعُ سَوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ : الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ ، وَالْعَرِيقُ شَهِيدٌ ، وَصَاحِبُ الْهَدَمِ شَهِيدٌ ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ ، وَصَاحِبُ الْحَرْقِ شَهِيدٌ ، وَالْمَرَأَةُ تَمُوتُ بِجَمْعٍ شَهِيدَةٌ. " ٣٠٨

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : الشَّهِيدُ خَمْسَةٌ : الْمَبْطُونُ ، وَالْمَطْعُونُ ، وَالْعَرِيقُ ، وَصَاحِبُ الْهَدَمِ ، وَالشَّهِيدُ. ٣٠٩

٥- أن يختم له بعمل صالح كصيام يوم أو صدقة أو ذكر، فعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ ، بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ " رواه الحاكم. ٣١٠

وَعَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَرْيَنَةَ فَرَأَيْتُهُ يَهُمُّ بِالْقُعُودِ وَعَلَيَّ عِنْدَهُ يَمْتَدُّ بِهِ يَعْنِي مِنَ الثُّعَاسِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى عَلِيًّا إِلَّا قَدْ سَهَرَكَ فِي لَيْلَتِهِ هَذِهِ أَفَلَا أَذْنُو مِنْكَ ؟ قَالَ : " عَلَيُّ أَوْلَى بِذَلِكَ " . فَدَنَا مِنْهُ فَسَأَلْتُهُ فَمَسَمَعْتُهُ يَقُولُ : " مَنْ خُتِمَ لَهُ بِإِطْعَامِ مِسْكِينٍ مُحْتَسِبًا عَلَى اللَّهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، مَنْ خُتِمَ لَهُ بِصَوْمٍ يَوْمٍ مُحْتَسِبًا عَلَى اللَّهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، مَنْ خُتِمَ لَهُ بِقَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحْتَسِبًا عَلَى اللَّهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ " ٣١١

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَأَقْعَصَتْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَيُكْفَنُ فِي ثَوْبَيْنِ خَارِجًا رَأْسُهُ وَوَجْهُهُ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًّا » ٣١٢ .

٣٠٨ - المسند الجامع - (٤ / ٨٩٧) (٣٠٨٢) وسنن النسائي - المكثر - (١٨٥٧) صحيح

٣٠٩ - المستدرك للحاكم (٧٨٧٢) صحيح

٣١٠ - المستدرك للحاكم (٧٨٧٢) صحيح

٣١١ - طَبَقَاتُ الْمُحَدِّثِينَ بِأَصْبَهَانَ لِأَبِي الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيِّ (١٣٣٢) وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث -

(٢٥٨) حسن

٣١٢ - سنن النسائي - المكثر - (٢٧٢٥) صحيح

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : زَمَلُوهُمْ بِجَرَاحِهِمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يُكَلِّمُ كَلِمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْنُهُ لَوْنُ الدَّمِّ وَرِيحُهُ رِيحُ الْمِسْكِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَنَا الشَّهِيدُ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ قَامَ عَلَيْهِمْ وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ ، وَلَمْ يُعَسِّلْهُمْ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ كَمَا يُصَلِّي عَلَى الْأَمْوَاتِ ، وَلَمْ يُكَفِّنْهُمْ فِي غَيْرِ ثِيَابِهِمْ ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِدَفْنِ الرَّجُلَيْنِ فِي حُفْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَيَقُولُ : أَيُّ هَؤُلَاءِ كَانَ أَكْثَرَ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ ؟ فَإِذَا أَشَارُوا إِلَى الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ قَبْلَ صَاحِبِهِ " ٣١٣

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ - جَعَلَ يَتَعَشَّاهُ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - وَكَرَبَ أَبَاهُ . فَقَالَ لَهَا « لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ » . فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ يَا أَبَتَاهُ ، أَحَابَ رَبًّا دَعَاهُ ، يَا أَبَتَاهُ مَنْ حَنَّةُ الْفَرْدَوْسِ مَأْوَاهُ ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ نَعَاهُ . فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - يَا أَنَسُ ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْنُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الثَّرَابَ " ٣١٤

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ قَالَ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ : أَلَا تَدْعُو اللَّهَ ؟ فَخَلُّوا فِي نَاحِيَةٍ ، فَدَعَا سَعْدٌ فَقَالَ : يَا رَبِّ إِذَا لَقِيتُ الْعَدُوَّ فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بِأَسْهُ شَدِيدًا حَرَدُهُ أَقَاتِلُهُ وَيُقَاتِلُنِي ، ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتُلَهُ وَآخِذٌ سَلْبَهُ ، فَاَمَنَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا حَرَدُهُ شَدِيدًا بِأَسْهُ ، أَقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي ، ثُمَّ يَأْخُذْنِي فَيَجِدُّعُ أَنْفِي وَأُذُنِي ، فَإِذَا لَقِيتُكَ غَدًا قُلْتَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ مَنْ جَدَّعَ أَنْفَكَ وَأُذُنَكَ ؟ فَأَقُولُ : فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ ، فَتَقُولُ : صَدَقْتَ ، قَالَ سَعْدٌ : يَا بُنَيَّ كَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ ، وَإِنَّ أَنْفَهُ وَأُذُنَهُ لَمُعَلَّقَتَانِ فِي خَيْطٍ " ٣١٥

السدر : شجر النبق واحده سدره -أقصت : ضربته برجلها فمات في مكانه

٣١٣ - الآحاد والمثاني (٢٦٠٨) صحيح

٣١٤ - صحيح البخارى - المكثر - (٤٤٦٢)

٣١٥ - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (٣ / ١٦٠٧) (٤٠٤٧) صحيح

وعن ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ لَمَّا طَعِنَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ - وَكَانَ خَالَهُ - يَوْمَ بَثْرِ مَعُونَةَ قَالَ بِاللَّهِ هَكَذَا ، فَضَحَّهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . ٣١٦

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: قَالَ بِلَالٌ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ : " غَدًا نَلْقَى الْأَحِبَّةَ ، مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ ، قَالَ : تَقُولُ امْرَأَتُهُ : وَأَوَيْلَاهُ قَالَ : يَقُولُ : وَافْرَحَاهُ " ٣١٧

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عَيْرُ أَبِي سُفْيَانَ فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَا أَدْرِي مَا اسْتَشْنَى بَعْضُ نِسَائِهِ قَالَ فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَكَلَّمَ فَقَالَ « إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا » . فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهُرَانِهِمْ فِي عُلوِّ الْمَدِينَةِ فَقَالَ « لَا إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا » . فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ » . فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « قَوْمُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ » . قَالَ يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةُ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ قَالَ « نَعَمْ » . قَالَ بَخٍ بَخٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ » . قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا . قَالَ « فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا » . فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ لَنْ أَنَا حَيِّتُ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٍ - قَالَ - فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ . ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ . ٣١٨

وَعَنْ مُعَاذِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَنَّ حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ : انْظُرُوا أَصْبَحْنَا ؟ فَأَتَنِي فَقِيلَ : لَمْ تُصْبِحْ ، قَالَ : انْظُرُوا أَصْبَحْنَا ، فَأَتَنِي فَقِيلَ : لَمْ تُصْبِحْ حَتَّى أَتِيَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ

٣١٦ - صحيح البخارى - المكثر - (٤٠٩٢)

٣١٧ - الْمُحْتَضَرِينَ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٨٦) وفيه انقطاع

٣١٨ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٠٢٤) - العين : الجاسوس

: قَدْ أَصْبَحْتَ ، قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا إِلَى النَّارِ ، مَرْحَبًا بِالمَوْتِ ، مَرْحَبًا زَائِرًا مُعَيَّبًا حَبِيبًا ، جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَخَافُكَ ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحَبُّ الدُّنْيَا وَطُولَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِكُرْبِي الْأَنْهَارِ وَلَا لِعَرْسِ الشَّجَرِ ، وَلَكِنْ لَظَمًا الْهَوَاجِرِ وَمُكَابَدَةَ السَّاعَاتِ وَمُزَاحِمَةَ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ عِنْدَ حَلْقِ الذِّكْرِ ، ٣١٩

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : لَمَّا طَعَنَ أَبُو لُؤْلُؤَةَ عُمَرَ ، طَعَنَهُ طَعْنَتَيْنِ ، فَظَنَّ عُمَرُ أَنَّ لَهُ ذَنْبًا فِي النَّاسِ لَا يَعْلَمُهُ ، فَدَعَا ابْنَ عَبَّاسٍ وَكَانَ يُحِبُّهُ ، وَيُذِنِيهِ ، وَيَسْتَمِعُ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَحَبُّ أَنْ تَعْلَمَ عَنْ مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ كَانَ هَذَا ؟ فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِمَلَأٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَهُمْ يَبْكُونَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : مَا أَتَيْتُ عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَهُمْ يَبْكُونَ ، كَأَنَّمَا فَقَدُوا الْيَوْمَ أَبْكَارَ أَوْلَادِهِمْ . فَقَالَ : مَنْ قَتَلَنِي ؟ قَالَ : أَبُو لُؤْلُؤَةَ الْمَجُوسِيِّ عَبْدُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَرَأَيْتُ الْبِشْرَ فِي وَجْهِهِ . فَقَالَ : " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّيَلَّنِي بِقَوْلٍ أَحَدٍ يُحَاجِّنِي بِقَوْلٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَمَا إِنِّي كُنْتُ قَدْ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تَحْلُبُوا إِلَيْنَا مِنَ الْعُلُوجِ أَحَدًا ، فَعَصَيْتُمُونِي . ثُمَّ قَالَ : ادْعُوا لِي إِخْوَانِي " . قَالُوا : وَمَنْ ؟ قَالَ : " عُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ " . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فِي حَجْرٍ ، فَلَمَّا جَاءُوا ، قُلْتُ : هَؤُلَاءِ قَدْ حَضَرُوا . فَقَالَ : نَعَمْ ، نَظَرْتُ فِي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَوَجَدْتُكُمْ أَيُّهَا السِّتَّةُ رُءُوسَ النَّاسِ ، وَقَادَتُهُمْ ، وَلَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا فِيكُمْ مَا اسْتَقَمْتُمْ يَسْتَقِيمُ أَمْرُ النَّاسِ ، وَإِنْ يَكُنْ اخْتِلَافٌ يَكُنْ فِيكُمْ ، فَلَمَّا سَمِعْتُ ذِكْرَ الْاِخْتِلَافِ ، وَالشَّقَاقِ ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَانَتْ ، لِأَنَّهُ قُلٌّ مَا قَالَ شَيْئًا إِلَّا رَأَيْتُهُ ، ثُمَّ نَزَفَ الدَّمَ ، فَهَمَسُوا بَيْنَهُمْ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُيَايَعُوا رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَقُلْتُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَيٌّ بَعْدَ ، وَلَا يَكُونُ خَلِيفَتَانِ يَنْظُرُ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ . فَقَالَ : احْمِلُونِي ، فَحَمَلْنَاهُ ، فَقَالَ : تَشَاوَرُوا ثَلَاثًا . وَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ صُهَيْبٌ . قَالَ : مَنْ نَشَاوَرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : شَاوَرُوا الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ ، وَسَرَاةَ مَنْ هُنَا مِنَ الْأَجْنَادِ . ثُمَّ دَعَا بِشَرِبَةِ مِنْ لَبَنٍ ، فَشَرِبَ ، فَخَرَجَ بَيَاضُ اللَّبَنِ مِنَ الْجُرْحَيْنِ ، فَعُرِفَ

٣١٩ - الزُّهْدُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (١٠٢٠) وَحِلْيَةُ الْأَوَّلِيَاءِ (٨٤٨) فِيهِ انْقِطَاعُ

أَنَّهُ الْمَوْتُ ، فَقَالَ : الْآنَ لَوْ أَنَّ لِي الدُّنْيَا كُلَّهَا لَأَفْتَدَيْتُ بِهَا مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ ، وَمَا ذَاكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِنْ أَكُونُ رَأَيْتُ إِلَّا خَيْرًا . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَإِنْ قُلْتَ ذَلِكَ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، أَلَيْسَ قَدْ " دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعَزَّ اللَّهُ بِكَ الدِّينَ وَالْمُسْلِمِينَ إِذْ يَخَافُونَ بِمَكَّةَ " ، فَلَمَّا أَسْلَمْتَ كَانَ إِسْلَامُكَ عِزًّا ، وَظَهَرَ بِكَ الْإِسْلَامُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، وَهَاجَرْتَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَكَانَتْ هِجْرَتُكَ فَتْحًا ، ثُمَّ لَمْ تَغِبْ عَنْ مَشْهَدِ شَهِدَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ يَوْمٍ كَذَا وَيَوْمٍ كَذَا ، ثُمَّ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ ، فَوَازَرْتَ الْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ عَلَى مِنْهَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَضَرَبْتَ مَنْ أَدْبَرَ بِمَنْ أَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ، ثُمَّ قَبِضَ الْخَلِيفَةُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ ، ثُمَّ وُلِّيتَ بِخَيْرٍ مَا وُلِّيَ النَّاسُ ، مَصَرَ اللَّهُ بِكَ الْأَمْصَارَ ، وَحَبَى بِكَ الْأَمْوَالَ ، وَنَفَى بِكَ الْعَدُوَّ ، وَأَدْخَلَ اللَّهُ بِكَ عَلَى كُلِّ أَهْلٍ بَيْتٍ مِنْ تَوْسِعِهِمْ فِي دِينِهِمْ ، وَتَوْسِعِهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ ، ثُمَّ خَتَمَ لَكَ بِالشَّهَادَةِ ، فَهَنِيئًا لَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ الْمَغْرُورَ مِنْ تَعْرُوثِهِ . ثُمَّ قَالَ : أَتَشْهَدُ لِي يَا عَبْدَ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، أَلْصِقْ خَدِّي بِالْأَرْضِ يَا عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عُمَرَ فَوَضَعْتُهُ مِنْ فَخْذِي عَلَى سَاقِي . فَقَالَ : أَلْصِقْ خَدِّي بِالْأَرْضِ ، فَتَرَكَ لِحْيَتَهُ وَخَدَّهُ حَتَّى وَقَعَ بِالْأَرْضِ ، فَقَالَ : وَيْلَكَ وَوَيْلَ أُمِّكَ يَا عُمَرُ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَكَ . ثُمَّ قَبِضَ رَحِمَهُ اللَّهُ . فَلَمَّا قَبِضَ أُرْسِلُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَقَالَ : لَا آتِيكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ مُشَاوَرَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَسِرَاةٍ مِنْ هَاهُنَا مِنَ الْأَجْنَادِ قَالَ الْحَسَنُ ، وَذَكَرَ لَهُ فِعْلُ عُمَرَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَخَشْيَتُهُ مِنْ رَبِّهِ ، فَقَالَ : هَكَذَا الْمُؤْمِنُ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفَقَةً ، وَالْمُنَافِقُ جَمَعَ إِسَاءَةً وَغَرَّةً ، وَاللَّهُ مَا وَجَدْتُ فِيمَا مَضَى وَلَا فِيمَا بَقِيَ عَبْدًا ارْذَادًا إِحْسَانًا إِلَّا ارْذَادًا مَخَافَةً وَشَفَقَةً مِنْهُ ، وَلَا وَجَدْتُ فِيمَا مَضَى ، وَلَا فِيمَا بَقِيَ عَبْدًا ارْذَادًا إِسَاءَةً إِلَّا ارْذَادًا غَرَّةً" ٣٢٠

وَعَنْ عُيَيْدِ بْنِ حَسَّانٍ ، قَالَ : لَمَّا احْتَضَرَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : اخْرُجُوا عَنِّي . فَقَعَدَ مُسْلِمَةٌ وَفَاطِمَةُ عَلَى الْبَابِ ، فَسَمِعُوهُ يَقُولُ : مَرْحَبًا بِهِذِهِ الْوُجُوهِ ، لَيْسَتْ بِوُجُوهِ إِنْسٍ وَلَا

٣٢٠ - الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ لِلطَّبْرَانِيِّ (٥٩٠) حَسَن

جَانٌ، ثُمَّ تَلَا: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا... } الْآيَةَ، ثُمَّ هَذَا الصَّوْتُ. فَقَالَ مَسْلَمَةُ لِفَاطِمَةَ: قَدْ قُبِضَ صَاحِبُكَ " ٣٢١

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِيَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ لَمْ تَسْمَعْ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا؟ أَوَّلُ يَوْمٍ يَجِيئُكَ الْبَشِيرُ مِنَ اللَّهِ إِمَّا بِرِضَى اللَّهِ وَإِمَّا بِسَخَطِهِ، وَيَوْمٌ تَقِفُ فِيهِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ يَأْخُذُ فِيهِ كِتَابَكَ إِمَّا بِيَمِينِكَ وَإِمَّا بِشِمَالِكَ، وَلَيْلَةٌ يَبِيتُ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ وَلَمْ يَبِيتْ لَيْلَةً قَبْلَهَا مِثْلَهَا، وَلَيْلَةٌ صَبِيحَتُهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَعْدَهَا لَيْلَةٌ " ٣٢٢

وَقَالَ الْمَرْزُوقِيُّ: دَخَلْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! كَيْفَ أَصْبَحْتُ؟

فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلًا، وَإِلَّاخْوَانِي مُفَارِقًا، وَلِسُوءِ عَمَلِي مُلَاقِيًا، وَعَلَى اللَّهِ وَارِدًا، مَا أَذْرِي رُوحِي تَصِيرُ إِلَى جَنَّةٍ فَأُهْنِيهَا، أَوْ إِلَى نَارٍ فَأُعْزِيهَا، ثُمَّ بَكَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي * جَعَلْتُ رَجَائِي دُونَ عَفْوِكَ سُلْمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ * بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ * تَجُودُ وَتَعْفُو مِنِّي وَتَكْرُمَا
فَإِنْ تَنْتَقِمَ مِنِّي فَلَسْتُ بِأَيْسٍ * وَلَوْ دَخَلْتُ نَفْسِي بِجَرَمِي جَهَنَّمََا
وَلَوْلَاكَ لَمْ يُعْوَى بِإِبْلِيسَ عَابِدٌ * فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيكَ آدَمَا
وَإِنِّي لَأَتِي الذَّنْبَ أَعْرِفُ قَدْرَهُ * وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْفُو تَرَحُّمًا ٣٢٣

فَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَأَعْظَمُهَا أَعْمَالُ الْقُلُوبِ كَالْإِحْلَاصِ وَكَالْإِيمَانِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَحُبِّ مَا يَحِبُّ اللَّهُ وَبُغْضِ مَا يُبْغِضُ اللَّهُ وَتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِاللَّهِ وَحَدِّهِ فِي حَلْبِ كُلِّ نَفْعٍ وَدَفْعِ كُلِّ ضَرٍّ كَمَا

٣٢١ - سير أعلام النبلاء (١٤٢/٥)

٣٢٢ - شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٠٢٩٥) وَالزُّهْدُ أَبِي دَاوُدَ (٣٦٦) صحيح موقوف

٣٢٣ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - موافقة للمطبوع - (١٤ / ٣٤٠) وسير أعلام النبلاء (٧٦/١٠) وقال: إسناده ثابت عنه.

قَالَ تَعَالَى: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الأنعام: ١٧].

وَأَعْمَالُ الْجَوَارِحِ الصَّالِحَةِ تَابِعَةٌ لأَعْمَالِ الْقُلُوبِ، فعن عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » .. ٣٢٤

وَالْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ الشَّرِّيرَةُ سَبَبٌ لِكُلِّ شَرٍّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ [الشورى: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الروم: ٤١].

وَالْعَبْدُ مَأْمُورٌ بِالطَّاعَاتِ وَمَنْهِيٌّ عَنِ الْحَرَّمَاتِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَلَكِنَّهُ يَتَأَكَّدُ الْأَمْرَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي آخِرِ الْعُمُرِ وَفِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ الْأَجَلِ، وَيَتَأَكَّدُ النَّهْيَ عَنِ الذُّنُوبِ فِي آخِرِ الْعُمُرِ وَفِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ الْأَجَلِ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ». ٣٢٥

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ وَفِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ الْأَجَلِ فَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ، وَمَنْ خَذَلَهُ اللَّهُ فَخَتَمَ سَاعَةَ أَجَلِهِ بِعَمَلٍ شَرٍّ وَذَنْبٍ يُغْضِبُ الرَّبَّ فَقَدْ خُتِمَ لَهُ بِخَاتِمَةِ سُوءٍ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

وَقَدْ حَثَّنَا اللَّهُ تَعَالَى وَأَمَرَنَا بِالْحَرَصِ عَلَى نَيْلِ الْخَاتِمَةِ الْحَسَنَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: ١٠٢].

وَالسَّعْيُ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ غَايَةُ الصَّالِحِينَ وَهِمَّةُ الْعِبَادِ الْمُتَّقِينَ وَرَجَاءُ الْأَبْرَارِ الْخَائِفِينَ، قَالَ تَعَالَى: وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [البقرة: ١٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ أُولِي الْأَلْبَابِ: رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

٣٢٤ - صحيح البخارى - المكثر - (١)

٣٢٥ - صحيح ابن حبان - (٢ / ٥٢) (٣٤٠) صحيح

وَكَفَّرَ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ [آل عمران: ١٩٣]، وَقَالَ تَعَالَى عَنِ التَّائِبِينَ: رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ [الأعراف: ١٢٦]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ». رواه مسلم ٣٢٦

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخَاتِمَةِ الْحَسَنَةِ الْمَحَافِظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ جَمَاعَةً، فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ٣٢٧. والبردان الفجر والعصر، وصلاة المرء لهما دليل على أنه يحافظ على غيرهما من باب أولى.

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ الْإِيمَانُ وَالْإِصْلَاحُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [الأنعام: ٤٨].

وَمِنْ أَسْبَابِ تَوْفِيقِ اللَّهِ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ وَالِدَّوَامِ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص: ٨٣].

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ اجْتِنَابُ الْكِبَائِرِ وَعِظَائِمِ الذُّنُوبِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا [النساء: ٣١].

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ لُزُومُ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ وَاتِّبَاعُ طَرِيقِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّائِبِينَ لَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِإِحْسَانٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب: ٢١]، وَقَالَ تَعَالَى: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ [التوبة: ١٠٠].

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ الْبُعْدُ عَنْ ظُلْمِ النَّاسِ وَعَدَمُ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عَلَيْهِمْ فِي نَفْسٍ أَوْ مَالٍ أَوْ عَرَضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- -

٣٢٦ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٩٢١)

٣٢٧ - صحيح البخاري - المكثر - (٥٧٤) وصحيح مسلم - المكثر - (١٤٧٠) - البردان : الفجر والعصر

قَالَ « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » ٣٢٨ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فِترَةٌ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَلْيَايِكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » .
رواه البخاري ٣٢٩

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مَا مِنْ ذَنْبٍ هُوَ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى عُقُوبَتَهُ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ " . ٣٣٠
وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ " ٣٣١
وَمِنْ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ لِحَسَنِ الْخَاتِمَةِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة: ٢٧٤] .

٣٢٨ - صحيح البخاري - المكثر - (١٠)

٣٢٩ - صحيح البخاري - المكثر - (١٤٩٦) - الكرائم : جمع كريمة وهي خيار المال وأفضله

٣٣٠ - مُشْكِلُ الْأَثَارِ لِلطَّحَاوِيِّ (٥٢٣٧) صحيح

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَقَالَ قَائِلٌ : أَفَتَكُونُ الْعُقُوبَةُ عَلَى الْبَغْيِ ، وَالْعُقُوبَةُ عَلَى قَطِيعَةِ الرَّحِمِ أَسْرَعُ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ ؟ فَكَانَ جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلِكَ : أَنَّ مَا فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا فِي هَذَا الْبَابِ لَمْ يُرَدَّ بِهِ مَا ظَنَّ هَذَا الْقَائِلُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْكُفْرِ ، وَلَا عُقُوبَةٌ أَشَدُّ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنْ تُذْرِكَ التَّوْبَةُ مَنْ كَانَ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِمَا فِي الْحَدِيثَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا فِي هَذَا الْبَابِ عُقُوبَةُ مَنْ كَانَ مِنْهُ الْبَغْيُ ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ مِنَ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا بِذَلِكَ ، وَكَانَ مَا تُوعَدُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عُقُوبَةٌ عَلَى بَغْيِهِ ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِصَلَتِهَا . وَأَمَّا الْعُقُوبَةُ عَلَى الْكُفْرِ ، فَأَغْلَظُ مِنْ ذَلِكَ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

٣٣١ - سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٤٣١٩) صحيح

وصِفَةُ السَّخَاءِ وَسَمَاحَةِ النَّفْسِ مَعَ الْإِسْلَامِ سَبَبٌ لِلتَّوْفِيقِ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الشُّوْءِ ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ " . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ . ٣٣٢

وَمِنْ أَسْبَابِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ الْعَافِيَةِ مِنَ الْبَدْعِ، فَإِنَّ ضَرَرَهَا كَبِيرٌ وَفَسَادُهَا خَطِيرٌ، وَالْبَدْعُ هِيَ الَّتِي تَفْسِدُ الْقُلُوبَ وَتَهْدِمُ الدِّينَ وَتَنْقُضُ الْإِسْلَامَ عُرْوَةً عُرْوَةً، قَالَ تَعَالَى: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا [النساء: ٦٩]، وَهَؤُلَاءِ الْمَنْعَمُ عَلَيْهِمْ مُبَرِّوُونَ مِنَ الْبَدْعِ كُلِّهَا.

وَمِنْ أَسْبَابِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ الدُّعَاءُ بِذَلِكَ لِلنَّفْسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ [غافر: ٦٠]، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يُعْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالِدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٣٣٣.

وَدُعَاءُ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ مُسْتَجَابٌ، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا، قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلِ، وَلَكَ بِمِثْلِ " ٣٣٤.

فَلْنَسْعَ إِلَى تَحْصِيلِ أَسْبَابِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ لِيُوفِّقَنَا اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ، وَلْنَحْذَرِ أَسْبَابَ سُوءِ الْخَاتِمَةِ؛ فَإِنَّ الْخَاتِمَةَ السَّيِّئَةَ هِيَ الْمَصِيبَةُ الْعَظِيمَةُ وَالذَّاهِيَةُ الْكَبِيرُ وَالْكَسْرُ الَّذِي لَا يَنْجِبُ وَالْخُسْرَانِ الْمُبِينِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَخَافُونَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ أَشَدَّ الْخَوْفِ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: " أَذْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، كُلُّهُمْ يَخَافُ التَّفَاقُقَ، لَيْسَ مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: أَنَا عَلَى إِيْمَانٍ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ " ٣٣٥، وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ: "وَكَانَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيِّ يَشْتَدُّ قَلْقُهُ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْخَوَاتِمِ، فَكَانَ يَكِي وَيَقُولُ:

٣٣٢ - المعجم الكبير للطبراني - (٧ / ٣٠٠) (٧٩٣٩) حسن

٣٣٣ - المستدرک للحاکم (١٨١٣) صحيح

٣٣٤ - صحيح ابن حبان - (٣ / ٢٦٩) (٩٨٩) صحيح

٣٣٥ - السنة لأبي بكر بن الخلال (١٠٨٦) صحيح

أَخَافُ أَنْ أَكُونَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ شَقِيًّا، وَيَكِي وَيَقُولُ: أَخَافُ أَنْ أُسَلَبَ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ" ٣٣٦

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: "مَا أَبْكَى الْعُيُونَ مَا أَبْكَاهَا الْكِتَابُ السَّابِقُ"، وَقَدْ قِيلَ: "إِنَّ قُلُوبَ الْأَبْرَارِ مَعْلَقَةٌ بِالْخَوَاتِيمِ يَقُولُونَ: بِمَاذَا يُخْتَمَ لَنَا؟ وَقُلُوبُ الْمُفْرِّينَ مَعْلَقَةٌ بِالسَّوَابِقِ يَقُولُونَ: بِمَاذَا سَبَقَ لَنَا؟"، وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُومُ طَوْلَ لَيْلِهِ وَيَقُولُ: "يَا رَبِّ، قَدْ عَلِمْتَ سَاكِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَفِي أَيِّ مَثَلٍ مَالِكُ؟" ٣٣٧.

أَمَّا الْخَاتِمَةُ السَّيِّئَةُ فَهِيَ أَنْ تَكُونَ وَفَاةُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ مُعْرَضٌ عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، مُقِيمٌ عَلَى مَا يَسْخِطُهُ سُبْحَانَهُ، مُضِيعٌ لِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ تِلْكَ نَهَايَةَ بَتِيْسَةٍ، طَالَمَا خَافَهَا الْمُتَّقُونَ، وَتَضَرَّعُوا إِلَى رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْنِبَهُمْ إِيَّاهَا.

وَأَسْبَابُ سُوءِ الْخَاتِمَةِ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا تَرْكُ الْفَرَائِضِ وَارْتِكَابُ الْحَرَمَاتِ وَتَرْكُ الْجَمْعِ وَالْجَمَاعَاتِ، فَإِنَّ الذُّنُوبَ رِمَا غَلَبَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَى قَلْبِهِ بِجَبَّاهَا، فَيَأْتِي الْمَوْتَ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، فَيَسْتَوِلِي عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَهُوَ فِي حَالَةٍ ضَعْفٍ وَدَهْشَةٍ وَخَيْرَةٍ، فَيَنْطِقُ بِمَا أَلْفَهُ وَغَلَبَ عَلَى حَالِهِ، فَيُخْتَمَ لَهُ بِسُوءِ خَاتِمَةٍ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ الْبِدْعُ الَّتِي لَمْ يَشْرَعْهَا الرَّسُولُ ﷺ، فَالْبِدْعَةُ شُرٌّ وَشَرٌّ عَلَى صَاحِبِهَا، وَهِيَ أَعْظَمُ مِنَ الْكِبَائِرِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لِيَرُدَّ عَلَى أَقْوَامٍ أَعْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ». قَالَ أَبُو حَازِمٍ فَسَمِعَنِي الثُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عِيَّاشٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا فَقَالَ هَكَذَا سَمِعْتُ سَهْلًا فَقُلْتُ نَعَمْ. قَالَ وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ «إِنَّهُمْ مِنِّي». فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي» ٣٣٨.

٣٣٦ - جامع العلوم والحكم (ص ٥٧).

٣٣٧ - أخرجه أحمد في الزهد (ص ٣٢١)، وانظر: صفة الصفوة (٢٨٥/٣)، وجامع العلوم والحكم (ص ٥٧).

٣٣٨ - صحيح البخاري - المكثر - (٧٠٥٠ و ٧٠٥١) وصحيح مسلم - المكثر - (٦١٠٩) - الفرط: المتقدم والمراد الشقيع

وَمِنْ أَسْبَابِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ ظُلْمُ النَّاسِ وَالْعُدْوَانُ عَلَيْهِمْ فِي الدِّمِ أَوْ الْمَالِ أَوْ الْعَرَضِ، وَظُلْمُ النَّفْسِ بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّرِّكَ بِاللَّهِ تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ [الأنعام: ٢١].

وَمِنْ أَسْبَابِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ الزَّهْدُ فِي بَذْلِ الْمَعْرُوفِ، وَعَدَمُ نَفْعِ الْمُسْلِمِينَ، وَالزَّهْدُ فِي الدُّعَاءِ فَلَمْ يَطْلُبِ الْخَيْرَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ [التوبة: ٦٧]، وَقَالَ تَعَالَى: أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ [الأحزاب: ١٩].

وَمِنْ أَسْبَابِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا وَزُخْرُفِهَا، وَعَدَمُ الْمَبَالَاةِ بِالْآخِرَةِ، وَتَقَدُّسُ مَحَبَّتِهَا عَلَى مَحَبَّةِ الْآخِرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [يونس: ٨، ٧].

وَمِنْ أَسْبَابِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ مِنَ الْكِبَرِ وَالْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَالْغِلِّ وَالْعُجْبِ وَالْغِشِّ وَاحْتِقَارِ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَدْرِ وَالْخِيَانَةِ وَالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَبُغْضِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَحُبِّ مَا يَبْغِضُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الشعراء: ٨٧-٨٩].

وَمِنْ أَسْبَابِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ [محمد: ٢٢، ٢٣]، عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرٍ بْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ »^{٣٣٩}. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « رَغِمَ أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ ». قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ ». ^{٣٤٠}

^{٣٣٩} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٦٨٥)

^{٣٤٠} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٦٧٤)

ومن أسباب سوء الخاتمة الوصية الظالمة المخالفة للشرع الحنيف. عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ أَوْ الْمَرْأَةَ بَطَاعَةَ اللَّهِ سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا الْمَوْتُ فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ فَتَجِبُ لَهُمَا النَّارُ». وَقَالَ ثُمَّ قَرَأَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ هَذَا هُنَا {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} (١١) سورة النساء ٣٤١

ومن أسباب سوء الخاتمة أن يصرَّ العبدُ على المعاصي ويألفها، فإنَّ الإنسان إذا ألف شيئاً مدة حياته وأحبه وتعلق به فالغالب أنه يموت عليه، قال ابن كثير رحمه الله: "إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت"، ويقول ابن القيم رحمه الله: "وسوء الخاتمة لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، إنما تكون لمن له فساد في العقيدة أو إصرارٌ على الكبيرة أو إقدامٌ على العظائم، فرمما غلبَ ذلك عليه حتى يترل عليه الموت قبل التوبة، فيأخذه قبل إصلاح الطوية ويصطدم قبل الإنابة والعياذ بالله. ٣٤٢

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِيَّايَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي لَا تُغْفَرُ: الْعُلُولُ فَمَنْ غَلَّ شَيْئًا أَتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَآكَلَ الرَّبَا فَمَنْ آكَلَ الرَّبَا بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَحْنُونًا يَتَخَبَّطُ" ثُمَّ قَرَأَ: "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرَّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ" [البقرة آية ٢٧٥] ٣٤٣

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ

٣٤١ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٦ / ٢٧١) (١٢٩٦١) وسنن الترمذي - المكثر - (٢٢٦٣) حسن

٣٤٢ - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٤٣٨٦) - قاتل العفة وموسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني

- (١ / ٤٦٤٩) - حسن الخاتمة وسوؤها وموسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٥٠٨٢) - النهاية

٣٤٣ - الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ (١٤٠٤٨) فيه ضعف

شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي النَّارِ يُقَالُ لَهُ بُولَسُ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ ، يُسْقَوْنَ
مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ عُصَارَةَ أَهْلِ النَّارِ .» ٣٤٤

وَعَنْ جَابِرٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : يَبْعَثُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسًا فِي صُورِ الذَّرِّ ، يَطْرُقُهُمْ
النَّاسُ بِأَفْدَامِهِمْ ، فَيُقَالُ : مَا هَؤُلَاءِ فِي صُورِ الذَّرِّ ؟ فَيُقَالُ : هَؤُلَاءِ الْمُتَكَبِّرُونَ فِي الدُّنْيَا . ٣٤٥

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ الْكِنْدِيِّ قَالَ : بَيْنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ يَوْمًا يَسِيرُ شَاذًا مِنَ الْحَيْشِ إِذْ لَقِيَهُ
رَجُلَانِ شَاذَانِ مِنَ الْحَيْشِ ، فَقَالَ : يَا هَذَانِ ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَلَاثَةٌ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ إِلَّا
أَمَرُوا عَلَيْهِمْ ، فَلْيَتَأَمَّرْ أَحَدُكُمْ ، قَالَا : أَنْتَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : بَلْ أَنْتُمَا ، سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَا مِنْ وَالِيٍّ ثَلَاثَةٌ إِلَّا لَقِيَ اللَّهُ مَعْلُولَةً يَمِينُهُ فَكَّهُ عَذْلُهُ ، أَوْ غَلَّهُ
جَوْرُهُ . ٣٤٦

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ ، أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَعْمَلَ بَشَرَ بْنَ عَاصِمٍ عَلَى صَدَقَاتِ هَوَازِنَ
فَتَخَلَّفَ بَشَرٌ فَلَقِيَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : " أَمَا لَنَا عَلَيْكَ سَمْعٌ وَطَاعَةٌ ؟ فَقَالَ : بَلَى
وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنِّي بِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَا وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْخَرَقَ بِهِ
الْجِسْرُ فَهَوَى فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا " . قَالَ : فَخَرَجَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثِيبًا حَزِينًا فَلَقِيَهُ أَبُو
ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : " مَالِي أَرَاكَ كَثِيبًا حَزِينًا ؟ قَالَ : مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَكُونَ كَثِيبًا
حَزِينًا وَسَمِعْتُ بَشَرَ بْنَ عَاصِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " مَنْ
وَلِيَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَنِّي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا
نَجَا وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْخَرَقَ بِهِ الْجِسْرُ فَهَوَى فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا " . قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : أَمَا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَا . قَالَ : أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ : " مَنْ وَلِيَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَنِّي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ بِهِ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ فَإِنْ

٣٤٤ - مسند الحميدي - المكثر - (٦٢٦) ومسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٣١) ٦٦٧٧ حسن

الخبال : عصارة أهل النار - الذر : جمع الذرة وهو النمل الأحمر الصغير - الأنيار : يحتمل أن يكون معناه النيران

٣٤٥ - كشف الأستار - (٤ / ١٥٥) (٣٤٢٩) ضعيف

٣٤٦ - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٣٨٤) (٤٥٢٥) صحيح

كَانَ مُحْسِنًا نَجَا وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْخَرَقَ بِهِ الْحِجْرُ فَهَوَىٰ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا وَهِيَ سَوَادٌ مُّظْلَمَةٌ " فَأَيُّ الْحَدِيثَيْنِ أَوْجَعَ قَلْبَكَ ؟ قَالَ : كِلَيْهِمَا قَدْ أَوْجَعَ قَلْبِي فَمَنْ يَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا ؟ قَالَ : يَقُولُ أَبُو ذَرٍّ مَنْ سَلَتَ اللَّهُ أَنْفَهُ وَالزَّقَ حَدَّهُ بِالْأَرْضِ أَمَا إِنَّا لَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا وَعَسَىٰ إِنْ وَلِيَّتْهَا مَنْ لَا يَعْدِلُ فِيهَا أَنْ لَا يَنْجُو مِنْ إِثْمِهَا " ٣٤٧

وَعَنْ بَشْرِ بْنِ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ بَعَثَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَسْتَعْمِلَهُ عَلَى بَعْضِ الصَّدَقَةِ ، فَأَبَى أَنْ يَعْمَلَ لَهُ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَتَى بِالْوَالِي فَيُقَدِّفُ عَلَى حِجْرٍ جَهَنَّمَ ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى فَيَنْتَفِضُ انْتِفَاضَةً يَزُولُ كُلُّ عَظْمٍ عَنْ مَكَانِهِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعِظَامَ فَتَرْجِعُ إِلَى أَمَاكِنِهَا ، ثُمَّ يَسْأَلُهُ فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعًا أَخَذَ بِيَدِهِ وَأَعْطَاهُ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا خَرَقَ بِهِ الْحِجْرَ ، فَهَوَىٰ فِي جَهَنَّمَ مِقْدَارَ سَبْعِينَ خَرِيفًا " . فَقَالَ عُمَرُ : سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ أَسْمَعْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَكَانَ هُنَاكَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ، وَأَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ ، فَقَالَ سَلْمَانُ : إِي وَاللَّهِ يَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَمَعَ السَّبْعِينَ خَرِيفًا فِي وَادٍ مِنْ نَارٍ تَلْتَهِبُ النَّهَابَا . فَقَالَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَنْ يَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا ؟ فَقَالَ سَلْمَانُ : مَنْ سَلَتَ اللَّهُ أَنْفَهُ ، وَالصَّقَ حَدَّهُ بِالْتُرَابِ "

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ : " مَنْ سَلَتَ اللَّهُ أَنْفَهُ " أَيُّ : قَبْحُهُ ، وَشَوْءُ خَلْقِهِ ؛ لِأَنَّ مَنْ نَزَعَ أَنْفَهُ مِنْ وَجْهِهِ شَوْءٌ خَلَقَهُ ؛ لِأَنَّ مَعْنَى السَّلَتِ الْمَسْحُ وَالْإِذْهَابُ . وَمَعْنَى : " أَلَصَقَ حَدَّهُ بِالْأَرْضِ " أَيُّ : أَذَلَّهُ ، وَأَقَمَّاهُ ، أَيُّ : يَكُونُ آخِرُ أَمْرِهِ ذَلِكَ ، وَإِلَى تِلْكَ الْحَالِ يَكُونُ مَنْ فُتِحَهَا ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ يَطَّاهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ " . فَكَانَ مَعْنَى قَوْلِ سَلْمَانَ : لَا يَأْخُذُهَا عِنْدَكَ وَأَنْتَ حَيٌّ إِلَّا مَنْ يَرِغَبُ فِيهَا طَلَبًا لِلْعُلُوِّ ، وَإِرَادَةَ الرَّفْعَةِ وَالتَّسَلُّطِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ ، وَمَنْ أَعَادَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنْتَهَاءُ حَالِهِ فِي الْقِيَامَةِ إِلَى مَا أَوْعَدَ اللَّهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ : " يُحْشَرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ " ، وَيُشَوُّهُ خَلْقُهُمْ وَيُقَبِّحُ صُورَهُمْ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُهَا مَعَ مَا فِيهَا مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ إِلَيْهَا إِلَّا مَنْ كَانَ طَالِبًا

٣٤٧ - الْحَاذُ وَالْمَثَانِي لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ (١٤١٢) وَمُسْنَدُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (٥٨٨) صَحِيحٌ لغيره

لِلْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ ، وَالْفَسَادِ فِي الْبِلَادِ ، وَالتَّرَفِّعِ عَلَى الْعِبَادِ ، أَلَّا يَرَى أَنَّهُ لَمْ يَرْغَبْ فِيهَا مِنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَحَدٌ حَتَّى أَتَاهُ عَفْوًا ، وَحَتَّى لَمْ يَجِدْ مِنْهُ بُدًّا ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَدْفَعُهَا عَنْ نَفْسِهِ ، حَتَّى لَمْ يَجِدْ مِنْهُ بُدًّا ، وَخَافَ الْفِتْنَةَ ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَخْلَفَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُثْمَانُ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ أَهْلُ الشُّوْرَى ، وَعَلِيٌّ بَايَعُوهُ طَوْعًا ، وَهُوَ يَمْتَنِعُ حَتَّى جَاءَتْ عَزْمَةٌ ٣٤٨

وقد حكى الإمام ابن القيم والحافظ الذهبي رحمهما الله حكايات كثيرة عن أقوام عجزوا عن قول: "لا إله إلا الله" عند موتهم، واستبدلوها بما كانوا متعلقين به في الدنيا من حرام أو مباح. ٣٤٩

وَنَظِيرُ مَا ذُكِرَ عَنْ هَذَا الْمُخْتَوِّمِ لَهُ بِقَوْلِهِ شَاهَكَ مَا جَاءَ عَنْ إِنْسَانٍ كَانَ يُجَالِسُ شَرِبَةَ الْخَمْرِ ، فَلَمَّا احْتَضَرَ لَقِنَ الشَّهَادَةَ فَقَالَ لِمَنْ يُلْقِنُهُ اشْرَبْ وَاسْقِنِي ثُمَّ مَاتَ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ٣٥٠

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : " مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا مُثَّلَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ . قَالَ : فَاحْتَضَرَ رَجُلٌ ، فَقِيلَ لَهُ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ : شَاهَكَ ٣٥١

ورجل كان يشرب الخمر، قال: اشرب واسقني، ثم مات. ورجل كان منهما في التجارة جعل يقول: هذه رخيصة وهذا مشترى جيد، ثم مات. ومن الصالحين من مات وهو ساجد أو وهو يتلو القرآن أو يذكر الله تعالى، وذلك لأن الشيطان يحشد للإنسان كل همته وقوته لإضلاله في هذه اللحظة، والإنسان يكون في أضعف أحواله، قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} (٢٧) سورة إبراهيم

٣٤٨ - بَحْرُ الْفَوَائِدِ الْمُسَمَّى بِمَعَانِي الْأَخْيَارِ لِلْكَلْبَادِيِّ (٢١٧)

٣٤٩ - انظر موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٤١٤٦) - حسن الخاتمة والتحذير من سوءها

الرقاق والأخلاق والآداب

٣٥٠ - الزواجر عن اقتراف الكبائر - (٣ / ٢٥١) والكبائر للذهبي - (١ / ٣٢)

٣٥١ - الْمُحْتَضَرِينَ لِأَبْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٢٣٨) فيه لين

وأما العلامة التي يعلم بها الميت نفسه حسن خاتمته فهي أن تبشره ملائكة الرحمة برضوان الله تعالى، فيفرح ويستبشر، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} (٣٠) سورة فصلت وهذه العلامة هي التي في صحيح مسلم عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ». قَالَ فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - حَدِيثًا إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ هَلَكْنَا. فَقَالَتْ إِنَّ الْهَالِكَ مَنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَمَا ذَاكَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ». وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ. فَقَالَتْ قَدْ قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَلَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ الْبَصَرُ وَحَشَرَجَ الصَّدْرُ وَأَقْشَعَرَ الْجِلْدُ وَتَشَنَّجَتِ الْأَصَابِعُ فَعِنْدَ ذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ. " ٣٥٢

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ». قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَرْوَاجِهِ إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ . قَالَ « لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بُشِّرَ

٣٥٢ - صحيح مسلم - المكثر - (٧٠٠٢)

مَعْنَى الْحَدِيثِ : أَنَّ الْكَرَاهَةَ الْمُعْتَبَرَةَ هِيَ الَّتِي تُكُونُ عِنْدَ النَّزْعِ فِي حَالَةٍ لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ وَلَا غَيْرَهَا ، فَحِينَئِذٍ يُبَشِّرُ كُلَّ إِنْسَانٍ بِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ ، وَمَا أَعَدَّ لَهُ ، وَيُكْشَفُ لَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَهْلُ السَّعَادَةِ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ وَلِقَاءَ اللَّهِ ، لِيَنْتَقِلُوا إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُمْ ، وَيُحِبُّ اللَّهُ لِقَاءَهُمْ ، أَيْ : فَيَجْزِلُ لَهُمُ الْعَطَاءُ وَالْكَرَامَةُ ، وَأَهْلُ الشَّقَاوَةِ يَكْرَهُونَ لِقَاءَهُ لِمَا عَلِمُوا مِنْ سُوءِ مَا يَنْتَقِلُونَ إِلَيْهِ ، وَيَكْرَهُ اللَّهُ لِقَاءَهُمْ ، أَيْ يُبْعِدُهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ ، وَلَا يُرِيدُ ذَلِكَ بِهِمْ ، وَهَذَا مَعْنَى كَرَاهَتِهِ سُبْحَانَهُ لِقَاءَهُمْ . وَلَيْسَ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ سَبَبَ كَرَاهَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِقَاءَهُمْ كَرَاهَتُهُمْ ذَلِكَ ، وَلَا أَنَّ حُبَّهُ لِقَاءَ الْآخِرِينَ حُبُّهُمْ ذَلِكَ ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ لَهُمْ . شرح النووي على مسلم - (٩ / ٤٧)

يُعَذِّبُ اللَّهُ وَعُقُوبَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ »
٣٥٣

هل التبسم عند الموت من علامات حسن الخاتمة ؟

لا نعلم نصًّا صحيحاً صريحاً بأن التبسم عند الموت من علامات حسن الخاتمة، ولكن هذا يفهم من عدة نصوص، ((إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ)) رواه أحمد عن البراء رضي الله عنه. ٣٥٤

فقد يتبسم المحتضر لذلك، ومما يدل على هذا أيضاً ما رواه أحمد عن عامرٍ قال : رأى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ثَقِيلاً ، فَقَالَ : مَا لَكَ يَا أَبَا فَلَانٍ ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا مَا مَنَعَنِي أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ إِلَّا الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا أَشْرَقَ لَهَا لَوْنُهُ ، وَنَفَسَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كُرْبَتَهُ قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا هِيَ ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَعْلَمُ كَلِمَةً هِيَ أَعْظَمُ مِنْ كَلِمَةٍ أَمَرَ بِهَا عَمَّهُ عِنْدَ مَوْتِهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ : صَدَقْتَ ، هِيَ وَاللَّهِ. ٣٥٥

ومحل الشاهد من الحديث قوله: أشرق لها لونه. ولكن هذا مع النطق بالشهادة. وعن يحيى بن طلحة ، عَنْ أُمِّهِ سُعْدَى الْمُرِّيَّةِ ، قَالَتْ : مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِطَلْحَةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : مَا لَكَ مُكْتَتِبًا ، أَسَاءَتْكَ إِمْرَةُ ابْنِ عَمِّكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ نُورًا لِصَحِيفَتِهِ ، وَإِنْ جَسَدُهُ وَرُوحُهُ لَيَجِدَانِ لَهَا رَوْحًا عِنْدَ الْمَوْتِ ، فَقَبِضَ

٣٥٣ - صحيح البخاري- المكثر - (٦٥٠٧) وصحيح مسلم- المكثر - (٦٩٩٨)

٣٥٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٣٢١) (١٨٥٣٤) ١٨٧٣٣ - صحيح

٣٥٥ - مسند الشاشي ٣٣٥ - (١ / ١٨) (٢٩) ومسند أحمد - المكثر - (١٤٠٠) صحيح

وَلَمْ أَسْأَلْهُ ، فَقَالَ : مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا الَّتِي أَرَادَ عَلَيْهَا عَمَّهُ ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ شَيْئًا أَنْجَى لَهُ مِنْهَا لَأَمَرَهُ. ٣٥٦

هل خروج روح الميت بسهولة أو بشدة علامة قاطعة على سعادته أو غيرها؟^{٣٥٧}

إن خروج روح الميت بسهولة أو بشدة ليس علامة قاطعة على سعادته أو غيرها، وكل ذلك يحصل للمؤمن فقد تخرج روحه بيسر وسهولة، كما في الحديث: "فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ" ٣٥٨

وقد تخرج روح المؤمن بشدة فيكون ذلك تكفيراً عن سيئاته وتمحيصاً له من خطيئاته، فعَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ذَكَوَانَ مَوْلَى عَائِشَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - تُوفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي ، وَبَيْنَ سَحْرِي وَتَحْرِي ، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبَيْدَهُ السَّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكَ فَقُلْتُ أَخَذَهُ لَكَ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقُلْتُ أَلَيْتُهُ لَكَ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ ، فَلَيْتُهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ عُلبَةٌ يَشْكُ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ » . ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ « فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » ٣٥٩

٣٥٦ - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٣٥) (٢٠٥) صحيح

انظر موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٥١٢٥) - أسباب حسن الخاتمة وسوئها و(١ / ٤٨٤٣) - أسباب حسن الخاتمة وسوئها و(١ / ٤٧٨٦) - أسباب حسن الخاتمة وسوئها وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٢ / ١٦٩١) رقم الفتوى ٤٠٠١ حسن الخاتمة وسوء الخاتمة وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٤ / ٩٤٥٦) - رقم الفتوى ٢٩٠١٨ من علامات حسن الخاتمة وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٥ / ٨٣١) - رقم الفتوى ٣٠٧٢٣ الموت يوم الجمعة من علامات حسن الخاتمة وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٩ / ٥٦١٣) - رقم الفتوى ٦٦٧٠٥ من علامات حسن الخاتمة وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٩ / ٧٠٢٩) - رقم الفتوى ٦٨٣٣١ من دلائل حسن الخاتمة وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (١٠ / ٣٣٣٣) - رقم الفتوى ٧٣٧٩٠ من أمارات حسن الخاتمة وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (١٠ / ٣٧٧٨) - رقم الفتوى ٧٤٣٤١ من علامات حسن الخاتمة

٣٥٧ - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (١٠ / ٢١٥٩) - رقم الفتوى ٧٢٤٣٤

٣٥٨ - مصنف ابن أبي شيبة - (٣ / ٣٨٠) (١٢١٨٥) مطولاً وهو صحيح

٣٥٩ - صحيح البخاري - المكثر - (٤٤٤٩)

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ - وَإِنَّهُ لَبَيِّنٌ حَافِتِي وَذَاقَتِي ، فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ - ٣٦٠ .

قال في تحفة الأحمدي " لَمَّا رَأَيْتَ شِدَّةَ وَفَاتِهِ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْمُنْذِرَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى سُوءِ عَاقِبَةِ الْمُتَوَفَّى ، وَأَنَّ هَوْنَ الْمَوْتِ وَسُهُولَتَهُ لَيْسَ مِنَ الْمُكْرَمَاتِ . وَإِلَّا لَكَانَ ﷺ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ وَلَا أَغْبَطُ أَحَدًا يَمُوتُ مِنْ غَيْرِ شِدَّةٍ " ٣٦١ .
وقال الحافظ : " وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ شِدَّةَ الْمَوْتِ لَا تَدُلُّ عَلَى نَقْصٍ فِي الْمَرْتَبَةِ بَلْ هِيَ لِلْمُؤْمِنِ إِمَّا زِيَادَةٌ فِي حَسَنَاتِهِ وَإِمَّا تَكْفِيرٌ لِسَيِّئَاتِهِ " ٣٦٢

ولكن ينظرُ إلى حال المرء قبل وفاته ومدى استقامته والتزامه بأوامر الشرع ومدى إقباله على الطاعات وبعده عن المعاصي والمحرمات، فمن اتصف بذلك يرجى له الخير وحسنُ الخاتمة.

هل الخلوُّ من أماراتِ حُسْنِ الخاتمة يدلُّ على سوءها ؟

إنَّ علينا أن نحسن الظنَّ بالمسلمين، وخاصة إذا كانوا من أهل الخير والصلاح حسبما يبدو لنا، فإنَّ الظاهر مرآة الباطن، وقد نهانا الله عز وجل عن سوء الظن، فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ [الحجرات: ١٢].
ولهذا، فإن من السنَّة تغطية وجه الميت، قال ابن العربي : إنما أمر بتغطية وجه الميت، لأنه ربما يتغير وجهه تغيراً وحشياً من المرض فيظنُّ من لا معرفة له ما لا يجوز من سوء الظن به .

وقد ذكر أهل العلم أمارات لحسن الخاتمة، منها: أن يكون آخر كلامه لا إله إلا الله، ومنها: الموت يوم الجمعة وعرق الجبين، وقالوا: ليس معنى ذلك أن الخلو من هذه الأمارات دليل على سوء الخاتمة. والمؤمن دائماً

٣٦٠ - صحيح البخارى - المكثر - (٤٤٤٦) - الحاقنة : المنخفضة بين الترقوتين من الحلق - الذاقنة : الذقن

٣٦١ - تحفة الأحمدي - (٣ / ٣٧)

٣٦٢ - فتح الباري لابن حجر - (١١ / ٣٦٣)

يرجى له الخيرُ ويحسن به الظنُّ، وخاصة إذا كان مستقيماً فاعلاً
للخير.^{٣٦٣}

^{٣٦٣} - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٨ / ١٨١) - رقم الفتوى ٥٠٢٤١ الحلو من أمارات حسن الخاتمة لا يدل
على سوئها

المبحث الرابع عشر

كيفية الموت وشدته

قال تعالى: { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ } (١٩) سورة ق ، وجاءت شدة الموت وغمرته بالحق الذي لا مردَّ له ولا مناص، ذلك ما كنت منه - أيها الإنسان - تهرب وتروغ. وقال تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } (٩٣) سورة الأنعام ومن أشدَّ ظلمًا ممن اختلق على الله تعالى قولاً كذباً، فادعى أنه لم يبعث رسولا من البشر، أو ادعى كذباً أن الله أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيئا، أو ادعى أنه قادر على أن يُنزل مثل ما أنزل الله من القرآن؟ ولو أنك أبصرت -أيها الرسول- هؤلاء المتجاوزين الحدَّ وهم في أهوال الموت لرأيت أمراً هائلا والملائكة الذين يقبضون أرواحهم باسطو أيديهم بالعذاب قائلين لهم: أخرجوا أنفسكم، اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله.

وقال تعالى: { فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ } (٨٣) سورة الواقعة فهل تستطيعون إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند الترع، وأنتم حضور تنظرون إليه، أن تمسكوا روحه في جسده؟ لن تستطيعوا ذلك، ونحن أقرب إليه منكم بملائكتنا، ولكنكم لا ترونهم.

وقال تعالى: { كُلًّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ } (٢٧) سورة القيامة التراقي: أعلى الصدر

حقاً إذا وصلت الروح إلى أعالي الصدر، وقال بعض الحاضرين لبعض: هل من راق يرقيه ويشفيه مما هو فيه؟ وأيقن المحتضر أن الذي نزل به هو فراق الدنيا؛ لمعاينته ملائكة الموت،

واتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، إلى الله تعالى مساق العباد يوم القيامة: إما إلى الجنة وإما إلى النار.

عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ذَكَرَ أَنَّ مَوْلَى عَائِشَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كَانَتْ تَقُولُ : إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - تُوَفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي ، وَبَيْنَ سَحَرِي وَتَحَرِي ، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرَيْقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَبَيْدِهِ السَّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - - فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكَ فَقُلْتُ أَخَذَهُ لَكَ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَأَشْنَتَهُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ أَلَيْتَهُ لَكَ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ ، فَلَيْتَنِي ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعٌ - أَوْ عُلبَةٌ يَشْكُ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنْ لَلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ » . ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ « فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » . حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ .^{٣٦٤} أخرجه البخاري

الموت : هو مفارقة الروح للجسد ، ولا يحصل ذلك إلا بآلم عظيم جداً ، وهو أعظم الآلام التي تُصيب العبد في الدنيا ، قال عمر لكعب : أخبرني عن الموت ، قال يا أمير المؤمنين ، هو مثل شجرة كثيرة الشوك في خوف ابن آدم ، فليس منه عرق ولا مفصل إلا ورجل شديد الذراعين ، فهو يعالجها ينزعها ، فبكى عمر .

ولما احتضر عمرو بن العاص سأله ابنه عن صفة الموت ، فقال : والله لكأن جنِّي في تحت ، ولكأنِّي أتنفَّسُ من سمِّ إبرة ، وكأنَّ غصنَ شوكٍ يُجرُّ به من قدمي إلى هامتي . وقيل لرجل عند الموت : كيف تجدك ؟ فقال : أجدي أُجتذب اجتذاباً ، وكأنَّ الخناجرَ مختلفة في جوفي ، وكأنَّ جوفي تُنور محمىً يلتهبُ توقداً . وقيل لآخر : كيف تجدك ؟ قال : أجدي كأنَّ السماوات منطبقة على الأرض عليّ ، وأجد نفسي كأنَّها تخرج من ثقب إبرة .

^{٣٦٤} - برقم (٤٤٤٩ و ٦٥١٠) والفتح و ١٦/٦ و ١٣٣/٨

فلما كان الموت بهذه الشدة ، والله تعالى قد حتمه على عباده كلهم ، ولا بد لهم منه ، وهو تعالى يكره أذى المؤمن ومساءته ، سمي تردداً في حق المؤمن ، فأما الأنبياء عليهم السلام ، فلا يقبضون حتى يُخَيَّرُوا ^{٣٦٥} .

وعن عائشة قالت مات النبي ﷺ - وإنه لبين حاقنتي وذافنتي ، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ - أخرجه البخاري ^{٣٦٦}

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ - قال « المؤمن يموت بعرق الجبين » أخرجه الترمذي ^{٣٦٧}

قيل هو عبارة عن شدة الموت ، وقيل هو علامة الخير عند الموت . قال ابن المالك : يعني يشتد الموت على المؤمن بحيث يعرق جبينه من الشدة لتمحيص ذنوبه أو لتزييد درجته

وعن علقمة قال سمعت عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ - يقول « إن نفس المؤمن تخرج رشحاً ولا أحب موتاً كموت الحمار » . قيل وما موت الحمار قال « موت الفجأة » . أخرجه الترمذي ^{٣٦٨}

وعن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : تحدثوا عن بني إسرائيل ، فإنه كانت فيهم الأعاجيب ، ثم أنشأ يحدث ، قال : خرجت طائفة منهم ، فأتوا مقبرة من مقابرهم ، فقالوا : لو صلينا ركعتين ، فدعونا الله ، عز وجل ، يخرج لنا بعض الأموات ، يخبرنا عن الموت ، قال : ففعلوا ، فبينما هم كذلك إذ طلع رجل برأسه من قبر ، بين عينيه أثر

^{٣٦٥} - جامع العلوم والحكم - (ج ٣٨ / ص ٣٢)

^{٣٦٦} - برقم (٤٤٤٦ و ٤٤٤٩ و ٤٤٥٠ و ٤٤٥١ و ٥٢١٧ و ٦٥١٠) الحاقنة : المنخفضة بين الترقوتين من الحلق ، الذاقة : الذقن

^{٣٦٧} - برقم (٩٨٢) و (٩٩٨) ونص ٦/٤ (١٨٤٠) وابن ماجه (١٥١٩) وأحمد ٣٥٧/٥ و ٣٦٠ (٢٣٦٦٦ و ٢٣٧٤٩) والمجمع ٣٢٥/٢ والحاكم ٣٦١/١ (١٣٣٣) وهو حديث صحيح.

^{٣٦٨} - الترمذي (٩٩٦) وعب (٦٧٧٣) وش (١٢٠١١) وطب (٩٨٧٢) وطس (٦٠٦٤) وهب (٩٨٥٥) والمجمع ٣٢٥/٢ و ٣٢٦ وهو حديث حسن. الرشع : العرق

السُّجُودِ ، فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، مَا أَرَدْتُمْ إِلَيَّ ؟ فَوَاللَّهِ ، لَقَدْ مِتُّ مُنْذُ مِئَةِ سَنَةٍ ، فَمَا سَكَنْتُ عَنِّي حَرَارَةُ الْمَوْتِ حَتَّى كَانَ الْآنَ ، فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يُعِيدَنِي كَمَا كُنْتُ. أخرجه عبد بن حميد ^{٣٦٩}

قال القرطبي: لتشديد الموت على الأنبياء فائترتان: إحداهما تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم، وليس ذلك نقصاً ولا عتاباً، بل هو كما جاء أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، والثانية: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن، وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى، فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً، ويرى سهولة خروج روحه، فيظن سهولة أمر الموت، ولا يعرف ما الميت فيه، فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى، قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقاً. ^{٣٧٠}

^{٣٦٩} - برقم (١١٥٩) والجامع لأخلاق الراوي (١٣٦١) والزهد لوكيع (٥٤) والمطالب ١/ ١٩٢ و ٣/ ٢٨٠ (٨١٣) وتمام (٢١٧) والفيض ٣/ ٣٧٧ وهو حديث صحيح.

^{٣٧٠} - التذكرة ١/ ١٤

المبحث الخامس عشر

تلقين الميت

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: - اقْرَؤُوا عَلَى مَوْتَاكُمْ يس أخرجه النسائي، وعند أحمد عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ «الْبَقَرَةُ سَنَامُ الْقُرْآنِ وَذُرْوَتُهُ نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ثَمَانُونَ مَلَكًا وَاسْتُخْرِجَتْ (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ فَوُصِلَتْ بِهَا أَوْ فَوُصِلَتْ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ وَ (يس) قَلْبُ الْقُرْآنِ لَا يَقْرَأُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ وَاقْرَءُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ

٣٧١

وتستحب قراءتها لما تشتمل عليه من أحوال البعث والقيامة وبيان الخاتمة وإثبات القدر والتوحيد وأمارات الساعة... ٣٧٢

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». أخرجه مسلم

٣٧٣

وقال النووي رحمه الله: وَالْأَمْرُ بِهَذَا التَّلْقِينِ أَمْرٌ نَدْبٌ، وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى هَذَا التَّلْقِينِ، وَكَرَهُوا الْإِكْتَارَ عَلَيْهِ وَالْمُؤَالَاةَ لِقَلَّا يَضْجَرُ بِضِيقِ حَالِهِ وَشِدَّةِ كَرْبِهِ فَيَكْرَهُ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَلِيقُ. قَالُوا: وَإِذَا قَالَهُ مَرَّةً لَا يُكْرَرُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ بَعْدَهُ بِكَلَامٍ آخَرَ، فَيَعَادُ التَّعْرِيزُ بِهِ لِيَكُونَ آخِرَ كَلَامِهِ، وَيَتَضَمَّنُ الْحَدِيثُ الْحُضُورَ عِنْدَ الْمُحْتَضَرِّ لِتَذْكِيرِهِ وَتَأْنِيسِهِ وَإِعْمَاضِ عَيْنَيْهِ وَالْقِيَامَ بِحَقُوقِهِ وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». أخرجه أبو داود

٣٧٤

٣٧١ - النسائي برقم (١٠٨٤٦ و ١٠٨٤٧) والإحسان برقم (٢٩٩١) وطب (١٦٩٠٤ و ١٦٩٣١) وأبو داود (٣١٢١) وأحمد ٢٦/٥ و ٢٧ (٢٠٨٣٦) وطب (١٦٩٠٥) والحاكم ٥٦٥/١ (٢٠٧٤) وجامع الأصول ٨٤/١١ والمسند الجامع (١١٧٠٣) وش (١٠٨٥٣) وفيه ضعف.

٣٧٢ - الفيض ٦٧/٣

٣٧٣ - برقم (٩١٦) والترمذي (٩٩٢) وابن ماجه (١٤٤٦) وهو حديث صحيح مشهور

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِبَطْنِ لُحْلُحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَا لِي أَرَاكَ قَدْ شَعَنْتَ وَاعْبَرَرْتَ مُنْذُ تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لَعَلَّكَ سَاءَكَ يَا طَلْحَةَ إِمَارَةُ ابْنِ عَمِّكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنِّي لَأَجْدُرُكُمْ أَنْ لَا أَفْعَلَ ذَلِكَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ عِنْدَ حَضْرَةِ الْمَوْتِ إِلَّا وَجَدَ رُوحَهُ لَهَا رَوْحاً حِينَ تَخْرُجُ مِنْ حَسَدِهِ وَكَانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». فَلَمْ أَسْأَلْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنْهَا وَلَمْ يُخْبِرْنِي بِهَا فَذَلِكَ الَّذِي دَخَلَنِي قَالَ عُمَرُ فَأَنَا أَعْلَمُهَا. قَالَ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ فَمَا هِيَ قَالَ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا لِعَمِّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ طَلْحَةُ صَدَقْتَ. أخرجه أحمد ٣٧٥

وَعَنِ الْأَعْرَجِ أَبِي مُسْلِمٍ قَالَ أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. صَدَقَهُ رَبُّهُ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ. وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ. قَالَ يَقُولُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا وَحْدِي. وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ. قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي. وَكَانَ يَقُولُ مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمُهُ النَّارُ » أخرجه الترمذي ٣٧٦

وقوله : لم تطعمه النار هذا كناية من عدم دخوله إليها، ثم يحتمل أن يراد لا يدخلها دخول تخليد وتأبيد، ويحتمل أن يتسبب عنه بفضل الله تعالى من حسن الخاتمة ما يدخل به قائله الجنة مع الفائزين وهو المتبادر من متن الحديث.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَخَذَ النَّبِيُّ - ﷺ - بِنَتَائِهِ لُهُ تَقْضَى فَاحْتَضَنَهَا فَوَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَمَاتَتْ وَهِيَ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَصَاحَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَقِيلَ أَتَبْكِي عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -. قَالَتْ أَلَسْتُ أَرَاكَ

٣٧٤ - أبو داود (٣١١٨) وأحمد ٢٣٣/٥ و٢٢٦٨٤ و٢٢٧٨١ وابن حبان (٧١٩) والحاكم (١٢٩٩) وطب (١٦٦٤٥) وهو حديث صحيح.

٣٧٥ - أحمد ٢٨/١ و٣٧ (١٩٢ و٢٥٨ و٤٥٥ و١٤٠٠) والحاكم ٣٥٠/١ (٢٤٢ و٢٩٨) والجمع ٣٢٤/٢ و٣٢٥ وهو حديث صحيح.

٣٧٦ - برقم (٣٧٥٨) وابن ماجه (٣٧٩٤) وابن حبان (٢٣٢٥) موارد و ن عمل (٣٠ و ٣١ و ٣٢) وهو حديث صحيح.

تَبْكِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « لَسْتُ أَبْكِي إِنَّمَا هِيَ رَحْمَةٌ إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِكُلِّ خَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنْ نَفْسُهُ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ حَبِيبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ » أخرجه أحمد ^{٣٧٧}

وَعَنِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ فَأَغْمِضُوا الْبَصَرَ فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتَّبِعُ الرُّوحَ وَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّهُ يُؤْمِنُ عَلَى مَا قَالَ أَهْلُ الْمَيِّتِ » . أخرجه أحمد ^{٣٧٨}

(وقولوا) حال التغميض وبعده (خيراً) أي قولوا خيراً: من الدعاء للميت بنحو مغفرة وللمصاب يجبر المصيبة ولا يحملكم الجزع على الدعاء على أنفسكم وهذا كما قال القرطبي أمر ندب أو إرشاد وتعليم لما ينبغي أن يقال عند المصيبة . (فإن الملائكة) الموكلين بقبض روحه أو من حضر منهم أو أعم (تؤمن على ما يقول أهل البيت) أي بيت الميت وفي نسخ أهل الميت أي تقول آمين يعني استجب يا ربنا فلا تقولوا شراً فتؤمن الملائكة فيستجاب ، ففيه إشارة إلى النهي عن نحو: واكففاه واجسراه لا عشت بعده ونحو ذلك .. ^{٣٧٩}

^{٣٧٧} - ٢٧٣/١ و ٢٧٤ (٢٥١٩) والنسائي ٢٨١/١ والبخاري (٨٨) والصحيفة (١٦٣٢) وهو صحيح.

^{٣٧٨} - أحمد ١٢٥/٤ (١٧٦٠٠) وابن ماجه (١٥٢٢) وطب (٧٠٢٢) وطس (١٠٢٧) وهو حديث صحيح.

^{٣٧٩} - فيض القدير (٥٦٤)

المبحث السادس عشر ما جاء في ملك الموت وأعوانه

قال الله تعالى: { قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } (١١) سورة السجدة

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم، فيقبض أرواحكم إذا انتهت آجالكم، ولن تتأخروا لحظة واحدة، ثم تُردُّون إلى ربكم، فيجازيكم على جميع أعمالكم: إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقال تعالى: { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } (٦١) سورة الأنعام

والله تعالى هو القاهر فوق عباده، فوقية مطلقة من كل وجه، تليق بجلاله سبحانه وتعالى. كل شيء خاضع لجلاله وعظمته، ويرسل على عباده ملائكة، يحفظون أعمالهم ويحفظونها، حتى إذا نزل الموت بأحدهم قبض روحه ملك الموت وأعوانه، وهم لا يضيعون ما أمروا به.

وعن ابن عباس في قوله: تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ، قَالَ: أَعْوَانُ مَلَكِ الْمَوْتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. أخرجه ابن أبي شيبه ٣٨٠

وعن أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قَالَ « كَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ فِيهِ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ وَكَانَ إِذَا خَرَجَ أَغْلَقَتِ الْأَبْوَابُ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَىٰ أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّىٰ يَرْجِعَ - قَالَ - فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَغَلَقَتِ الدَّارُ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ تَطْلُعُ إِلَى الدَّارِ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتِ مَنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ الدَّارَ وَالدَّارُ مُعَلَّقَةٌ وَاللَّهُ لَتُفْتَضَحَنَّ بِدَاوُدَ. فَجَاءَ دَاوُدُ فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا الَّذِي لَا أَهَابُ الْمُلُوكَ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي شَيْءٌ فَقَالَ دَاوُدُ أَنْتَ وَاللَّهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَمَرَّحَبًا بِأَمْرِ اللَّهِ. فَرَمَلَ دَاوُدُ مَكَانَهُ حَيْثُ

٣٨٠ - ٣٧٢/١٣ (٣٤٧٧٦) وتفسير ابن أبي حاتم (٧٤١٨-٧٤٢٠) والطبري ٣٩/٧ والدر ١٦/٣ من طرق تقويه.

قَبِضَتْ رُوحَهُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ شَأْنِهِ وَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْرِ أَظَلِّي عَلَى دَاوُدَ. فَأَظَلَّتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ اقْبِضِي جَنَاحًا جَنَاحًا». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُرِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - كَيْفَ فَعَلَتْ الطَّيْرُ وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ يَدَهُ ﷺ - وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ الْمَضْرَحِيَّةُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٣٨١

وقال الكلبي : يقبض ملك الموت الروح من الجسد ، ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمناً ، وإلى ملائكة العذاب إن كان كافراً ، وهذا المعنى منصوص في حديث البراء ٣٨٢

أما ملك الموت فواحد كما هو ظاهر حديث الصحيحين أن موسى عليه السلام جاءه ملك الموت فقال أجب ربك، وكما دل عليه قوله تعالى: قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ {السجدة: ١١} غير أن له أعوانا. قال الله تعالى: تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ {الأنعام: ٦١}. وقال: حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ {الأنعام: ٣٧}. روى الإمام الطبري عن قتادة ، قوله : وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ يَقُولُ : " حَفَظَةٌ يَا ابْنَ آدَمَ يَحْفَظُونَ عَلَيْكَ عَمَلَكَ وَرَزَقَكَ وَأَجَلَكَ ، إِذَا تَوَفَّيْتَ ذَلِكَ قَبِضَتْ إِلَى رَبِّكَ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : إِنَّ رَبَّكُمْ يَحْفَظُكُمْ بِرُسُلٍ يُعَقِّبُ بَيْنَهَا ، يُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ يَحْفَظُكُمْ ، وَيَحْفَظُ أَعْمَالَكُمْ إِلَى أَنْ يَخْضِرُكُمْ الْمَوْتُ وَيَنْزِلَ بِكُمْ أَمْرُ اللَّهِ ، فَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ أَحَدَكُمْ تَوَفَّاهُ أَمَلَاكُنَا الْمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ وَرُسُلُنَا الْمُرْسَلُونَ بِهِ وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ فِي ذَلِكَ فَيُضَيِّعُونَهُ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : أَوَلَيْسَ الَّذِي يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ مَلَكُ الْمَوْتِ ، فَكَيْفَ قِيلَ : تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ، وَالرُّسُلُ جُمْلَةٌ وَهُوَ وَاحِدٌ ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ : قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ؟ قِيلَ : جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى أَعَانَ مَلَكُ الْمَوْتِ بِأَعْوَانٍ مِنْ عِنْدِهِ ، فَيَتَوَلَّوْنَ ذَلِكَ بِأَمْرِ مَلَكِ الْمَوْتِ ، فَيَكُونُ (التَّوَفِّي) مُضَافًا ،

٣٨١ - ٤١٩/٢ (٩٦٧٢) والجمع ٢٠٦/٨ و ٢٠٧ (١٣٧٩٦) والبداية ١٧/٢ و الإنحاف ٢٦٤/١٠ وفيه انقطاع.

المضرحي : الأبيض من كل شيء

٣٨٢ - راجع تذكرة القرطبي ص ٧٦ الشاملة ٢

وإن كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت إلى ملك الموت ، إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره ، كما يضاف قتل من قتل أعوان السلطان وجلد من جلدوه بأمر السلطان إلى السلطان ، وإن لم يكن السلطان بأمر ذلك بنفسه ولا وليه بيده . وقد تأول ذلك كذلك جماعة من أهل التأويل^{٣٨٣} اهـ.

أما كيف يقبض ملك الموت عددا من الأرواح في وقت واحد، فقد جاء في القرآن الكريم والسنة ما يدل على أن لملك الموت أعواناً من الملائكة، ففي القرآن ورد قوله سبحانه: وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ [الأنعام: ٦١].

قال ابن كثير في تفسيره: قوله: { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ } أي: [إذا] (٤) احتضر وحن أجله { تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا } أي: ملائكة موكلون بذلك. قال ابن عباس وغير واحد: ملك الموت أعوان من الملائكة، يخرجون الروح من الجسد، فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم وسيأتي عند قوله تعالى: { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } [إبراهيم: ٢٧]، الأحاديث المتعلقة بذلك، الشاهدة لهذا المروي عن ابن عباس وغيره بالصحة..^{٣٨٤}

ويشهد لهذا ما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ: " إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ ، اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرٍ غَضْبَانَ ، فَمَا يَزَالُ يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَيَعْرِجَ بِهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحَ لَهَا فَيَقَالُ: مَنْ هَذَا ؟ فَيَقَالُ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، فَيَقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ، ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرٍ غَضْبَانَ ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، أَظْنُوه أَرَادَ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قَالَ: وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخِرَ مَنْ شَكَلَهُ

^{٣٨٣} - جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبْرِيِّ (١٢١٤٦)

^{٣٨٤} - تفسير ابن كثير - دار طيبة - (٣ / ٢٦٧)

أَزْوَاجٌ ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَيَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَيُقَالُ : مَنْ هَذَا ؟
فَيُقَالُ : فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، فَيُقَالُ : لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ،
ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهُ لَا تُفْتَحُ لَكَ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، فَتُرْسَلُ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ تُصِيرُ إِلَى
الْقَبْرِ. " ٣٨٥ ...

٣٨٥ - إثبات عذاب القبر للبيهقي - (١ / ٤٥) (٣٥) صحيح و انظر فتاوى الشبكة الإسلامية رقم الفتوى (

(٢٠٦٥٧)

- الحميم : الماء الحار - الغساق : بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار وغسلتهم ، وقيل الزمهرير

المبحث السابع عشر من يحضر الميت من الملائكة

عن ابن مسعود وابن عباس، ومسروق، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وأبو الضحى، والسدي: { وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا } الملائكة، يعنون حين تترع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعنف فتغرق في نزعها، و[منهم] من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلتته من نشاط، وهو قوله: { وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا } قاله ابن عباس.^{٣٨٦}

وعن أبي هريرة قال « إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا »^{٣٨٧} قَالَ حَمَّادٌ فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ. قَالَ « وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قَبْلِ الْأَرْضِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتَ تَعْمُرِينَهُ. فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَقُولُ انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ ». قَالَ « وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ - قَالَ حَمَّادٌ وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا وَذَكَرَ لَعْنًا - وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قَبْلِ الْأَرْضِ. قَالَ فَيَقَالُ انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - رِيْطَةً كَأَنَّكَ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ هَكَذَا. أخرجه مسلم^{٣٨٨}

قال القاضي: المراد بالأول: انطلقوا بروح المؤمن إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، والمراد بالثاني انطلقوا بروح الكافر إلى سَجِّين، فهي مُنْتَهَى الْأَجَلِ، ويَحْتَمَلُ أَنْ الْمُرَادُ إِلَى انْقِضَاءِ أَجَلِ الدُّنْيَا. وآخر الأجل: سجن في جهنم.

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قُبِضَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ، فَتَقُولُ: أَخْرِجِي إِلَى رَوْحِ اللَّهِ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ مِسْكِ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَنَاقِلُونَهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَشْمُونَهُ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي جَاءَتْ مِنَ الْأَرْضِ؟ وَلَا يَأْتُونَ سَمَاءً إِلَّا قَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ

^{٣٨٦} - تفسير ابن كثير ٣٣٤/٨ و ٣١٢/٨ وهو صحيح ومثله لا يقال بالرأي

^{٣٨٧} - أي مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ

^{٣٨٨} - برقم (٢٨٧٢) في الجنة موقوفاً، ومثله لا يقال بالرأي.

أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعَائِبِ بِعَائِبِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : مَا فَعَلَ فَلَانٌ ؟ فَيَقُولُونَ : دَعُوهُ حَتَّى يَسْتَرِيحَ ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : قَدْ مَاتَ ، أَمَا أَمَاتَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : ذَهَبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَأْتِيهِ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمُسْحٍ ، فَيَقُولُونَ : اخْرُجِي إِلَى غَضَبِ اللَّهِ ، فَتَخْرُجُ كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ فَتَذْهَبُ بِهِ إِلَى بَابِ الْأَرْضِ . أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ ^{٣٨٩} وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ : « الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا قَالُوا : اخْرُجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَأَنَّ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبٌّ غَيْرُ غَضْبَانَ فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ : مَنْ هَذَا فَيَقُولُونَ : فَلَانٌ . فَيُقَالُ : مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَأَنَّ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبٌّ غَيْرُ غَضْبَانَ . فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ^{٣٩٠} ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ شَوْءًا قَالَ اخْرُجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَأَنَّ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ اخْرُجِي ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ . وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ . ^{٣٩١} فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَلَا يُفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ : مَنْ هَذَا فَيُقَالُ : فَلَانٌ . فَيُقَالُ : لَا مَرْحَبًا

^{٣٨٩} - صحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٢٨٥) (٣٠١٤) وعذاب القبر برقم (٤٥) وأحمد ٣٦٤/٢ وصحيح الترمذي (٣٥٥٩) ون (١١٩٢٦) والحاكم ٣٥٢/١ وهو حديث صحيح. المسح : قطعة من الصوف الغليظ ، الجيفة : جثة الميت إذا أُنْتِنَ

^{٣٩٠} - أي يظهر ويلقي حكمه ١ - السندي على ابن ماجه ٥٦٦/٢، وهذا من أحاديث الصفات التي يجب الإيمان بها، ولا نتعرض لها بتأويل أو تحريف، والله تعالى متره عن المكان والحيز ... راجع الفتح الرباني شرح مسند أحمد ٧٢/٧ - ٧٣ -

وفي مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (ج ٥ / ص ٣٤١) : ادخلي أي في السموات العلى أو في عبادي أي محل أرواحهم حميدة أي محمودة أو حامدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال أي هي يقال لها ذلك أي ما ذكر من الأمر بالدخول والبقية بالصعود من سماء إلى سماء حتى تنتهي أي تصل إلى السماء التي فيها الله أي أمره وحكمه أي ظهور ملكه وهو العرش وقال الطيبي أي رحمته بمعنى الجنة وتبعه ابن حجر ^{٣٩١} - أشياء سيئة جداً من هذا القبيل يعاقبون بها نفسه ٧٣/٧

بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا لَا تُفْتَحُ لَكَ أَبْوَابُ السَّمَاءِ
فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ» ٣٩٢ رواه ابن ماجه
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: " إِنْ الْمَيِّتَ تَحَضَّرَهُ الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ
قَالُوا: اخْرُجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ ، اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ
وَرِيحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضَبَانَ ، فَمَا يَزَالُ يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَيَعْرُجَ بِهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ
بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحَ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا
بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ، ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبٍّ
غَيْرِ غَضَبَانَ ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، أَظُنُّهُ أَرَادَ السَّمَاءَ
السَّابِعَةَ قَالَ: وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي
الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاجٌ ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهُ
ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَيَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ،
فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهُ لَا تُفْتَحُ
لَكَ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، فَتُرْسَلُ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ. " ٣٩٣

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ: إِنْ أَوَّلَ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ يُغْفَرُ لَهُ بِهَا مَا تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِهِ ، ثُمَّ يَنْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ بَرِيحَانٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَبَرِيطةٍ ، وَعَلَى أَرْجَاءِ السَّمَاءِ
مَلَائِكَةٌ ، يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ ، قَدْ جَاءَ الْيَوْمُ مِنَ الْأَرْضِ رِيحٌ طَيِّبَةٌ ، نَسَمَةٌ طَيِّبَةٌ ، فَلَا
يَمُرُّ بَبَابٍ إِلَّا فُتِحَ لَهُ ، وَلَا بِمَلَكٍ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ ، وَشَيَّعَهُ حَتَّى يُؤْتَى بِهِ الرَّحْمَنَ ، فَيَسْجُدُ
لَهُ قَبْلَ الْمَلَائِكَةِ ، وَتَسْجُدُ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَهُ ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى الشُّهَدَاءِ ، فَيَجِدُهُمْ فِي رِياضٍ
خَضِرٍ ، وَثِيَابٍ مِنْ حَرِيرٍ عِنْدَ ثَوْرٍ وَحُوتٍ ، يُلْعَنَانِ كُلُّ يَوْمٍ لَعْنَةً ، لَمْ يُلْعَنَّا بِالْأَمْسِ مِثْلَهَا
، فَيَظِلُّ الْحُوتُ فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا أَمْسَى وَكَزَهُ الثَّوْرُ بِقَرْنِهِ ، فَذَكَاهُ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا مِنْ
لَحْمِهِ ، فَوَجَدُوا فِي لَحْمِهِ طَعْمَ كُلِّ رَائِحَةٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، وَبَلَبْتُ الثَّوْرُ نَافِثًا فِي الْجَنَّةِ

٣٩٢ - برقم (٤٤٠٣) وأحمد ٣٤٤/٢ و ٣٤٥ والطبري ١٢٩/٨ والبيهقي في عذاب القبر (٤٤) والنسائي (١١٣٧٨)

و (١١٩٢٥) وتهذيب الآثار (١٧٦) وهو حديث صحيح.

٣٩٣ - إثبات عذاب القبر للبيهقي - (١ / ٤٥) (٣٥) صحيح

، فَإِذَا أَصْبَحَ غَدًا عَلَيْهِ ، ثُمَّ الْحَوْتُ فَوَكَرَهُ بِذَنْبِهِ ، فَذَكَاهُ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا مِنْ لَحْمِهِ ، فَوَجَدُوا فِي لَحْمِهِ طَعْمَ كُلِّ ثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، فَيَنْظُرُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ، وَإِذَا تُوفِّيَ الْمُؤْمِنُ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَينَ بَرِيحَانٍ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَحَرَفَةً مِنَ الْجَنَّةِ ، تُقَبِّضُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَيُقَالُ : أَخْرَجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ إِلَى رَوْحٍ وَرِيحَانٍ ، وَرُبُّكَ عَلَيْكَ غَيْرُ غَضَبَانٍ ، فَتَخْرُجُ كَأَطِيبِ رَائِحَةٍ وَجَدَهَا أَحَدٌ قَطُّ بِأَنْفِهِ ، وَعَلَى أَرْجَاءِ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ ، يَقُولُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، قَدْ جَاءَ الْيَوْمُ مِنَ الْأَرْضِ رِيحٌ طَيِّبَةٌ ، وَنَسَمَةٌ كَرِيمَةٌ ، فَلَا تَمُرُّ بَبَابٍ إِلَّا فُتِحَ لَهَا ، وَلَا يَمْلِكُ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهَا وَشِيعُهُ حَتَّى يُؤْتَى بِهِ الرَّحْمَنَ ، فَتَسْجُدُ الْمَلَائِكَةُ قَبْلَهُ ، وَيَسْجُدُ بَعْدَهُمْ ، ثُمَّ يُدْعَى مِيكَائِيلُ ، فَيَقَالُ : اذْهَبْ بِهَذِهِ النَّفْسِ ، فَاجْعَلْهَا مَعَ أَنْفُسِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى قَبْرِهِ ، فَيُوسَّعُ عَلَيْهِ سَبْعِينَ طُولُهُ وَسَبْعِينَ عَرْضُهُ ، وَيُنْبَذُ لَهُ فِيهِ رِيحَانٌ ، وَيُسْتَرُّ بِحَرِيرٍ ، فَإِنْ كَانَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ ، كُسِيَ ثَوْبُهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ جُعِلَ لَهُ نُورٌ مِثْلُ الشَّمْسِ ، فَمَثَلُهُ كَمِثْلِ الْعُرُوسِ لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ، وَإِنْ الْكَافِرُ إِذَا تُوفِّيَ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَينَ بِحَرَفَةٍ مِنْ بَجَادٍ أَنْتَنُ مِنْ كُلِّ نَتْنٍ ، وَأَخْشَنُ مِنْ كُلِّ خَشْنٍ ، فَيَقَالُ : أَخْرَجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ، وَلَكَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ ، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنٍ رَائِحَةٍ وَجَدَهَا أَحَدٌ قَطُّ بِأَنْفِهِ ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فِي قَبْرِهِ ، فَيَضَيَّقُ عَلَيْهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ ، ثُمَّ يُرْسَلُ عَلَيْهِ حَيَاتٌ ، كَأَنَّهَا أَعْنَاقُ الْبُخْتِ يَأْكُلُ لَحْمَهُ ، وَيَقِيضُ لَهُ مَلَائِكَةٌ صَمٌّ بِكُمْ عُمِّي لَا يَسْمَعُونَ لَهُ صَوْتًا ، وَلَا يَرَوْنَهُ فَيَرْحَمُوهُ ، وَلَا يَمْلُونَ إِذَا ضَرَبُوا ، يَدْعُونَ اللَّهَ ، بِأَنْ يُدِيمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى النَّارِ » أخرجه عبد الرزاق

٣٩٤

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : لَا يُقَبِّضُ الْمُؤْمِنُ حَتَّى يَرَى الْبُشْرَى ، فَإِذَا قُبِضَ نَادَى ، فَلَيْسَ فِي الدَّارِ دَابَّةٌ صَغِيرَةٌ ، وَلَا كَبِيرَةٌ إِلَّا هِيَ تَسْمَعُ صَوْتَهُ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ : الْجَنَّةَ وَالْإِنْسَ تَعَجَّلُوا بِهِ إِلَى أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ فَإِذَا وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ ، قَالَ : مَا أَبْطَأَ مَا تَمْشُونَ ، فَإِذَا أُدْخِلَ فِي لَحْدِهِ أُقْعِدَ فَأُريَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ ، وَمُلِيَ قَبْرُهُ مِنْ رَوْحٍ وَرِيحَانٍ وَمِسْكٍ ، قَالَ : يَقُولُ : يَا رَبِّ ، قَدِّمْنِي ، قَالَ : فَيَقَالُ : لَمْ يَأْنِ لَكَ ، إِنَّ لَكَ إِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ

٣٩٤ - برقم (٦٧٠٣) و الجمع ٣٢٨/٢ (٣٩٣٢) وقال : ورجاله ثقات ، قلت : وفيه لين ، ومثله لا يقال بالرأي

لَمَّا يَلْحَقُونَ ، وَلَكِنْ نَمَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا نَامَ نَائِمٌ شَابٌ طَاعِمٌ نَاعِمٌ ، وَلَا فِتْنَةٌ فِي الدُّنْيَا نَوْمَةٌ بِأَفْصَرَ ، وَلَا أَحْلَى مِنْ نَوْمَتِهِ حَتَّى يَرْفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الْبُشْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ . « أخرجه ابن أبي شيبة ٣٩٥

قلت : قد ورد في القرآن الكريم أصل البشري ، قال تعالى : { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) [يونس/٦٢-٦٤] سورة يونس

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ ، وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّقَوْا وَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ ، وَالتَّوَكَّلَ عَلَيْهِ ، لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ الْآخِرَةِ ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلْفَهُ وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا .

وَيَقُولُ تَعَالَى مُعَرِّفًا (أَوْلِيَاءَ اللَّهِ) : بَأَنَّهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَكَانُوا يُتَّقُونَ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ، وَيُرَاقِبُونَهُ فِي سِرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ ، فَلَا يَقُومُونَ إِلَّا بِمَا يُرْضِي اللَّهُ رَبَّهُمْ .

وهؤلاء المؤمنون المتقون ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالنَّصْرِ وَالْعِزَّةِ ، وَيُلْهِمُهُمُ الْحَقُّ وَالْخَيْرَ ، وَبِالْإِسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ مَا أَقَامُوا شَرَعَ اللَّهُ ، وَتَصَرُّوا دِينَهُ الْحَقُّ ، وَأَعْلَوْا كَلِمَتَهُ (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ ، أَوْ تُرَى لَهُ ، وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ ") (رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) . وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ لَا يُبَدَّلُ (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) ، وَلَا يُغَيَّرُ وَلَا يُخْلَفُ ، بَلْ مُقَرَّرٌ ثَابِتٌ كَائِنْ لَا مَحَالَةَ . وَهَذِهِ الْبُشْرَى بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ هِيَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ } (٣١) سورة فصلت

٣٩٥ - ٣٤٨/١٣ برقم (٣٤٦٩٤) وإسناده صحيح موقوف ، ومثله لا يقال بالرأي

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ ، وَبَنَوْا عَلَى الْإِيمَانِ (اسْتَقَامُوا) تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْبُشْرَى الَّتِي يُرِيدُونَهَا ، وَبِأَنَّهُمْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَقْدِمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَفُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَزَوْجٍ وَوَلَدٍ ، وَيَبَشِّرُونَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ . (وَقِيلَ إِنَّ الْبُشْرَى تَكُونُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ : عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَفِي الْقَبْرِ ، وَحِينَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ) .

وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَهُمْ يُبَشِّرُونَهُمْ : نَحْنُ كُنَّا أَوْلِيَاءَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا نُسَدِّدُ خَطَاكُمْ ، وَنُلْهِمُكُمْ الْحَقَّ ، وَنُرْشِدُكُمْ إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَرِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَكَذَلِكَ نَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ ، نُؤْمِنُكُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ ، وَعِنْدَ النَّفْخَةِ فِي الصُّورِ ، وَيَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، وَنُوصِلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ ، وَإِنَّا نَكُونُ وَاجِدُونَ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ مِنَ الْمَلَذَاتِ وَالنَّعِيمِ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَتَمَنُونَ وَتَطْلُبُونَ .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبد السلام بن مطهر، حدثنا جعفر بن سليمان: سمعت ثابتاً قرأ سورة "حم السجدة" حتى بلغ: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ } فوقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره، يلتقيه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تخف ولا تحزن، { وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } قال: فيؤمن بالله خوفه، ويقر عينه فما عظمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين، لما هداه الله، ولما كان يعمل له في الدنيا.

وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث. رواه ابن أبي حاتم.

وهذا القول يجمع الأقوال كلها، وهو حسن جداً، وهو الواقع.

وقوله: { نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم، أي: قرناءكم في الحياة الدنيا، نسدِّدكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم. { وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ } أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهي النفوس، وتقر به العيون، { وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ } أي: مهما

طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم، أي كما احترتم، { نَزَلَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ } أي:
ضيافة وعطاء وإنعاماً من غفور لذنوبكم، رحيم بكم رءوف، حيث غفر، وستر،
ورحم، ولطف..^{٣٩٦}

^{٣٩٦} - تفسير ابن كثير - دار طيبة - (٧ / ١٧٧)

المبحث الثامن عشر

الحث على التوبة قبل فوات الأوان

قال تعالى: { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) } سورة النساء

إن التوبة التي يقبلها الله ، والتي تفضل فكتب على نفسه قبولها هي التي تصدر من النفس ، فتدل على أن هذه النفس قد أنشئت نشأة أخرى. قد هزها الندم من الأعماق ، ورجها رجا شديدا حتى استفاقت فتأثرت وأنابت ، وهي في فسحة من العمر ، وبجوحة من الأمل ، واستجدت رغبة حقيقية في التطهر ، ونية حقيقية في سلوك طريق جديد .. «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» .. والذين يعملون السوء بجهالة هم الذين يرتكبون الذنوب .. وهناك ما يشبه الإجماع على أن الجهالة هنا معناها الضلالة عن الهدى - طال أمدها أم قصر - ما دامت لا تستمر حتى تبلغ الروح الحلقوم .. والذين يتوبون من قريب : هم الذين يتوبون إلى الله قبل أن يتبين لهم الموت ، ويدخلوا في سكراته ، ويحسوا أنهم على عتباته. فهذه التوبة حينئذ هي توبة الندم ، والانخلاع من الخطيئة ، والنية على العمل الصالح والتكفير.

وهي إذن نشأة جديدة للنفس ، ويقظة جديدة للضمير .. «فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» .. «وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» .. يتصرف عن علم وعن حكمة. ويمنح عباده الضعاف فرصة العودة إلى الصف الطاهر ، ولا يطردهم أبدا وراء الأسوار ، وهم راغبون رغبة حقيقية في الحمى الآمن والكنف الرحيم.

إن الله - سبحانه - لا يطارد عباده الضعاف ، ولا يطردهم متى تابوا إليه وأنابوا. وهو - سبحانه - غني عنهم ، وما تنفعه توبتهم ، ولكن تنفعهم هم أنفسهم ، وتصلح حياتهم و حياة المجتمع الذي يعيشون فيه. ومن ثم يفسح لهم في العودة إلى الصف تائبين متطهرين. «وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ : إِنِّي تُبْتُ الْآنَ».

فهذه التوبة هي توبة المضطر ، لجت به الغواية ، وأحاطت به الخطيئة. توبة الذي يتوب لأنه لم يعد لديه متسع لارتكاب الذنوب ، ولا فسحة لمقارفة الخطيئة. وهذه لا يقبلها الله ، لأنها لا تنشئ صلاحا في القلب ولا صلاحا في الحياة ، ولا تدل على تبدل في الطبع ولا تغير في الاتجاه.

والتوبة إنما تقبل لأنها الباب المفتوح الذي يلجج الشاردون إلى الحمى الآمن ، فيستردون أنفسهم من تيه الضلال ، وتستردهم البشرية من القطيع الضال تحت راية الشيطان ، ليعملوا عملا صالحا - إن قدر الله لهم امتداد العمر بعد المتاب - أو ليعلموا - على الأقل - انتصار الهداية على الغواية. إن كان الأجل المحدود ينتظرهم ، من حيث لا يشعرون أنه لهم بالصيد ..

«وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ» .. وهؤلاء قد قطعوا كل ما بينهم وبين التوبة من وشيجة ، وضيعوا كل ما بينهم وبين المغفرة من فرصة ..

«أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا». أعتدناه : أي أعددناه وهيأناه .. فهو حاضر في الانتظار لا يحتاج إلى إعداد أو إحضار! وهكذا يشتد المنهج الرباني في العقوبة ، ولكنه في الوقت ذاته يفتح الباب على مصراعيه للتوبة. فيتم التوازن في هذا المنهج الرباني الفريد ، وينشئ آثاره في الحياة كما لا يملك منهج آخر أن يفعل في القديم والجديد ..^{٣٩٧}

توبة الله على عباده نوعان: توفيق منه للتوبة، وقبول لها بعد وجودها من العبد، فأخبر هنا -أن التوبة المستحقة على الله حق أحقه على نفسه، كرما منه وجودا، لمن عمل السوء أي: المعاصي { بِجَهَالَةٍ } أي: جهالة منه بعاقبتها وإيجابها لسخط الله وعقابه، وجهل منه

^{٣٩٧} - في ظلال القرآن - موافقا للمطبوع - (١ / ٦٠٣)

بنظر الله ومراقبته له، وجهل منه بما تتول إليه من نقص الإيمان أو إعدامه، فكل عاص لله، فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالماً بالتحريم. بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقبا عليها { ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ } {يحتمل أن يكون المعنى: ثم يتوبون قبل معاقبة الموت، فإن الله يقبل توبة العبد إذا تاب قبل معاقبة الموت والعذاب قطعاً. وأما بعد حضور الموت فلا يقبل من العصاة توبة ولا من الكفار رجوع، كما قال تعالى عن فرعون: { حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بُنُو إِسْرَائِيلَ } الآية. وقال تعالى: { فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكُفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ } .

وقال هنا: { وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ } أي: المعاصي فيما دون الكفر. { حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } وذلك أن التوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار. ويحتمل (١) أن يكون معنى قوله: { مِنْ قَرِيبٍ } أي: قريب من فعلهم للذنوب الموجب للتوبة، فيكون المعنى: أن من بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب وأناب إلى الله وندم عليه فإن الله يتوب عليه، بخلاف من استمر على ذنوبه وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه صفات راسخة فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة.

والغالب أنه لا يوفق للتوبة ولا ييسر لأسبابها، كالذي يعمل السوء على علم تام ويقين وتهاون بنظر الله إليه، فإنه سد على نفسه باب الرحمة.

نعم قد يوفق الله عبده المصير على الذنوب عن عمد ويقين لتوبة تامة [التي] يحو بها ما سلف من سيئاته وما تقدم من جناياته، ولكن الرحمة والتوفيق للأول أقرب، ولهذا ختم الآية الأولى بقوله: { وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } .

فمن علمه أنه يعلم صادق التوبة وكاذبها فيجازي كلا منهما بحسب ما يستحق بحكمته، ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقه للتوبة، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدم توفيقه. والله أعلم.^{٣٩٨}

^{٣٩٨} - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ١٧١)

وفي قوله تعالى : « وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ » ردّ وردع لأولئك الذين يستخفون بمحارم الله ، فيهجمون عليها في غير تخرج ولا تأثم ، ويبيتون معها ، ويصبحون عليها ، دون أن يكون لهم مع أنفسهم حساب أو مراجعة .. وهكذا يقطعون العمر ، في صحبة الفواحش ، ظاهرها وباطنها ، حتى إذا بلغوا آخر الشوط من الحياة ، وأطلّ عليهم الموت ، فزعوا وكرهوا ، وألقوا بهذا الزاد الخبيث من أيديهم ، وقالوا : تبنا إلى الله ، وندمنا على ما فعلنا من ركوب هذه المنكرات!

إنها توبة لم تجيء من قلب مطمئن ، وعقل مدرك ، يحاسب ويراجع ، ويأخذ ويدع ، ولكنها توبة اليائس الذي لا يجد أمامه طريقا غير هذا الطريق .. إنه لم يشب وهو في خيرة من أمره .. فيمسك المنكر أو يدعه ، ويقيم على المعصية أو يهجرها .. وإنما هو إذ يتوب في ساعة الموت ، أشبه بالمكره على تلك التوبة ، إذ لا وجه أمامه للنجاة غير هذا الوجه .. وقد فعلها فرعون من قبل حين أدركه الغرق ، فردّه الله سبحانه ، ولم يقبل منه صرفا ولا عدلا : « حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ » (٩٠ — ٩١ : يونس).

إن إيمان فرعون هنا لم يكن عن اختيار بين الإيمان والكفر .. بل كان لا بدّ له من أن يؤمن حتى ينجو من الغرق ، إن الكفر بالله هو الذي أورده هذا المورد ، وإن الإيمان بالله الذي كفر به من قبل هو الذي يرده عن هذا المورد ويدفعه عنه .. هكذا فكر وقدّر!!

وشبيه هؤلاء الذين لا يرجعون إلى الله ، ولا يذكرونه إلا عند حشجة الموت ، أولئك الذين يغرقون أنفسهم في الآثام مادامت تواتيهم الظروف ، وتسعفهم الأحوال ، حتى إذا سدت في وجوههم منافذ الطريق إلى مقارفة الإثم ، بسبب أو بأكثر من سبب ، تعفّفوا وتابوا .. وتلك توبة العاجز المقهور ، ورجعة المهزوم المغلوب على أمره. لا يخالطها شيء من الندم ، ولا يقوم عليها سلطان من إرادة ومغالبة .. إنها توبة غير مقبولة.^{٣٩٩}

^{٣٩٩} - التفسير القرآني للقرآن — موافقا للمطبوع - (٢ / ٧٢٧)

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِغْ » أخرجه الترمذي ٤٠٠

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْبَيْلَمَانِيِّ ، قَالَ : اجْتَمَعَ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ يَوْمٌ " فَقَالَ الثَّانِي : أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَأَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِنِصْفِ يَوْمٍ " فَقَالَ الثَّلَاثُ : أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَأَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِضُحْوَةِ " قَالَ الرَّابِعُ : أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَأَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِغْ بِنَفْسِهِ " أخرجه أحمد ٤٠١

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ سَلْمَانَ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ - أَوْ يُعْفِرُ لِعَبْدِهِ - مَا لَمْ يَقَعْ الْحِجَابُ » . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا وَقُوعُ الْحِجَابِ قَالَ « أَنْ تَمُوتَ النَّفْسُ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ » . أخرجه أحمد ٤٠٢

فَالْتَوْبَةُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَاجِبَةٌ شَرْعًا عَلَى الْفَوْرِ بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ ؛ لِأَنَّهَا مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ الْمُهِّمَةِ وَقَوَاعِدِ الدِّينِ ، وَأَوَّلِ مَنَازِلِ السَّالِكِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (سورة النور / ٣١) .
وَقْتُ التَّوْبَةِ :

إِذَا أَخَّرَ الْمَذْنِبُ التَّوْبَةَ إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ ، فَإِنْ ظَلَّ آمِلًا فِي الْحَيَاةِ غَيْرِ يَائِسٍ بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ الْمَوْتَ يُدْرِكُهُ لَا مُحَالَةً فَتَوْبَتُهُ مَقْبُولَةٌ عِنْدَ جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ ، وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا مِنْ

٤٠٠ - الترمذي (٣٨٨٠) وح ١٣٢/٢ (٦٣٠٤) وابن ماجه (٤٣٩٤) وهب (٦٧٩٩) وع (٥٥٨٦) والإحسان

(٦٣٠) وهو حديث صحيح . يغرر : تبلغ روحه الحلقوم

(٣) ٤٢٥/٣ (١٥٨٩٨) وهو حديث ضعيف .

٤٠١ - مسند أحمد (١٥٨٩٨) فيه ضعف

٤٠٢ - برقم (٢٢١٤٣ و ٢٢١٤٤) والحاكم ٢٥٧/٤ (٧٦٦٠) وتهذيب الآثار (١٩٥٠) وبز (٤٠٥٦) والإحسان

(٦٢٨ و ٦٢٩) والمجمع (١٧٥١٢) وإتحاف المهرة (١٦٦) وهو حديث حسن لغيره

الْمَوْتُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } (٢٥) سورة الشورى، وَلِقَوْلِهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِغْ^{٤٠٣} .
وإن قطع الأمل من الحياة وكان في حالة اليأس (مُشَاهِدَةً دَلَائِلِ الْمَوْتِ) فَاخْتَلَفُوا فِيهِ :
قَالَ الْمَالِكِيُّ - وَهُوَ قَوْلُ بَعْضِ الْحَنْفِيَّةِ : وَوَجْهٌ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ ، وَرَأْيٌ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ ،
وُنُسِبَ إِلَى مَذْهَبِ الْأَشْعَرَةِ : إِنَّهُ لَا تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْيَاسِ الَّذِي يُشَاهِدُ دَلَائِلَ الْمَوْتِ ،
بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ }
قَالَ إِنِّي ثَبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } (١٨)
سورة النساء .

قَالُوا : إِنَّ الْآيَةَ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ الذُّنُوبَ وَيُؤْخِرُونَ التَّوْبَةَ إِلَى وَقْتِ
الْعُرْغَةِ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَهُ : { وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ } لِأَنَّهُ تَعَالَى جَمَعَ
بَيْنَ مَنْ أَخَّرَ التَّوْبَةَ إِلَى حُضُورِ الْمَوْتِ مِنَ الْفَسَقَةِ وَبَيْنَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ كَافِرٌ ، فَلَا تُقْبَلُ
تَوْبَةُ الْيَاسِ كَمَا لَا يُقْبَلُ إِيمَانُهُ . وَلِقَوْلِهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مَا لَمْ يُعْرِغْ وَهَذَا يَدُلُّ
عَلَى أَنَّهُ يُشْتَرَطُ لَصِحَّةِ التَّوْبَةِ صُدُورُهَا قَبْلَ الْعُرْغَةِ ، وَهِيَ حَالَةُ الْيَاسِ وَبُلُوغُ الرُّوحِ
الْحُلُومَ^{٤٠٤} .

وَعِنْدَ بَعْضِ الْحَنْفِيَّةِ - وَهُوَ وَجْهٌ آخَرُ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ - وَعَزَاهُ بَعْضُهُمْ إِلَى مَذْهَبِ
الْمَآثُرِيَّةِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْعَاصِيَ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ وَلَوْ فِي حَالَةِ الْعُرْغَةِ ، بِخِلَافِ إِيمَانِ الْيَاسِ فَإِنَّهُ
لَا يُقْبَلُ ، وَوَجْهُ الْفَرْقِ أَنَّ الْكَافِرَ غَيْرُ عَارِفٍ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَيَبْدَأُ إِيمَانًا وَعَرَفَانًا ، وَالْفَاسِقُ
عَارِفٌ وَحَالُهُ حَالُ الْبَقَاءِ ، وَالْبَقَاءُ أَسْهَلُ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ^{٤٠٥} وَلِلْإِطْلَاقِ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَهُوَ
الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } (٢٥) سورة الشورى

^{٤٠٣} - سنن الترمذی (٣٨٨٠) صحيح لغيره

^{٤٠٤} - ابن عابدين ١ / ٥٧١ ، ٣ / ٢٨٩ ، والفواكه الدواني ١ / ٩٠ ، وتفسير الماوردي ١ / ٣٧٢ ، والآداب

الشرعية لابن مفلح ١ / ١٢٧ .

^{٤٠٥} - المراجع السابقة .

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي عَدَمِ قَبُولِ تَوْبَةِ الْكَافِرِ بِإِسْلَامِهِ فِي حَالَةِ الْيَأْسِ^{٤٠٦} بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ حَالِ فِرْعَوْنَ : { حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (٩٠) سورة يونس .

مَنْ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُمْ وَمَنْ لَا تُقْبَلُ :

تَقَدَّمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنَ الْكَافِرِ وَالْمُسْلِمِ الْعَاصِي بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ كَمَا وَعَدَ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ حَيْثُ قَالَ : { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } (٢٥) سورة الشورى، لَكِنْ هُنَاكَ بَعْضُ الْحَالَاتِ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي قَبُولِ التَّوْبَةِ فِيهَا نَظَرًا لِلْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِهَا وَمِنْ هَذِهِ الْحَالَاتِ :

أ - تَوْبَةُ الزَّانِدِ :

الزَّانِدُ هُوَ الَّذِي لَا يَتَمَسَّكُ بِشَرِيعَةٍ وَلَا يَتَدَيَّنُ بِدِينٍ^{٤٠٧} .
وَجُمُهِورُ الْفُقَهَاءِ ، (الْمَالِكِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ وَهُوَ ظَاهِرُ الْمَذْهَبِ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ وَرَأْيُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ) عَلَى أَنَّهُ لَا تُقْبَلُ تَوْبَةُ الزَّانِدِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (١٦٠) سورة البقرة.

وَالزَّانِدُ لَا يَظْهَرُ مِنْهُ بِالتَّوْبَةِ خِلَافٌ مَا كَانَ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُظْهَرُ الْإِسْلَامَ مُسِرًّا بِالْكَفْرِ ؛ وَلِأَنَّ التَّوْبَةَ عِنْدَ الْخَوْفِ عَيْنُ الزَّنَدَقَةِ . لَكِنْ الْمَالِكِيَّةُ صَرَّحُوا بِقَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الزَّانِدِ إِذَا أَظْهَرَهَا قَبْلَ الْإِطْلَاعِ عَلَيْهِ^{٤٠٨} .

وَفِي رَوَايَةٍ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ وَهِيَ رَوَايَةٌ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ أَنَّ الزَّانِدَ تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمُرْتَدِّ فَتُقْبَلُ تَوْبَتُهُ بِشُرُوطِهَا ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ } (٣٨) سورة الأنفال .

وَأَلْحَقَ الشَّافِعِيَّةُ بِالزَّنَادِقَةِ الْبَاطِنِيَّةِ بِمُخْتَلَفِ فِرْقِهِمْ^{٤٠٩} ، كَمَا أَلْحَقَ بِهِمُ الْحَنَابِلَةُ الْحُلُولِيَّةَ وَالْإِبَاحِيَّةَ وَسَائِرَ الطَّوَائِفِ الْمَارِقِينَ مِنَ الدِّينِ^{٤١٠} .

^{٤٠٦} - تفسير الطبري ٨ / ٩٦ ، ٩٧ ، وانظر أيضا تفسير الماوردي ١ / ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

^{٤٠٧} - ابن عابدين ٣ / ٢٩٦ ، وحاشية القليوبي ٤ / ١٧٧ ، وكشاف القناع ٦ / ١٧٦ ، ١٧٨ .

^{٤٠٨} - ابن عابدين ١ / ٣١ ، ٣ / ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، والحطاب ٦ / ٢٨٢ ، وجواهر الإكليل ٢ / ٢٧٩ ، والقليوبي ٤ / ١٧٧ ، والمغني ٦ / ٢٩٨ ، وكشاف القناع ٦ / ١٧٧ ، ١٧٨ .

ب - تَوْبَةُ مَنْ تَكَرَّرَتْ رُدَّتُهُ :

صَرَاحُ الْحَنَابِلَةِ - وَهُوَ رَوَايَةٌ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ وَنُسِبَ إِلَى مَالِكٍ بِأَنَّهُ لَا تُقْبَلُ تَوْبَةُ مَنْ تَكَرَّرَتْ رِدَّتُهُ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا } (١٣٧) سورة النساء . وَلِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ } (٩٠) سورة آل عمران ، وَالْإِزْدِيَادُ يَقْتَضِي كُفْرًا جَدِيدًا لَا بُدَّ مِنْ تَقَدُّمِ إِيمَانٍ عَلَيْهِ .

وَلَمَّا رَوِيَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ بِرَجُلٍ فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ أُتِيَ بِكَ مَرَّةً فَرَعَمْتَ
أَنَّكَ تُبْتِ وَأَرَاكَ قَدْ عُدْتَ فَقَتَلَهُ . وَلِأَنَّ تَكَرُّارَ الرَّدَّةِ مِنْهُ يَدُلُّ عَلَى فُسَادِ عَقِيدَتِهِ وَقِلَّةِ
مُبَالَاتِهِ بِالدِّينِ فَيُقْتَلُ ٤١١ .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَهُوَ الْمَشْهُورُ فِي مَذْهَبِ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ : إِنَّهُ تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْمُرْتَدِّ وَلَوْ تَكَرَّرَتْ رَدَّتُهُ ؛ لِإِطْلَاقِ قَوْلِهِ تَعَالَى : { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ } (٣٨) سورة الأنفال، وَلِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ^{٤١٢} . لَكِنَّهُمْ صَرَّحُوا بِأَنَّ الْمُرْتَدَّ الْمُتَكَرِّرَ مِنْهُ الرَّدَّةُ إِذَا تَابَ ثَانِيًا غُزِّرَ بِالضَّرْبِ أَوْ بِالْحَبْسِ وَلَا يُقْتَلُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ : إِذَا ارْتَدَّ ثَانِيًا ثُمَّ تَابَ ضَرْبُهُ الْإِمَامُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ ، وَإِنْ ارْتَدَّ ثَالِثًا ثُمَّ تَابَ ضَرْبُهُ ضَرْبًا وَجِيعًا وَحَبْسَهُ حَتَّى تَظْهَرَ عَلَيْهِ آثَارُ التَّوْبَةِ وَيَرَى أَنَّهُ مُخْلِصٌ ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ ، فَإِنْ عَادَ فَعَلَ بِهِ هَكَذَا أَبَدًا مَا دَامَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ هَذَا عَنِ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ

٤١٢

٤٠٩ - الباطنية هم القائلون بأن للقرآن باطنا وظاهرا ، والباطن هو المراد منه دون ظاهره . (قليبي ٤ / ١٧٧) .

٤١٠ - المراجع السابقة .

^{٤١١} - المغني ٨ / ١٢٦ ، ١٢٧ ، وكشاف القناع ٦ / ١٧٧ .

٤١٢ - صحيح البخاری (٢٥) و مسلم (١٣٣) متواتر

٤١٣ - ابن عابدين ٣ / ٢٨٦ ، والحطاب ٦ / ٢٨٢ ، وأسنى المطالب ٤ / ١٢٢ ، والجمل على شرح المنهج ٥ / ١٢٦ .

ج - تَوْبَةُ السَّاحِرِ :

السَّحَرُ عِلْمٌ يُسْتَفَادُ مِنْهُ حُصُولُ مَلَكَ نَفْسَانِيَّةٍ يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى أَفْعَالٍ غَرِيبَةٍ بِأَسْبَابٍ خَفِيَّةٍ .
وَعَرَفَهُ ابْنُ خَلْدُونٍ بِأَنَّهُ عِلْمٌ بِكَيْفِيَّةِ اسْتِعْدَادَاتٍ تَقْتَدِرُ النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ بِهَا عَلَى التَّأَثُّرَاتِ
فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ بِغَيْرِ مُعَيَّنٍ .

وَاتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ تَعْلِيمَهُ وَتَعْلَمَهُ حَرَامٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى
مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ
عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا
تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (١٠٢) سورة البقرة، فَذَمُّهُمْ عَلَى
تَعْلِيمِهِ ؛ وَلَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَدَّهُ مِنَ السَّبْعِ الْمُوبِقَاتِ . قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ لَا نَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا بَيْنَ
أَهْلِ الْعِلْمِ .

وَقَدْ صَرَّحَ الْحَنْفِيَّةُ بِأَنَّهُ لَا تُقْبَلُ تَوْبَةُ السَّاحِرِ فَيَجِبُ قَتْلُهُ وَلَا يُسْتَتَابُ ، وَذَلِكَ لِسَعْيِهِ
بِالْفَسَادِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ كُفْرِهِ مُطْلَقًا عَدَمُ قَتْلِهِ ؛ لِأَنَّ قَتْلَهُ بِسَبَبِ سَعْيِهِ بِالْفَسَادِ ، فَإِذَا
ثَبَتَ ضَرَرُهُ وَلَوْ بِغَيْرِ مُكْفَرٍ يُقْتَلُ دَفْعًا لِشَرِّهِ كَالْخَنَاقِ وَقَطَاعِ الطَّرِيقِ . وَهَذَا مَذْهَبُ
الْحَنَابِلَةِ .

وَحَدَّثَ السَّاحِرُ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ الْقَتْلَ وَيَكْفُرُ بِتَعْلَمِهِ وَفَعَلَهُ سَوَاءٌ اعْتَقَدَ تَحْرِيمَهُ أَوْ إِبَاحَتَهُ
وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ أَحْمَدَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ^{٤١٤} .

وَقَالَ الْمَالِكِيَّةُ : إِذَا حُكِمَ بِكُفْرِهِ فَإِنْ كَانَ مُجَاهِرًا بِهِ يُقْتَلُ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ فَيُقْبَلَ تَوْبَتُهُ ، وَإِنْ
كَانَ يُخْفِيهِ فَهُوَ كَالزَّانِدِ لَا يُقْبَلُ تَوْبَتُهُ^{٤١٥} .

وَالدَّلِيلُ عَلَى عَدَمِ قَبُولِ تَوْبَةِ السَّاحِرِ حَدِيثُ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ^{٤١٦} ، فَسَمَاهُ حَدًّا وَالْحَدُّ بَعْدَ ثُبُوتِ سَبَبِهِ لَا يَسْقُطُ

^{٤١٤} - ابن عابدين ١ / ٣١ ، المغني ٨ / ١٥٤ ، والمقدمة ٤٩٦ ط دار التراث .

^{٤١٥} - الخرشي ٨ / ٦٣ ، والجواهر ٢ / ٢٨١ .

بِالتَّوْبَةِ . وَلَمَّا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : إِنَّ السَّاحِرَةَ سَأَلَتْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ - وَهُمْ مُتَوَفِّرُونَ - هَلْ لَهَا مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَمَا أَفْتَاهَا أَحَدٌ^{٤١٧} ، وَلَئِنَّهُ لَا طَرِيقَ لَنَا إِلَى إِخْلَاصِهِ فِي تَوْبَتِهِ لِأَنَّهُ يُضْمِرُ السِّحْرَ وَلَا يَجْهَرُ بِهِ ، فَيَكُونُ إِظْهَارُ الْإِسْلَامِ وَالتَّوْبَةِ خَوْفًا مِنْ الْقَتْلِ مَعَ بَقَائِهِ عَلَى تِلْكَ الْمَفْسَدَةِ^{٤١٨} .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : إِنْ عَلِمَ أَوْ تَعَلَّمَ السِّحْرَ وَاعْتَقَدَ تَحْرِيمَهُ لَمْ يَكْفُرْ ، وَإِنْ اعْتَقَدَ إِبَاحَتَهُ مَعَ الْعِلْمِ بِتَحْرِيمِهِ كَفَرَ ؛ لِأَنَّهُ كَذَبَ اللَّهَ تَعَالَى فِي خَبَرِهِ وَيُقْتَلُ كَمَا يُقْتَلُ الْمُرْتَدُّ^{٤١٩} .
فَالظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِهِمْ أَنَّهُ تُقْبَلُ تَوْبَةُ السَّاحِرِ كَمَا تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْمُرْتَدِّ . وَهَذَا مَا قَرَّرَهُ الْحَنَابِلَةُ فِي الرُّوَايَةِ الثَّانِيَةِ عِنْدَهُمْ حَيْثُ قَالُوا : إِنَّ السَّاحِرَ إِنْ تَابَ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِأَعْظَمَ مِنَ الشُّرْكِ ، وَالْمُشْرِكُ يُسْتَتَابُ وَمَعْرِفَةُ السِّحْرِ لَا تَمْنَعُ قَبُولَ تَوْبَتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبِلَ تَوْبَةَ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ^{٤٢٠} .

وَفِي الْجُمْلَةِ ، فَالْخِلَافُ فِي قَبُولِ تَوْبَةِ هَذِهِ الطَّوَائِفِ ، إِمَّا هُوَ فِي الظَّاهِرِ مِنْ أَحْكَامِ الدُّنْيَا مِنْ تَرْكِ قَتْلِهِمْ وَتُبُوتِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ فِي حَقِّهِمْ ، وَأَمَّا قَبُولُ اللَّهِ لَهَا فِي الْبَاطِنِ وَغُفْرَانُهُ لِمَنْ تَابَ وَأَقْلَعَ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا فَلَا خِلَافَ فِيهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَسُدَّ بَابَ التَّوْبَةِ عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ^{٤٢١} ، وَقَدْ قَالَ فِي الْمُنَافِقِينَ : { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } (١٤٦) سورة النساء.

^{٤١٦} - سنن الترمذی (١٥٣٢) وصحح وقفه

^{٤١٧} - أورده المغني (٨ / ١٥٣ ط مكتبة الرياض) . ولم نعثر عليه في كتب الحديث التي بين أيدينا .

^{٤١٨} - ابن عابدين ١ / ٣١ ، و ٣ / ٢٨٦ ، وفتح القدير ٤ / ٤٠٨ .

^{٤١٩} - المهذب ٢ / ٢٢٥ .

^{٤٢٠} - المغني ٨ / ١٥٤ .

^{٤٢١} - المغني ٨ / ١٢٨ .

المبحث التاسع عشر

الترغيب في كلمات يقولهن من مات له ميت

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِذَا حَضَرْتُمْ الْمَرِيضَ أَوْ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ». قَالَتْ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ - فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ قَالَ « قُولِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً ». قَالَتْ فَقُلْتُ فَأَعْقِبْنِي اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا - ﷺ . - رواه مسلم ٤٢٢

قال النووي رحمه الله : فيه التذنب إلى قول الخير حينئذ من الدعاء والاستغفار له وطلب اللطف به والتخفيف عنه ونحوه ، وفيه حضور الملائكة حينئذ وتأمينهم .
وعَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ كَثِيرٍ بْنُ أَفْلَحٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ سَفِينَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا ». قَالَتْ فَلَمَّا تُوفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - . - رواه مسلم ٤٢٣
قَوْلُهُ مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ هَذَا اللَّفْظُ مَوْضُوعٌ فِي أَصْلِ كَلَامِ الْعَرَبِ لِكُلِّ مَنْ نَالَ شَرًّا أَوْ خَيْرًا وَلَكِنَّهُ مُخْتَصٌّ فِي عُرْفِ الْأَسْتِعْمَالِ بِالرَّزَايَا وَالْمَكَارِهِ وَقَوْلُهُ ﷺ فَقَالَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ لَمْ يَرِدْ لَفْظُ الْأَمْرِ بِهَذَا الْقَوْلِ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا وَرَدَ الْقُرْآنُ بِتَبَشِيرِ مَنْ قَالَهُ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُشِيرَ إِلَى غَيْرِ الْقُرْآنِ فَيُخْبِرَ ﷺ عَنْ أَمْرِ الْبَارِي لَنَا بِذَلِكَ وَلِذَلِكَ وَصَلَهُ بِقَوْلِهِ اللَّهُمَّ

٤٢٢ - برقم (٩١٩) وأبو داود (٣١١٥) والترمذي (٩٩٣) ونص (١٨٣٦) وابن ماجه (١٥١٤) وأحمد

٢٩١/٦ (٢٧٣٦٧) أعقب : بدل وعوض

٤٢٣ - برقم (٩١٨) وأحمد (١٦٧٨٤) و ٣٠٩/٦ (٢٧٤٨٠) ومالك (٥٦٤)

أَوْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَعْقِبْنِي خَيْرًا مِنْهَا ثُمَّ قَالَ ﷺ إِنْ فَعَلَ اللَّهُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ يُرِيدُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُ وَيَجْمَعُ لَهُ بَيْنَ الْأَجْرِ عَلَى مُصِيبَتِهِ وَيُعْقِبُهُ مِنْهَا يُرِيدُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ يُعْطِيهِ بِعَقَبِ ذَلِكَ خَيْرًا مِمَّا أَصَابَهُ

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَلَمَّا تُوفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ وَمَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ وَذَلِكَ لِمَا كَانَتْ تَعْلَمُ مِنْ فَضْلِ أَبِي سَلَمَةَ وَدِينِهِ وَخَيْرِهِ وَاسْتَبَعَدَتْ لَذَلِكَ أَنَّ تُعَوِّضَ بِخَيْرٍ مِنْهُ وَلَمْ تَكُنْ تَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَزَوَّجُهَا وَلَوْ ظَنَنْتَ ذَلِكَ لَمْ تَقُلْهُ فَأَعْقَبَهَا اللَّهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ . ٤٢٤

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ قَبِضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي . فَيَقُولُونَ نَعَمْ . فَيَقُولُ قَبِضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ . ٤٢٥ ؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ . فَيَقُولُ مَاذَا قَالَ عَبْدِي فَيَقُولُونَ حَمْدَكَ وَاسْتَرجِع . ٤٢٦ ، فَيَقُولُ اللَّهُ ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ » . رواه الترمذي ٤٢٧

(قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ) أَيَّ مَلَكِ الْمَوْتِ وَأَعْوَانِهِ (قَبِضْتُمْ) عَلَى تَقْدِيرِ الْإِسْتِفْهَامِ (وَلَدَ عَبْدِي) أَيَّ رُوحِهِ (فَيَقُولُ قَبِضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ) أَيَّ يَقُولُ ثَانِيًا إِنْ ظَهَرَ لِكَمَالِ الرَّحْمَةِ كَمَا أَنَّ الْوَالِدَ الْعَطُوفَ يَسْأَلُ الْفَصَادَ هَلْ فَصَدْتُ وَلَدِي مَعَ أَنَّهُ بِأَمْرِهِ وَرِضَاهُ . وَقِيلَ سَمَّى الْوَلَدَ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ لِأَنَّهُ نَتِيجَةُ الْأَبِ كَالثَّمَرَةِ لِلشَّجَرَةِ (وَاسْتَرجِع) أَيَّ قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ) أَضَافَ الْبَيْتَ إِلَى الْحَمْدِ الَّذِي قَالَهُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ لِأَنَّهُ جَزَاءُ ذَلِكَ الْحَمْدِ ، قَالَهُ الْقَارِي ٤٢٨

٤٢٤ - المنتقى - شرح الموطأ - (ج ٢ / ص ٥٩) (٤٩٨)

٤٢٥ - فلذة كبده وزهرة حياته .

٤٢٦ - أي قال: الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون .

٤٢٧ - برقم (١٠٣٧) وشرح السنة ٤٥٦/٥ (١٥١٤) وصحيح الترغيب (٣٤٩٠) والإحسان (٣١١٠) وهو حديث حسن لغيره .

٤٢٨ - تحفة الأحوذى - (ج ٣ / ص ٧٨)

المبحثُ العشرون

معرفة الميت بمن يغسله ويجهزه

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : « الْمَيِّتُ يَعْرِفُ مَنْ يُغَسِّلُهُ وَيَحْمِلُهُ وَيُدْلِيهِ ». قَالَ فَقُمْتُ مِنْ عِنْدِ أَبِي سَعِيدٍ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ فَمَرَّ أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ لَهُ مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ قَالَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٤٢٩

وعن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال « إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت قدّموني . وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين يذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمعه صعق » أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٤٣٠

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال « أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ ، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ » أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ ٤٣١

الويل : الحزن والهلاك والعذاب وقيل وادٍ في جهنم ، صعق : غشي عليه قال ابن بطال : فيه دليل أن النساء لا يحملنها، لأنهن لا يلزمهن ما يلزم الرجال من المؤن، والقيام بالحقوق، ونصرة الملهوف، وإعانة الضعيف، وقد سقط عنهن كثير من الأحكام، عذرهن الله بضعفهن، فقال: {إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان} [النساء: ٩٨] الآية، وقول بعض الناس في قوله: « يسمعها كل شيء إلا الإنسان » إن قيل: ينبغي أن يسمعها الحيوان الصامت بدليل هذا الحديث، لأنه إنما استثنى الإنسان فقط.

قيل: هذا مما لفظه العموم، والمراد به الخصوص، وإنما معناه: يسمعها كل شيء مميز، وهم الملائكة والجن، وإنما يتكلم روح الجنازة، لأن الجنازة لا تتكلم بعد خروج الروح منها إلا

٤٢٩ - أحمد ٣/٣ (١١٩١٥) والمجمع ٣٩٨/٢ و ٢١/٣ وفي سنده جهالة وله شاهد عند الديلمي (٦٠٩٨) عن أنس.

٤٣٠ - ١٠٨/٢ و ١٢٤ (١٣١٤) و ١٣١٦ و ١٣٨٠ (١٣٨٠) وأحمد ٥٨/٣ (١١٦٨٢) والإحسان (٣١٠٣)

٤٣١ - البخاري (١٣١٥) ومسلم (٩٤٤)

أن يردده الله فيها، فإنما يسمع الروح من هو مثله ويجانسه، وهم الملائكة والجن، والله أعلم، وقد بين - ﷺ - المعنى الذى من أجله منع الإنسان أن يسمعها، وهو أنه كان يصعق لو سمعها، فأراد تعالى الإبقاء على عباده، والرفق بهم فى الدنيا، لتعمر ويقع فيها البلوى والاختبار^{٤٣٢}.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ قَالَ: "الرُّوحُ بِيَدِ الْمَلِكِ وَالْجَسَدُ يُقَلَّبُ، فَإِذَا حَمَلُوهُ تَبِعَهُمْ، فَإِذَا وُضِعَ فِي الْقَبْرِ بَثُّهُ فِيهِ. أخرجه البيهقي^{٤٣٣}

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّهُ يُنْدَبُ الْإِسْرَاعُ بِتَجْهِيزِ الْمَيِّتِ إِذَا تُيَقِّنَ مَوْتُهُ، لِمَا ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - لَمَّا عَادَ طَلْحَةَ بْنَ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنِّي لَا أَرَى طَلْحَةَ إِلَّا قَدْ حَدَثَ فِيهِ الْمَوْتُ، فَأَذِنُونِي بِهِ، وَعَجَّلُوا، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِهِ^{٤٣٤}. وَالصَّارِفُ عَنْ وُجُوبِ التَّعْجِيلِ: الْاِحْتِيَاطُ لِلرُّوحِ؛ لِاحْتِمَالِهِ الْإِغْمَاءَ وَنَحْوَهُ. وَفِي الْحَدِيثِ أَسْرَعُوا بِالْجَنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ يَكُ سَوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ^{٤٣٥}. وَيُنْدَبُ تَأْخِيرُ مَنْ مَاتَ فَجْأَةً أَوْ غَرَقًا^{٤٣٦}.

^{٤٣٢} - شرح ابن بطلال - (ج ٥ / ص ٣٣٠)

^{٤٣٣} - إثبات عذاب القبر للبيهقي - (١ / ٥٣) (٤٥) صحيح موقوف، وله شواهد كثيرة تقويه ومثله لا يقال بالرأي.

^{٤٣٤} - أبو داود (٣١٦١) وفيه ضعف

^{٤٣٥} - صحيح البخارى (١٣١٥)

^{٤٣٦} - انظر الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ١٢ / ص ٢٢٢) وحاشية ابن عابدين ١ / ٥٧٢، والفواكه الدواني ١ / ٣٣٠، ومغني المحتاج ١ / ٣٣٢، وشرح روض الطالب ١ / ٢٩٨، ٢٩٩، وكشاف القناع ٢ / ٨٤.

المبحثُ الواحد والعشرون

بكاء السموات والأرض على المؤمن

قال تعالى عن فرعون وقومه: { كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩) } [الدخان/٢٥-٢٩]

كَمْ تَرَكَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ قَبْلَ مَهْلِكِهِمْ فِي أَرْضِهِمْ مِنْ بَسَاتِينَ نَضِرَةٍ ، وَحَدَائِقَ غَنَاءٍ ، وَعُيُونٍ مَاءٍ جَارِيَةٍ وَأَنْهَارٍ . وَكَمْ تَرَكَوا مِنْ زُرُوعٍ نَاضِرَةٍ ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةٍ .

وَعَيْشٍ رَغِيدٍ كَانُوا يَتَفَكَّهُونَ فِيهِ فَيَأْكُلُونَ مَا شَاءُوا ، وَيَلْبَسُونَ مَا أَحَبُّوا . فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهَكَذَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِالَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَهُ ، وَيُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُبِيدُهُمْ وَيُورِثُ أَرْضَهُمْ قَوْمًا آخَرِينَ لِيَسُوا مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ قَرَابَةٍ وَلَا دِينًا .

وَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الطُّغَاةُ الْعُتَاةُ هَيْنَيْنِ عَلَى اللَّهِ ، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَمَلٌ صَالِحٌ يُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَلَا عَمَلٌ خَيْرٌ مَعَ عِبَادِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ يُذَكِّرُهُمْ ، فَلَمْ تَبْكْ لِفَقْدِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا السَّمَاءُ ، وَلَمْ يُمَهِّلُوا لِتَوْبَةٍ ، وَإِنَّمَا عَجَّلَ اللَّهُ لَهُمُ الْعَذَابَ دُونَ إِبْطَاءٍ. ^{٤٣٧}

أى : أن هؤلاء المغرقيين ، الذين كانوا ملء السمع والبصر ، وكانوا يذلون غيرهم ، وكانوا يملكون الجنات والعيون ... هؤلاء الطغاة ، لم يحزن لهلاكهم أحد من أهل السموات أو أهل الأرض ، ولم يؤخر عذابهم لوقت آخر في الدنيا أو في الآخرة ، بل نزل بهم الغرق والدمار بدون تأخير أو تسويق

فالمقصود من الآية الكريمة بيان هوان مترلة هؤلاء المغرقيين ، وتفاهة شأنهم ، وعدم أسف أحد على غرقهم ، لأنهم كانوا ممقوتين من كل عاقل ..

^{٤٣٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٣٢٢)

قال صاحب الكشف ما ملخصه : كان العرب إذا مات فيهم رجل خطير قالوا في تعظيم مهلكه : بكت عليه السماء والأرض وبكته الرياح ، وأظلمت له الشمس ..
قال جرير في رثاء عمر بن العزيز^{٤٣٨} :

نَعَى الثُّعَاةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا ... يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَعَتَمَرَا
حُمِلَتْ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبَرْتُ لَهُ ... وَقُمْتُ فِيهِ بِإِذْنِ اللَّهِ يَا عُمَرَا
الشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ ... تُبْكِي عَلَيْكَ، نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا
وقالت ليلي بنت طريف الخارجية ، ترثي أخاها الوليد^{٤٣٩} :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْجُثَا حَيْثُ أَضْمَرْتُ ... فَتَى كَانَ لِلْمَعْرُوفِ غَيْرَ عَيُوفِ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا ... وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفِ
أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكٌ مُورِقًا ... كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ
فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التَّقَى ... وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَاءِ وَسُيُوفِ
وذلك على سبيل التمثيل والتخييل ، مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه ..

وفي الآية تهكم بهم وبجاهلهم المنافية لحال من يعظم فقداه ، فيقال فيه : بكت عليه السماء والأرض. يعنى فما بكى عليهم أهل السماء والأرض ، بل كانوا بهلاكهم مسرورين ..
وقال الإمام ابن كثير : قوله : { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ } .. أى : لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ، ولا لهم بقاع في أرض عبدوا الله فيها ففقدتهم فلماذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا ..^{٤٤٠}
وقال الإمام ابن كثير : قوله : { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ } .. أى : لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها ففقدتهم؛ فلماذا استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم، وعتوهم وعنادهم.^{٤٤١}

^{٤٣٨} - الحماسة البصرية - (١ / ١١٠)

^{٤٣٩} - الحماسة البصرية - (١ / ٩٤)

^{٤٤٠} - التفسير الوسيط للقرآن الكريم- موافق للمطبوع - (١٣ / ١٢٨)

^{٤٤١} - تفسير ابن كثير - (٧ / ٢٥٣)

فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء. ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء. وذهبوا ذهاب النمل ، وهم كانوا جبارين في الأرض يطأون الناس بالنعال! وذهبوا غير مأسوف عليهم فهذا الكون يمقتهم لانفصالهم عنه ، وهو مؤمن بربه ، وهم به كافرون! وهم أرواح خبيثة شريرة منبوذة من هذا الوجود وهي تعيش فيه! ولو أحس الجبارون في الأرض ما في هذه الكلمات من إحاء لأدركوا هوانهم على الله وعلى هذا الوجود كله. ولأدركوا أنهم يعيشون في الكون منبوذين منه ، مقطوعين عنه ، لا تربطهم به آصرة ، وقد قطعت آصرة الإيمان.^{٤٤٢}

لقد أهلكهم الله وأخذهم بعذابه ، فلم يأس عليهم أحد ، ولم تبكهم عين ، ولم يحزن من أجلهم قلب .. بل ذهبوا كما يذهب الوباء ، يتنفس بعده الناس أنفاس العافية والرجاء .. فليس هؤلاء الهلكى أولياء في السماء ، ولا في الأرض .. فهم أعداء الله ، وأعداء ملائكته ، وأعداء رسله ، وأعداء الإنسانية كلها .. راحوا فما بكت الدنيا لمصرعهم ولا تعطلت الأعياد والجمع

وقوله تعالى : « وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ » — أي لم يكونوا ممن يمهلون بالجزء إلى يوم القيامة ، بل كان عذابهم معجلاً في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ..

وهذا يعنى أمرين :

أولهما : أن جرم هؤلاء المجرمين قد بلغ من الشناعة حدا بحيث لا يسعه عذاب الآخرة ، فكان عذابهم في الدنيا ، وفي الآخرة جميعاً ..

وثانيهما : أن هؤلاء المشركين من قريش ، لن يعجل لهم العذاب ، كما عجل لقوم فرعون ، بل إنهم منظرون إلى يوم القيامة .. وفي هذا رحمة من الله بهم ، وإكرام لرسول الله ﷺ — من ربه في قومه .. فإن هذا الانتظار بهم ، سيفسح لهم مجالاً لإصلاح ما فسد منهم ، وللحاق بإخوانهم الذين سبقوهم إلى الإيمان .. وقد كان .. فدخل هؤلاء

^{٤٤٢} - في ظلال القرآن — موافقا للمطبوع - (٥ / ٣٢١٤)

المشركون في دين الله ، وكانوا جندا من جنود الله ، للجهاد في سبيل الله ، وإعلاء رؤية دين الله .. ٤٤٣

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: أَتَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى "فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ" فَهَلْ تَبْكِي السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ عَلَى أَحَدٍ؟ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَعَمْ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ إِلَّا وَلَهُ بَابٌ فِي السَّمَاءِ مِنْهُ يَنْزِلُ رِزْقُهُ وَفِيهِ يَصْعَدُ عَمَلُهُ ، فَإِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ فَأُغْلِقَ بَابُهُ مِنَ السَّمَاءِ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ فِيهِ عَمَلُهُ وَيَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ فَفَقَدَهُ بَكَى عَلَيْهِ ، وَإِذَا فَقَدَهُ مُصَلَّاهُ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَ يُصَلِّي فِيهَا وَيَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بَكَتْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ قَوْمٌ فَرَعَوْنَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ آثَارٌ صَالِحَةٌ وَلَمْ يَكُنْ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ خَيْرٌ ، فَلَمْ تَبْكِ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ " . أخرجه الطبري ٤٤٤

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ : فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ الْآيَةَ قَالَ : " ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ يَمُوتُ إِلَّا بَكَى عَلَيْهِ مَا كَانَ يُصَلِّي فِيهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ حِينَ يَفْقَدُهُ ، وَإِلَّا بَكَى عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ الْمَوْضِعُ الَّذِي كَانَ يُرْفَعُ مِنْهُ كَلَامُهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ : فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ " لِأَنَّهُمَا يَبْكِيَانِ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ " ٤٤٥

وَعَنِ شَرِيحِ بْنِ عُبَيْدٍ الْحَضْرَمِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنْ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا ، أَلَا لَا غُرْبَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، مَا مَاتَ مُؤْمِنٌ فِي غُرْبَةٍ غَابَتْ عَنْهُ فِيهَا بَوَاكِيهِ إِلَّا بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ " ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) ، ثُمَّ قَالَ : " إِنَّهُمَا لَا يَبْكِيَانِ عَلَى الْكَافِرِ " . أخرجه الطبري ٤٤٦

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : الْأَرْضُ تَبْكِي عَلَى الْمُؤْمِنِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا « أخرجه ابن أبي شيبة ٤٤٧

٤٤٣ - التفسير القرآني للقرآن - موافقا للمطبوع - (١٣ / ٢٠٠)

٤٤٤ - ٣٦/٢٢ و ٧٥/٢٥ وابن كثير ٢٥٤/٧ و ٢٥٥ من طرق تقوي بعضها .

٤٤٥ - جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبْرِيِّ (٢٨٧١٩) حسن لغيره

٤٤٦ - ٣٥/٢٢ و ٧٥/٢٥ وهو حديث صحيح مرسل وله شواهد تقويه .

٤٤٧ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣ / ص ٣٧٣) (٣٥٩٣٠) حسن

وعن محمد بن كعب القرظي قال : " إِنَّ الْأَرْضَ لَتَبْكِي مِنْ رَجُلٍ ، وَتَبْكِي عَلَى رَجُلٍ ،
تَبْكِي عَلَى مَنْ كَانَ يَعْمَلُ عَلَى ظَهْرِهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَبْكِي مِمَّنْ كَانَ يَعْمَلُ عَلَى
ظَهْرِهَا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى " ، ثُمَّ قَرَأَ : فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا

٤٤٨

مُنْظَرِينَ أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ رِضِيِّ اللَّهِ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا مَاتَ بَكَى عَلَيْهِ مُصَلَّاهُ مِنَ الْأَرْضِ ،
وَمَصْعَدُ عَمَلِهِ مِنَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ تَلَا { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ }
(٢٩) سورة الدخان " ٤٤٩

٤٤٨ - الحاكم ٤٤٩/٢ (٣٦٧٩) ، وش (٣٤٧٧٩) ون (١١٨٤٠) والشعب (٣١٤١) والزهد لوكيع (٨١) وابن

المبارك (٤٣٨) وإسناده صحيح موقوف ، ومثله لا يقال بالرأي .

٤٤٩ - مُسْنَدُ ابْنِ الْجَعْدِ (١٩٠٠) فِيهِ انْقِطَاعُ

المبحث الثاني والعشرون

الترغيب في حفر القبور وغسل الموتى

عَنْ أَبِي رَافِعٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ غَسَلَ مَيِّتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ غُفْرَ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً ، وَمَنْ كَفَّنَ مَيِّتًا كَسَاهُ اللَّهُ مِنَ السُّنْدُسِ ، وَإِسْتَبْرَقِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ حَفَرَ لِمَيِّتٍ قَبْرًا فَأَجَنَّهُ فِيهِ أُجْرِي لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَأَجْرِ مَنْسُكٍ أُسْكِنَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » رواه الحاكم^{٤٥٠}

والمقصود من الكتمان عدم ذكر ما يمكن أن يلاحظه الغاسل من اسوداد الوجه مثلاً وتتن
الرائحة، ونحو ذلك مما يوحى بأن المرء ليس من أهل الخير.

قال النووي: فيه أنه يسن إذا رأى الغاسل ما يعجبه أن يذكره وإذا رأى ما يكره لا يحدث به قال: وهكذا أطلقه أصحابنا لكن قال صاحب البيان: لو كان الميت مبتدعاً معلناً ببدعته فينبغي ذكر ما يكره منه زجراً للناس عن البدعة.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " زُرِ الْقُبُورَ تَذَكَّرَ بِهَا الْآخِرَةَ ، وَاغْسِلِ الْمَوْتَى فَإِنْ مُعَالَجَةً جَسَدِهِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، وَصَلَّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يُحْزِنَكَ ، فَإِنَّ الْحَزِينَ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَتَعَرَّضُ كُلُّ خَيْرٍ " رواه الحاكم^{٤٥١}

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظْهَا ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهَا : زُرِ الْقُبُورَ وَتَذَكَّرَ بِهَا الْآخِرَةَ " . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِاللَّيْلِ ؟ قَالَ : " بِالنَّهَارِ أَحْيَانًا وَلَا تُكْثِرْ ، وَاغْسِلِ الْمَوْتَى ؛ فَإِنْ مُعَالَجَةً جَسَدِهَا خَاوِيًا عِظَةً بَلِيغَةً ، وَصَلَّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يُحْزِنَكَ ، فَإِنَّ الْحَزِينَ فِي ظِلِّ اللَّهِ ، وَيَعْوِضُ كُلَّ خَيْرٍ ، وَجَالِسِ الْمَسَاكِينِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ إِذَا لَقَيْتَهُمْ ، وَكُلَّ مَعَ صَاحِبِ الْبَلَاءِ تَوَاضَعًا لِرَبِّكَ وَإِيمَانًا بِهِ ، وَالْبَسِ الْخَشِينَ الضَّيِّقَ مِنَ الثِّيَابِ لَعَلَّ الْعُجْبَ وَالْكَِبَرَ أَنْ لَا يَكُونَ لَهْمَا فِيكَ مَسَاغٌ ،

^{٤٥٠} - الحاكم ٣٥٤/١ و ٣٦٢ (١٣٠٧ و ١٣٤٠) والطبراني (٩٢٤ و ٨٠٠٤) وهب (٨٩٦٢ و ٨٩٦٤) وصحيح

الترغيب (٣٤٩٢) والمجمع ٢١/٣ وهو حديث صحيح.

^{٤٥١} - ٣٧٧/١ و ٣٣٠/٤ (١٣٩٥ و ٧٩٤١) وهب (٨٩٨٤) وفيه انقطاع. حال من الحياة، فإن .

وَتَزَيِّنُ أَحْيَانًا لِعِبَادَةِ رَبِّكَ ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ كَذَلِكَ يَفْعَلُ تَعَفُّفًا وَتَكْرُمًا ، وَلَا تُعَذِّبُ شَيْئًا مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ بِالنَّارِ ٤٥٢

(زر القبور تذكر بها الآخرة) لأن الإنسان إذا شاهد القبور تذكر الموت وما بعده وفيه عظة واعتبار وكان ربيع بن خيثم إذا وجد غفلة يخرج إلى القبور ويكي ويقول: كنا وكنتم ثم يحيي الليل كله عندهم فإذا أصبح كأنه نشر من قبره قال السبكي: وهذا المعنى ثابت في جميع القبور ودلالة القبور على ذلك متساوية كما أن المساجد غير الثلاثة متساوية (واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزين في ظل الله) أي في ظل عرشه (يوم القيامة) يوم لا ظل إلا ظله (يتعرض لكل خير) قال الغزالي: فيه ندب زيارة القبور لكن لا يمس القبر ولا يقبله فإن ذلك عادة النصارى قال: وكان ابن واسع يزور يوم الجمعة ويقول: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده. ٤٥٣

وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ غَسَلَ مَيِّتًا وَكَفَّنَهُ وَحَنَطَهُ وَحَمَلَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَلَمْ يُفَشِّ عَلَيْهِ مَا رَأَى خَرَجَ مِنْ خَطِيئَتِهِ مِثْلَ يَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ». ٤٥٤ رواه ابن ماجه
(وَلَمْ يُفَشِّ عَلَيْهِ) مِنَ الْإِفْشَاءِ أَي لَمْ يُظْهِرْ مَا رَأَى مِنَ الْمَكْرُوهِ مِنْ سَوَادِ الْوَجْهِ وَغَيْرِهِ وَإِنْ حَصَلَا سَأَلَ اللَّهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ ، وَأَمَّا إِظْهَارُ الْمَحْبُوبِ إِنْ رَأَى فَخَيْرٌ وَكَأَنَّهُ لَمْ يُصْرِّحْ بِالْمَكْرُوهِ لِإِغْنَاءِ كَلِمَةِ عَلَى عَنْهُ " ٤٥٥

٤٥٢ - التَّرْغِيبُ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَتَوَابُ ذَلِكَ لِابْنِ شَاهِينَ (٤٧٠) فيه مبهم

٤٥٣ - فيض القدير: - ٤٥٥٤ -

٤٥٤ - برقم (١٥٢٩) وأحمد ١١٩/٦ (٢٨٠١٧) عن معاوية بن حديج والجمع ٣/ ٢١ (٤٠٧٠) والترغيب في

فضائل الأعمال (٤١٤) والخلية ١٩٢/٦ وهو حديث ضعيف ،

٤٥٥ - حاشية السندي على ابن ماجه - (ج ٣ / ص ٢٤٦)

المبحث الثالث والعشرون

الترغيب في تشييع الميت وحضور دفنه

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - « مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ » . قِيلَ وَمَا الْقِيرَاطَانِ قَالَ « مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ » رواه البخاري ومسلم^{٤٥٦}

إن الله تبارك وتعالى لطيف بعباده، ويريد أن يهيئ لهم أسباب الغفران، لاسيما عند مفارقتهم الدنيا، التي هي دار العمل، إلى دار يطوى فيها سجل أعمالهم. ولذا فإنه حضَّ على الصلاة على الجنابة وشهودها، لأن ذلك شفاعة تكون سبباً للرحمة. فجعل لمن صلى عليها قيراطاً من الثواب، ولمن شهد بها حتى تدفن قيراطاً آخر. وهذا مقدار من الثواب عظيم ومعلوم قدره عند الله تعالى.

فلما خفي على الصحابة - رضي الله عنهم - مقداره، قرَّبه النبي ﷺ إلى أفهامهم، بأن كل قيراط مثل الجبل العظيم.^{٤٥٧}

وقد أثبتت هذه الرواية أنَّ القيراطين إنما يحصلان بمجموع الصلوة والدفن ، وأنَّ الصلوة دون الدفن يحصل بها قيراط واحد ، وهذا هو المعتمد خلافاً لمن تمسك بظاهر بعض الروايات فزعم أنَّه يحصل بالمجموع ثلاثة قيراط.^{٤٥٨}

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله - ﷺ - قال « مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِمَانًا وَاحْتِسَابًا ، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا ، وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ » أخرجه البخاري^{٤٥٩}

^{٤٥٦} - البخاري ١١/٢ (١٣٢٥) ومسلم (٩٤٥) وأحمد ٤٠١/٢ (٩٤٤٦)،

^{٤٥٧} - شرح الأربعين النووية - (ج ١ / ص ٢٥٩)

^{٤٥٨} - فتح الباري لابن حجر - (ج ١ / ص ٧٥)

^{٤٥٩} - برقم (٤٧) وأحمد ٤٣/٢ (٩٧٩٨) ونص (٥٠٤٩)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا. قَالَ « فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا. قَالَ « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا. قَالَ « فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَا اجْتَمَعَنَ فِي أَمْرٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ». ^{٤٦٠} رواه مسلم

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاض : مَعْنَاهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِلَا مُحَاسَبَةٍ وَلَا مُجَازَاةٍ عَلَى قَبِيحِ الْأَعْمَالِ ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْإِيمَانِ يَفْتَضِي دُخُولَ الْجَنَّةِ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى . اهـ

قلت : ذَهَبَ جُمُهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ تَشْيِيعَ الرَّجَالِ لِلْجَنَازَةِ سُنَّةٌ ؛ لِحَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرَضَى ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ، وَإِبْرَارِ الْمُتَمَسِّمِ ، وَنُصْرَةِ الْمَظْلُومِ ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي " صحيح ابن حبان (٣٠٤٠) صحيح .

وَالْأَمْرُ هُنَا لِلتَّنَدُّبِ لَا لِلوُجُوبِ لِلْإِجْمَاعِ ، وَقَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ : إِنْ اتَّبَعَ الْجَنَازَةَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ عَلَى الْكِفَايَةِ .

وَقَالَ الشَّيْخُ مَرْعِي الْحَنْبَلِيُّ : اتَّبَاعُ الْجَنَائِزِ سُنَّةٌ ، قَالَ الْحَنْفِيَّةُ اتَّبَاعُ الْجَنَائِزِ أَفْضَلُ مِنَ النَّوَافِلِ إِذَا كَانَ لِجَوَارٍ وَقَرَابَةٍ ، أَوْ صَلَاحٍ مَشْهُورٍ ، وَالْأَفْضَلُ لِمُشْيِعِ الْجَنَازَةِ الْمَشْيُ خَلْفَهَا ، وَبِهِ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وَإِسْحَاقُ عَلَى مَا حَكَاهُ التِّرْمِذِيُّ " لِحَدِيثِ الْجَنَازَةِ مَتَّبُوعَةٌ وَلَا تُتَّبَعُ لَيْسَ مَعَهَا مَنْ تَقَدَّمَهَا " ^{٤٦١}

إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَلْفَهَا نِسَاءٌ فَالْمَشْيُ أَمَامَهَا أَحْسَنُ ، وَلَكِنْ إِنْ تَبَاعَدَ عَنْهَا (بِحَيْثُ يُعَدُّ مَاشِيًا وَحْدَهُ أَوْ تَقَدَّمَ الْكُلُّ ، وَتَرَكُوهَا خَلْفَهُمْ لَيْسَ مَعَهَا أَحَدٌ) أَوْ رَكِبَ أَمَامَهَا كُرِهَ ، وَأَمَّا الرُّكُوبُ خَلْفَهَا فَلَا بَأْسَ بِهِ ، وَالْمَشْيُ أَفْضَلُ ، وَالْمَشْيُ عَنْ يَمِينِهَا أَوْ يَسَارِهَا خِلَافُ الْأَوَّلَى ، لِأَنَّ فِيهِ تَرْكَ الْمُنْدُوبِ وَهُوَ اتِّبَاعُهَا . وَقَالَ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ : الْمَشْيُ أَمَامَ الْجَنَازَةِ أَفْضَلُ ، لِمَا رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ كَانُوا يَمْشُونَ

^{٤٦٠} - ومسلم (١٠٢٨) ون (٨٠٥٣) والبيهقي ١٨٩/٤ (٨٠٨٢) وابن خزيمة (١٩٥٤)

^{٤٦١} - سنن أبي داود (٣١٨٦) ضعيف

أَمَامَ الْجَنَازَةِ (صحيح) . وَرُويَ عَنِ الصَّحَابَةِ كِلَا الْأَمْرَيْنِ وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ : إِنَّ فَضْلَ الْمَاشِي خَلْفَهَا عَلَى الَّذِي يَمْشِي أَمَامَهَا كَفَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ عَلَى صَلَاةِ الْفَذِّ . وَقَالَ الثَّوْرِيُّ : كُلُّ ذَلِكَ فِي الْفَضْلِ سَوَاءٌ .

وَأَمَّا النِّسَاءُ فَلَا يَنْبَغِي لَهُنَّ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ أَنْ يَخْرُجْنَ فِي الْجَنَازَةِ ، فَفِي الدُّرِّ يُكْرَهُ خُرُوجُهُنَّ تَحْرِيماً ، قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ : لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ . (فيه ضعف) وَلِحَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةَ : نُهِينَا عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا . (متفق عليه) وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : قَبَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا ، فَلَمَّا فَرَعْنَا ، انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَانْصَرَفْنَا مَعَهُ ، فَلَمَّا حَازَى بَابَهُ ، وَتَوَسَّطَ الطَّرِيقَ ، إِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ مُقْبِلَةٍ ، فَلَمَّا دَنَتْ إِذَا هِيَ فَاطِمَةُ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا أَخْرَجَكَ يَا فَاطِمَةُ مِنْ بَيْتِكَ ؟ قَالَتْ : أَتَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ ، فَعَزَّيْنَا مَيْتَهُمْ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَعَلَّكَ بَلَغْتَ مَعَهُمُ الْكُدَى ؟ قَالَتْ : مُعَاذَ اللَّهِ ، وَقَدْ سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ فِيهَا مَا تَذْكُرُ قَالَ : لَوْ بَلَغْتَ مَعَهُمُ الْكُدَى مَا رَأَيْتِ الْجَنَّةَ حَتَّى يَرَاهَا حَدُّكَ أَبُو أَبِيكَ . فَسَأَلْتُ رِبِيعَةَ عَنِ الْكُدَى ، فَقَالَ : الْقُبُورُ .^{٤٦٢}

وَأَمَّا عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ فَقَالَ الثَّوْرِيُّ : مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ مَكْرُوهٌ ، وَلَيْسَ بِحَرَامٍ ، وَفَسَّرَ قَوْلَ أُمِّ عَطِيَّةَ وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْهُ نَهْيَ كَرَاهِيَةٍ تَنْزِيهِ ، لَا نَهْيَ عَزِيمَةٍ وَتَحْرِيمٍ . وَأَمَّا الْمَالِكِيَّةُ فَفِي الشَّرْحِ الصَّغِيرِ : حَازَ خُرُوجُ مُتَجَالَّةٍ (كَبِيرَةِ السِّنِّ) لِحِنَازَةِ مُطْلَقًا ، وَكَذَا شَابَةٌ لَا تُخْشَى فِتْنَتُهَا ، لِحِنَازَةِ مَنْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ عَلَيْهَا ، كَأَبٍ ، وَأُمٍّ ، وَزَوْجٍ ، وَابْنٍ ، وَبِنْتٍ ، وَأَخٍ ، وَأُخْتٍ ، أَمَّا مَنْ تُخْشَى فِتْنَتُهَا فَيَحْرُمُ خُرُوجُهَا مُطْلَقًا . وَقَالَ الْحَنَابِلَةُ : كُرِهَ أَنْ تَتَّبِعَ الْجَنَازَةَ امْرَأَةٌ وَحَكَى الشُّوْكَانِيُّ عَنِ الْقُرْطُبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا أَمِنَ مِنْ تَضْيِيعِ حَقِّ الزَّوْجِ وَالتَّبَرُّجِ وَمَا يَنْشَأُ مِنَ الصِّيَاحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَلَا مَانِعَ مِنَ الْإِذْنِ

^{٤٦٢} - صحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٤٥٠) (٣١٧٧) وأحمد ١٠ / ١٠٦ - ١٠٧ ط دار المعارف . وقال أحمد

شاکر : إسناده حسن

قال أبو حاتم : قوله ﷺ لفاطمة : لَوْ بَلَغْتَ مَعَهُمُ الْكُدَى مَا رَأَيْتِ الْجَنَّةَ يُرِيدُ مَا رَأَيْتِ الْجَنَّةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي يَدْخُلُهَا مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ مَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ ، لِأَنَّ فَاطِمَةَ عَلِمَتْ النَّهْيَ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَالْجَنَّةُ هِيَ جَنَّاتُ كَثِيرَةٍ لَا جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ ، وَالْمُشْرِكُ لَا يَدْخُلُ جَنَّةً مِنَ الْجَنَّاتِ أَصْلًا لَا عَالِيَةً وَلَا سَافِلَةً وَلَا مَا بَيْنَهُمَا .

لَهُنَّ ، ثُمَّ قَالَ الشَّوْكَانِيُّ : هَذَا الْكَلَامُ هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي اعْتِمَادُهُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَعَارِضَةِ .

قَالَ الْحَنْفِيُّ : وَإِذَا كَانَ مَعَ الْجِنَازَةِ نَائِحَةٌ أَوْ صَائِحَةٌ زُجِرَتْ ، فَإِنْ لَمْ تَنْزَجِرْ فَلَا بَأْسَ بِأَنْ يَمْشِيَ مَعَهَا ؛ لِأَنَّ اتِّبَاعَ الْجِنَازَةِ سُنَّةٌ فَلَا يَتْرُكُهَا لِبِدْعَةٍ مِنْ غَيْرِهِ (لَكِنْ يَمْشِي أَمَامَ الْجِنَازَةِ كَمَا تَقَدَّمَ) .

وَقَالَ الْحَنَابِلَةُ : حَرَّمَ أَنْ يَتَّبِعَهَا الْمُشِيعُ مَعَ مُنْكَرٍ ، نَحْوِ صُرَاخٍ ، وَنَوْحٍ ، وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ إِزَالَتِهِ ، وَيَلْزَمُ الْقَادِرَ إِزَالَتُهُ ^{٤٦٣} .

^{٤٦٣} - ابن عابدين ١ / ٢٠٨ ، ٣٠٤ ، ٦٢٤ ، وشرح مسلم ١ / ١٨٨ و ٥٠٤ و الشرح الصغير طبعة دار المعارف ١ / ٥٦٦ ، وغاية المنتهى ١ / ٢٤٦ ، ونيل الأوطار ٤ / ٩٥ والهندية ١ / ١٥٩ ، والفتح ٣ / ١٢٥ والغاية ١ / ٢٤٠

المبحث الرابع والعشرون

الترغيب في كثرة المصلين على الجنازة

عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ : « مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلَّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُلْغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ » . رواه مسلم ^{٤٦٤}

قَالَ الْقَاضِي : قِيلَ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ خَرَجَتْ أَجْوَبَةً لِسَائِلِينَ سَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ ، فَأَجَابَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنْ سُؤَالِهِ . هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَ بِقَبُولِ شَفَاعَةِ مِائَةٍ فَأَخْبَرَ بِهِ ، ثُمَّ يَقْبُولُ شَفَاعَةَ أَرْبَعِينَ ، ثُمَّ ثَلَاثَةَ صُفُوفٍ وَإِنْ قَلَّ عَدَدُهُمْ ، فَأَخْبَرَ بِهِ ، وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ : هَذَا مَفْهُومٌ عَدَدٍ ، وَلَا يَحْتَجُّ بِهِ جَمَاهِيرُ الْأُصُولِيِّينَ فَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِحْبَارِ عَنْ قَبُولِ شَفَاعَةِ مِائَةٍ مَنَعَ قَبُولَ مَا دُونَ ذَلِكَ ، وَكَذَا فِي الْأَرْبَعِينَ مَعَ ثَلَاثَةِ صُفُوفٍ ، وَحِينَئِذٍ كُلُّ الْأَحَادِيثِ مَعْمُولٌ بِهَا وَيَحْصُلُ الشَّفَاعَةُ بِأَقْلَى الْأَمْرَيْنِ مِنْ ثَلَاثَةِ صُفُوفٍ وَأَرْبَعِينَ . ^{٤٦٥}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ أَوْ بَعْسَفَانَ فَقَالَ يَا كُرَيْبُ انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ النَّاسِ . قَالَ فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قَدْ اجْتَمَعُوا لَهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ قَالَ نَعَمْ . قَالَ أَخْرِجُوهُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ » . رواه مسلم ^{٤٦٦}

(إلا شفّعهم الله فيه) أي قبل شفاعتهم في حقه وفي خبر آخر ثلاثة صفوف ولا تعارض إما لأنها أخبار جرت على وفق سؤال السائلين أو لأن أقل الأعداد متأخر ومن عادة الله الزيادة في فضله الموعود وأما قول النووي مفهوم العدد غير حجة فرد بأن ذكر العدد حينئذ يصير عبثاً. ^{٤٦٧}

^{٤٦٤} - في الجنايز ج ٥٨ (٩٤٧) ونص ٧٥/٤ (٢٠٠٣ و ٢٠٠٥) وأحمد ٢٦٦/٣ (١٤١٥٦ و ١٤٨٥٦) أمة، جماعة

^{٤٦٥} - شرح النووي على مسلم - (ج ٣ / ص ٣٦٦)

^{٤٦٦} - في الجنايز برقم (٩٤٨) وطس (٩١٤٦) والبيهقي ٣/٣٨١ (٥٨٢٩)

^{٤٦٧} - فيض القدير، (ج ١٢ / ص ٢٧٩)

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ هُبَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ صُفُوفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَوْجَبَ ». قَالَ فَكَانَ مَالِكٌ إِذَا اسْتَقَلَّ أَهْلَ الْجَنَازَةِ حَزَّاهُمْ ثَلَاثَةَ صُفُوفٍ لِلْحَدِيثِ. رواه أبو داود ^{٤٦٨}

قال في تحفة الأحوذى : وفي هذه الأحاديث استحباب تكثير جماعة الجنائزة، ويطلب بلوغهم إلى هذا العدد الذي يكون من موجبات الفوز، وقد قيد ذلك بأمرين:
الأول: أن يكونوا شافعين فيه أي مخلصين له الدعاء سائلين له المغفرة.

الثاني: أن يكونوا مسلمين ليس فيهم من يشرك بالله شيئاً.
وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا لَمَّا تُوفِّيَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ - أَنْ يَمُرُّوا بِجَنَازَتِهِ فِي الْمَسْجِدِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ فَفَعَلُوا فَوَقَّفَ بِهِ عَلَى حُجْرِهِنَّ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ أَخْرَجَ بِهِ مِنْ بَابِ الْجَنَائِزِ الَّذِي كَانَ إِلَى الْمَقَاعِدِ فَبَلَّغَهُنَّ أَنَّ النَّاسَ عَابُوا ذَلِكَ وَقَالُوا مَا كَانَتْ الْجَنَائِزُ يَدْخُلُ بِهَا الْمَسْجِدَ. فَبَلَغَ ذَلِكَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى أَنْ يَعِيبُوا مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ. عَابُوا عَلَيْنَا أَنْ يَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ وَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سُهَيْلِ ابْنِ يَئِضَاءَ إِلَّا فِي جَوْفِ الْمَسْجِدِ. أخرجه مسلم ^{٤٦٩}

وفي هذا الحديث دليل للشافعي والأكثرين في جواز الصلاة على الميت في المسجد ، وممن قال به أحمد وإسحاق ، قال ابن عبد البر : ورواه المدنيون في الموطأ عن مالك ، وبه قال ابن حبيب المالكي ، وقال ابن أبي ذئب وأبو حنيفة ومالك على المشهور عنه : لا تصح الصلاة عليه في المسجد بحديث في سنن أبي داود (من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء له) ودليل الشافعي والجمهور حديث سهيل بن يضاء ، وأجابوا عن حديث سنن أبي داود بأجوبة : منها ضعفه أو معارضته لما هو أقوى منه أو تأويله .. انظر كلام النووي رحمه الله ^{٤٧٠}

^{٤٦٨} - برقم (٣١٦٨) ومشكل الآثار (٢٢٨) والترمذي (١٠٢٨) وابن ماجه (١٤٩٠) وهو حديث حسن.

^{٤٦٩} - برقم (٩٧٣) وبرقم (٢٢٩٧) المكتر وأبو داود (٣١٩٢) والترمذي (١٠٥٠)

^{٤٧٠} - شرح النووي على مسلم - (٣ / ٣٩٦)

قال الطحاوي في شرح مشكل الآثار : بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَنْ صَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتَى جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَشَفَعُوا لَهُ أَنَّهُمْ يَشْفَعُونَ فِيهِ إِذَا كَانَ لَهُمْ عَدَدُ ذِكْرِ مِقْدَارِهِ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ عَائِشَةُ ، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ أَنْ يَكُونُوا مِائَةً فَيَشْفَعُوا لَهُ إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ "

وَعَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: " لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَتُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ أَنْ يَكُونُوا مِائَةً فَيَشْفَعُوا لَهُ إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ "

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَبْلُغُونَ أَنْ يَكُونُوا مِائَةً إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ "

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: " مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِائَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ غُفِرَ لَهُ " وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَدَدِ الْجَمَاعَةِ الْمُشَفَّعِينَ فِي هَذَا الْمَعْنَى

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ مَاتَ ابْنُ لَهُ بِقُدَيْدٍ أَوْ بُعْسَفَانَ فَقَالَ لِكُرَيْبٍ: انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ النَّاسِ قَالَ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قَدْ اجْتَمَعُوا قَالَ: أَخْرِجُوهُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ " وَوَجَدْنَا عَنْ أَنَسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يُوَافِقُ مَا رَوَيْنَاهُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ عَائِشَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُخَالِفُ مَا رَوَيْنَاهُ فِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَعَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: " مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ أَنْ يَكُونُوا مِائَةً يَشْفَعُونَ إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ " قَالَ سَلَامٌ: فَحَدَّثْتُ بِهِ شُعَيْبُ بْنُ الْحَبَّابِ فَقَالَ: حَدَّثَنِي بِهِ أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فَقَالَ قَائِلٌ: مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا الْاِخْتِلَافُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ . فَكَانَ جَوَابُنَا عَنْ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جَادَّ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْغُفْرَانِ لِمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِائَةً مِنْهُمْ

بِشَفَاعَتِهِمْ لَهُ ، ثُمَّ جَادَ لَهُ بِالْغُفْرَانِ بِشَفَاعَةِ أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ فَكَانَ خَبَرُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِذَلِكَ هُوَ
 آخِرُ مَا كَانَ مِنْهُ عَزٌّ وَجَلٌّ مِمَّا جَادَ بِسَبَبِهِ بِالْغُفْرَانِ لِلْمُصَلِّي عَلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ
 وَكَانَ خَبَرُ عَائِشَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ مُتَقَدِّمِينَ لِذَلِكَ فَقَالَ: وَلَمْ حَمَلَتْ ذَلِكَ عَلَى مَا ذَكَرْتُ
 وَلَمْ تَحْمِلْهُ عَلَى أَنَّ حَدِيثَ عَائِشَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ هُمَا الْمُتَأَخَّرَانِ وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ
 الْمُتَقَدِّمُ . فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ عَنْ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ أَنْ يَجُودَ
 بِالْغُفْرَانِ بِمَعْنَى ، ثُمَّ يَرْجِعَ عَنِ الْغُفْرَانِ بِذَلِكَ الْمَعْنَى وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَجُودَ بِالْغُفْرَانِ بِمَعْنَى ،
 ثُمَّ يَجُودَ بِالْغُفْرَانِ بِأَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى وَبِأَيْسَرِهِ عَلَى خَلْقِهِ الَّذِينَ جَادَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَبَانَ
 بِمَا ذَكَرْنَا الْوَجْهَ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ اخْتِلَافُ الْعَدَدَيْنِ فِي الْآثَارِ الَّتِي رَوَيْنَاهَا وَاللَّهُ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ

٤٧١ ۱۱

٤٧١ - شرح مشكل الآثار - (١ / ٢٤٢) (٢٦٤ - ٢٧١) وغالبها صحيح

المبحث الخامس والعشرون

الترغيب في الإسراع بالجنائزاة وتعجيل الدفن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تَقْدُمُونَهَا إِلَيْهِ ، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ » رواه البخاري ٤٧٢

ومسلم

وَعَنْ عُيَيْنَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ فِي جَنَازَةِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ وَكُنَّا نَمْشِي مَشْيًا خَفِيفًا فَلَحِقَنَا أَبُو بَكْرَةَ فَرَفَعَ سَوْطَهُ فَقَالَ لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - نَرْمُلُ رَمَلًا. رواه أبو داود ٤٧٣

وَيُسْرَعُ بِالْمَيِّتِ وَقْتَ الْمَشْيِ بِلَا خَبَبٍ ، وَحَدُّهُ أَنْ يُسْرَعَ بِهِ بِحَيْثُ لَا يَضْطَرُّبُ الْمَيِّتُ عَلَى الْجَنَازَةِ ، وَيُكْرَهُ بِخَبَبٍ لِقَوْلِهِ ﷺ : أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ أَيُّ مَا دُونَ الْخَبَبِ كَمَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اللَّهَ عَنِ الْمَشْيِ خَلْفَ الْجَنَازَةِ فَقَالَ : مَا دُونَ الْخَبَبِ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ : نَقَلَ ابْنُ قِدَامَةَ أَنَّ الْأَمْرَ فِيهِ لِلِاسْتِحْبَابِ بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ .

وَأَمَّا مَا يُحْكَى عَنِ الشَّافِعِيِّ وَالْجُمْهُورِ أَنَّهُ يُكْرَهُ الْإِسْرَاعُ الشَّدِيدُ ، فَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ : مَالِ عِيَاضٍ إِلَى نَفْيِ الْخِلَافِ فَقَالَ : مَنْ اسْتَحَبَّهُ أَرَادَ الزِّيَادَةَ عَلَى الْمَشْيِ الْمُعْتَادِ ، وَمَنْ كَرِهَهُ أَرَادَ الْإِفْرَاطَ فِيهِ كَالرَّمْلِ .

وَكَذَا يُسْتَحَبُّ الْإِسْرَاعُ بِتَجْهِيزِهِ كُلِّهِ مِنْ حِينَ مَوْتِهِ ، فَلَوْ جُهِزَ الْمَيِّتُ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ يُكْرَهُ تَأْخِيرُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ الْجَمْعُ الْعَظِيمُ ، وَلَوْ خَافُوا فَوَتْ الْجُمُعَةُ

٤٧٢ - البخاري ١٠٨/٢ (١٣١٥) ومسلم في الجنائز ح ٥٠ (٩٤٤) ، وأبو داود (٣١٨٣) ونص (١٩٢١-١٩٢٢) وأحمد ٢٤٠/٢ (٧٤٦٩ و ٧٤٧٣) والترمذي (١٠٣١) وهـ (١٥٤٤)

٤٧٣ - أبو داود (٣١٨٤) وهق (٧٠٩٦) وك (٥٨٨٤) وإسناده صحيح ، وينحوه حديث إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَلَا تَحْسِبُوهُ ، وَأَسْرِعُوا بِهِ إِلَى قَبْرِهِ ، وَلْيُقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِهِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ بِخَاتَمَةِ الْبَقْرَةِ فِي قَبْرِهِ. أخرجه الطبراني برقم (١٣٤٣٨) وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري لابن حجر - (ج ٤ / ص ٣٧١) وهو حسن لغیره

بِسَبَبِ دَفْنِهِ يُؤَخَّرُ الدَّفْنُ ، وَقَالَ الْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ أَيْضًا ، بِالْإِسْرَاعِ بِتَجْهِيزِهِ إِلَّا إِذَا شُكَّ
فِي مَوْتِهِ ، وَيُقَدَّمُ رَأْسُ الْمَيِّتِ فِي حَالِ الْمَشْيِ بِالْجَنَازَةِ^{٤٧٤} .

^{٤٧٤} - انظر الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ١٦ / ص ١٢) فما بعد ابن عابدين ١ / ٦٢٣ ، والبحر ٢ / ١٩١ ،
والمجموع ٥ / ٢٧٠ ، والطحطاوي على مراقي الفلاح ٣٥٢ ، وغاية المنتهى ١ / ٢٤٦ . وفتح الباري ٣ / ١١٩
والشرح الصغير ١ / ٢٢٦ ، وشرح البهجة ٢ / ٨٢ ، والهندية ١ / ١٥٩ .

المبحث السادس والعشرون

الدفن في المكان المقدّر

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِجَنَازَةٍ عِنْدَ قَبْرِ فَقَالَ : قَبْرٌ مِنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : فُلَانُ الْحَبَشِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سِيقَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى تُرْبَتِهِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ »^{٤٧٥} رواه الحاكم

وقال القرطبي: قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فائدة هذا الباب تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة والخروج عن المظلمة ، وقضاء الدين ، وإتيان الوصية بماله أو عليه في الحضر ، فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر ، فإنه لا يدري أين كتبت منيته من بقاع الأرض .

وأنشد بعضهم :

مشيناها خطى كتبت علينا و من كتبت عليه خطى مشاها

وأرزاق لنا متفرقات فمن لم تأت منه منا أتاها

ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها^{٤٧٦}

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : مَرَّ بِنَا النَّبِيُّ ﷺ وَنَحْنُ نَحْفَرُ قَبْرًا فَقَالَ : " مَا تَصْنَعُونَ ؟ " ، فَقُلْنَا : نَحْفَرُ قَبْرًا لِهَذَا الْأَسْوَدَ ، فَقَالَ : " جَاءَتْ بِهِ مَنِيَّتُهُ إِلَى تُرْبَتِهِ " ، قَالَ أَبُو أُسَامَةَ : تَدْرُونَ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ لَمْ حَدِّثْكُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ ؟ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ خُلِقَا مِنْ تُرْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ^{٤٧٧}

^{٤٧٥} - ٣٦٧/١ (١٣٥٦) وهب (٩٥٤٢) والجمع ٤٢/٣ (٤٢٢٦) وفصائل الصحابة (٥٠٤) وهو حديث حسن.

^{٤٧٦} - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - (ج ١ / ص ١٠٣)

^{٤٧٧} - برقم (٥٢٨٣) والجمع (٤٢٢٧) وفيه ضعف

وَعَنْ مَطَرِ بْنِ عُكَامٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً ». وفي رواية عَنْ أَبِي عَزَّةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً أَوْ قَالَ بِهَا حَاجَةً » أخرجهما الترمذي^{٤٧٨}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ : « إِذَا كَانَ أَجَلُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ أَوْ ثَبَتَتْ إِلَيْهَا الْحَاجَةُ فَإِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ قَبَضَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَتَقُولُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَبِّ هَذَا مَا اسْتَوْدَعْتَنِي ». أخرجه ابن ماجه^{٤٧٩}

إن من قدر الله موته بأرض في وقت معين لا بد له من الوجود بذلك المكان ساعة موته ولا ينفعه حذر من ذلك ولا فرار ولا تحصن ولا خبرة دكتور ولا غير ذلك. ومن المعلوم أن من المغيبات التي لا يعلمها إلا الله مكان موت العباد. فقد قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ {لقمان: ٣٤}

ولكنه لا يلزم من وجود الإنسان بذلك المكان موته إن لم يكن حان أجله، وأما إذا حان الأجل فلا بد من حضور الإنسان في نفس المكان حتى يموت فيه.^{٤٨٠}

^{٤٧٨} - برقم (٢٢٩٧ و ٢٢٩٩) وح (٢٢٦٢٩) وك (١٢٧) وطب (١٨١٦٠) وهب (٩٥٤١) وبز (١٨٨٩) والمقاصد (٧١) وهو حديث صحيح.

^{٤٧٩} - هـ (٤٤٠٤) وك ٤٢/١ و ٣٦٧ (١٢٤ و ١٢٢) وطب (١٠٢٤٩) وهب (٩٥٤٠) وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قال

^{٤٨٠} - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٩ / ٤٨٥٧) - رقم الفتوى ٦٥٨٢٨ إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة

المبحث السابع والعشرون

ما يقال عند الدفن

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ اللَّجْلَاجِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: "يَا بَنِي، إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَلْحِدْنِي، فَإِذَا وَضَعْتَنِي فِي لَحْدِي، فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ سِنِّ عَلَيَّ الثَّرَى سِنًّا، ثُمَّ اقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِي بِفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ، وَخَاتِمَتِهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ" ^{٤٨١} أخرجه الطبراني

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي قُبُورِهِمْ فَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (صحيح)

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَضَعَ الْمَيِّتَ فِي الْقَبْرِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ. (صحيح لغيره)

وَعَنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَدْخَلَ الْمَيِّتَ قَبْرَهُ، اللَّهُمَّ أَسْلِمْنَاهُ إِلَيْكَ الْمَالَ وَالْأَهْلَ وَالْعَشِيرَةَ وَالذَّنْبَ الْعَظِيمَ فَاغْفِرْ لَهُ. (فيه انقطاع)

وَعَنْ خَيْثَمَةَ، قَالَ: كَانُوا يَسْتَحْبُّونَ إِذَا وَضَعُوا الْمَيِّتَ فِي الْقَبْرِ أَنْ يَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ. (صحيح مقطوع)

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ، وَأَلْحِقْهُ بِنَبِيِّهِ ﷺ، وَأَنْتَ عَنْهُ رَاضٍ غَيْرُ غَضَبَانَ. (فيه ضعف)

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، قَالَ: إِذَا وَضَعَ الْمَيِّتَ فِي الْقَبْرِ فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، وَإِلَى اللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (صحيح مقطوع)

^{٤٨١} - برقم (١٥٨٣٣) وابن معين في تاريخه (٥٢٣٨ و٥٤١٣) والتلخيص الحبير (٧٨٦) وسكت عليه والجمع ٤٤/٣ (٤٢٤٣) وقال: رجاله موثقون. وهو حديث حسن، فيه عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ اللَّجْلَاجِ تابعي سكت عليه البخاري وابن معين وأبو حاتم الرازي

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : إِذَا وَضَعْتَ الْمَيِّتَ فِي الْقَبْرِ فَقُلْ : بِسْمِ اللَّهِ ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . (صحيح مقطوع)

وَعَنْ أَنَسٍ ، أَنَّهُ دَفَنَ ابْنًا لَهُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ جَافِ الْأَرْضَ عَنْ حَبْنِهِ ، وَافْتَحْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لِرُوحِهِ ، وَأَبْدِلْهُ بِدَارِهِ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ . (صحيح)

وَعَنْ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : إِذَا وَضِعَ الْمَيِّتُ فِي الْقَبْرِ فَلَا تَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ قُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَعَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فِي خَيْرٍ مِمَّا كَانَ فِيهِ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلَا تَفْتِنْنَا بَعْدَهُ ، قَالَ : وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي صَاحِبِ الْقَبْرِ : {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} . (صحيح مقطوع)

وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ ، قَالَ : كَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ عِنْدَ الْمَنَامِ إِذَا نَامَ بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَقُولُهُ إِذَا أُدْخِلَ الرَّجُلُ الْقَبْرَ . (حسن) أخرجه ابن أبي شيبة^{٤٨٢}

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي الْقَبْرِ فَقُولُوا بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ » وفي رواية وعَنْ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا وَضَعَ الْمَيِّتَ فِي الْقَبْرِ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ . أخرجه أحمد في مسنده وغيره^{٤٨٣}

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ ، كَانَ يَقُولُ إِذَا أُدْخِلَ الْمَيِّتَ اللَّحْدَ : " بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِالْبَقِيَّةِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ " أخرجه عبد الرزاق^{٤٨٤}

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْدِيِّ ، قَالَ : شَهِدْتُ أَبَا أُمَامَةَ وَهُوَ فِي النَّزْعِ ، فَقَالَ : إِذَا أَنَا مُتُّ ، فَاصْنَعُوا بِي كَمَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَصْنَعَ بِمَوْتَانَا ، أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ، فَسَوِّيْتُمْ التُّرَابَ عَلَى قَبْرِهِ ، فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ قَبْرِهِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةٍ ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُهُ وَلَا يُجِيبُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةٍ ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِدًا ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةٍ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : أُرْسِدْنَا رَحِمَكَ اللَّهُ ، وَلَكِنْ لَا

^{٤٨٢} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ٣ / ص ٣٢٩) (١١٨١٥ - ١١٨٢٦)

^{٤٨٣} - ٥٩/٢٠ و ٦٩ و ١٢٨ و ٤٩١٦ و ٥١٠٧) وصحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٣٧٦) (٣١٠٩) والمجمع ٤٤/٣ والحاكم ٣٦٦/١ (١٣٥٣) وطب (٥٧٠) وهق (٧٣١١) وهو حديث صحيح.

^{٤٨٤} - برقم (٦٤٦٥) وابن أبي شيبة (٢٩٨٤٢) وهو حسن لغيره

تَشْعُرُونَ، فَلْيَقُلْ: اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا، فَإِنْ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا يَأْخُذُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ، وَيَقُولُ: انْطَلِقْ بِنَا مَا نَقْعُدُ عِنْدَ مَنْ قَدْ لَقِّنَ حُجَّتَهُ، فَيَكُونُ اللَّهُ حَاجِجَهُ دُونَهُمَا"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ أُمُّهُ؟

٤٨٥

قال: "فَيَنْسُبُهُ إِلَى حَوَاءَ، يَا فُلَانُ بْنُ حَوَاءَ" أخرجه الطبراني

قال ابن المقن رحمه الله ^{٤٨٦}: "إِسْنَادُهُ لَا أَعْلَمُ بِهِ بِأَسَا، وَذَكَرَهُ الْحَافِظُ أَبُو مَنْصُورٍ فِي «جَامِعِ الدُّعَاءِ الصَّحِيحِ»، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: «قَدْ لَقِّنَ حُجَّتَهُ»: «وَيَكُونُ اللَّهُ (حُجَّتَهُ) دُونَهُمَا». قَالَ: وَقَدْ أَرَخَصَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي تَلْقِينِ الْمَيِّتِ، وَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: (أَهْلُ) الشَّامِ يَفْعَلُونَهُ. قَالَ: أَبُو مَنْصُورٍ: وَهُوَ مِنَ الْعَزِمَاتِ وَالتَّذْكِيرِ بِاللَّهِ، وَ(السَّمَاحُ) بِذَلِكَ مَا ثَوَّرَ عَنِ السَّلَفِ، وَقَالَ: الْحَافِظُ زَكِيُّ الدِّينِ فِي الْجُزْءِ الَّذِي خَرَجَهُ فِي التَّلْقِينِ بَعْدَ أَنْ سَاقَهُ: وَفِيهِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ «وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ (يَبْعَثُ) مَنْ فِي الْقُبُورِ». قَالَ: أَبُو نَعِيمٍ الْحَدَّادُ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، مَا كَتَبْتَهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ (الْأَزْدِيِّ)، وَقَالَ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَعِيدُ (الْأَزْدِيِّ) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَوَى عَنْهُ ... سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: ذَلِكَ. قَالَ: الْمُنْذَرِيُّ: هَكَذَا قَالَ: (الْأَزْدِيُّ) وَوَقَعَ فِي رَوَايَتِنَا «الْأَوْدِي»، وَهُوَ مَعْنَى الْمَجْهُولِ، وَقَالَ: الذَّهَبِيُّ فِي «الْمُغْنِيِّ فِي الضُّعَفَاءِ»: سَعِيدُ (الْأَزْدِيِّ) لَمْ أَرْ لَهُ ذِكْرًا فِي الضُّعَفَاءِ وَلَا غَيْرِهِمْ.

قلت: لَكِنْ حَدِيثُهُ هَذَا لَهُ شَوَاهِدٌ يَعْتَضِدُ بِهَا - وَالْغَرِيبُ أَنَّ الشَّيْخَ زَكِيَّ الدِّينِ لَمْ يَذْكُرْ فِي مُصَنَّفِهِ الْمَذْكُورِ مِنْهَا غَيْرَ حَدِيثِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَحْدَهُ - مِنْهَا حَدِيثٌ: «وَاسْأَلُوا لَهُ (التَّثْبِيتَ)» وَقَدْ سَلَفَ.

وَمِنْهَا: حَدِيثُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا دَفَنْتُمُونِي فَسَنُوا عَلَيَّ التُّرَابَ سَنًا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا يَنْحَرُ جُزُورٌ وَيَقْسَمُ لَحْمُهَا؛ حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَعْلَمَ

^{٤٨٥} - برقم (٧٩٠٦) و المجمع ٣٢٤/٢ (٣٩١٨ و ٤٢٣٨) ودعا طب (١١١٦) والمقاصد (٣٤٦) ونيل الأوطار

٨٩/٤ والتلخيص الحبير ١٣٦/٢ (٧٩٧) حسن لغيره

^{٤٨٦} - البدر المنير - (ج ٥ / ص ٣٣٣) فما بعدها

مَاذَا أَرَا جَعَلَ رَسُلَ رَبِّي». رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ بَعْضُ مَنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ .

«سَنُوا»: رُوِيَ بِالْمُعْجَمَةِ وَبِالْمَهْمَلَةِ، وَكِلَاهُمَا مُتَقَارِبُ الْمَعْنَى صَحِيحٌ .
وَالْجَزُورُ - بَفَتْحِ الْحِيمِ - مِنَ اللَّيْلِ، وَالْجَزْرَةُ مِنْ غَيْرِهَا . ذَكَرَهُ عِيَاضٌ، وَفِي كِتَابِ «الْعَيْنِ»: الْجَزْرَةُ مِنَ الضَّنِّ وَالْمَعَزُ خَاصَّةٌ .

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «أَكْبَرِ مُعَاجِمِهِ» مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدَ بْنِ حَمْرَانَ، عَنْ عَطِيَّةِ الرِّعَاءِ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ الْحَارِثِ السَّلَمِيِّ «أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ثَلَاثَ غَزَوَاتٍ، قَالَ: قَالَ: لَنَا: إِذَا دَفَنْتُمُونِي وَرَشَشْتُمْ عَلَيَّ قَبْرِي الْمَاءَ فَقُومُوا عَلَيَّ قَبْرِي، وَاسْتَقْبَلُوا الْقُبْلَةَ، وَادْعُوا لِي» .

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «عِلَلِهِ» قَالَ: سَأَلْتُ (أَبِي عَنْ حَدِيثِ) ثُمَامَةَ بْنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ (قَالَ: (كَانَ أَنَسٌ) إِذَا شَهِدَ جَنَازَةَ الْأَخِ مِنْ إِخْوَانِهِ وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْفَنَ، فَيَقُولُ: جَافِ الْأَرْضَ عَنْ (حَبِّيهِ) » . فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ .

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «أَكْبَرِ مُعَاجِمِهِ» أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ مُبَشَّرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ اللَّجَلَجِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ: أَبِي: «يَا بَنِي، إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَلْحِدْنِي، فَإِذَا وَضَعْتَنِي فِي لَحْدِي فَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ . ثُمَّ سَنِّ عَلَيَّ التُّرَابَ سَنًّا، ثُمَّ أَقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِي بِفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ وَخَاتِمَتِهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: ذَلِكَ» . (وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا، الرَّاوي عَنْهُ مُبَشَّرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْحَلَبِيِّ)، ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «ثِقَاتِهِ»

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ مِنْ حَدِيثِ (إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، عَنْ إِدْرِيسَ الْأَوْدِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ قَالَ: «حَضَرْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ جَنَازَةٍ، فَلَمَّا وَضَعَهَا فِي اللَّحْدِ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَمَّا أَخَذَ فِي اللَّبَنِ عَلَى اللَّحْدِ قَالَ: اللَّهُمَّ أَجْرِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَنْ عَذَابَ الْقَبْرِ . فَلَمَّا سَوَى اللَّبْنَ عَلَيْهَا قَامَ إِلَى جَانِبِ الْقَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ جَافِ الْأَرْضَ عَنْ جَنِيهَا، وَصْعِدْ رُوحَهَا، وَلَقِهَا مِنْكَ رِضْوَانًا . فَقُلْتُ: أَشَيْئًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَمْ شَيْئًا قُلْتَهُ مِنْ رَأْيِكَ ؟

قَالَ: إِنِّي إِذَا لِقَادِرَ عَلَى الْقَوْلِ، بَل سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - . وَإِذْ رِيسَ هَذَا مَجْهُول . قَالَ أَبُو حَاتِمٍ... .

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي «سَنَنِ» عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، وَضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، وَحَكَمِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالُوا: «إِذَا سَوِيَ عَلَى الْمَيِّتِ قَبْرَهُ وَانْصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُ؛ كَانُوا يَسْتَحْبُونَ أَنْ يُقَالَ لِلْمَيِّتِ عِنْدَ قَبْرِهِ: يَا فُلَانُ، قُل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - قُل: رَبِّي اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٍ (ثُمَّ يَنْصَرَفُ)» . فَهَذِهِ شَوَاهِدُ لِحَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ الْمَذْكُورِ.

قَالَ: الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ الصَّلَاحِ: هَذَا الْحَدِيثُ إِسْنَادُهُ لَيْسَ بِالْقَائِمِ، وَلَكِنَّهُ (يَعْتَضِدُ) بِشَوَاهِدٍ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الشَّامِ بِهِ قَدِيمًا .

وَقَالَ: التَّوَوُّيُّ فِي «شرح المَهَذَّبِ»: "هَذَا الْحَدِيثُ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا فَيَسْتَأْنَسُ بِهِ، وَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْمُحَدِّثِينَ وَغَيْرِهِمْ عَلَى الْمُسَامَحَةِ فِي أَحَادِيثِ الْفَضَائِلِ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ اعْتَضَدَ بِشَوَاهِدٍ، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى الْعَمَلِ بِهِذَا فِي زَمَنِ مَنْ يُقْتَدَى بِهِ وَإِلَى الْآنَ" .

قُلْتُ: لَكِنْ قَالَ: الْأَثَرُ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي: ابْنَ حَبَّالٍ -: فَهَذَا الَّذِي تَصْنَعُونَهُ إِذَا دَفِنَ الْمَيِّتَ ! يَقِفُ الرَّجُلُ وَيَقُولُ: يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانَةَ، أَذْكَرَ مَا فَارَقْتَ عَلَيْهِ؟ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا فَعَلَ هَذَا إِلَّا أَهْلَ الشَّامِ حِينَ مَاتَ أَبُو الْمُغِيرَةِ، (جَاءَ الْإِنْسَانُ فَقَالَ: ذَلِكَ وَكَانَ أَبُو الْمُغِيرَةِ) يَرَوِي مَتْنَهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَشْيَاحِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَهُ، وَكَانَ ابْنُ عِيَّاشٍ يَرَوِي بِهِ . يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ السَّالِفِ .

قُلْتُ: فَإِنْ لَهُ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا ثُبُوتُ سُؤَالِ الْمَلِكِينَ كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ، وَمِنْهَا أَنَّهُ يَسْمَعُ قَرَعَ نَعَالِهِمْ، وَمِنْهَا حَدِيثُ: اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يَسْأَلُ، د (٤٢٢١) وَهَق ٥٦/٤ حَسَنٌ وَمِنْهَا حَدِيثُ: لَقِنَا مَوْتَائِكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، صَحِيحٌ، وَهُوَ يَشْمَلُ الْمُحْتَضَرَ وَالْمَيِّتَ . فَهَذَا التَّلْقِينُ لَيْسَ فِيهِ جَدِيدٌ، لِأَنَّ مَفْرَدَاتِهِ ثَابِتَةٌ بِنُصُوصٍ صَحِيحَةٍ، وَالْمُنْكَرُ فِيهِ ابْنُ فُلَانَةَ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْسَبُ لِأَبِيهِ لِحَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا

أَسْمَاءُ كُمْ» أخرجه أبو داود وفيه انقطاع ، ولحديث ابنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « الْعَادِرُ يُرْفَعُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ » أخرجه البخاري (٦١٧٧)

وقال أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي : ينبغي أن يرشد الميت في قبره حيث يوضع فيه إلى جواب السؤال ، و يذكر بذلك فيقال له : قل الله ربي . و الإسلام ديني . ومحمد رسولي فإنه عن ذلك يسأل . كما جاءت به الأخبار على ما يأتي إن شاء الله . وقد جرى العمل عندنا بقرطبة كذلك . فيقال : قل هو محمد رسول الله وذلك عند هيل التراب و لا يعارض هذا بقوله تعالى : { وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ } (٢٢) سورة فاطر . وقوله : { إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ } (٨٠) سورة النمل ، لأن النبي ﷺ قد نادى أهل القلب وأسمعهم وقال : ما أنتم بأسمع . ولكنهم لا يستطيعون جواباً ، وقد قال في الميت : إنه ليسمع قرع نعالهم . وأن هذا يكون في حال دون حال و وقت دون وقت^{٤٨٧} .

قلتُ: هذا التلقين ليس فيه جديداً، لأن مفرداته ثابتة بنصوص صحيحة، والمنكر فيه عندي هو لفظة يا ابن فلانة، لأن الثابت بالنصوص الشرعية النسبة للأب لا الأم . ولهذا استحب هذا التلقين كثير من السلف والخلف.

وأما ما زعمه الشيخ ناصر الدين الألباني -رحمه الله- في الضعيفة (٥٩٩) من رده للحديث واعتباره منكراً وذلك بسبب عدم إطلاعه على بقية أسانيده وشواهده حيث قال: " وجملة القول: أن الحديث منكر عندي إن لم يكن موضوعاً . ونقل عن الصنعاني في سبل السلام: " ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف والعمل به بدعة، ولا يغتر بكثرة من يفعله " .

أقول:

هذا كلامٌ مردودٌ من الاثنين، فمن هم الذين أنكروا الحديث من السلف؟! ومن قال من السلف بأن العمل بهذا الحديث بدعة!؟

^{٤٨٧} - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - (ج ١ / ص ١٣٣)

مع أن ابن القيم رحمه الله قد ذكر في كتاب الروح أن العمل قد جرى على هذا الحديث في أمصار المسلمين فأيهما أولى بالاتباع ؟!

قال الإمام النووي رحمه في شرح المذهب: " وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْحَدِيثَ الْمُرْسَلَ وَالضَّعِيفَ وَالْمَوْقُوفَ يُتَسَامَحُ بِهِ فِي فُضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَيُعْمَلُ بِمُقْتَضَاهُ وَهَذَا مِنْهَا " ٤٨٨ .

وعن ابن شماسه المهري ، قال : حضرنا عمرو بن العاص ، وهو في سِاقَةِ الْمَوْتِ ، يَبْكِي طَوِيلًا ، وَحَوْلَ وَجْهِهِ إِلَى الْجِدَارِ ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ : يَا أَبَتَاهُ ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا ؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا ؟ قَالَ : فَأَقْبَلَ بَوَجهِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ أَفْضَلَ مَا نَعُدُّ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثَ ، لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَّ مِنْهُ ، فَقَتَلْتُهُ ، فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقُلْتُ : ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ ، قَالَ : فَقبَضْتُ يَدِي ، قَالَ : " مَا لَكَ يَا عَمْرُو ؟ " قَالَ : قُلْتُ : أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ ، قَالَ : " تَشْتَرِطُ بِمَاذَا ؟ " قُلْتُ : أَنْ يُغْفَرَ لِي ، قَالَ : " أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ " وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ ، وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِحْلَالًا لَهُ ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ ، وَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَذْرِي مَا حَالِي فِيهَا ، فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تَصْحَبُنِي نَائِحَةٌ ، وَلَا نَارٌ ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُتُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنْنًا ، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدَرًا مَا تُنَحِّرُ جُزُورًا وَيُقَسِّمُ لَحْمُهَا ، حَتَّى اسْتَأْنَسَ بِكُمْ ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أَرَا جُعِيَ بِهِ رَسُولُ رَبِّي " . أخرجه مسلم ٤٨٩

٤٨٨ - المجموع شرح المذهب - (ج ٢ / ص ٩٤)

٤٨٩ - برقم (١٢١) وحكم (١٨٢٥٤) وك (٥٩٠٦) وهق (٧٣١٨) وعوانة (١٥٦) ومعرفة الصحابة (٤٤٥٤) وجامع الأصول مطولاً ١٠٤/٩ و ١٠٥ - مخاصم : مسئول ومقاضى ، اللحد : الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت ، وقيل الذي يحفر في عرض القبر ، الجزور : البعير ذكرنا كان أو أنثى ، إلا أنَّ اللَّفْظَةَ مُؤَنَّثَةٌ ، تقول الجزورُ ، وإن أردت ذكرًا ، والجمع جُرُرٌ وجَزَائِرُ

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا وُضِعَتْ أُمُّ كَلْثُومٍ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي الْقَبْرِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ». فَلَمَّا بَنَى عَلَيْهَا لَحْدَهَا طَفِقَ يَطْرَحُ إِلَيْهِمُ الْجُبُوبَ وَيَقُولُ : « سُدُّوا حِلَالَ اللَّبَنِ ثُمَّ قَالَ أَمَا إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ وَلَكِنَّهُ يُطَيِّبُ نَفْسَ الْحَيِّ » ٤٩٠

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ : حَضَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فِي جَنَازَةٍ فَلَمَّا وَضَعَهَا فِي اللَّحْدِ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَلَمَّا أَخَذَ فِي تَسْوِيَةِ اللَّبَنِ عَلَى اللَّحْدِ قَالَ : اللَّهُمَّ أَجِرْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ فَلَمَّا سَوَّى الْكَتِيبَ عَلَيْهَا قَامَ جَانِبَ الْقَبْرِ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ حَافِ الْأَرْضَ عَنْ حُتَّتِهَا وَصَعْدَ بَرُوحِهَا وَاقْلَعْهَا مِنْكَ رِضْوَانًا فَقُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ : أَشَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَمْ شَيْءٌ قُلْتُهُ مِنْ رَأْيِكَ؟ قَالَ : إِنِّي إِذَا لَقَادِرٌ عَلَى الْقَوْلِ بَلَّ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - ٤٩١

وظاهر هذه الأحاديث والآثار تدل على استحباب تلقين الميت المكلف بعد الدفن، وبه أخذ الشافعية والحنابلة.

وهذا التلقين فيه تذكير للميت، وتذكير للحي كذلك، لأنه قد جاء بالنصوص الصحيحة الصريحة أن الميت سيسأل عن هذه الأمور، فيحافظ عليها الحي قبل موته. ٤٩٢

وفي الموسوعة الفقهية الكويتية: " اختلفوا في تلقين الميت بعد الموت، فذهب المالكية وبعض أصحاب الشافعي والزيلي إلى أن هذا التلقين لا بأس به، فرخصوا فيه، ولم يأمرُوا به، لظاهر قوله عليه الصلاة والسلام: لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَدْ نُقِلَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِهِ كَأَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ وَغَيْرِهِ، وَصَفَتْهُ أَنْ يَقُولَ: يَا فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ: اذْكُرْ دِينَكَ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ رَضِيتَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَبِيًّا .

٤٩٠ - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٣ / ص ٤٠٩) (٦٩٧٣) والمستدرک للحاکم (٣٤٣٣) ضعيف

٤٩١ - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٤ / ص ٥٥) (٧٣١٢) ضعيف

٤٩٢ - راجع التفاصيل في مغني المحتاج ٣٦٧/١ والإنصاف ٣٤٩/٤ وكشاف القناع ١٥٧/٢٠ والفقه الإسلامي وأدلته لأستاذنا الزحيلي ٥٣٦/٢ - ٥٣٧ ، وفقه السنة ٢٤٧/١ ويسألونك في الدين والحياة ١٠٧/٤

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ لَا يُلَقَّنُ، إِذِ الْمُرَادُ بِمَوْتَاكُمْ فِي الْحَدِيثِ مَنْ قُرْبَ مِنَ الْمَوْتِ،
وَفِي الْمَعْنَى مَعَ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ: أَمَّا التَّلْقِينُ بَعْدَ الدَّفْنِ فَلَمْ أَحِدْ فِيهِ عَنْ أَحْمَدَ شَيْئًا، وَلَا
أَعْلَمُ فِيهِ لِلْأُئِمَّةِ قَوْلًا سِوَى مَا رَوَاهُ الْأَثَرُ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا فَعَلَ هَذَا إِلَّا أَهْلَ الشَّامِ
حِينَ مَاتَ أَبُو الْمُغِيرَةِ، جَاءَ إِنْسَانٌ فَقَالَ ذَلِكَ " ٤٩٣

وَسُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ تَلْقِينِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ دَفْنِهِ
هَلْ صَحَّ فِيهِ حَدِيثٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ عَنْ صَحَابَتِهِ؟ وَهَلْ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ يَجُوزُ
فَعَلُهُ؟ أَمْ لَا؟ .

فَأَجَابَ: هَذَا التَّلْقِينُ الْمَذْكُورُ قَدْ نُقِلَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِهِ كَأَبِي أُمَامَةَ
الْبَاهِلِيِّ وَغَيْرِهِ . وَرَوَى فِيهِ حَدِيثٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَكُنْهُ مِمَّا لَا يُحْكَمُ بِصِحَّتِهِ؛ وَلَمْ يَكُنْ
كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَلِهَذَا قَالَ: الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ هَذَا التَّلْقِينُ لَا
بَأْسَ بِهِ فَرَخَّصُوا فِيهِ وَلَمْ يَأْمُرُوا بِهِ، وَاسْتَحَبَّهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَكَرِهَهُ
طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِمْ . وَالَّذِي فِي السُّنَنِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ
قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: « اسْتَغْفِرُوا لِأَحْيَاكُمْ
وَسَلُّوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ » .

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .
فَتَلْقِينُ الْمُحْتَضِرِ سُنَّةٌ مَأْمُورٌ بِهَا . وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْمَقْبُورَ يُسْأَلُ وَيُمْتَحَنُ وَأَنَّهُ يُؤْمَرُ بِالِدُّعَاءِ
لَهُ؛ فَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّ التَّلْقِينَ يَنْفَعُهُ فَإِنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ . كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: « الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى وَذَهَبَ
أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ عَنَابِهِمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولُ: أَنْ لَهَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي
هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . فَيُقَالُ أَنْظِرْ إِلَى مَقْعَدِكَ
مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ - قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ - فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - وَأَمَّا

٤٩٣ - انظر الموسوعة الفقهية (ج ١٣ / ص ٢٩٦) والمغني والشرح الكبير ٢ / ٣٨٥ ، والفتاوى الهندية ١ / ١٥٧ ،
ومغني المحتاج ١ / ٣٣٠ ، والزيلعي ١ / ١٣٤ ، وانظر : الفقه الإسلامي وأدلته (ج ٢ / ص ٦٧٧) و فتاوى الأزهر (ج
٥ / ص ٤٦٧) تشييع النساء للجنابة وتلقين الميت و فتاوى الأزهر (ج ٥ / ص ٤٩٧) ما يشترط في تلقين الميت و فتاوى
الأزهر (ج ٦ / ص ٣) تلقين الميت و فتاوى الأزهر (ج ٨ / ص ٣٠٣) تلقين الميت

الْكَافِرُ - أَوْ الْمُنَافِقُ - يَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ: النَّاسُ. فَيَقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ. ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا التَّقْلِينَ".

وَأَنَّهُ قَالَ: « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ » وَأَنَّهُ أَمَرَنَا بِالسَّلَامِ عَلَى الْمَوْتَى. فَقَالَ: " مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ عَلَى قَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ " وَاللَّهُ أَعْلَمُ^{٤٩٤}

وقال ابن القيم بعد إيراد الحديث المذكور: " فهذا الحديث وإن لم يثبت فاتصال العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار كافٍ في العمل به، وما أجرى الله سبحانه العادة قط بأن أمة طبقت مشارق الأرض ومغاربها وهي أكمل الأمم عقولاً وأوفرها معارف تطبيقاً على مخاطبة مَنْ لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك لا ينكره منها منكر، بل سنّه الأول للآخر ويقتيدي فيه الآخر بالأول، فلولا أن المخاطب يسمع لكان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر والمعدوم، وهذا وإن استحسنته واحدٌ فالعلماء قاطبةً على استقباحه واستهجانه. وقد روى أبو داود في سننه بإسناد لا بأس به عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: « اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ ».

فأخبر أنه يسأل حينئذ، وإذا كان يسأل فإنه يسمع التلقين، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: « الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٌ - ﷺ - فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيَقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْذَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ - قَالَ النَّبِيُّ - فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوْ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ

^{٤٩٤} - مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٢٤ / ص ٢٩٦) وانظر (ص ٤٩٧) ففيه نحوه

النَّاسُ . فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ . ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ « اهـ ٤٩٥

وهنا مسألة لا بد من التعرض لها وهي :

حكم قراءة القرآن على القبر بعد الدفن

ففي كتاب "الْقِرَاءَةُ عِنْدَ الْقُبُورِ" لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ الْخَلَّالِ :
أَخْبَرَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُبَشَّرُ الْحَلَبِيِّ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ الْجَلَّاحِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ : " إِنِّي إِذَا أَنَا مُتٌ، فَضَعْنِي فِي اللَّحْدِ، وَقُلْ : بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَسُنَّ عَلَيَّ الثَّرَابَ سَنًا، وَأَقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِي بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَأَوَّلِ الْبَقَرَةِ وَخَاتِمَتِهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ ذَلِكَ قَالَ الدُّورِيُّ : سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ قُلْتُ : تَحْفَظُ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى الْقُبُورِ شَيْئًا، فَقَالَ : لَا . وَسَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ، فَحَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ ((وهذا إسناد حسن))

وعن عطاء بن أبي رباح المكي، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :
" إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَلَا تَجْلِسُوا، وَأَسْرِعُوا بِهِ إِلَى قَبْرِهِ، وَلْيُقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِهِ بِفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ بِخَاتِمَتِهَا فِي قَبْرِهِ " ((وهو حديث حسن))
وقال علي بن موسى الحَدَّادُ، وَكَانَ صَدُوقًا، وَكَانَ ابْنُ حَمَادٍ الْمُقَرِّيُّ يُرْشِدُ إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَنِي قَالَ : " كُنْتُ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَمُحَمَّدَ بْنِ قُدَامَةَ الْجَوْهَرِيِّ فِي جَنَازَةٍ، فَلَمَّا دُفِنَ الْمَيِّتُ جَلَسَ رَجُلٌ ضَرِيرٌ يَقْرَأُ عِنْدَ الْقَبْرِ، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ : يَا هَذَا، " إِنَّ الْقِرَاءَةَ عِنْدَ الْقَبْرِ بَدْعَةٌ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ الْمَقَابِرِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ قُدَامَةَ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِي مُبَشَّرِ الْحَلَبِيِّ ؟ قَالَ : ثِقَةٌ، قَالَ : كَتَبْتَ عَنْهُ شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : فَأَخْبَرَنِي مُبَشَّرٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْجَلَّاحِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَوْصَى إِذَا دُفِنَ أَنْ يُقْرَأَ عِنْدَ رَأْسِهِ بِفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ وَخَاتِمَتِهَا، وَقَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يُوصِي بِذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ :

٤٩٥ - الروح لابن القيم (ج ١ / ص ٥) وانظر التفاصيل في كتابي (الخلاصة في أحكام الحديث الضعيف) المجلد الثالث - تلقين الميت

فَارْجِعْ، فَقُلْ لِلرَّجُلِ يَقْرَأُ " وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ صَدَقَةَ، قَالَ : سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ، قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي حِزَازَةٍ وَمَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ قُدَّامَةَ الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ : فَلَمَّا قُبِرَ الْمَيِّتُ، جَعَلَ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ عِنْدَهُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِلرَّجُلِ : تَمُرْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي يَقْرَأُ، فَقُلْ لَهُ : لَا يَفْعَلْ، فَلَمَّا مَضَى، قَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ قُدَّامَةَ : مُبَشِّرُ الْحَلَبِيِّ، كَيْفَ هُوَ ؟ فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِعَيْنِهَا " ((وهو حديث حسن))

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ شَيْبٍ، قَالَ : " أَتَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي رَأَيْتُ عَفَّانَ يَقْرَأُ عِنْدَ قَبْرِ فِي الْمُصْحَفِ، فَقَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ " ((صحيح))

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْبَزَّازُ : " رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يُصَلِّي خَلْفَ رَجُلٍ ضَرِيرٍ يَقْرَأُ عَلَى الْقُبُورِ " ((صحيح))

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الرَّغْفَرَانِيُّ : " سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ عَنِ الْقِرَاءَةِ عِنْدَ الْقَبْرِ فَقَالَ : لَا بَأْسَ بِهِ " ((حديث حسن))

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ : " كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا مَاتَ لَهُمُ الْمَيِّتُ اخْتَلَفُوا إِلَى قَبْرِهِ يَشْرَعُونَ عِنْدَهُ الْقُرْآنَ " ((حديث حسن))

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ : " لَا بَأْسَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الْمَقَابِرِ " ((صحيح))

وَقَالَ أَبُو يَحْيَى النَّاقِدُ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَرَّ، وَهُوَ يَقُولُ : " مَرَرْتُ عَلَى قَبْرِ أُخْتٍ لِي، فَقَرَأْتُ عِنْدَهَا تَبَارَكَ لِمَا يُذَكَّرُ فِيهَا، فَجَاءَنِي رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ أُخْتَكَ فِي الْمَنَامِ تَقُولُ : جَزَى اللَّهُ أَبَا عَلِيٍّ خَيْرًا، فَقَدْ انْتَفَعْتُ بِمَا قَرَأَ " ((صحيح))

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ الْهَيْثَمِ، : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ الْأَطْرُوشِ ابْنَ بِنْتِ أَبِي نَصْرِ التَّمَّارِ، يَقُولُ : " كَانَ رَجُلٌ يَجِيءُ إِلَى قَبْرِ أُمِّهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَيَقْرَأُ سُورَةَ يَس، فَجَاءَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ فَقَرَأَ سُورَةَ يَس، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ قَسَمْتُ لِهَذِهِ السُّورَةِ ثَوَابًا فَاجْعَلْهَا فِي أَهْلِ هَذِهِ الْمَقَابِرِ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا، جَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : أَنْتَ فُلَانُ بْنُ فُلَانَةٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَتْ : إِنَّ بِنْتًا لِي مَاتَتْ، فَرَأَيْتُهَا فِي النَّوْمِ جَالِسَةً عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهَا، فَقُلْتُ : مَا أَجْلَسَكَ هَاهُنَا ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانَةٍ جَاءَ إِلَى قَبْرِ أُمِّهِ فَقَرَأَ سُورَةَ يَس، وَجَعَلَ ثَوَابَهَا لِأَهْلِ الْمَقَابِرِ، فَأَصَابَنَا مِنْ رَوْحِ ذَلِكَ، أَوْ غَفِرَ لَنَا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ " ((قوي))

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ عِنْدَ الْمَيِّتِ سُورَةَ الرَّعْدِ ((حديث حسن))^{٤٩٦}
 وجاء في الموسوعة الفقهية : "قَالَ الطَّحْطَاوِيُّ : إِذَا فَرَّغُوا مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ يُسْتَحَبُّ
 الْجُلُوسُ (الْمُكْتُ) عِنْدَ قَبْرِهِ بِقَدْرِ مَا يُنْحَرُ جُزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهُ، (فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ
 عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشْنُوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي
 قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جُزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي)
 يَتْلُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ لِلْمَيِّتِ . فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - إِذَا
 فَرَّغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : « اسْتَغْفِرُوا لِأَحْيِكُمْ وَسَلُّوا لَهُ التَّشْيِيتَ فَإِنَّهُ الْآنَ
 يُسْأَلُ » .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يَقْرَأَ عَلَى الْقَبْرِ بَعْدَ الدَّفْنِ أَوَّلَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَخَاتِمَتَهَا.^(٤٩٧)

حَكْمُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى الْمُحْتَضِرِ وَالْقَبْرِ :

"ذَهَبَ الْحَنْفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى نَدْبِ قِرَاءَةِ سُورَةِ يَسْ عِنْدَ الْمُحْتَضِرِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ
 ﷺ : « اقْرَءُوا (يس) عَلَى مَوْتَاكُمْ » . أَيْ مِنْ حَضَرَهُ مُقَدِّمَاتُ الْمَوْتِ .
 كَمَا ذَهَبُوا إِلَى اسْتِحْبَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى الْقَبْرِ ، لِمَا رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا : مَنْ
 دَخَلَ الْمَقَابِرَ فَقَرَأَ سُورَةَ يَسْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَكَانَ لَهُ بِعَدَدِ مَنْ دُفِنَ فِيهَا حَسَنَاتٌ"^{٤٩٨}
 ، وَلَمَّا صَحَّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ أَوْصَى إِذَا دُفِنَ أَنْ يَقْرَأَ عِنْدَهُ بِفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ وَخَاتِمَتَهَا .
 وَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ إِلَى كَرَاهَةِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عِنْدَ الْمُحْتَضِرِ وَعَلَى الْقَبْرِ^{٤٩٩}

^{٤٩٦} - القراءة على القبور للخلال (١-١٣) ومثله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال
 رقم (٢٤٣-٢٥٣)

^(١٤) الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ١٦ / ص ٤٢) و انظر المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٤ / ص ١٠٨) (١٥٨٣٣)

والقراءة على القبور (١) وهو حسن موقوف ، ورفع الطبراني

^{٤٩٧} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ١٦ / ص ٤٢) و انظر المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٤ / ص

١٠٨) (١٥٨٣٣) والقراءة على القبور (١) وهو حسن موقوف ، ورفع الطبراني

^{٤٩٨} - قلت : هذا الحديث موضوع فلا يحتج به

^{٤٩٩} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ٣٣ / ص ٥٩) وحاشية ابن عابدين ١ / ٦٠٥ ، ٦٠٧ ، والقبلي وعميرة ١

/ ٣٥١ ، وكشاف القناع ٢ / ١٤٧ وحاشية الدسوقي ١ / ٤٢٣ ، والشرح الصغير ١ / ٢٢٨ .

وفيهما أيضاً : " اختلف الفقهاء في قراءة القرآن على القبر، فذهب الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أنه لا تكره قراءة القرآن على القبر بل تستحب، لما روى أنس مرفوعاً قال : من دخل المقابر فقرأ فيها يس خفف عنهم يومئذ، وكان له بعددهم حسنات، وصح عن ابن عمر أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده ب فاتحة البقرة وخاتمتها . قال الشافعية : يقرأ شيئاً من القرآن . لكن رجح الدسوقي الكراهة مطلقاً، وقال القليوبي : ومما ورد عن السلف أنه من قرأ سورة الإخلاص إحدى عشرة مرة وأهدى ثوابها إلى الجبنة غفر له ذنوب بعدد الموتى فيها .

وروى السلف عن علي رضي الله عنه أنه يعطى له من الأجر بعدد الأموات . قال ابن عابدين نقلاً عن شرح اللباب : ويقرأ من القرآن ما تيسر له من الفاتحة وأول البقرة إلى المفلحون وآية الكرسي، وآمن الرسول، وسورة يس، وتبارك الملك، وسورة التكاثر والإخلاص اثنتي عشرة مرة أو إحدى عشرة أو سبعا أو ثلاثاً . وقال البهوتي : قال السامري يستحب أن يقرأ عند رأس القبر ب فاتحة البقرة وعند رجله بخاتمتها .

وصرح الحصكفي بأنه لا يكره إجلاس القارئ عند القبر، قال : وهو المختار . وذهب المالكية : إلى كراهة القراءة على القبر، لأنه ليس من عمل السلف، قال الدردير : المتأخرون على أنه لا بأس بقراءة القرآن والذكر وجعل ثوابه للميت ويحصل له الأجر إن شاء الله . لكن رجح الدسوقي الكراهة مطلقاً " .^{٥٠٠}

وفي فتاوى الشبكة الإسلامية :

" وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن، قال عبد الحق يروى أن عبد الله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة، وقال: ويدل على هذا أيضاً ما جرى عليه عمل الناس قديماً، وإلى الآن من تلقين الميت في قبره ولولا أنه يسمع

^{٥٠٠} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣٢ / ٢٥٦) وحاشية ابن عابدين على الدر المختار ١ / ٦٠٥، ٦٠٧، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١ / ٤٢٣، والقليوبي وعميرة على شرح المحلى ١ / ٣٥١، وكشاف القناع ٢ / ١٤٧ .

ذلك ويتنفع به لم يكن فيه فائدة، وكان عبثاً. وقد سئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فاستحسنه واحتجَّ عليه بالعمل.^{٥٠١}

وقال القرافي: "وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ عَلَى الْقَبْرِ فَقَدْ نَصَّ ابْنُ رُشْدٍ فِي الْأَجَوِبَةِ وَابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَالْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذَكُّرَةِ عَلَى أَنَّ الْمَيِّتَ يَنْتَفِعُ بِالْقِرَاءَةِ قُرِئَتْ عَلَى الْقَبْرِ أَوْ فِي الْبَيْتِ أَوْ فِي بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ وَوُهِبَ الثَّوَابُ أَهْلَ مَحَلِّ الْحَاجَةِ مِنْهُ .
وَقَالَ ابْنُ الشَّاطِطِ وَمَا قَالَهُ فِي هَذَا الْفَرْقِ صَحِيحٌ نَعَمْ قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ فِي الْمَدْخَلِ مَنْ أَرَادَ وَصُولَ قِرَاءَتِهِ بِلَا خِلَافٍ فَلْيَجْعَلْ ذَلِكَ دُعَاءً بِأَنْ يَقُولَ :اللَّهُمَّ أَوْصِلْ ثَوَابَ مَا أَقْرَأُ إِلَى فُلَانٍ أَهْلَ كَمَا فِي حَاشِيَةِ الرَّهْونِيِّ وَكُنُونِ..^{٥٠٢}

قلتُ : فثبت بهذه الأدلة والأقوال الناصعة أن الراجح الجواز وليس العكس، كما قال الشيخ ناصر رحمه الله ومن وافقه من المعاصرين !!^{٥٠٣}

^{٥٠١} - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٤ / ٤٧٣١) - رقم الفتوى ٢٤٧٣٨ مدى معرفة الأموات بزازيهم وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (١٠ / ١١٦٣) - رقم الفتوى ٧١٣٤٤ ما يكتب في الوصية
^{٥٠٢} - أنوار البروق في أنواع الفروق - (٦ / ١٠٥) والفروق مع هوامشه - (٣ / ٣٤٥) وتهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية - (٣ / ٣٤٣)
^{٥٠٣} - انظر الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ٣٢ / ص ٢٥٥) وحاشية ابن عابدين على الدر المختار ١ / ٦٠٥ ، ٦٠٧ ، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١ / ٤٢٣ ، والقلوبي وعميرة على شرح الحلبي ١ / ٣٥١ ، وكشاف القناع ٢ / ١٤٧ وفتاوى الشبكة الإسلامية (ج ٤ / ص ٤٧٣٤) وانظر الفتوى رقم: ٢٤٠١٩ ، والفتوى رقم: ١٥٢٨١ ، والفتوى رقم: ٨٢٦٨ . وتهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية - (ج ٣ / ص ٣٤٣) وأنوار البروق في أنواع الفروق - (ج ٦ / ص ١٠٥)
وانظر للتفاصيل كتابي (الدفاع عن كتاب رياض الصالحين) باب تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة إلى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حتى يُتيقن موته ٢٣ - (٩٤٤)

المبحث الثامن والعشرون

ضمة القبر

عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنَّ لِلْقَبْرِ ضِعْطَةً وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا مِنْهَا

سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ » أخرجه أحمد ٥٠٤

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى قدر ضمة القبر على كل ميت، ولو كان أحد ناجياً منها لفضلته عند ربه وقربه منه لكان سعد بن معاذ رضي الله عنه من الناجين من ذلك. وقال النبي ﷺ هذا القول عند موت سعد رضي الله عنه لمكانته في الإسلام، ولبلائه في سبيل الله ونصرة رسول الله ﷺ، بل قال ﷺ فيه أيضاً "اهتز العرش لموت سعد بن معاذ" رواه البخاري و مسلم وغيرهما عن جابر رضي الله عنه. وهناك أحاديث كثيرة في فضل هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه وأرضاه

وقال الإمام الذهبي رحمه الله : " قُلْتُ: هَذِهِ الضَّمَّةُ لَيْسَتْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي شَيْءٍ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ يَجِدُّهُ الْمُؤْمِنُ، كَمَا يَجِدُّ أَلَمَ فَقْدِ وَلَدِهِ وَحَمِيمِهِ فِي الدُّنْيَا، وَكَمَا يَجِدُّ مِنْ أَلَمِ مَرَضِهِ، وَأَلَمِ خُرُوجِ نَفْسِهِ، وَأَلَمِ سُؤَالِهِ فِي قَبْرِهِ وَامْتِحَانِهِ، وَأَلَمِ تَأْثُرِهِ بِكُفَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَأَلَمِ قِيَامِهِ مِنْ قَبْرِهِ، وَأَلَمِ الْمَوْقِفِ وَهَوْلِهِ، وَأَلَمِ الْوُرُودِ عَلَى النَّارِ، وَتَحْوِرِ ذَلِكَ، فَهَذِهِ الْأَرَاغِيفُ كُلُّهَا قَدْ تَنَالُ الْعَبْدَ، وَمَا هِيَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَلَا مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ قَطُّ، وَلَكِنَّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ يَرْفُقُ اللَّهُ بِهِ فِي بَعْضِ ذَلِكَ أَوْ كُلِّهِ، وَلَا رَاحَةَ لِلْمُؤْمِنِ دُونَ لِقَاءِ رَبِّهِ. قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى: { وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ }، وَقَالَ: { وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ، إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ }.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ - تَعَالَى - الْعَفْوَ وَاللَّطْفَ الْخَفِيِّ، وَمَعَ هَذِهِ الْمَزَاتِ، فَسَعْدُ مِمَّنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَرْفَعِ الشُّهَدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

٥٠٤ - ٥٥/٦ (٢٥٤٠٠ و ٢٥٠١٥) والمجمع ٤٦/٣ (٤٢٥٥) وهب (٤٢٥) الصحيحة (١٦٩٥) وله شاهد عن جابر عند أحمد ٣٦٠/٣ و ٣٧٧ وعن ابن عباس عبد ابن سعد ٣٠/٣ وهو حديث صحيح مشهور.

كَأَنَّكَ يَا هَذَا تَظُنُّ أَنَّ الْفَائِزَ لَا يَنَالُهُ هَوْلٌ فِي الدَّارَيْنِ، وَلَا رَوْعٌ، وَلَا أَلَمٌ، وَلَا خَوْفٌ،
سَلَّ رَبُّكَ الْعَافِيَةَ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ سَعْدٍ. ٥٠٥

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ : « هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ
الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةٌ ثُمَّ فُرِّجَ
عَنْهُ ». أخرجه النسائي ٥٠٦

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السَّعْدِيُّ : لَا يَنْجُو مِنْ ضَعْفَةِ الْقَبْرِ صَالِحٌ وَلَا طَالِحٌ، غَيْرَ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ
الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ فِيهَا دَوَامُ الضَّعْفِ لِلْكَافِرِ وَحُصُولُ هَذِهِ الْحَالَةِ لِلْمُؤْمِنِ فِي أَوَّلِ نُزُولِهِ إِلَى
قَبْرِهِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْإِنْفِسَاحِ لَهُ، قَالَ: وَالْمُرَادُ بِضَعْفِ الْقَبْرِ التَّقَاعُ جَانِبَيْهِ عَلَى جَسَدِ الْمَيِّتِ.
وَقَالَ النَّسَفِيُّ فِي بَحْرِ الْكَلَامِ : الْمُؤْمِنُ الْمُطِيعُ لَا يَكُونُ لَهُ عَذَابُ الْقَبْرِ وَيَكُونُ لَهُ ضَعْفَةُ
الْقَبْرِ فَيَجِدُ هَوْلَ ذَلِكَ وَخَوْفَهُ لِمَا أَنَّهُ تَنَعَّمَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَلَمْ يَشْكُرِ النِّعْمَةَ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي
الدُّنْيَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّيْمِيِّ قَالَ : كَانَ يُقَالُ: إِنَّ ضَمَّةَ الْقَبْرِ إِنَّمَا أَصْلَهَا أَنَّهَا أُمُّهُمْ وَمِنْهَا
خُلِقُوا فَغَابُوا عَنْهَا الْعِيبَةُ الطَّوِيلَةُ، فَلَمَّا رُدُّوا إِلَيْهَا أَوْلَادُهَا ضَمَّتْهُمْ ضَمَّةُ الْوَالِدَةِ غَابَ عَنْهَا
وَلَدُهَا ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهَا ، فَمَنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعًا ضَمَّتْهُ بِرَأْفَةٍ وَرَفَقٍ ، وَمَنْ كَانَ عَاصِيًا ضَمَّتْهُ
بِعُنفٍ سَخَطًا مِنْهَا عَلَيْهِ لِرَبِّهَا ٥٠٧ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، أَنَّ صَبِيًّا دُفِنَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَوْ أَفْلَتَ
أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَأَفْلَتَ هَذَا الصَّبِيُّ. ٥٠٨ رواه الطبراني
وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : مَاتَ صَبِيٌّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَوْ أَفْلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ
الْقَبْرِ أَفْلَتَ هَذَا الصَّبِيُّ " ٥٠٩

٥٠٥ - سير أعلام النبلاء (٢٩٠/١)

٥٠٦ - نص ١٠٠/٤ و ١٠١ (٢٠٦٧) ون (٢١٩٣) وطب (٥١٩٥) وطس (١٧٧٤) وابن سعد ٤٣٠/٣ والبيهقي
في عذاب القبر (١٢٢) وهو حديث صحيح.

٥٠٧ - شرح سنن النسائي - (ج ٣ / ص ٢٩٢)

٥٠٨ - برقم (٣٧٦٥) والمجمع ٤٧/٣ (٤٢٥٩) والسنة لعبد الله عن أنس (١٣١٠) والصحيحة (٢١٦٤) و

الإتحاف ٩/٢٢٥ و ٤٢٣/١٠ وهو حديث صحيح

٥٠٩ - السنة لعبد الله بن أحمد (١٣١٠) صحيح

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى عَلَى صَبِيٍّ أَوْ صَبِيَّةٍ فَقَالَ : " لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَنَجَا هَذَا الصَّبِيُّ " ٥١٠

وَعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : خَرَجْتُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو أَثَرَ النَّاسِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ وَتَيْدَ الْأَرْضِ يَعْنِي حَسَّ الْأَرْضِ فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَجَلَسْتُ إِلَى الْأَرْضِ وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو يَحْمِلُ مِحْنَتَهُ ، وَعَلَى سَعْدِ دِرْعٌ قَدْ خَرَجَ أَطْرَافُهُ مِنْهَا قَالَتْ : وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ . قَالَتْ : فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِهِ قَالَتْ : فَمَرَّ بِي وَهُوَ يَرْتَجِرُ وَيَقُولُ :

لَبِثْتُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قَالَتْ : فَلَمَّا جَاوَزَنِي افْتَحَمْتُ حَدِيقَةً فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَفِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ لَجَرِيئَةٌ أَمَا تَخَافِينَ أَنْ يُدْرِكَكَ بَلَاءٌ ؟ قَالَتْ : فَمَا زَالَ يُلُومُنِي حَتَّى وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ لَتَنْشَقُّ فَأَدْخُلُ فِيهَا فَكَشَفَ الرَّجُلُ السَّبْعَةَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ فَقَالَ : إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ أَيْنَ الْفِرَارُ ؟ وَأَيْنَ وَإَيْنَ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ، قَالَتْ : فَرُمِي سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ يَوْمَئِذٍ رَمَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْعَرِيقَةِ فَقَالَ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِيقَةِ ، فَقَالَ سَعْدُ : عَرَّقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ فَقُطِعَ أَكْحَلُهُ يَوْمَئِذٍ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو : وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَا يُقْطَعُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَنْ يَزَالَ يَنْبِضُ دَمًا حَتَّى يَمُوتَ ، قَالَ : وَجَعَلَ سَعْدُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تُمِيتْنِي حَتَّى تَقْرَ عَيْنِي مِنْ بَنِي فَرِيظَةَ وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانُوا ظَاهِرُوا الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا الْآيَةَ فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضْرَبَ قُبَّةً عَلَى سَعْدٍ فِي الْمَسْجِدِ فَوَضَعَ الْمُسْلِمُونَ السَّلَاحَ وَوَضَعَ سِلَاحَهُ فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ وَضَعْتَ سِلَاحَكَ وَلَمْ تَضَعْ الْمَلَائِكَةُ أَسْلِحَتَهُمْ بَعْدُ اخْرُجْ فَقَاتِلْهُمْ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلَأَمَتِهِ يَعْنِي الدِّرْعَ فَلَيْسَهَا ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فَمَرَّ بَيْنِي غَنَمٍ فَقَالَ : مَنْ مَرَّ بِكُمْ ؟ فَقَالُوا : دَحِيَّةُ الْكَلْبِيِّ وَكَانَ وَجْهُهُ يُشَبِّهُ وَجْهَ جَبْرِيلَ وَلِحْيَتُهُ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِمْ وَسَعْدُ فِي الْقُبَّةِ الَّتِي ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَاصَرُوهُمْ شَهْرًا أَوْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحِصَارُ فَقِيلَ لَهُمْ : انْزِلُوا عَلَى

٥١٠ - السُّنَّةُ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ (١٣١١) صَحِيحٌ

حُكِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَشَارَ أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ إِلَى حَلْقِهِ أَنَّهُ الذَّبْحُ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَزَّلَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ : فَأَنْزَلُوا فَنَزَلُوا فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأُتِيَ بِحِمَارٍ بِكَافٍ مِنْ لَيْفٍ فَحُمِلَ عَلَيْهِ قَالَتْ عَائِشَةُ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ بَرَأَ كَلِمُهُ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا مِثْلُ أَثَرِ الشَّيْءِ الْيَسِيرِ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : فَلَمَّا طَلَعَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أَوْ إِلَى خَيْرِكُمْ فَأَنْزَلُوهُ " ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " احْكُمْ فِيهِمْ " قَالَ : إِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ ، وَتُسَبَى ذُرَارِيُّهُمْ ، وَأَنْ تُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ " قَالَ : فَقَالَ سَعْدٌ وَهُوَ يَدْعُو : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَوْمٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَقَاتِلَ أَوْ أَجَاهِدَ مِنْ قَوْمٍ كَذَبُوا رُسُلَكَ فَإِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبٍ قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِكَ شَيْئًا فَأَبْقَيْتَنِي فِيهِمْ ، وَإِنْ كُنْتُ قَطَعْتَ الْحَرْبَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَأَقْبَضْنِي إِلَيْكَ فَانْفَجَرَ كَلِمُهُ فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْقُبَّةِ الَّتِي ضَرَبَ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ قَالَتْ عَائِشَةُ : فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَإِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ بُكَاءِ عُمَرَ وَإِنِّي لَفِي حُجْرَتِي فَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ قَالَ عَلَقَمَةُ : كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ ؟ قَالَتْ : كَانَتْ عَيْنَاهُ لَا تَدْمَعَانِ عَلَى أَحَدٍ وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا وَحَدَ فَإِنَّمَا هُوَ تَعْنِي الْجَزَعُ ، قَالَ : فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَمْسَى قَالَ : أَتَانِي جَبْرِيلُ أَوْ قَالَ : مَلَكٌ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ الْيَوْمَ فَقَدْ اسْتَبْشَرَ بِمَوْتِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ فَقَالَ : لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَدْ أَمْسَى دَنَفًا مَا فَعَلَ سَعْدٌ ؟ فَقَالُوا : قَبِضَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ فَاحْتَمَلُوهُ إِلَى دَارِهِمْ ، قَالَتْ : فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ فَخَرَجَ وَخَرَجَ النَّاسُ فَبَتَّ مَشْيًا حَتَّى إِنَّهُ لَيَنْقَطِعُ شُسُوعُ نِعَالِهِمْ وَسَقَطَتْ أَرْدِيَّتُهُمْ مِنْ عَوَاتِقِهِمْ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَتَّ فِي الْمَشْيِ فَقَالَ : " أَخْشَى أَنْ تَسْبِقَنَا الْمَلَائِكَةُ كَمَا سَبَقْتَنَا إِلَى حَنْظَلَةَ " فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ يُعَسِّلُ قَالَ : فَحَدَّثَ الْأَشْعَثُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُكْبَتَيْهِ يَوْمَئِذٍ فَدَخَلَ مَلَكٌ فَلَمْ يَجِدْ مَجْلِسًا فَأَوْسَعَتْ لَهُ ، وَأُمُّهُ تَبْكِيهِ وَهِيَ تَقُولُ : وَيْحَ أُمِّ سَعْدٍ ، سَعْدٌ بَرَاعَةٌ وَجَدًّا بَعْدَ أَيَادٍ لَهُ وَمَجْدًا مُقَدَّمًا سَدَّ بِهِ مَسَدًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " كُلُّ الْبَوَاكِي تَكْذِبُ إِلَّا أُمُّ سَعْدٍ " فَقَالَ قَاتِلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ : مَا رَأَيْنَا كَالْيَوْمِ مَا

حَمَلْنَا نَعْشًا أَحَفَّ مِنْهُ قَطُّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ شَهِدُوا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مَا وَطِئُوا الْأَرْضَ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، قَالَ : فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شَرْحِبِيلٍ ، قَالَ : اقْتَبَضَ يَوْمَئِذٍ إِنْسَانٌ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ فَفَتَحَهَا فَإِذَا هِيَ مِسْكٌ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " سُبْحَانَ اللَّهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ " حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَلَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ " ٥١١

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ مُنْذُ يَوْمٍ حَدَّثْتَنِي بِصَوْتٍ مُنْكَرٍ وَتَكْبِيرٍ وَضَعْتَ الْقَبْرَ لَيْسَ يَنْفَعُنِي شَيْءٌ قَالَ : " يَا عَائِشَةُ إِنَّ أَصْوَاتَ مُنْكَرٍ وَتَكْبِيرٍ فِي أَسْمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ كَالْإِثْمِدِ فِي الْعَيْنِ وَإِنْ ضَعَطْتَ الْقَبْرَ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَاللُّأَمِّ الشَّقِيقَةِ يَشْكُو إِلَيْهَا ابْنُهَا الصُّدَاعُ ؛ فَتَعْمَزُ رَأْسَهُ غَمَزًا رَفِيقًا ، وَلَكِنْ يَا عَائِشَةُ وَيْلٌ لِلشَّاكِينَ فِي اللَّهِ ، كَيْفَ يُضَعَطُونَ فِي قُبُورِهِمْ كَضَعَطَةِ الْبَيْضَةِ عَلَى الصَّخْرَةِ " ٥١٢

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ أُمُّ عَلِيٍّ خَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَهُ وَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ وَاضْطَجَعَ فِي قَبْرِهَا فَلَمَّا سَوَّى عَلَيْهَا التُّرَابَ ، قَالَ بَعْضُهُمْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَكَ صَنَعْتَ شَيْئًا لَمْ تَصْنَعْهُ بِأَحَدٍ ، قَالَ : " إِنِّي أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي لِتَلْبِسَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ وَاضْطَجَعْتُ مَعَهَا فِي قَبْرِهَا لِأُخَفِّفَ عَنْهَا مِنْ ضَعَطَةِ الْقَبْرِ ، إِنَّهَا كَانَتْ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ صَنِيعًا إِلَيَّ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ " ٥١٣

قال المناوي: قال الحكيم: إنما لم يفلت منها أحد لأن المؤمن أشرق نور الإيمان بصدوره لكنه باشر الشهوات وهي من الأرض والأرض مطبوعة وخلق الآدمي وأخذ عليه الميثاق في العبودية فيما نقض من وفائها صارت الأرض عليه واجدة فإذا وجدته بطنها ضمته فتدركه الرحمة وعلى قدر مجيئها يخلص فإن كان محسنًا فإن رحمة الله قريب من المحسنين وقيل هي ضمة اشتياق لا ضمة سخط وظاهر الحديث أن الضمة لا ينجو منها أحد لكن

٥١١ - مُسْنَدُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ (٩٩٩-١٠٠٠) حسن

٥١٢ - إِبْطَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٩٨) ضعيف

٥١٣ - مَعْرِفَةُ الصَّحَابَةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٢٧٢) وَتَارِيخُ الْمَدِينَةِ لِابْنِ شَيْبَةَ (٣٤٠) حسن لغيره

استثنى الحكيم الأنبياء والأولياء فمال إلى أنهم لا يضمنون ولا يسألون وأقول استثناءه
الأنبياء ظاهر وأما الأولياء فلا يكاد يصح ألا ترى إلى جلالة مقام سعد بن معاذ وقد
ضم. ٥١٤

٥١٤ - فيض القدير - (ج ١١ / ص ٤٤٧) (٧٤٢٦)

المبحث التاسع والعشرون

مخاطبة القبر للميت

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصَلَّاهُ ، فَرَأَى نَاسًا كَانَتْهُمْ يَكْتَشِرُونَ ، قَالَ :
أَمَّا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى ، فَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ
، الْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى الْقَبْرِ يَوْمٌ إِلَّا تَكَلَّمَ فِيهِ ، فَيَقُولُ : أَنَا بَيْتُ الْعُرْبَةِ ، وَأَنَا بَيْتُ
الْوَحْدَةِ ، وَأَنَا بَيْتُ الثَّرَابِ ، وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ ، فَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ ، قَالَ لَهُ الْقَبْرُ :
مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، أَمَا إِنْ كُنْتَ لِأَحَبِّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَإِذَا وَلَّيْتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ
إِلَيَّ ، فَسَتَرَى صَنِيعِي بِكَ ، قَالَ : فَيَتَسَّعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِذَا
دُفِنَ الْعَبْدُ الْفَاجِرُ ، أَوِ الْكَافِرُ ، قَالَ لَهُ الْقَبْرُ : لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا ، أَمَا إِنْ كُنْتَ لِأَبْعَضِ
مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَإِذَا وَلَّيْتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ ، فَسَتَرَى صَنِيعِي بِكَ ، قَالَ :
فَيَلْتَمِسُ عَلَيْهِ حَتَّى تَلْتَقِيَ عَلَيْهِ ، وَتَحْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصَابِعِهِ ،
فَادْخَلَ بَعْضُهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ ، قَالَ : وَيُقَيِّضُ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ تَنِيْنًا ، لَوْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْهَا
نَفَخَ فِي الْأَرْضِ ، مَا أَثْبَتَتْ شَيْئًا مَا بَقِيَ الدُّنْيَا ، فَيَنْهَشُنَّهُ وَيَخْدِشُنَّهُ ، حَتَّى يُفَضَّيَ بِهِ إِلَى
الْحِسَابِ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ
حُفْرِ النَّارِ . أخرجه الترمذي ٥١٥

وفي فيض القدير (١٥٩٨) (أما إنكم) قال ابن مالك في شرح الكافية: يجوز كسر إن بعد
أما مقصوداً بها معنى ألا الاستفتاحية وإن قصد بها معنى حقاً فتحت انتهى والمعنى أيها
الناس الذين جلستم عند مصلانا تكشرون أي تضحكون (لو أكثرتم ذكر هازم اللذات
لشغلكم عما أرى) من الكشر وهو ظهور الأسنان للضحك (الموت) بجره عطف بيان
ورفعه خبر مبتدأ محذوف ونصبه بتقدير أعني (فأكثرُوا ذكر هازم اللذات) الموت (فإنه لم

٥١٥ - برقم (٢٦٤٨) وهب (٤٣٠) و(٨٤٠) والمقاصد (١٤٧) و العلل (١٨٨٣) والتلخيص الحبير ١٠١/٢ والديلمي
(٢١٣) والحاكم ٣٢١/٤ والترغيب ٢٣٧/٤ وجامع الأصول برقم (٨٦٩٦) وفي سنده ضعف ولكن له شواهد تحسنه
انظر الترغيب ٢٣٨/٤ والجمع ٤٦/٣ والحلية ٩٠/٦ والإتحاف ٣٩٧/١٠ والتذكرة ١١٨-١١٩

يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه) أي حقيقة والذي خلق الكلام في لسان الإنسان قادر على أن يخلقه في الجماد ولا يلوم من ذلك سماعنا له ويحتمل أن المراد أن يقول ذلك بلسان الحال (فيقول أنا بيت الغربية) فالذي يسكنني غريب (وأنا بيت الوحدة) فمن حل بي وحيد (وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود) فمن سكنني أكله التراب والدود، ومن ثم قال حكيم: اجعل قبرك خزانة لك احشها من كل عمل صالح ما أمكنك ليؤنسك (فيذا دفن العبد المؤمن) أي المطيع لله تعالى كما يدل عليه ذكره الفاجر والكافر في مقابلته (قال له القبر مرحباً وأهلاً) أي لقيت رحباً وأهلاً (أما) بالتخفيف (إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إلى) لما أنك مطيع لربي وربك (فيذا وليتك اليوم وصرت إليّ) أي انتقلت من الدنيا إليّ. قال في المصباح: صار زيد غنياً انتقل إلى حالة الغنى بعد أن لم يكن عليها وصار العصور خمرًا كذلك وصار الأمر إلى كذا رجع إليه (فسترى صنيعة بك) فإني محسنه جداً وقضية السين أن الاتساع وما بعده مما يأتي يتأخر عن الإقبار (فيتسع مد بصره) أي بقدر ما يمتد إليه بصره (ويفتح له باب إلى الجنة) يعني تفتحه له الملائكة بإذن الله أو ينفتح بنفسه بأمر الله (وإذا دفن العبد الفاجر) أي المؤمن الفاسق (أو الكافر) بأي كفر كان (قال له القبر) بلسان الحال أو الحال على ما سبق (لا مرحباً ولا أهلاً) بك (أما) بالتخفيف (إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إليّ) لما أنك عاص لربي وربك (فيذا وليتك اليوم وصرت إليّ فسترى صنيعة بك فيلتئم عليه) أي ينضم (حتى يلتقي عليه) بشدة وعنف (وتختلف أضلاعه) من شدة الضغط وقضية هذا الحديث أن الضم مخصوص بالكافر والفاسق وأن المؤمن المطيع لا ينضم عليه وصريح ما ذكر في قصة سعد بن معاذ وقوله لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد خلافه ويمكن الجواب بأن المؤمن الكامل ينضم عليه ثم ينفرج عنه سريعاً والمؤمن العاصي يطول ضمه ثم يتراخي عنه بعد وأن الكافر يدوم ضمه أو يكاد أن يدوم وبذلك يحصل التوفيق بين الحديثين ويزول التعارض من البين فتدبره فإني لم أره (ويفيض له سبعون تيناً) أي ثعباناً (لو أن واحداً منها نفخ في الأرض) أي على ظهرها بين الناس (ما أنبت شيئاً) من النبات (ما بقيت الدنيا) أي مدة بقائها (فينهشهنه) بشين معجمة وقد تحمل والنهش القبض على اللحم ونثره (ويخدشهنه) أي

يخرجه قال في الصباح خدشته خدشاً جرحته في ظاهر الجلد (حتى يفضي به إلى الحساب) أي حتى يصل إلى يوم القيامة والإفضاء الوصول. قال في الصباح: أفضيت إلى الشيء وصلت إليه (إنما القبر روضة من رياض الجنة) حقيقة لما يتحف المؤمن به من الريحان وأزهار الجنان أو مجازاً عن خفة السؤال على المؤمن وأمنه وراحته وسعته كما يقال فلان في الجنة إذا كان عيشه رغداً (أو حفرة من حفر النار) حقيقة أو مجازاً على ما تقرر فيما قبله والقبر واحد القبور. قال في المختار: وهو مما أكرم به بنو آدم وقال الزمخشري: تقول نقلوا من القصور إلى القبور ومن المناير إلى المقابر والحفرة قال في الصحاح بالضم واحدة الحفر. وقال الزمخشري: حفر النهر بالحفار واحتفره ودلوه في الحفرة والحفيرة وهو القبر <تنبيه> ظاهر هذا الخبر أن عذاب القبر غير منقطع وفي كثير من الأخبار والآثار ما يدل على انقطاعه والظاهر اختلافه باختلاف الأشخاص.

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ شَيَّعَ جَنَازَةً ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا تَأَخَّرَ عُمَرُ وَأَصْحَابُهُ نَاحِيَةً عَنِ الْجَنَازَةِ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، جَنَازَةُ أَنْتَ وَلَيْهَا تَأَخَّرْتَ عَنْهَا فَتَرَكْتَهَا وَتَرَكْتَنَا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، نَادَانِي الْقَبْرُ مِنْ خَلْفِي ، يَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَلَا تَسْأَلُنِي مَا صَنَعْتُ بِالْأَحْيَةِ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : حَرَقْتُ الْأَكْفَانَ ، وَمَزَقْتُ الْأَبْدَانَ ، وَمَصَصْتُ الدَّمَ ، وَأَكَلْتُ اللَّحْمَ ، أَلَا تَسْأَلُنِي مَا صَنَعْتُ بِالْأَوْصَالِ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : نَزَعْتُ الْكَفَيْنِ مِنَ الذَّرَاعَيْنِ ، وَالذَّرَاعَيْنِ مِنَ الْعِضْدَيْنِ ، وَالْعِضْدَيْنِ مِنَ الْكَتِفَيْنِ ، وَالْوَرَكَيْنِ مِنَ الْفَخَذَيْنِ ، وَالْفَخَذَيْنِ مِنَ الرُّكْبَتَيْنِ ، وَالرُّكْبَتَيْنِ مِنَ السَّاقَيْنِ ، وَالسَّاقَيْنِ مِنَ الْقَدَمَيْنِ ، ثُمَّ بَكَى عُمَرُ ، فَقَالَ : أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا بَقَاؤُهَا قَلِيلٌ ، وَعَزِيْزُهَا ذَلِيلٌ ، وَغَنِيْهَا فَقِيرٌ ، وَشَبَابُهَا يَهْرُمُ ، وَحَيُّهَا يَمُوتُ ، فَلَا يُعْرِتُكُمْ إِقْبَالُهَا مَعَ مَعْرِفَتِكُمْ بِسُرْعَةِ إِذْبَارِهَا ، وَالْمَعْرُورُ مَنْ اغْتَرَبَ بِهَا ، أَيْنَ سُكَّانُهَا الَّذِينَ بَنَوْا مَدَائِنَهَا ، وَشَقَّ قُورُهَا ، وَغَرَسُوا أَشْجَارَهَا ، وَأَقَامُوا فِيهَا أَيَّامًا يَسِيرَةً ، غَرَّتْهُمْ بِصِحَّتِهِمْ ، وَغَرُّوا بِنَشَاطِهِمْ ، فَارْكَبُوا الْمَعَاصِيَ ، إِنَّهُمْ كَانُوا وَاللَّهِ فِي الدُّنْيَا مَعْبُوطِينَ بِالْأَمْوَالِ عَلَى كَثْرَةِ الْمَنْعِ عَلَيْهِ ، مَحْسُودِينَ عَلَى جَمْعِهِ ، مَا صَنَعَ التُّرَابُ بِأَبْدَانِهِمْ ، وَالرَّمْلُ بِأَجْسَادِهِمْ ، وَالذِّيدَانُ بِعِظَامِهِمْ وَأَوْصَالِهِمْ ، كَانُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى أَسْرَةٍ مُمَهَّدَةٍ ، وَفُرْشٍ مُنْضَدَةٍ ، بَيْنَ خَدَمٍ

يَخْدُمُونَ ، وَأَهْلٍ يُكْرِمُونَ ، وَجِيرَانٍ يَعْضُدُونَ ، فَإِذَا مَرَرْتَ فَنَادِهِمْ إِنْ كُنْتَ مُنَادِيًا ،
وَادْعُهُمْ إِنْ كُنْتَ لَابِدًا دَاعِيًا ، وَمُرَّ بِعَسْكَرِهِمْ ، وَانْظُرْ إِلَى تَقَارُبِ مَنَازِلِهِمُ الَّتِي كَانَ بِهَا
عَيْشُهُمْ ، وَسَلِّ غَنِيَّهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ غِنَاهُ ، وَسَلِّ فَقِيرَهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ فَقْرِهِ ، وَسَلِّ لَهُمْ عَنِ
الْأَلْسُنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَتَكَلَّمُونَ ، وَعَنِ الْأَعْيُنِ الَّتِي كَانَتْ إِلَى اللَّذَاتِ بِهَا يَنْظُرُونَ ،
وَسَلِّ لَهُمْ عَنِ الْجُلُودِ الرَّقِيقَةِ ، وَالْوُجُوهِ الْحَسَنَةِ ، وَالْأَجْسَادِ النَّاعِمَةِ ، مَا صَنَعَ بِهَا الدِّيدَانُ ،
مَحَتِ اللَّوَانَ ، وَأَكَلَتِ اللَّحْمَانَ ، وَعَفَرَتِ الْوُجُوهُ ، وَمَحَتِ الْمَحَاسِنَ ، وَكَسَرَتِ
الْفَقَارَ ، وَأَبَاتَتِ الْأَعْضَاءَ ، وَمَزَقَتِ الْأَشْلَاءَ ، وَأَيَّنَ حِجَالَهُمْ وَقِبَابَهُمْ ، وَأَيَّنَ خَدْمَهُمْ
وَعَبِيدَهُمْ ، وَجَمَعَهُمْ وَمَكْنُوزَهُمْ ، وَاللَّهُ مَا زَوَّدُوهُمْ فِرَاشًا ، وَلَا وَضَعُوا هُنَاكَ مَتَكًّا ، وَلَا
غَرَسُوا لَهُمْ شَجَرًا ، وَلَا أَنْزَلُوهُمْ مِنَ اللَّحْدِ قَرَارًا ، أَلَيْسُوا فِي مَنَازِلِ الْخَلَوَاتِ وَالْفَلَوَاتِ ؟
أَلَيْسَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَيْهِمْ سَوَاءٌ ؟ أَلَيْسَ هُمْ فِي مُدْلَهَمَةٍ ظُلَمَاءَ ، قَدْ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
الْعَمَلِ ، وَفَارَقُوا الْأَحِبَّةَ ؟ فَكَمْ مِنْ نَاعِمٍ وَنَاعِمَةٍ أَصْبَحُوا وَوُجُوهُهُمْ بِأَلِيَّةٍ ، وَأَجْسَادُهُمْ مِنْ
أَعْنَافِهِمْ نَائِيَّةٌ ، وَأَوْصَالُهُمْ مُمَزَّقَةٌ ، قَدْ سَالَتِ الْحَدَقُ عَلَى الْوَحَنَاتِ ، وَامْتَلَأَتِ الْأَفْوَاهُ دَمًا
وَصَدِيدًا ، وَدَبَّتْ دَوَابُّ الْأَرْضِ فِي أَجْسَادِهِمْ ، فَفَرَّقَتِ أَعْضَاءَهُمْ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا وَاللَّهِ إِلَّا
يَسِيرًا حَتَّى عَادَتِ الْعِظَامُ رَمِيمًا ، قَدْ فَارَقُوا الْحَدَائِقَ ، فَصَارُوا بَعْدَ السَّعَةِ إِلَى الْمَضَاقِ ،
قَدْ تَزَوَّجَتْ نِسَاؤُهُمْ ، وَتَرَدَّدَتْ فِي الطُّرُقِ أَبْنَاؤُهُمْ ، وَتَوَزَّعَتِ الْقَرَابَاتُ دِيَارَهُمْ وَتُرَاتِهِمْ
، فَمِنْهُمْ وَاللَّهِ الْمُوسِعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، الْعِضُّ النَّاضِرُ فِيهِ ، الْمُتَنَعِّمُ بِلَذَّتِهِ ، يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ غَدًا
مَا الَّذِي غَرَّكَ مِنَ الدُّنْيَا ؟ هَلْ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَبْقَى أَوْ تَبْقَى لَكَ ؟ أَيْنَ دَارُكَ الْفَيْحَاءَ ، وَنَهْرُكَ
الْمُطَرَّدُ ؟ وَأَيْنَ ثَمَرُكَ النَّاضِرُ يَنْعُهُ ؟ وَأَيْنَ رِقَاقُ ثِيَابِكَ ؟ وَأَيْنَ طِيْبِكَ ؟ وَأَيْنَ بُخُورُكَ ؟
وَأَيْنَ كَسَوْتُكَ لَصِيفِكَ وَشَتَائِكَ ؟ أَمَا رَأَيْتَهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ فَمَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ وَجَلًّا ؟
وَهُوَ يَرِشَحُ عَرَقًا ، وَيَتَلَمَّظُ عَطَشًا ، يَتَقَلَّبُ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَغَمَرَاتِهِ ، جَاءَ الْأَمْرُ مِنْ
السَّمَاءِ ، وَجَاءَ غَالِبُ الْقَدَرِ وَالْقَضَاءِ ، جَاءَ مِنَ الْأَمْرِ وَالْأَجَلِ مَا لَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ ، هَيْهَاتَ
هَيْهَاتَ يَا مُعْمَضَ الْوَالِدِ وَالْأَخِ وَالْوَلَدِ ، وَغَاسِلَهُ يَا مُكَفِّنَ الْمَيِّتِ وَحَامِلَهُ ، يَا مُخْلِيَهُ فِي
الْقَبْرِ ، وَرَاجِعًا عَنْهُ ، لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ كُنْتُ عَلَى خُشُونَةِ الثَّرَى ، يَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ

خَدَّيْكَ بَدَأَ الْبَلَى ، يَا مُجَاوِرَ الْهَلَكَاتِ ، صِرْتَ فِي مَحَلَّةِ الْمَوْتَى ، لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي
يَلْقَانِي بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ عِنْدَ خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا ؟ وَمَا يَأْتِينِي بِهِ مِنْ رِسَالَةِ رَبِّي ؟ ثُمَّ تَمَثَّلَ :
تُسْرُ بِمَا يَفْنَى وَتُسْغَلُ بِالصَّبَا كَمَا غُرَّ بِاللَّدَاتِ فِي النَّوْمِ حَالُ
نَهَارِكَ يَا مَعْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمٌ
وَتَعْمَلُ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غَبَّةٌ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ
ثُمَّ انْصَرَفَ فَمَا بَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا جُمُعَةٌ^{٥١٦}

^{٥١٦} - حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ (٧٣٨٤) ضَعِيفٌ

المبحث الثلاثون

الترغيب في الدعاء للميت

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - إِذَا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ « اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ^(١) » . رواه أبو داود^{٥١٧}

أي : يسأله الملكان من ربك وما دينك وما هو دستورك ومن هو رسولك ؟
- الاستغفار عبادة قولية يصح فعلها للميت . وعقب الدفن يندب أن يقف جماعة يستغفرون للميت ، لأنه حينئذ في سؤال منكرو ونكير ، روى أبو داود بإسناده عن عثمان قال : « كان النبي ﷺ إذا دفن الرجل وقف عليه وقال : استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل » وصرح بذلك جمهور الفقهاء .

- ومن آداب زيارة القبور عند الحنفية والمالكية ، والشافعية ، الدعاء بالمغفرة لأهلها عقب التسليم عليهم ، واستحسن ذلك الحنابلة .

- وهذا كله يخص المؤمن ، أما الكافر الميت فيحرم الاستغفار له بنص القرآن والإجماع .
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ مَرُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بِجَنَازَةٍ فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ « وَجَبَتْ » . ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ « وَجَبَتْ » . ثُمَّ قَالَ « إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ شُهَدَاءُ » . رواه أبو داود^{٥١٨}

وحاصل المعنى أن ثناءهم عليه بالخير يدل على أن أفعاله كانت خيراً وجبت له الجنة ، وثناءهم عليه بالشر يدل على أفعاله كانت شراً فوجب له النار
وعند النسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « وَجَبَتْ » . ثُمَّ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ أُخْرَى فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « وَجَبَتْ » .

(١) يسأله الملكان من ربك وما دينك وما هو دستورك ومن هو رسولك ؟

^{٥١٧} - في الجنازات برقم (٣٢٢٣) والحاكم ٣٧٠/١ (١٣٧٢) وبز (٤٤٥) وشرح السنة ٤١٨/٥ وهو حديث صحيح .

^{٥١٨} - برقم (٣٢٣٥) ونص (١٩٤٥) والترمذي وأحمد ٤٩٨/٢ و ٥٢٨ (٧٧٦٣) و١٠٢٧٤ و١١١٢٣ وهو حديث صحيح .

وَجَبَتْ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْلُكَ الْأُولَى وَالْآخِرَى «وَجَبَتْ». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - «
الْمَلَائِكَةُ شُهِدَاءُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَأَنْتُمْ شُهِدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»^{٥١٩}.

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - قال: مَرُّوا بِحَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - «وَجَبَتْ» . ثُمَّ مَرُّوا بِالْآخِرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ «وَجَبَتْ» . فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضى الله عنه - مَا وَجَبَتْ قَالَ « هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهِدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » . رواه البخاري ومسلم^{٥٢٠}
وفي نيل الأوطار: قَالَ التَّوَوِيُّ: قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الثَّنَاءَ بِالْخَيْرِ لِمَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ أَهْلُ الْفَضْلِ وَكَانَ ذَلِكَ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُطَابِقٍ فَلَا ، وَكَذَا عَكْسُهُ .

قَالَ: وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ عَلَى عُمُومِهِ وَإِنْ مَاتَ فَالْهَمَّ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ بِخَيْرٍ كَانَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ سَوَاءً كَانَتْ أَعْمَالُهُ تَقْتَضِي ذَلِكَ أَمْ لَا ، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ دَاخِلَةٌ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ ، وَهَذَا الْإِلْهَامُ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى تَعْيِينِهَا وَبِهَذَا تَظْهَرُ فَائِدَةُ الثَّنَاءِ أَنْتَهَى .
قَالَ الْحَافِظُ: وَهَذَا فِي جَانِبِ الْخَيْرِ وَاضِحٌ . وَأَمَّا فِي جَانِبِ الشَّرِّ فَظَاهِرُ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ كَذَلِكَ ، لَكِنْ إِنَّمَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي حَقِّ مَنْ غَلَبَ شَرُّهُ عَلَى خَيْرِهِ ، وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَةٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ الْمُتَقَدِّمِ { إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ }^{٥٢١}.

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ جِوَارِهِ الْأَذْنِينَ إِلَّا قَالَ قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فِيهِ وَغُفِرَتْ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » . رواه أحمد^{٥٢٢}

والصحابه لا يشنون إلا على رجل صالح ظاهر الصلاح، لا على رجل فاسق !

^{٥١٩} - سنن النسائي (١٩٤٥) صحيح

^{٥٢٠} - البخاري في الجنازات باب ٨٦ (١٣٦٧) ومسلم (٩٤٩)

^{٥٢١} - نيل الأوطار - (ج ٦ / ص ١٩٦) فما بعد

^{٥٢٢} - والإحسان (٣٠٩٠) وأحمد ٤٠٨/٢ و ٢٤٢/٣ (٩٥٢٣) والفتح ح (١٢٧٩) والحاكم ٣٧٨/١ (١٣٩٨) وهب (٩٢٤٤) وهو حديث صحيح ،

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِذَا دُعِيَ لِحِجَازَةٍ سَأَلَ عَنْهَا فَإِنْ أُتِنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ قَامَ فَصَلَّى عَلَيْهَا وَإِنْ أُتِنِيَ عَلَيْهَا غَيْرُ ذَلِكَ قَالَ لَأَهْلِيهَا « شَأْنُكُمْ بِهَا ». وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهَا. ٥٢٣ رواه أحمد

رواه أحمد

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ » . رواه أبو داود والترمذي وابن حبان ٥٢٤

مساویہم». رواہ أبو داود والترمذی وابن حبان

افضوا إلى ما قدموا» أخرجه البخاري

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : سَبُّ الْأَمْوَاتِ يَجْرِي مَجْرَى الْغِيْبَةِ ، فَإِنْ كَانَ أَغْلَبُ أَحْوَالِ الْمَرْءِ الْخَيْرَ
وَقَدْ تَكُونُ مِنْهُ الْفَلْتَةُ فَلَا غَيْبَابَ لَهُ مَمْنُونٌ ، وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا مُعْلِنًا فَلَا غِيْبَةَ لَهُ ، وَكَذَلِكَ
الْمَسْتُ . ٥٢٧

٥٢٣ - برقم (٢٣٢٢٠) وك (١٣٤٨) والطيلاسي (٦٢٣) والإحسان (٣١٢٢) وهو حديث صحيح.

المبحثُ الواحد والثلاثون

عذاب القبر ونعيمه

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا ، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ ، فَقَالَتْ لَهَا أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ . فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ « نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ » . قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - بَعْدَ صَلَی صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ . رواه البخاري ٥٢٨

قال النووي رحمه الله : فيه إثبات عذاب القبر وفتنته ، وهو مذهب أهل الحق .
وفي فتح الباري لابن حجر: وأصرح منه ما رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري عن سعيد بن عمرو بن سعيد الأموي عن عائشة " أن يهودية كانت تخدمها ، فلما تصنع عائشة إليها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية : وقاك الله عذاب القبر . قالت : فقلت يا رسول الله هل للقبر عذاب ؟ قال : كذبت يهود ، لا عذاب دون يوم القيامة . ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، فخرج ذات يوم نصف النهار وهو ينادي بأعلى صوته : أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر ، فإن عذاب القبر حق " وفي هذا كله أنه ﷺ إنما علم بحكم عذاب القبر إذ هو بالمدينة في آخر الأمر كما تقدم تاريخ صلاة الكسوف في موضعه . وقد استشكل ذلك بأن الآية المتقدمة مكية وهي قوله تعالى (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) وكذلك الآية الأخرى المتقدمة وهي قوله تعالى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) والجواب أن عذاب القبر إنما يؤخذ من الأولى بطريق المفهوم من حق من لم يتصف بالإيمان ، وكذلك بالمنطوق في الأخرى في حق آل فرعون وإن التحق بهم من كان له حكمهم من الكفار ، فالذي أنكره النبي ﷺ إنما هو وقوع عذاب القبر على الموحدين ، ثم أعلم ﷺ أن ذلك قد يقع على من يشاء الله منهم

٥٢٨ - البخاري ١٢٣/٢ (١٠٤٩ و ١٠٥٥ و ١٣٧٢ و ٦٣٦٦) ومسلم (٩٠٣) ومالك (٤٥٠) ونص
٥٦/٣ (١٤٨٧) وأحمد ١٧٤/٦ (٢٥٠٠٠ و ٢٦١٦١ و ٢٦٧٦١)

فَجَزَمَ بِهِ وَحَدَّرَ مِنْهُ وَبَالَغَ فِي السَّعَادَةِ مِنْهُ تَعْلِيمًا لَأُمَّتِهِ وَإِرْشَادًا ، فَانْتَفَى التَّعَارُضُ بِحَمْدِ
 اللَّهُ تَعَالَى . وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ لَيْسَ بِخَاصٍّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ
 وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: إِنَّ الْمَوْتَى لَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، حَتَّى إِنْ الْبَهَائِمَ
 لَتَسْمَعَ أَصْوَاتَهُمْ. « رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ٥٢٩

وَفِي فَيْضِ الْقَدِيرِ: (٢١٣٢) (إِنَّ الْمَوْتَى لَيُعَذَّبُونَ) أَيُّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ مِنْهُمْ (فِي
 قُبُورِهِمْ) فِيهِ شُمُولٌ لِلْكَفَّارِ وَلِعَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ (حَتَّى إِنْ الْبَهَائِمَ) جَمْعُ بَهِيمَةٍ وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا مَا
 يَشْمَلُ الطَّيْرَ (لَتَسْمَعَ أَصْوَاتَهُمْ) وَخَصُّوا بِذَلِكَ دُونَنا لِأَنَّ لَهُمْ قُوَّةَ يَثْبُتُونَ بِهَا عِنْدَ سَمَاعِهِ
 بِخِلَافِ الْإِنْسِ وَصِيَاحِ الْمَيِّتِ بِالْقَبْرِ عَقُوبَةً مَعْرُوفَةً وَقَدْ وَقَعَتْ فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَقَدْ
 تَظَاهَرَتْ الدَّلَائِلُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ عَلَى ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَاجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَنِ وَصَحَّ
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَهُ بَلْ سَمِعَهُ آحَادٌ مِنَ النَّاسِ قَالَ الدِّمَامِينِيُّ رَجَمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ كَثُرَتْ الْأَحَادِيثُ
 فِيهِ حَتَّى قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ إِنَّهَا مُتَوَاتِرَةٌ لَا يَصِحُّ عَلَيْهَا التَّوَاتُؤُ وَإِنْ لَمْ يَصِحَّ مِثْلُهَا لَمْ يَصِحَّ
 شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَلَيْسَ فِي آيَةٍ { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى } مَا يَعَارِضُهُ
 لِأَنَّهُ أَخْبَرَ بِحَيَاةِ الشَّهَدَاءِ قَبْلَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَتْ مُرَادَةٌ بِقَوْلِهِ { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا } الْآيَةُ فَكَذَا
 حَيَاةُ الْقُبُورِ قَبْلَ الْحُشْرِ وَأَشْكَلُ مَا فِي الْقِصَّةِ أَنَّهُ إِذَا ثَبَّتَ حَيَاتَهُمْ لَزِمَ ثُبُوتُ مَوْتِهِمْ بَعْدَ هَذِهِ
 الْحَيَاةِ لِيَجْتَمَعَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي الْمَوْتِ وَيُنَافِيهِ قَوْلُهُ { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا } الْآيَةُ. وَجَوَابُهُ أَنَّ
 مَعْنَى قَوْلِهِ { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ } أَيُّ أَلَمْ الْمَوْتُ فَيَكُونُ الْمَوْتُ الَّذِي يَعْقِبُ الْحَيَاةَ
 الْآخِرِيَّةَ بَعْدَ الْمَوْتِ الْأَوَّلِ لَا يَذَاقُ أَلَمَهُ. - (طَبَّعَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ) قَالَ الْهَيْثَمِيُّ سَنَدُهُ حَسَنٌ
 وَقَالَ الْمُنْذَرِيُّ إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنْ هَانِيٍّ مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِيٍّ حَتَّى يُبْلَ لِحَيَّتِهِ فَقِيلَ لَهُ
 تُذَكِّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِنَّ الْقَبْرَ

٥٢٩ - بِرَقَم (١٠٣٠٧) الْجَمْع ٥٦/٣ (٤٢٩١) وَتَارِيخُ أَصْفَهَانَ ١/١٩٨ (٧٠٤) وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ». قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ » رواه الترمذي ٥٣٠

وفي تحفة الأحوزي : (وَتَبْكِي مِنْ هَذَا) أَيِ مِنَ الْقَبْرِ يَعْنِي مِنْ أَجْلِ خَوْفِهِ ؟ قِيلَ إِنَّمَا كَانَ يَبْكِي عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، أَمَّا الْإِحْتِمَالُ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنَ التَّبَشِيرِ بِالْجَنَّةِ عَدَمُ عَذَابِ الْقَبْرِ ، بَلْ وَلَا عَدَمُ عَذَابِ النَّارِ مُطْلَقًا مَعَ إِحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ التَّبَشِيرُ مُقَيَّدًا بِقَيْدِ مَعْلُومٍ أَوْ مُبْهَمٍ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَنْسَى الْبِشَارَةَ حِينَئِذٍ لَشِدَّةِ الْفَطَاةِ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ خَوْفًا مِنْ ضَعْفَةِ الْقَبْرِ كَمَا يَدُلُّ حَدِيثُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَخْلُصْ مِنْهُ كُلُّ سَعِيدٍ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ ذَكَرَهُ الْقَارِي

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أخرجه البخاري والمسلم ٥٣١

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَرْضُ عَلَى الرُّوحِ فَقَطْ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ مَعَ جُزْءٍ مِنَ الْبَدَنِ . قَالَ : وَالْمُرَادُ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ وَفْتَهُمَا وَإِلَّا فَالْمَوْتَى لَا صَبَاحَ عَنْدهُمْ وَلَا مَسَاءَ . قَالَ : وَهَذَا فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَاضِحٌ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ الْمُخَلَّطُ فَمُحْتَمِلٌ فِي حَقِّهِ أَيْضًا ، لِأَنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فِي الْجُمْلَةِ ، ثُمَّ هُوَ مَخْصُوصٌ بِغَيْرِ الشُّهَدَاءِ لِأَنَّهُمْ أَحْيَاءُ وَأَرْوَاحُهُمْ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ : إِنْ فَائِدَةُ الْعَرْضِ فِي حَقِّهِمْ تَبَشِيرٌ وَأَرْوَاحُهُمْ بِاسْتِقْرَارِهَا فِي الْجَنَّةِ مُقْتَرَنَةٌ بِأَجْسَادِهَا ، فَإِنَّ فِيهِ قَدْرًا زَائِدًا عَلَى مَا هِيَ فِيهِ الْآنَ

هَلِ الْمَوْتُ لِلْبَدَنِ وَالرُّوحِ أَوْ لِلْبَدَنِ وَحْدَهُ ؟

نَصَّ جُمْهُورُ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ بَعْدَ الْمَوْتِ بَاقِيَةٌ غَيْرُ فَانِيَةٍ إِمَّا فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ وَإِمَّا فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ قَالَ فِي الْإِحْيَاءِ : الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ طُرُقُ الْإِعْتِبَارِ وَتَنْطِقُ

٥٣٠ - برقم (٢٤٧٨) وأحمد/٦٣ (٤٦٣) وهـ (٤٤٠٨) وهق (٧٣١٥) وهب (٤٢٦) وإثبات عذاب القبر

(١٩٦ و ٢٧) وهو حديث حسن صحيح

٥٣١ - البخاري ١٢٤/٢ (١٣٧٩) و ٣٢٤٠ و ٦٥١٥ ومسلم (٢٨٦٦) ومالك (٥٧٠) وأحمد ١١٣/٢ (٦٠٦٨)

بِهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ أَنَّ الْمَوْتَ مَعْنَاهُ تَغْيِيرُ حَالٍ فَقَطْ وَأَنَّ الرُّوحَ بَاقِيَةٌ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْجَسَدِ
إِمَّا مُعَذِّبَةٌ وَإِمَّا مُنْعِمَةٌ . قَالَ الزُّبَيْدِيُّ : وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَفَقْهَاءِ الْحِجَازِ
وَالْعِرَاقِ وَمُتَكَلِّمِي الصِّفَاتِيَّةِ .

وَقَدْ بَيَّنَّ أَحْمَدُ بْنُ قُدَّامَةَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : وَالَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ أَنَّ الرُّوحَ تَكُونُ
بَعْدَ الْمَوْتِ بَاقِيَةً إِمَّا مُعَذِّبَةٌ أَوْ مُنْعِمَةٌ فَإِنَّ الرُّوحَ قَدْ تَنَلَّمَ بِنَفْسِهَا بِأَنْوَاعِ الْحُزَنِ وَالْعَمِّ
وَتَتَنَعَّمُ بِأَنْوَاعِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّقٍ لَهَا بِالْأَعْضَاءِ فَكُلُّ مَا هُوَ وَصْفٌ لِلرُّوحِ
بِنَفْسِهَا يَبْقَى مَعَهَا بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْجَسَدِ وَكُلُّ مَا لَهَا بِوِاسِطَةِ الْأَعْضَاءِ يَتَعَطَّلُ بِمَوْتِ الْجَسَدِ
إِلَى أَنْ تُعَادَ الرُّوحُ إِلَى الْجَسَدِ .

وَاحْتَجَّ عَلَى أَنَّ الرُّوحَ لَا تَنَعِمُ بِالْمَوْتِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } (سورة آل عمران / ١٦٩) حَيْثُ قَالَ عَلَيْهَا
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِيهِ : جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضِرَ تَرْدُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ
ثَمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ (صحيح) وَبِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْعَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ
يُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى نَعِيمِ الْأَرْوَاحِ
وَعَذَابِهَا بَعْدَ الْمُفَارَقَةِ إِلَى أَنْ يُرْجِعَهَا اللَّهُ فِي أَجْسَادِهَا وَلَوْ مَاتَتِ الْأَرْوَاحُ لَا تَنْقَطِعَ عَنْهَا
النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ .

وَقَدْ أَوْرَدَ الْإِمَامُ الْعَزَالِيُّ تَوْضِيحًا لِحَالِ الرُّوحِ وَحَيَاتِهَا بَعْدَ مَوْتِ الْبَدَنِ فَقَالَ : هَذِهِ
الرُّوحُ لَا تَفْنَى الْبَتَّةَ وَلَا تَمُوتُ بَلْ يَتَبَدَّلُ بِالْمَوْتِ حَالُهَا فَقَطْ وَيَتَبَدَّلُ مَنْزِلُهَا فَتَنْتَقِلُ مِنْ
مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ ، وَالْقَبْرِ فِي حَقِّهَا إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ ، إِذَا
لَمْ يَكُنْ لَهَا مَعَ الْبَدَنِ عِلَاقَةٌ سِوَى اسْتِعْمَالِهَا الْبَدَنَ وَاقْتِنَاصِهَا أَوَائِلَ الْمَعْرِفَةِ بِهِ بِوِاسِطَةِ
شَبَكَةِ الْحَوَاسِّ فَالْبَدَنُ أَلْتُّهَا وَمَرْكَبُهَا وَشَبَكَتُهَا وَبُطْلَانُ الْآلَةِ وَالْمَرْكَبِ وَالشَّبَكَةِ لَا
يُوجِبُ بُطْلَانُ الصَّائِدِ .

وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّ الرُّوحَ تَفْنَى وَتَمُوتُ بِمَوْتِ الْجَسَدِ لِأَنَّهَا نَفْسٌ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } . قَالَ الزُّبَيْدِيُّ : وَقَدْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ جَمَاعَةٌ مِنْ فُقَهَاءِ الْأَنْدَلُسِ قَدِيمًا مِنْهُمْ عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ وَهْبٍ بْنُ لُبَابَةَ وَمِنْ مُتَأَخِّرِيهِمْ كَالسُّهَيْلِيِّ وَابْنِ الْعَرَبِيِّ وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : "وَالصَّوَابُ أَنَّ يُقَالَ : مَوْتُ النَّفْسِ هُوَ مُفَارَقَتُهَا لِأَجْسَادِهَا وَخُرُوجُهَا مِنْهَا فَإِنْ أُريدَ بِمَوْتِهَا هَذَا الْقَدْرُ فَهِيَ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنْ أُريدَ بِأَنَّهَا تَعْدُمُ وَتُضْمَحِلُ وَتَصِيرُ عَدَمًا مُحَضًّا فَهِيَ لَا تَمُوتُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ بَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ بَعْدَ خَلْقِهَا فِي نَعِيمٍ أَوْ فِي عَذَابٍ " ٥٣٢

وعن أبي سعيد الخُدري قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « يُسَلَّطُ عَلَى الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تَنِينًا تَلْدَغُهُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ فَلَوْ أَنَّ تَنِينًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الْأَرْضِ مَا أَتَبَّتْ خَضِرًا » . رواه أحمد ٥٣٣

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي قَبْرِهِ لَفِي رَوْضَةٍ خَضِرَاءَ ، وَيُرْحَبُ لَهُ قَبْرُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَيُنَوَّرُ لَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ أَتَدْرُونَ فِيمَا أُتْرِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ ؟ " قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : " عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّهُ يُسَلَّطَ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تَنِينًا ، أَتَدْرُونَ مَا التَّنِينُ ؟ سَبْعُونَ حَيَّةً ، لِكُلِّ حَيَّةٍ سَبْعُ رُءُوسٍ يَلْسَعُونَهُ ، وَيَخْدَشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " رواه ابن حبان في صحيحه

وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : " إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا احْتَضَرَ حَضَرَهُ مَلَكَانِ يَقْبِضَانِ رُوحَهُ فِي حَرِيرَةٍ ، فَيَصْعَدَانِ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ رُوحٌ طَيِّبٌ جَاءَتْ مِنَ الْأَرْضِ ،

٥٣٢ - انظر الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ٣٩ / ص ٢٤٩) فما بعدها والروح لابن القيم ص ٥٠ ، والفتاوى الحديثة لابن حجر الهيتمي ص ١٢١ ، وإحياء علوم الدين ٤ / ٤٢١ و ٤٢٢ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٤ / ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢ / ٢٥ ، وأسنى المطالب ١ / ٢٩٧ ، وفتح الباري ٣ / ٢٣٣ ، ومغني المحتاج ١ / ٣٢٩ والأربعين في أصول الدين للغزالي ص ٢٧٦ وإتحاف السادة المتقين ١٠ / ٣٧٦-٣٧٩ والروح ص ٥٠ و مختصر منهاج القاصدين ص ٤٩٩ ، ٥٠٠ .

٥٣٣ - ٣٨/٣ (١١٦٤٢) وابن أبي شيبه ١٧٥/١٣ (٣٤١٨١) ومي (٢٨٧١) والمجمع ٥٥/٣ والإحسان (٣١٨٦) وهو حديث حسن.

فَيُصْعَدَانِ بِهِ ، فَيُقَالُ : أَبْشِرْ بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبٌّ غَيْرُ غَضْبَانَ ، ثُمَّ يُقَالُ : رُدُّوهُ إِلَى آخِرِ الْأَحْلِينَ ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا يَقْبِضَانِ رُوحَهُ فِي مِسْحٍ ، ثُمَّ يَصْعَدَانِ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَأْخُذُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَنْفِهَا وَيَقُولُونَ : رِيحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنَ الْأَرْضِ فَيَصْعَدَانِ بِهِ فَيُقَالُ : أَبْشِرْ بِعَذَابِ اللَّهِ وَهُوَ أَنَّهُ ، ثُمَّ يُقَالُ : رُدُّوهُ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ أَوْ الْأَحْلِينَ " أخرجَه البيهقي في عذاب القبر

وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ : " إِنْ الْمَيِّتَ تَحَضَّرَهُ الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا : اخْرِجِي أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ ، اخْرِجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبٌّ غَيْرُ غَضْبَانَ ، فَمَا يَزَالُ يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَيَعْرِجَ بِهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحَ لَهَا فَيُقَالُ : مَنْ هَذَا ؟ فَيُقَالُ : فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، فَيُقَالُ : مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ، ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبٌّ غَيْرُ غَضْبَانَ ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، أَظْنُوه أَرَادَ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قَالَ : وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءَ قَالُوا : اخْرِجِي أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاجٌ ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَيَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَيُقَالُ : مَنْ هَذَا ؟ فَيُقَالُ : فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، فَيُقَالُ : لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهُ لَا تُفْتَحُ لَكَ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، فَتُرْسَلُ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ تُصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ " إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي عَدَابٍ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ ٥٣٤

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - ذَكَرَ قَتَانَ الْقُبُورِ فَقَالَ عُمَرُ أَتُرَدُّ إِلَيْنَا عُقُولُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « نَعَمْ كَهَيْئَتِكُمْ الْيَوْمَ » . فَقَالَ عُمَرُ بَفِيهِ الْحَجَرُ " أخرجَه أحمد ٥٣٥

٥٣٤ - ابن حبان برقم (٣١٨٧) وأبو يعلى برقم (٦٥٠٦) وصحيح الترغيب (٣٥٥٢) وهو حديث حسن وإِثْبَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٢٢ و ٢٣) صحيح
٥٣٥ - برقم (٦٧٦٢) والمجمع (٤٢٦٢) وصحيح الترغيب (٣٥٥٣) وهو حديث حسن ، فِيهِ الْحَجَرُ أَي يُلْقَمُ الْفَتَانَ الْحَجَرُ ، كَأَنَّهُ أَفْحَم وَأَرْتَجَ عَلَيْهِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " تُبْتَلَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِي قُبُورِهَا " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ وَأَنَا امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ قَالَ : { يُبْتَلَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } (٢٧) سورة إبراهيم رواه ابن

٥٣٦

الأعرابي

يثبت الله : يدعمهم عليه فيحفظون قواهم وينطقون بالشهادتين في الحياة ثابتين على الإيمان ، عاملين بآداب الإسلام ،

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ - ﷺ - . فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ ، قَدْ أَبَدَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا » . قَالَ قَتَادَةُ وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ فِي قَبْرِهِ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ « وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ . فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ . وَيُضْرَبُ بِمِطْرَقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ ، غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ » رواه البخاري ومسلم

٥٣٧

الثقلان : هما الإنس والجن.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذَكُّرَةِ : جَاءَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ سُؤَالُ مَلَكٍ وَاحِدٍ وَفِي غَيْرِهِ سُؤَالُ مَلَكَيْنِ وَلَا تَعَارُضُ فِي ذَلِكَ بَلْ كُلُّ ذَلِكَ صَحِيحُ الْمَعْنَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَشْخَاصِ فَرُبَّ شَخْصٍ يَأْتِيَانِهِ جَمِيعًا وَيَسْأَلَانِهِ جَمِيعًا فِي حَالٍ وَاحِدٍ عِنْدَ انْصِرَافِ النَّاسِ عَنْهُ لِيَكُونَ السُّؤَالُ أَهْوَلَ وَالْفِتْنَةُ فِي حَقِّهِ أَشَدَّ وَأَعْظَمَ ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ مَا اقْتَرَفَ مِنَ الْإِثَامِ وَاجْتَرَحَ مِنْ سَيِّئِ الْأَعْمَالِ ، وَآخِرُ يَأْتِيَانِهِ قَبْلَ انْصِرَافِ النَّاسِ عَنْهُ ، وَآخِرُ يَأْتِيهِ أَحَدُهُمَا عَلَى

٥٣٦ - في معجمه (٨٢) و المجمع ٥٣/٣ وصحيح الترغيب (٣٥٥٤) وهو صحيح لغيره

٥٣٧ - البخاري ١٢٣/٢ (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) نص ٩٦/٤ و ٩٧ (٢٠٦١ و ٢٠٦٢ و ٢٠٦٣) وأبو داود (٤٧٥٤ و ٣٢٣٣)

الْإِنْفِرَادَ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَخَفَّ فِي السُّؤَالِ لِمَا عَمِلَهُ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، كَذَا فِي مَرْقَاةِ الصُّعُودِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ - دَخَلَ تَحْلاً لِبَنِي النَّجَّارِ فَسَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ فَقَالَ : « مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْقُبُورِ ». قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاسٌ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ : « تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ ». قَالُوا : وَمِمَّ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَعْبُدُ فَإِنَّ اللَّهَ هَذَا قَالَ : كُنْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ. فَيَقَالُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ فَيَقَالُ لَهُ : هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَكَ ^{٥٣٨} وَرَحِمَكَ فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ : دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي. فَيَقَالُ لَهُ : اسْكُنْ. وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوِ الْمُنَافِقُ ^{٥٣٩} إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهَرُهُ ^{٥٤٠} فَيَقُولُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَعْبُدُ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي. فَيَقَالُ لَهُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ. فَيَقَالُ لَهُ : فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ : كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ » أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَحْمَدُ ^{٥٤١}

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَتْ يَهُودِيَّةٌ فَاسْتَطَعَمَتْ عَلَى بَابِي فَقَالَتْ أَطْعِمُونِي أَعَاذَكُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ ^{٥٤٢} وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَتْ فَلَمْ أَزَلْ أَحْبِسُهَا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَقُولُ هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ قَالَ « وَمَا تَقُولُ ». قُلْتُ تَقُولُ أَعَاذَكُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَرَفَعَ يَدَيْهِ

^{٥٣٨} - أي ثبتك على الحق وأنطقك بالحكمة، اللهم ثبتنا على الحق.

^{٥٣٩} - المذبذب غير ثابت الإيمان، كثير العصيان. وهذه رواية البخاري وأحمد

^{٥٤٠} - فيزجره.

^{٥٤١} - برقم (٤٧٥٣) و النسائي (٢٠٥٩) وأحمد (١٢٦٠٥ و ١٣٧٥٣) وإثبات عذاب القبر (١٤) وهو صحيح.

^{٥٤٢} - الدجال: رجل يهودي يدعي الألوهية في آخر الزمن، ويحدث فتنة شديدة في العالم الإسلامي، فيتبعه كثير من الناس ويعصم الله المؤمنين الصادقين من رجسه، ثم يحاصر المهدي في فلسطين، وأخيراً يتزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء فيقتله هو وأتباعه في فلسطين عند مدينة اللد، وهذا من علامات الساعة الكبرى التي ورد الخير اليقين بها ... راجع جامع الأصول ٣٢٧/١٠ - ٣٦٢ وكتابي علامات الساعة الكبرى (مخطوط).

مَدًّا يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ ثُمَّ قَالَ « أَمَّا فِتْنَةُ الدَّجَالِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا قَدْ حَذَرَ أُمَّتُهُ وَسَأُحَذِرُكُمْوهُ تَحْذِيرًا لَمْ يُحَذِرْهُ نَبِيٌّ أُمَّتُهُ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَفْرُوهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ. فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فَبِئْسَ تُفْتَنُونَ وَعَنَى تُسْأَلُونَ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرْعٍ وَلَا مَشْغُوفٍ^{٥٤٣} ثُمَّ يُقَالُ لَهُ فِيمَ كُنْتَ فَيَقُولُ فِي الْإِسْلَامِ. فَيُقَالُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَصَدَّقْنَاهُ. فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا. وَيُقَالُ عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوُّءُ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَرْعًا مَشْغُوفًا فَيُقَالُ لَهُ فِيمَ كُنْتَ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي. فَيُقَالُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ فَيَقُولُ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا. فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكَ. ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيُقَالُ لَهُ هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا كُنْتَ عَلَى الشَّكِّ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ يُعَذَّبُ^{٥٤٤} ». رواه أحمد

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَتَتْهُنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ^{٥٤٥}، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَحَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ^{٥٤٦}، وَفِي يَدِهِ عَوْذٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ « اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ « إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَاقْبَالَ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ

^{٥٤٣} - المشغوف : الفزع الذي يذهب القلب.

^{٥٤٤} - ١٣٦/٦ و ١٤٠ (٢٥٨٣١) ومشكل الآثار (٤٥٢٣) والمجمع (٤٣٦٥) والسنة لعبد الله (١٣٢٢) وصحيح

الترغيب (٣٥٥٧) وإسناده صحيح.

^{٥٤٥} - أي إلى الآن لم يدفن.

^{٥٤٦} - في هدوء وسكون كأننا نطرق لصيد الطير.

مَلِكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ - قَالَ - فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّمَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبٍ تَفْحَةٍ مِسْكٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ - قَالَ - فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ - يَعْنِي بِهَا - عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيَفْتَحُ لَهُمْ فَيَشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيْنَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى - قَالَ - فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّي اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِي الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ. فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عَلِمُكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْأَسْبُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ - قَالَ - فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ - قَالَ - وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرَّيْحِ فَيَقُولُ أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوْجُهَاكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي. قَالَ وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّةَ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلِكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ - قَالَ - فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّقُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيفَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا

حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ. ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - (لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) « فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا ». ثُمَّ قَرَأَ (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) « فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَآءُ هَآءُ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هَآءُ هَآءُ لَا أَدْرِي. فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَاغْرِسُوا لَهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ » أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ ، قَالَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ : وَقَعَ وَلَمْ يَقُلْهُ أَبُو عَوَانَةَ ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَخْفِضُ بَصَرَهُ وَيَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالَهَا مَرَارًا ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي قُبُلٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَأَنْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيَا جَاءَهُ مَلَكٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ : أَخْرِجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ وَتَسِيلُ كَمَا يَسِيلُ قَطْرُ السَّقَاءِ قَالَ عَمْرُو بْنُ حَدِيثِهِ وَلَمْ يَقُلْهُ أَبُو عَوَانَةَ : وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ غَيْرَ ذَلِكَ وَتَنْزِلُ مَلَائِكَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ أَكْفَانٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِهَا فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ فَإِذَا قَبَضَهَا الْمَلَكُ لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ { تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } قَالَ : فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ كَأَطْيَبِ رِيحٍ وَجِدَتْ فَتَعْرُجُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فَلَا يَأْثُونَ عَلَى جُنْدٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ ؟ فَيَقَالُ : فُلَانٌ ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهِ إِلَى بَابِ سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُفْتَحُ لَهُ وَيُشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا

إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ { وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ } فَيَكْتُبُ كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ ثُمَّ يُقَالُ : رُدُّوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي وَعْدُهُمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى فَيَرُدُّ إِلَى الْأَرْضِ وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الْإِنْتِهَارِ فَيَنْتَهَرَانِهِ وَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ وَدِينِي الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ : فَمَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ فَيَقُولَانِ وَمَا يُدْرِيكَ ؟ فَيَقُولُ : جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّنَا فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُهُ قَالَ : وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } قَالَ : وَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَفْرِشُوهُ مِنْهَا وَأَرُوهُ مَنْزِلَهُ مِنْهَا فَيَلْبَسُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُفْرِشُ مِنْهَا وَيَرَى مَنْزِلَهُ مِنْهَا وَيُفْسَحُ لَهُ مَدًّا بِصَرِّهِ وَيُمَثِّلُ لَهُ عَمَلَهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ حَسَنِ الْوَجْهِ طَيِّبِ الرِّيحِ حَسَنِ الثِّيَابِ فَيَقُولُ : أَبَشِّرْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ ، أَبَشِّرْ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ فَيَقُولُ : بَشْرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي جَاءَ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ : هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ وَالْأَمْرُ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كُنْتَ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بَاطِنًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَيَقُولُ : يَا رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ كَيْ أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي .

قَالَ : وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَكَانَ فِي قُبُلٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَأَنْقَطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا جَاءَهُ مَلَكٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ : اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ أَبَشِّرِي بِسَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ فَتَنْزِلُ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ مُسَوِّحٌ فَإِذَا قَبِضَهَا الْمَلَكُ قَامُوا فَلَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ قَالَ : فَتَعْرِقُ فِي جَسَدِهِ فَيَسْتَخْرِجُهَا يَقْطَعُ مَعَهَا الْعُرُوقَ وَالْعَصَبَ كَالسُّقُودِ الْكَبِيرِ الشَّعْبِ فِي الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَتُؤَخَذُ مِنَ الْمَلَكِ فَتُخْرِجُ كَأَنَّ رِيحَ وَجَدَتْ فَلَا تُمَرُّ عَلَى جُنْدٍ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟ فَيَقُولُونَ : هَذَا فُلَانٌ بَأْسُوِ أَسْمَائِهِ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَلَا تُفْتَحُ لَهُ ، فَيَقُولُ : رُدُّوهُ إِلَى الْأَرْضِ إِنِّي وَعْدُهُمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ : فَيَرْمَى بِهِ مِنَ السَّمَاءِ قَالَ : فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ } الْآيَةَ قَالَ : وَيُعَادُ إِلَى

الأرض وتُعَادُ فيه رُوحُهُ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الْإِتِّهَارِ فَيَنْتَهَرَانِهِ وَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ : فَمَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ ذَاكَ قَالَ : فَيَقَالُ : لَا دَرَيْتَ فَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ وَيُمَثِّلُ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ قَبِيحِ الْوَجْهِ مُنْتَنِ الرِّيحِ قَبِيحِ الشَّيَابِ فَيَقُولُ : أَبَشِرْ بِعَذَابٍ مِنَ اللَّهِ وَسَخَطِهِ فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي جَاءَ بِالشَّرِّ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثِ وَاللَّهُ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كُنْتُ بَطِينًا عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ سَرِيعًا إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ قَالَ عَمَرُو فِي حَدِيثِهِ عَنِ الْمِنْهَالِ عَنْ زَادَانَ عَنِ الْبَرَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : فَيَقِصُّ لَهُ مَلِكٌ أَصَمٌ أَبْكَمٌ مَعَهُ مِرْزَبَةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ صَارَ تُرَابًا ، أَوْ قَالَ : رَمِيمًا ، فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا الْخَلَائِقُ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى. مسند الطيالسي ٥٤٧.

الحنوط : ما يخلط من الطيب بأكفان الموتى ، السفود : حديدة ذات شعب معقفة.
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قُبِضَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ ، فَتَقُولُ : اخْرُجِي إِلَى رُوحِ اللَّهِ ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحٍ مِسْكٍ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيُنَاولُهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَشْمُونَهُ ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ : مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي جَاءَتْ مِنَ الْأَرْضِ ؟ وَلَا يَأْتُونَ سَمَاءً إِلَّا قَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعَائِبِ بِغَائِبِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : مَا فَعَلَ فَلَانٌ ؟ فَيَقُولُونَ : دَعُوهُ حَتَّى يَسْتَرِيحَ ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : قَدْ مَاتَ ، أَمَا أَمَاتَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : ذَهَبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَأْتِيهِ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمُسْحٍ ، فَيَقُولُونَ : اخْرُجِي إِلَى

٥٤٧ - ٢٨٧/٤ و ٣٦٢/٦ (١٩٠٣٨ - ١٩٠٤٠) وأبو داود (٣٢١٤ و ٤٧٥٥) وش (١١٥٢٣ و ١٢٠٥٨) والحاكم (١٠٧ و ١١٣ و ٤١٤) وتهذيب الآثار (١٧١ - ١٧٤) وهب (٤٢٣) والطيا (٧٨٢) والترمذي (٣٦٠٤) والمجمع ٤٩/٣ و ٥٦ (٤٢٦٦) وإتحاف الخيرة (١٨٥٠) وإثبات عذاب القبر (١٨ و ٣٢) من طرق عنه و مسند الطيالسي (٧٨٩) صحيح وهو حديث صحيح.

غَضِبَ اللَّهُ ، فَتَخْرُجُ كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ فَتَذْهَبُ بِهِ إِلَى بَابِ الْأَرْضِ . رواه ابن حبان في صحيحه ^{٥٤٨}

- المسح : قطعة من الصوف الغليظ ، الجيفة : جثة الميت إذا أُنْتِنَ

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا . ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ . فَيَقُولُ أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ فَيَقُولَانِ نَمْ كَنُومَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ . حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ . وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي . فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ . فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ التَّسْمِي عَلَيْهِ . فَتَلْتَمِ عَلَيْهِ . فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ » رواه الترمذي ^{٥٤٩}

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : إِنْ الْمَيِّتُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا ، كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَكَانَتْ الزَّكَاةُ

وعَنْ شِمَالِهِ ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ .

فَيُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ : مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ : مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ : مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ ، فَتَقُولُ الْخَيْرَاتُ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ : مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ ، فَيُقَالُ لَهُ : اجْلِسْ فَيَجْلِسُ ، وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أُذْنِيَتْ لِلْعُرُوبِ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ

^{٥٤٨} - الإحسان (٣٠٧٨) و صحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٢٨٥) (٣٠١٤) و صحيح الترغيب (٣٥٥٩) وهو

حديث صحيح

^{٥٤٩} - برقم (١٠٩٢) والإحسان (٣١٨٢) وإثبات عذاب القبر (٤٤) والسنة لابن أبي عاصم (٧١٧) والآجري

(٨٥١) وهو حديث صحيح

عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ ، فَيَقُولُونَ : إِنَّكَ سَتَفْعَلُ ، أَخْبَرَنِي عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ ، أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَيُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيِّتْ وَعَلَى ذَلِكَ مِتْ ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لَمَّا بَدَأَ مِنْهُ ، فَتَجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ وَهِيَ طَيْرٌ يَلْقَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى { يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } [إبراهيم] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ : وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أَتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ ، لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَتَى عَنْ يَمِينِهِ ، فَلَا يُوجَدْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَتَى عَنْ شِمَالِهِ ، فَلَا يُوجَدْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَتَى مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ ، فَلَا يُوجَدْ شَيْءٌ ، فَيُقَالُ لَهُ : اجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا ، فَيُقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : أَيُّ رَجُلٍ ؟ فَيُقَالُ : الَّذِي كَانَ فِيكُمْ ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ حَتَّى يُقَالَ لَهُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : مَا أَدْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا ، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ ، فَيُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيِّتْ ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتْ ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهِ لَوْ أَطَعْتَهُ فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا ، ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ ، فَتَلِكِ الْمَعِيشَةُ الضَّنَكَةُ

٥٥٠ التِّي قَالَ اللَّهُ : { فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } [طه] ٥٥١ رواه ابن حبان

٥٥٢

في صحيحه

وَعَنِ طَاوُسٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ - عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ « إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ - ثُمَّ قَالَ - بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ ٥٥٣ وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ٥٥٤ » . قَالَ ثُمَّ أَخَذَ عُودًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بِاثْنَتَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرِ ، ثُمَّ قَالَ « لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَسَا » رواه البخاري ٥٥٥

ومسلم

اختلف العلماء في حكم وضع الريحان والجريد وغيرهما على القبر وهل ينفع الميت بها ؟ أم لا؟

فبعضهم قال: يستحب ذلك لأن النبي ﷺ فعل ذلك، ولعل هناك علاقة بين الخضرة وتخفيف عذاب القبر.

وقال آخرون: هذه خصوصية للنبي ﷺ ودعاء منه إذ لا علاقة بين الاحضرار ورفع العذاب، ولو ساغ ذلك لأمرهم بزرع شجر دائم الخضرة فهو أفضل من المقطوع وفي الريحان إسراف وتبذير، ولا خلاف بينهم على أن التصديق عن الموتى أفضل وأحسن. ٥٥٦

٥٥٠ - الضيقة الشديدة

٥٥١ - الظاهر أن المراد فاقد البصر كما في قوله تعالى : { نَحْشُرُهُمْ * يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا } [الإسراء : ٩٧]

٥٥٢ - صحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٣٨٠) (٣١١٣) والإحسان (٣١٧٨) وإثبات عذاب القبر (٥٤ و ١١٩) والاعتقاد للبيهقي (١٥٧) وهناد (٣٣٢) وهو حديث صحيح.

٥٥٣ - السعي بالإفساد بين الناس، وإيقاع التداير بين المسلمين وإيجاد التخاصم والشقاق، بنقل الحديث على وجه السعاية والدس والكيد.

٥٥٤ - يقضي حاجته على الطريق، وتظهر عورته للناس.

٥٥٥ - البخاري ٦٥/١ و ١١٩/٢ و ١٢٤ و ٢٠/٨ و (٢١٦ و ٢١٨ و ١٣٦١ و ١٣٧٨ و ٦٠٥٢ و ٦٠٥٥) ومسلم (٢٩٢).

٥٥٦ - راجع فتاوى الشبكة الإسلامية (١٢٨٦١ و ٢٠٦١١ و ٢٤٥٠٥)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ » . رواه ابن ماجه

٥٥٧

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : كُنَّا نَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَرَرْنَا عَلَى قَبْرَيْنِ ، فَقَامَ ، فَقَمْنَا مَعَهُ ، فَجَعَلَ لَوْنُهُ يَتَغَيَّرُ حَتَّى رَعَدَ كُفْمِصْبِهِ ، فَقُلْنَا : مَا لَكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ ؟ قُلْنَا : وَمَا ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : هَذَانِ رَجُلَانِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا عَذَابًا شَدِيدًا فِي ذَنْبِ هَيْنٍ ، قُلْنَا : مِمَّ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَنْزِعُهُ مِنَ الْبَوْلِ ، وَكَانَ الْآخَرُ يُؤْذِي النَّاسَ بِلِسَانِهِ ، وَيَمْشِي بَيْنَهُمَا بِالنَّمِيمَةِ فَدَعَا بِحَرِيدَتَيْنِ مِنْ جَرَائِدِ النَّخْلِ ، فَجَعَلَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً . قُلْنَا : وَهَلْ يَنْفَعُهُمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا دَامَا رَطْبَتَيْنِ . رواه ابن حبان في صحيحه ٥٥٨

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَنَازَةً ، فَقَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، فَإِذَا الْإِنْسَانُ دُفِنَ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ ، فَأَقْعَدَهُ فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ يُفَرِّجُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ، فَيَقُولُ : هَذَا كَانَ مَنْزِلَكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ ، فَأَمَّا إِذَا آمَنْتَ بِهِ فَهَذَا مَنْزِلَكَ ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِ فَيَقُولُ لَهُ : اسْكُنْ وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا يَقُولُ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ ، فَيَقُولُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَلَا هَدَيْتَ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا لَكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ ، فَأَمَّا إِذَا كَفَرْتَ بِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبَدَكَ بِهِ هَذَا ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ، ثُمَّ يَقْمَعُهُ بِالْمِطْرَاقِ يَسْمَعُهَا خَلْقُ اللَّهِ كُلُّهُمْ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ " فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَحَدٌ يَقُومُ عَلَيْهِ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ إِلَّا هِيلَ عِنْدَ ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ " إِبْنَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَتِيِّ ٥٥٩

٥٥٧ - برقم (٣٧٥) وش (١٣٠٦) وك (٦٥٣) والتلخيص الحبير (١٣٦) نص (١٣٥٣) وح (٢٥٠٥٦) وهو صحيح

٥٥٨ - الإحسان برقم (٨٢٥) و صحيح ابن حبان - (ج ٣ / ص ١٠٦) (٨٢٤) وصحيح الترغيب (٢٨٢٣ و ١٦٣)

وهو حديث صحيح

٥٥٩ - إِبْنَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَتِيِّ (٢٠) حسن

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ طُعِنَ فَقُلْتُ : " أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسَلِمْتَ حِينَ كَفَرَ النَّاسُ وَجَاهَدْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَذَلَهُ النَّاسُ وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي خِلَافَتِكَ اثْنَانِ ، وَقُتِلَتْ شَهِيدًا ، فَقَالَ : أَعِدْ عَلَيَّ ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، لَوْ أَنَّ لِي مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَفَرَاءَ وَبَيْضَاءَ لَأَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمُطَّلَعِ " ٥٦٠

وَعَنْ هَانِيٍّ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ : كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِي حَتَّى يُلَّ لِحَيْتِهِ ، فَيَقَالُ لَهُ : تُذَكِّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَمَنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَمَنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ " قَالَ : فَقَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ " ٥٦١

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " مَا زِلْنَا نَشْكُ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَتَّى نَزَلَتْ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ " ٥٦٢

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " إِنَّ أَحَدَكُمْ لِيُجْلَسُ فِي قَبْرِهِ إِجْلَاسًا ، فَيَقَالُ لَهُ : مَا أَنتَ ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ فَيَرَى مَكَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُنْزَلُ عَلَيْهِ كِسْوَةٌ يَلْبَسُهَا مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ : مَا أَنتَ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، فَيَقَالُ لَهُ : لَا دَرَيْتَ ثَلَاثًا ، فَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ أَوْ تَتَمَاسَّ أَضْلَاعُهُ وَيُرْسَلُ عَلَيْهِ حَيَاتٍ مِنْ جَوَانِبِ قَبْرِهِ يَنْهَشْنَهُ وَيَأْكُلْنَهُ ، فَإِذَا جَزَعَ فَصَاحَ فَمِعَ بِمَقْمَعٍ مِنْ نَارٍ مِنْ حَدِيدٍ ٥٦٣

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : " تَخْرُجُ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ وَهِيَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ قَالَ : فَتَصْعَدُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَهَا فَتَلْقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ دُونَ السَّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ : مَنْ هَذَا مَعَكُمْ ؟

٥٦٠ - إِبْنَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٩٥) صحيح

٥٦١ - إِبْنَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٩٦) حسن

٥٦٢ - إِبْنَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٩٧) حسن

٥٦٣ - إِبْنَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٩٨) حسن

فَيَقُولُونَ : فُلَانٌ ، وَيَذْكُرُونَهُ بِأَحْسَنِ عَمَلِهِ فَيَقُولُونَ : حَيَّاكُمُ اللَّهُ وَحَيَّا مَنْ مَعَكُمْ قَالَ :
فَتُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَيُشْرِقُ وَجْهُهُ قَالَ : فَيَأْتِي الرَّبُّ تَعَالَى وَوَجْهُهُ بَرْهَانٌ مِثْلُ الشَّمْسِ
قَالَ : وَأَمَّا الْآخَرُ فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ وَهِيَ أَتْنٌ مِنَ الْحَيْفَةِ ، فَتَصْعَدُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَهَا
فَتَلْقَاهُمْ مَلَائِكَةُ دُونَ السَّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ : مَنْ هَذَا مَعَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلَانٌ ، وَيَذْكُرُونَهُ
بِأَسْوَأِ عَمَلِهِ قَالَ : فَيَقُولُونَ : رُدُّوهُ رُدُّوهُ ، فَمَا ظَلَمَهُ اللَّهُ شَيْئًا ، فَقَرَأَ أَبُو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ " ٥٦٤

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ ، حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ عَلَى جَنَاحِ فِرَاقِ الدُّنْيَا ،
فَمُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ وَأَذْكُرَكَ بِهِ ، فَقَالَ : " إِنَّكَ بَيْنَ أُمَّةٍ مُعَافَاةٍ فَأَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَدِّ
زَكَاةَ مَالِكَ إِنْ كَانَ لَكَ ، وَصُمْ رَمَضَانَ وَاجْتَنِبِ الْفَوَاحِشَ ، ثُمَّ أَبْشِرْ ، فَأَعَادَ الرَّجُلُ
عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : اجْلِسْ ثُمَّ اعْقِلْ مَا أَقُولُ لَكَ ، أَيْنَ
أَنْتَ مِنْ يَوْمٍ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا عَرْضُ ذِرَاعَيْنِ فِي طُولِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ ؟ أَقْبَلَ بِكَ
أَهْلُكَ الَّذِينَ كَانُوا لَا يُحِبُّونَ فِرَاقَكَ ، وَجُلَسَاؤُكَ وَإِخْوَانُكَ فَأَثَقُوا عَلَيْكَ الْبُيُوتَ ، ثُمَّ
أَكْثَرُوا عَلَيْكَ التُّرَابَ ، ثُمَّ تَرَكَوكَ ، ثُمَّ جَاءَكَ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ جَعْدَانِ ، أَسْمَاؤُهُمَا
مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ، فَأَجْلَسَاكَ ثُمَّ سَأَلَاكَ مَا أَنْتَ ؟ أَمْ عَلَى مَاذَا كُنْتَ ؟ أَمْ مَاذَا تَقُولُ فِي هَذَا
الرَّجُلِ ؟ فَإِنْ قُلْتَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا فَقُلْتُ قَوْلَ النَّاسِ ، فَقَدْ
وَاللَّهِ رَدِيتَ وَهَوَيْتَ ، فَإِنْ قُلْتَ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ فَأَمَنْتُ بِهِ وَبِمَا جَاءَ
مَعَهُ ، فَقَدْ وَاللَّهِ نَجَوْتُ وَهَدَيْتَ ، وَلَنْ تَسْتَطِيعَ ذَلِكَ إِلَّا بِتَشْيِيتٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ مَا تَرَى
مِنَ الشَّدَةِ وَالتَّخْوِيفِ " ٥٦٥

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ صَلَّى عَلَى مَنْفُوسٍ ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ إِنِّي أُعِيدُهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ "

٥٦٦

٥٦٤ - إِبْنُ أَبِي عَدَابٍ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٩٩) حَسَن

٥٦٥ - إِبْنُ أَبِي عَدَابٍ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٢٠٠) حَسَن

٥٦٦ - إِبْنُ أَبِي عَدَابٍ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٢٠١) صَحِيح

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : " إِنَّ الْكَافِرَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِه شُجَاعٌ أَقْرَعٌ ،
فَيَأْكُلُ لَحْمَهُ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى رِجْلِهِ ثُمَّ يُكْسَى اللَّحْمُ فَيَأْكُلُ مِنْ رِجْلِهِ إِلَى رَأْسِهِ ، فَهَذَا مَكْرٌ
لَكَ ۝٥٦٧

نعيم القبر وعذابه يكون للروح والبدن جميعا ، فتنعم الروح أو تعذب متصلة بالبدن
فيكون النعيم والعذاب عليهما جميعا ، كما أنه قد تنعم الروح أو تعذب أحيانا منفصلة عن
البدن ، فيكون النعيم أو العذاب للروح منفردا عن البدن . وقد دلت على هذا النصوص
وعليه اتفق أهل السنة والجماعة ، خلافا لمن زعم أن عذاب القبر ونيمة يكون للروح
فقط على كل حال ولا يتعلق بالبدن .

وقد دلت هذه الأحاديث على وقوع النعيم أو العذاب في القبر على الروح والجسد جميعا
ففي قول النبي ﷺ : « إن العبد إذا وضع في القبر » دلالة ظاهرة على هذا إذ لفظ (العبد)
مسمى للروح والجسد جميعا ، وكذلك تصريحه بإعادة الروح إلى الجسد عند السؤال كما
في حديث البراء بن عازب هذا مع ما جاء في الحديثين من الألفاظ التي هي من صفات
الجسد كقوله : « يسمع قرع نعالهم » (فيقعدانه) ، « ويضرب بمطارق من حديد »
فيصيح صيحة » ، فإن هذا كله يفيد أن ما يحصل في القبر من النعيم أو العذاب متعلق
بالروح والجسد جميعهما

هذا مع أنه قد جاء في بعض النصوص ما يفيد أن النعيم أو العذاب قد يقع على الروح
منفردة في بعض الأحوال على ما جاء في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :
قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب إخوانكم يعني يوم أحد - جعل الله أرواحهم في أجواف
طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش
» أخرجه أحمد والحاكم وهو صحيح .

فتلخص من هذا أن النعيم والعذاب يقع على الروح والجسد جميعا في القبر وقد تنفرد
الروح بهذا أحيانا . قال بعض الأئمة المحققين في السنة في تقرير هذه المسألة : (والعذاب
والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب منفردة

٥٦٧ - إِبْنَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٢٠٢) صحيح موقوف

عن البدن ، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن) .

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية^{٥٦٨} : - قدس الله روحه وهو بمصر - عن " عذاب القبر " هل هو على النفس والبدن أو على النفس ؛ دون البدن ؟ والميت يعذب في قبره حيا أم ميتا ؟ وإن عادت الروح إلى الجسد أم لم تعد فهل يتشاركان في العذاب والنعيم ؟ أو يكون ذلك على أحدهما دون الآخر ؟

فأجاب رضي الله عنه وجعل جنة الفردوس مثله ومثواه آمين . الحمد لله رب العالمين : بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتُعذب منفردة عن البدن وتُعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن . وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح ؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة والكلام ، وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث ؛ قول من يقول : إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح ؛ وأن البدن لا يُنعم ولا يُعذب . وهذا تقولُه " الفلاسفة " المنكرون لمعاد الأبدان ؛ وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين . ويقولُه كثير من " أهل الكلام " من المعتزلة وغيرهم : الذين يقولون : لا يكون ذلك في البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور . وقول من يقول : إن الروح بمفردها لا تُنعم ولا تُعذب وإنما الروح هي الحياة وهذا يقولُه طوائف من أهل الكلام من المعتزلة وأصحاب أبي الحسن الأشعري كالفاضي أبي بكر وغيرهم ؛ وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن . وهذا قول باطل ؛ خالفه الأستاذ أبو المعالي الجويني وغيره ؛ بل قد ثبت في الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة . " والفلاسفة " الإلهيون يقولون بهذا لكن ينكرون معاد الأبدان وهؤلاء يقرّون بمعاد الأبدان ؛ لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان ؛ وكلما القولين خطأ وضلال

^{٥٦٨} - مجموع الفتاوى - (ج ٤ / ص ٢٨٢) فما بعدها

لَكِنَّ قَوْلَ الْفَلَّاسِفَةِ أَبْعَدُ عَنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُوَافِقُهُمْ عَلَيْهِ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُتَمَسِّكٌ بِدِينِ الْإِسْلَامِ، بَلْ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّصَوُّفِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْكَلَامِ .
وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ : الشَّاذُّ . قَوْلُ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْبَرَزْخَ لَيْسَ فِيهِ نَعِيمٌ وَلَا عَذَابٌ بَلْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى كَمَا يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ يَقُولُهُ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَنَحْوِهِمُ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَنَعِيمَهُ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الرُّوحَ لَا تَبْقَى بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ وَأَنَّ الْبَدَنَ لَا يُنْعَمُ وَلَا يُعَذَّبُ . فَجَمِيعُ هَؤُلَاءِ الطَّائِفَتَيْنِ ضَلَالٌ فِي أَمْرِ الْبَرَزْخِ لَكِنَّهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ ؛ لِأَنَّهُمْ يُقَرُّونَ بِالْقِيَامَةِ الْكُبْرَى .

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ الثَّلَاثَةَ الْبَاطِلَةَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ " سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأُئِمَّتِهَا " أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِرُوحِهِ وَلِبَدَنِهِ وَأَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ مُنْعَمَةً أَوْ مُعَذَّبَةً وَأَنَّهَا تَتَّصِلُ بِالْبَدَنِ أحيانًا فَيَحْصُلُ لَهُ مَعَهَا النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ .
ثُمَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى أُعِيدَتِ الْأَرْوَاحُ إِلَى أَجْسَادِهَا وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَمَعَادُ الْأَبْدَانِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهَذَا كُلُّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ .

وَهَلْ يَكُونُ لِلْبَدَنِ دُونَ الرُّوحِ نَعِيمٌ أَوْ عَذَابٌ ؟ أَتَبْتَ ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ وَأَنكَرَهُ أَكْثَرُهُمْ . وَنَحْنُ نَذَكُرُ مَا بَيَّنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ فَأَمَّا أَحَادِيثُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمَسْأَلَةُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فَكَثِيرَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَذَكَرَ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ الْآئِفَةَ الذِّكْرَ وَقَالَ بَعْدَ حَدِيثِ الْبِرَاءِ الطَّوِيلِ : فَقَدْ صَرَّحَ الْحَدِيثُ بِإِعَادَةِ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ وَبِاخْتِلَافِ أَضْلَاعِهِ وَهَذَا بَيِّنٌ فِي أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى الرُّوحِ وَالْبَدَنِ مُجْتَمِعِينَ . وَقَدْ رُوِيَ مِثْلُ حَدِيثِ الْبِرَاءِ فِي قَبْضِ الرُّوحِ وَالْمَسْأَلَةِ وَالنَّعِيمِ وَالْعَذَابِ رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَحَدِيثُهُ فِي الْمُسْتَدِّ وَغَيْرِهِ . فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْعِلْمِ : مِنْهَا : أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ ؛ خِلَافًا لَضَلَالِ الْمُتَكَلِّمِينَ ؛ وَأَنَّهَا تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ خِلَافًا لَضَلَالِ الْفَلَّاسِفَةِ ؛ وَأَنَّهَا تُعَادُ إِلَى الْبَدَنِ وَأَنَّ الْمَيِّتَ يُسْأَلُ فَيُنْعَمُ أَوْ يُعَذَّبُ كَمَا سَأَلَ عَنْهُ أَهْلُ السُّؤَالِ وَفِيهِ أَنَّ عَمَلَهُ الصَّالِحَ أَوْ السَّيِّئَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ أَوْ قَبِيحَةٍ .

وقال تعليقا على حديث آخر : وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ اخْتِلَافٌ أَضْلَاعِهِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ الْبَدَنَ نَفْسُهُ يُعَذَّبُ .

ثم قال : " فَقَدْ أَخْبَرَتْ هَذِهِ النُّصُوصُ أَنَّ الرُّوحَ تُنْعَمُ مَعَ الْبَدَنِ الَّذِي فِي الْقَبْرِ - إِذَا شَاءَ اللَّهُ - وَإِنَّمَا تُنْعَمُ فِي الْجَنَّةِ وَحْدَهَا وَكِلَاهُمَا حَقٌّ . وَهَذَا الْبَابُ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ مَا يَضِيقُ هَذَا الْوَقْتُ عَنْ اسْتِقْصَائِهِ مِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ الْأَبْدَانَ الَّتِي فِي الْقُبُورِ تُنْعَمُ وَتُعَذَّبُ - إِذَا شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ - كَمَا يَشَاءُ وَأَنَّ الْأَرْوَاحَ بَاقِيَةٌ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ وَمُنْعَمَةٌ وَمُعَذَّبَةٌ . وَلِهَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالسَّلَامِ عَلَى الْمَوْتَى كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ وَالسُّنَنِ { أَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَصْحَابَهُ إِذَا زَارُوا الْقُبُورَ أَنْ يَقُولُوا : السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِلْآحِقُونَ } . وَقَدْ انْكَشَفَ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ذَلِكَ حَتَّى سَمِعُوا صَوْتَ الْمُعَذَّيْنِ فِي قُبُورِهِمْ وَرَأَوْهُمْ يُعْيُونُهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فِي آثَارٍ كَثِيرَةٍ مَعْرُوفَةٍ ، وَلَكِنْ لَا يَجِبُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ دَائِمًا عَلَى الْبَدَنِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ؛ بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ . وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ « يَا أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا » . فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُونَ وَأَنَّى يُجِيبُونَ وَقَدْ جِئُوا قَالِ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا » . ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبٍ بَدْرٍ . وَقَدْ أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَلِيبٍ بَدْرٍ فَقَالَ : " هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا " ثُمَّ قَالَ : " إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ " ، فَذَكَرَ لِعَائِشَةَ ، فَقَالَتْ : إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ " ثُمَّ قَرَأَتْ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى حَتَّى قَرَأْتَ الْآيَةَ .

وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ : اتَّفَقُوا عَلَى صِحَّةِ مَا رَوَاهُ أَنَسُ وَابْنُ عُمَرَ وَإِنْ كَانَا لَمْ يَشْهَدَا بَدْرًا فَإِنَّ أَنَسًا رَوَى ذَلِكَ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ وَأَبُو طَلْحَةَ شَهِدَ بَدْرًا . كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ - أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةِ

وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقَدُوا فِي طَوًى مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرِ حَبِثٍ مُخْبِتٍ ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرَصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، فَلَمَّا كَانَ بَدْرُ الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا ، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرِّكِيِّ ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ « يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، أَيْسَرُكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا » . قَالَ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ » . قَالَ فَتَادَهُ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَتَقِيْمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا وَعَائِشَةُ تَأَوَّلَتْ فِيمَا ذَكَرْتُهُ كَمَا تَأَوَّلَتْ أُمْنَالُ ذَلِكَ . وَالنَّصُّ الصَّحِيحُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُقَدَّمٌ عَلَى تَأْوِيلِ مَنْ تَأَوَّلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِ وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا يُنْفِي ذَلِكَ فَإِنْ قَوْلُهُ : { إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى } إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ السَّمَاعُ الْمُعْتَادَ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ فَإِنْ هَذَا مِثْلُ ضَرْبٍ لِلْكَفَّارِ وَالْكَفَّارُ تَسْمَعُ الصَّوْتَ لَكِنْ لَا تَسْمَعُ سَمَاعَ قَبُولِ بَفْقِهِ وَاتِّبَاعِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكُمْ عَمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } (١٧١) سورة البقرة. فَهَكَذَا الْمَوْتَى الَّذِينَ ضَرَبَ لَهُمُ الْمِثْلُ لَا يَجِبُ أَنْ يُنْفَى عَنْهُمْ جَمِيعُ السَّمَاعِ الْمُعْتَادِ أَنْوَاعَ السَّمَاعِ كَمَا لَمْ يُنْفَ ذَلِكَ عَنِ الْكَفَّارِ ؛ بَلْ قَدْ انْتَفَى عَنْهُمْ السَّمَاعُ الْمُعْتَادُ الَّذِي يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَأَمَّا سَمَاعُ آخَرٍ فَلَا يُنْفَى عَنْهُمْ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ فَهَذَا مُوَافِقٌ لِهَذَا فَكَيْفَ يَدْفَعُ ذَلِكَ ؟. وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْمَيِّتَ فِي قَبْرِهِ لَا يَسْمَعُ مَا دَامَ مَيِّتًا كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ . وَاسْتَدَلَّتْ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَمَّا إِذَا أَحْيَاهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ كَمَا قَالَ فَتَادَةُ : أَحْيَاهُمُ اللَّهُ لَهُ . وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا كَمَا نَحْنُ لَا نَرَى الْمَلَائِكَةَ وَالْجِنَّ وَلَا نَعْلَمُ مَا يُحِسُّ بِهِ الْمَيِّتُ فِي مَنَامِهِ وَكَمَا لَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا فِي قَلْبِ الْآخَرِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ^{٥٦٩} .

^{٥٦٩} - مجموع الفتاوى لابن تيمية - (٤ / ٢٩٩)

المبحث الثاني والثلاثون

من لا يسأل في القبر وما ينجي من عذاب القبر

عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ قَالَ « كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً » . أخرجه النسائي ^{٥٧٠}

قال المناوي في فيض القدير: (٦٢٤٨) (كفى ببارقة السيوف) أي بلمعائها قال الراغب: البارقة لمعان السيوف (على رأسه) يعني الشهيد (فتنة) فلا يفتن في قبره ولا يسأل إذ لو كان فيه نفاق لفرَّ عند التقاء الجمعين فلما ربط نفسه لله في سبيله ظهر صدق ما في ضميره وظاهره اختصاص ذلك بشهيد المعركة لكن أخبار الرباط تؤذن بالتعميم .

<تنبيه> قال القرطبي: إذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أحل قدراً وأعظم أجراً فهو أخرى أن لا يفتن لأنه المقدم في التزليل على الشهداء {أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء} وقد جاء في المرباط الذي هو أقل رتبة من الشهيد أنه لا يفتن فكيف بمن هو أعلى منه وهو الشهيد.

وَعَنْ سَلْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرَى عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانُ » .

^{٥٧١}

أخرجه مسلم

قال النووي: هذه فضيلة ظاهرة للمرباط ، وجريان عمله بعد موته فضيلة مختصة به ، لا يشاركه فيها أحد.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُجْرَى عَلَيْهِ أَجْرُ عَمَلِهِ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ وَأُجْرَى عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ مِنَ الْفِتَانِ وَبَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا مِنَ الْفَزَعِ » . أخرجه ابن ماجه ^{٥٧٢}

^{٥٧٠} - نص ٩٩/٤ (٢٠٦٥) ون (٢١٩١) ومعرفة الصحابة (٦٥٨٣) وهو حديث صحيح

^{٥٧١} - برقم (١٩١٣) والمقصود بالصيام صيام التطوع.

^{٥٧٢} - برقم (٢٨٧٢) والمجمع ٢٨٩/٥ و ٢٩٠ وطب (٧٣٥٣ و ٧٧٣٧ و ١٥١٩٧ و ١٣١٢) وعوانة (٦٠١٠) والشاميين (١٩١٨) وأحمد ٥٧/٤ و ٤٤٠/٥ (١٧٨٩٧) وهو صحيح لطرقه.

وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ مَاتَ رَجُلٌ صَالِحٌ فَأُخْرِجَ بِجَنَازَتِهِ فَلَمَّا رَجَعْنَا تَلَقَّانَا خَالِدُ بْنُ عُرْفُطَةَ وَسَلِيمَانُ بْنُ صُرْدٍ وَكِلَاهُمَا قَدْ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ فَقَالَا سَبَقْتُمُونَا بِهَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ فَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ بِهِ بَطْنٌ وَأَنَّهُمْ خَشَوْا عَلَيْهِ الْحَرَّ - قَالَ - فَنَظَرَ أَحَدُهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ لَمْ يُعَذَّبْ فِي قَبْرِهِ »

٥٧٣

أخرجه ابن أحمد

المراد به الاستسقاء، وقيل: الإسهال، وقيل غير ذلك.

وقال القرطبي: اعلم رحمك الله أن هذا الباب لا يعارض ما تقدم من الأبواب ، بل يخصها ويبين من لا يسأل في قبره ولا يفتن فيه ، ممن يجري عليه السؤال ، ويقاسي تلك الأهوال وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال للنظر فيه . وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المرسل إلى العباد صلى الله عليه وسلم .

وقد روى ابن ماجه في سننه عن جابر عن النبي ﷺ قال : إذا دخل الميت في قبره مثلث له الشمس عند غروبها فيجلس فيمسح عينيه ويقول : دعوني أصلي ولعلها من وقى فتنة القبر فلا تعارض والحمد لله ٥٧٤

فصل : قوله عليه السلام : من مات مريضاً مات شهيداً عام في جميع الأمراض لكن قيده قوله في الحديث الآخر : من يقتله بطنه وفيه قولان :

أحدهما : أنه الذي يصيبه الذرب وهو الإسهال تقول العرب أخذه البطن إذا أصابه الداء وذرب الجرح إذا لم يقبل الدواء وذربت معدته فسدت . الثاني : أنه الاستسقاء وهو أظهر القولين فيه

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّهُ قَالَ : " فِي سُورَةِ الْمُلْكِ : " هِيَ الْمَانِعَةُ تَمْنَعُ صَاحِبَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ يُؤْتَى صَاحِبَهَا قَالَ عَلِيٌّ فِي قَبْرِهِ وَلَمْ يَقُلْ مُوسَى فِي قَبْرِهِ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ فَيَقُولُ رَأْسُهُ : لَا سَبِيلَ عَلَيٍّ ، إِنَّهُ وَعَى فِي سُورَةِ الْمُلْكِ ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رَجُلَيْهِ ، فَيَقُولُ : لَيْسَ لَكَ

٥٧٣ - برقم (١٨٨٠٧) والإحسان برقم (٢٩٩٥) والنسائي ٩٨/٤ والترمذي (١٠٨٥)

وطب (٣٩٩٥ و ٣٩٩٨ و ٤٠٠٢ و ٦٣٦٨) وهو حديث صحيح.

٥٧٤ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - (ج ١ / ص ١٨٨)

عَلَيَّ سَبِيلٌ إِنَّهُ كَانَ يَقُومُ بِي بِسُورَةِ الْمُلْكِ ، وَإِنَّهَا فِي التَّوْرَةِ مَنْ قَرَأَهَا ، فَقَدْ أَكْثَرَ
وَأَطْيَبَ " أخرجه ابن الضريس ^{٥٧٥}

وَعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ سَيْفٍ ، أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَرَّمٍ ، أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ لَعِيَاضِ بْنِ عُقْبَةَ تُوفِّيَ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَاشْتَدَّ وَجْدُهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الصَّدَفِ : يَا أَبَا يَحْيَى أَلَا أُبَشِّرُكَ بِشَيْءٍ
سَمِعْتُهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مَا
مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ إِلَّا بَرِيءٌ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ "

وَعَنْ أَبِي قَبِيلٍ الْمِصْرِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : " مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ وَقِيَ فِتْنَةُ الْقَبْرِ "

وَعَنْ سَنَانِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّدَفِيِّ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، كَانَ يَقُولُ : "
مَنْ تُوفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ وَقِيَ الْفَتَانَ "

وَعَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ الْمَخْزُومِيِّ قَالَ : " مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ خُتِمَ
بِخَاتَمِ الْإِيمَانِ ، وَوُقِيَ عَذَابُ الْقَبْرِ " أخرجه أحمد ^{٥٧٦}

وفي فيض القدير للمناوي (٨١٠٨) (ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا
وقاه الله تعالى فتنة القبر) لأن من مات يومها أو ليلتها فقد انكشف له الغطاء لأن يومها
لا تسجر فيه جهنم وتغلق أبوابها ولا يعمل سلطان النار ما يعمل في سائر الأيام فإذا قبض
فيه عبد كان دليلاً لسعادته وحسن مآبه لأن يوم الجمعة هو اليوم الذي تقوم فيه الساعة
فيميز الله بين أحبائه وأعدائه ويومهم الذي يدعوهم إلى زيارته في دار عدن وما قبض
مؤمن في هذا اليوم الذي أفيض فيه من عظام الرحمة ما لا يحصى إلا لكتبه له السعادة
والسيادة فلذلك يقيه فتنة القبر .

^{٥٧٥} - في فضائل القرآن برقم (٢٢٣ و ٢٢٤) والمجمع ١٢٨/٧ والترغيب ٢٣٨/٢ والدر ٢٤٧/٦ وهو حديث صحيح
موقوف ومثله لا يقال بالرأي .

^{٥٧٦} - ١٦٩/٢ (٦٧٣٩) والترمذي (١٠٩٥) والمجمع ٣١٩/٢ والترغيب ١٧٣/٤ إِبْتِثَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ لِلْبَيْهَقِيِّ (
١٣٥-١٣٨) وجامع الأصول ٢٧٢/٩ وهو حديث صحيح لغيره .

فالذي لا يسأل في قبره هو: الشهيد، الصديق، الميت بالطاعون والبطن، المرابط في سبيل الله، من يقرأ سورة الملك، من يموت ليلة الجمعة أو يومها، والأنبياء من باب أولى ..

٥٧٧

وعَنْ قَيْسِ (الجدامي)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ لِلْقَتِيلِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سِتَّ حِصَالٍ ، يُغْفَرُ لَهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُؤْمَنُ الْفَرْعَ الْأَكْبَرَ ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ^{٥٧٨} وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - مِثْلَ حَدِيثٍ قَبْلَهُ ، وَهُوَ هَذَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - سِتَّ حِصَالٍ : أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، وَالْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ " . رَوَاهُ أَحْمَدُ^{٥٧٩}

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ : لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ حِصَالٍ : يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُحَلَّى بِحُلَّةِ الْإِيمَانِ ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ الْفَرْعَ الْأَكْبَرَ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، وَالْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ . الشَّامِيِّينَ^{٥٨٠}

وَعَنْ مَكْحُولٍ ، قَالَ : لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ حِصَالٍ : يَغْفِرُ اللَّهُ ذَنْبَهُ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ تُصِيبُ الْأَرْضَ مِنْ دَمِهِ ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ ، وَيُزَوَّجُ الْحُورَ الْعِينِ ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيُؤْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ أَوْ فَرْعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ^{٥٨١}.

^{٥٧٧} - انظر شرح الصدور ٢٠٨ - ٢١١

^{٥٧٨} - الآحاد والمثاني (٢٧٣٤) صحيح.

^{٥٧٩} - مسند أحمد (١٧٦٤٥) ومسند الشاميين (١١٢٠) صحيح

^{٥٨٠} - مسند الشاميين (١١٦٣) صحيح

^{٥٨١} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ٥ / ص ٣٣٠) (١٩٨١٥) صحيح لغيره

والمستجير بالله تعالى يوقى عذاب القبر وفتنته ، فعَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ خَالَتِهِ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ يَتَعَوَّذُ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْغَنَى ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ » ٥٨٢ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ ، وَعَذَابِ النَّارِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغَنَى ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ التَّلَجِ وَالْبَرْدِ ، وَتَقْنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا تَقْنِي الثُّوبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ ، وَالْهَرَمِ ، وَالْمَأْثَمِ ، وَالْمَعْرَمِ ٥٨٣ .

وَعَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ صَلَّى عَلَى رَجُلٍ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانًا بَنَ فُلَانًا فِي ذِمَّتِكَ ، وَحَبَلَ جَوَارِكَ فَأَعِذْهُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَعَذَابِ النَّارِ ، أَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ ، اللَّهُمَّ فَاعْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٨٤ .

والدليل أيضاً قول الله تعالى : { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } (٦٠) سورة غافر

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا مَأْثَمٌ ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثَ : إِمَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ دَعْوَتَهُ ، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا ، أَوْ يَدْخِرَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهَا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِذَا كَثُرُ ، قَالَ : اللَّهُ أَكْثَرُ ٥٨٥ .

٥٨٢ - صحيح البخارى (٦٣٧٦)

٥٨٣ - المستدرک للحاکم (١٩٨٤) صحيح

٥٨٤ - صحيح ابن حبان - (ج ٧ / ص ٣٤٣) (٣٠٧٤) صحيح

٥٨٥ - المستدرک للحاکم (١٨١٦) صحيح

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « مَا عَلَى
الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ الشُّؤْمِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ
بِمَأْثِمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ إِذَا نُكْثِرَ. قَالَ « اللَّهُ أَكْثَرُ ». ٥٨٦

٥٨٦ - سنن الترمذی (٣٩٢٢) صحیح

المبحث الثالث والثلاثون

الترهيب من النياحة على الميت وغيرها

عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ » وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - جَعَلَ صَهِيْبٌ يَقُولُ وَأَخَاهُ . فَقَالَ عُمَرُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ »^{٥٨٧} رواه البخاري ومسلم

اختلف أهل العلم في معناه، فقال بعضهم: هو منسوخ، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى. وقال آخرون: ليس منسوخاً وحملوه على ما إذا أوصاهم بذلك. وقال آخرون: معناه يتألم من فعلهم لأن البكاء لا يرد القدر.

اختلف أهل العلم في معناه، فقال بعضهم: هو منسوخ، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى. وقال آخرون: ليس منسوخاً وحملوه على ما إذا أوصاهم بذلك. وقال آخرون: معناه يتألم من فعلهم لأن البكاء لا يرد القدر.

وقال ابن بطال رحمه الله في شرح البخاري :

اختلف أهل العلم في معنى قوله - ﷺ - : « يعذب الميت ببكاء أهله عليه » ، فقالت طائفة: معناه أن يوصى بذلك الميت، فيعذب حينئذ بفعل نفسه لا بفعل غيره، وإليه ذهب البخاري في قوله: إذا كان النوح من سنته، يعني أن يوصى بذلك، وهو قول أهل الظاهر، وأنكروا قول عائشة، وأخذوا بحديث عمر، وابن عمر، والمغيرة أن الميت يعذب بما نيح.

وقال آخرون: معناه أن يمدح الميت في ذلك البكاء بما كان يمدح به أهل الجاهلية من الفتكات والغارات والقدرة على الظلم، وغير ذلك من الأفعال التي هي عند الله ذنوب، فهم سيكون لفقدائها ويمدحونه بها، وهو يعذب من أجلها.

^{٥٨٧} - البخاري ١٠٢/٢ (١٢٨٧ و ١٢٩٠ و ١٢٩٢) ومسلم في الجنائز ١٧ (٩٢٧ و ٩٣٢) ومالك (٥٥٩) والترمذي (١٠٢٢) ونص (١٨٦٧) وش (١٢١١٣-١٢١٢٦) وهو حديث صحيح مشهور .

وقال آخرون: معناه أن الميت ليعذب ويبكاء أهله عليه، ويسوؤه إتيان ما يكره ربه، واحتجوا بحديث قَيْلَةَ حين ذكر رسول الله ﷺ - أنها قالت: بكيتُ ثم قلت: والله يا رسول الله، لقد ولدته حراماً، فقاتل معك يوم الربرة، ثم ذهب يمتري لى من خير فأصابته حمى فمات. فقال - ﷺ - : « لو لم تكونى مسكينة لجرناك اليوم على وجهك، أنْغلب إحداكن على أن تصاحب صويحبة فى الدنيا معروفاً، حتى إذا حال بينه وبينه من هو أولى به، استرجع، فقال: رب أثبتنى بما أمضيت، وأعنى على ما أبقيت، والذى نفس محمد بيده، إن إحداكن لتبكى فتستعين إليه صويحبة، فيا عباد الله، لا تعذبا أمواتكم » .

قال الطبرى: والدليل على أن بكاء الحى على الميت تعذيب من الحى له، لا تعذيب من الله ما رواه عوف عن جلاس بن عمرو، عن أبى هريرة، قال: « إن أعمالكم تعرض على أقربائكم من موتاكم، فإن رأوا خيراً فرحوا به، وإن رأوا شراً كرهوه، وإنهم ليستخبرون الميت إذا أتاهم: من مات بعدهم، حتى إن الرجل ليسأل عن امرأته هل تزوجت أم لا » .

وروى محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن أبى بشر، عن يوسف بن ماهك، قال: كان ابن عمر فى جنازة رافع بن خديج بين قامتى السرير، فقال: إن الميت ليعذب ببكاء الحى، فقال ابن عباس: إن الميت لا يعذب ببكاء الحى. وذهبت عائشة إلى أن أحداً لا يعذب بفعل غيره، وهو أمر مجتمع عليه، لقوله تعالى: {ولا تزر وازرة وزر أخرى} {ولا تكسب كل نفس إلا عليها} [الأنعام: ١٦٤].

وكل حديث أتى فيه النهى عن البكاء فمعناه النياحة عند العلماء، لأن الله تعالى أضحك وأبكى، ولقوله - ﷺ - : « تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب » . وقال الرسول لعمر إذ نهى النساء عن البكاء: « دعهن يا عمر، فإن النفس مصابة، والعين دامعة، والعهد قريب » . ونهى عن النياحة، ولعن النائحة والمُشَقَّة، وهى عن شق الجيوب، ولطم الحدود، ودعوى الجاهلية.

وفي حديث أسامة، وأنس في هذا الباب جواز البكاء الخفيف بدمع العين، قال الشافعي: أرخص في البكاء بلا ندبة، ولا نياحة، وما ذهبت إليه عائشة أشبه بدلائل الكتاب، وما زيد في عذاب الكافر باستحقاقه لا بذنب غيره، لأنه إذا بُكى عليه بذكر فتكاته وغاراته فهو مستحق للعذاب بذلك، وأهله يُعذُّون ذلك من فضائله وهو يعذب من أجلها، فإنما يعذب بفعله لا ببكاء أهله، هذا معنى قول عائشة: إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه، وهو موافق لقوله تعالى: {ولا تزر وازرة وزر أخرى} وتصويب الشافعي لقول عائشة، وإنكارها على ابن عمر يشبه أن يكون مذهب مالك، لدلالة ما في موطئه عليه لأنه ذكر حديث عائشة، ولم يذكر خلافه عن أحد.

وفي رواية عن عمرة أنها أخبرته أنها سمعت عائشة وذكر لها أن ابن عمر يقول إن الميت ليُعذب ببكاء الحي عليه. فقالت عائشة غفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنَّه لم يكذب ولكِنَّه نسي أو أخطأ إنما مرَّ رسولُ الله - ﷺ - على يهودية يُنكى عليها فقال «إِنَّهُمْ لَيَكُونُ عَلَيْهَا وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا». قال أبو عيسى الترمذي هذا حديث صحيح.

وعن موسى بن أبي موسى الأشعري عن أبيه أن رسول الله - ﷺ - قال «ما من ميت يموت فيقوم بأكيه فيقول واجبلأه وأسيده أو نحو ذلك إلا وكُلَّ به ملكان يلهزانَه أَهَكَذَا كُنْتُ» رواه الترمذي ٥٨٨

واجبلأه وأسيده ونحو ذلك مما يقول به أهل الجاهلية - يلهزانه يلهزانه : أى يضربانه ويدفعانه

وعن موسى بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال: «إن الميت ليُعذب ببكاء الحي، فإذا قالت: وأعزُّده وأمانعه وأناصره وأكاسياه حبداً الميت، فقيل أناصرها أنت، أكاسيها أنت، أعاضدها أنت؟ قال: فقلت: سبحان الله، قال الله عز وجل: ولا تزر وازرة وزر أخرى، فقال: ويحك، أحدثك، عن أبي موسى

٥٨٨ - برقم (١٠١٩) وهـ (١٦٦٢) وشرح السنة ٤٤٤/٥ وهو حديث حسن.

، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتَقُولُ هَذَا ؟ فَأَيْنَا كَذَبَ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى ، وَمَا كَذَبَ أَبُو مُوسَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ « رواه الحاكم ^{٥٨٩}

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ثَلَاثَةٌ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ: شَقُّ الْجَيْبِ ، وَالنِّيَاحَةُ ، وَالطَّعْنُ فِي النَّسَبِ » رواه الحاكم ^{٥٩٠}

من الكفر: أي من أفعال أهل الكفر باللهت شق الجيب : تمزيق الثوب غضباً وسخطاً.
وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ - قَالَ « لَا تُصَلِّي الْمَلَائِكَةُ عَلَى نَائِحَةٍ وَلَا عَلَى مُرْتَةٍ »
رواه احمد في مسنده ^{٥٩١} - مرة: مولولة.

وعن أبي مالك الأشعرى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « النَّيَاحَةُ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَإِنَّ النَّائِحَةَ إِذَا مَاتَتْ وَلَمْ تُتَبَّ قَطَعَ اللَّهُ لَهَا ثِيَابًا مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعًا مِنْ لَهَبِ النَّارِ » . أخرجه ابن ماجه ^{٥٩٢}

وعن عبيد بن عمير قَالَ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ غَرِيبٌ وَفِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ لَا بُكَاءَ يُحَدِّثُ عَنْهُ. فَكُنْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ لِلْبُكَاءِ عَلَيْهِ إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الصَّعِيدِ تُرِيدُ أَنْ تُسْعِدَنِي فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَقَالَ « أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْتًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْهُ ». مَرَّتَيْنِ فَكَفَفْتُ عَنِ الْبُكَاءِ فَلَمْ أَبْكِي. « رواه مسلم ^{٥٩٣}

وعائشة - رضي الله عنها - قَالَتْ لَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ - قَتَلَ ابْنُ حَارِثَةَ وَجَعَفَرٍ وَابْنِ رَوَاحَةَ جَلَسَ يُعْرِفُ فِيهِ الْحُزْنَ ، وَأَنَا أَنْظُرُ مِنْ صَائِرِ الْمَبْحَثِ - شَقُّ الْمَبْحَثِ - فَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ إِنَّ نِسَاءَ جَعَفَرٍ ، وَذَكَرَ بُكَاءَهُنَّ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْهَاهُنَّ ، فَذَهَبَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ ، لَمْ يُطِيعْنَهُ فَقَالَ أَنَّهُنَّ . فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ قَالَ وَاللَّهِ غَلَبَنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَزَعَمَتْ أَنَّهُ قَالَ «

^{٥٨٩} - المستدرك للحاكم (٣٧٥٥) صحيح

^{٥٩٠} - في المستدرك ٣٨٣/١ برقم (١٤١٥) والإحسان (١٤٨٧) وصحيح الترغيب (٣٥٢٥) والصحيحة (٤١٢) وهو حديث صحيح.

^{٥٩١} - ٣٦٢/٢ (٨٩٨٠) وع(٦٠٠٣) وطيا(٢٥٧٠) والجمع ١٣/٣ (٤٠١٥) وإتحاف الخيرة (١٩٨٥) وهو حديث حسن.

^{٥٩٢} - ابن ماجه (١٦٤٨) وهو حديث صحيح ومسلم (٩٣٤) بنحوه -والقطران النحاس المذاب.

^{٥٩٣} - في الجنايز ح ١٠(٩٢٢) وش(١٢١١٧) وطب(١٩٠٩٦) وهق (٧٣٦٠) -قَوْلُهَا : (تُسْعِدِنِي) أي تُسَاعِدِنِي فِي الْبُكَاءِ وَالتَّوَحُّحِ .

فَاحْتُ فِي أَفْوَهِنَّ الثَّرَابِ » . فَقُلْتُ أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَكَ ، لَمْ تَفْعَلْ مَا أَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَلَمْ تَتْرُكْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - مِنَ الْعَنَاءِ أخرجه البخاري ^{٥٩٤} - فَاحْتُ أَي : ارم قال السيوطي في شرح النسائي : قوله (فَاحْتُ فِي أَفْوَهِنَّ الثَّرَابِ) يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا أَنَّ التَّادِيبَ يَكُونُ بِمِثْلِ هَذَا وَنَحْوِهِ وَهَذَا إِرْشَادٌ عَظِيمٌ قَلَّ مَنْ يَتَفَطَّنُ لَهُ . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » . رواه البخاري ومسلم ^{٥٩٥}

أي ليس على طريقنا الكاملة من لطم الخدود وبقوة وسخط ومزق ملابسه ونادى بألفاظ الندبة والاستغاثة الجاهلية.. وَالْمُرَادُ بِالْجَاهِلِيَّةِ مَا كَانَ فِي الْفَتْرَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - لَعَنَ الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا وَالشَّاقَّةَ حَيْبَهَا وَالِدَاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ » رواه ابن ماجه ^{٥٩٦} - قَوْلُهُ (الْخَامِشَةُ وَجْهَهَا) مِنْ خَمَشَ وَجْهَهُ إِذَا قَشَرَ جِلْدَهُ مِنْ بَابِ نَصَرَ وَتَخْصِيصِ الْمَرْأَةِ لِمَا تَقْدَمُ وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ النَّفْسَ الْخَامِشَةَ فَيَشْمَلُ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى .

^{٥٩٤} - البخاري (١٢٩٩ و ١٣٠٥) ومسلم (٩٣٥) وأبو داود (٣١٢٢) نص ١٥/٤ (١٨٥٨) وحكم (٢٧١١٨) وك (٤٣٤٩) وهق (٧٣٣٦)

^{٥٩٥} - البخاري ١٠٣/٢ و ١٠٤ و ٢٢٣/٤ (١٢٩٤ و ١٢٩٧ و ١٢٩٨ و ٣٥١٩) ومسلم في الإيمان ح ١٦٥ (١٠٣)

^{٥٩٦} - ابن ماجه (١٦٥٢) وش (١١٣٤٣) والصحيحة (٢١٤٧) وشرح السنة ٢٩٠/٣ وهو حديث حسن.

المبحث الرابع والثلاثون

الترهيب من إحداث المرأة على غير زوجها فوق ثلاث

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ نَافِعٍ عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الثَّلَاثَةَ قَالَتْ زَيْنَبُ دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - حِينَ تُؤْفَى أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، فَدَعَتْ أُمَّ حَبِيبَةَ بِطَبِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ خَلُوقٌ أَوْ غَيْرُهُ فَدَهَنْتْ مِنْهُ جَارِيَةً ، ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضِيهَا ، ثُمَّ قَالَتْ وَاللَّهِ مَا لِي بِالطَّبِيبِ مِنْ حَاجَةٍ ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مِيتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » رواه البخاري ومسلم

وعند أبي داود عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الثَّلَاثَةِ قَالَتْ زَيْنَبُ دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ حِينَ تُؤْفَى أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ فَدَعَتْ بِطَبِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ خَلُوقٌ أَوْ غَيْرُهُ فَدَهَنْتْ مِنْهُ جَارِيَةً ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضِيهَا ثُمَّ قَالَتْ وَاللَّهِ مَا لِي بِالطَّبِيبِ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مِيتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » . قَالَتْ زَيْنَبُ وَدَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ حِينَ تُؤْفَى أَخُوهَا فَدَعَتْ بِطَبِيبٍ فَمَسَّتْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَتْ وَاللَّهِ مَا لِي بِالطَّبِيبِ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ « لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مِيتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » . قَالَتْ زَيْنَبُ وَسَمِعْتُ أُمِّي أُمَّ سَلَمَةَ تَقُولُ جَاءَتْ امْرَأَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَتِي تُؤْفَى عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدْ اشْتَكَتْ عَيْنَهَا أَفَنَكْحُلُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَا » . مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ « لَا » . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِمَّا هِيَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ » . قَالَ حُمَيْدٌ فَقُلْتُ لَزَيْنَبَ وَمَا تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ فَقَالَتْ زَيْنَبُ كَانَتْ الْمَرْأَةُ إِذَا تُؤْفَى عَنْهَا زَوْجُهَا دَخَلَتْ حَفْشًا وَلَبَسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا وَلَمْ تَمَسَّ طَبِيبًا وَلَا شَيْئًا حَتَّى تَمُرَّ بِهَا سَنَةٌ ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَّةٍ حِمَارٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ طَائِرٍ فَتَفْتَضُّ بِهِ

فَقَلَّمَا تَقْتَضُ بِشَيْءٍ إِلَّا مَاتَ ثُمَّ تَخْرُجُ فَتُعْطَى بَعْرَةً فَتَرْمِي بِهَا ثُمَّ تُرَاجِعُ بَعْدَ مَا شَاءَتْ مِنْ طِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ الْحَفْشُ يَبْتُ صَغِيرٌ.^{٥٩٧}

الخلوق : طيب مركب من الزعفران وغيره من أنواع الطيب تغلب عليه الحمرة والصفرة العارضان : جانبا الوجه وصفحتا الخدين ، أي لا يجوز لها أن تحزن عليه وتلبس ثياب الحزن، وتترك الزينة أكثر من ثلاثة أيام، إلا إذا كان المتوفى زوجها فتحد أربعة أشهر وعشرة أيام، ما لم تكن حاملاً، فإذا كانت حاملاً فعدتها تنتهي بوضع الحمل كما هو رأي جمهور الفقهاء.

الإحداد وهو ترك الزينة بأنواعها طوال مدة العدة، ولكنه غير واجب على كل معتدة. فالمعتدة من طلاق رجعي لا إحداد عليها بالاتفاق، لأن زوجيتها قائمة بل يستحب لها التزين لأنه قد يكون طريقاً إلى تحديد رغبة زوجها فيها فراجعها.

أما المعتدة من وفاة فيجب عليها الإحداد باتفاق الفقهاء ومنهم الحنفية فيجب عليها ترك التزين بملبس جرى العرف الناس بأنه من ملابس الزينة، ولا تقييد فيه بلون خاص لأن العرف يختلف فيه من زمن لآخر ومن بلد لغيره، وترك الحلي بكافة أشكاله، والطيب والادهان والكحل والحناء، ولا تكتحل إلا لضرورة، فإن كان يكفي في دفعها الاكتحال ليلاً اقتصرت عليه وإلا وقفت عند ما يدفعها، ولا فرق في ذلك بين الزوجة الكبيرة والصغيرة والحامل وغير حامل، أما ضرورات الحياة من الاستحمام والتنظيف وتسريح الشعر فليست ممنوعة منها.

وإنما وجب عليها ذلك لما ورد من الأحاديث: منها ما رواه أبو داود بسنده أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة وعشرا"، ولأن في ترك الزينة قطعاً لأطماع الراغبين فيها حيث لا زوج يحميها ويمنع عنها هؤلاء، ولأن الزواج نعمة عظيمة وقد فاتت بوفاة زوج وفي حافظ عليها إلى آخر لحظة في حياته، وفوات النعم ووفاء الزوج يقتضيها ترك التزين

^{٥٩٧} - البخاري ٩٩/٢ و ٧٦/٧ و ٧٩ (١٢٨٠ و ١٢٨١ و ٥٣٣٤ و ٥٣٣٩ و ٥٣٤٥) ومسلم في الطلاق باب ٩ ح(٥٨ و ٥٩ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٥ و ١٤٨٦ و ١٤٨٧) وأبو داود (٢٣٠١) وهو حديث مشهور.

إظهاراً للأسف على ما فات ومقابلة الوفاء بالوفاء، وفوق ذلك فهو أدب جميل تقره الفطرة السليمة ويحمده الناس.

والإحداد: لا يخلو من حق للشارع فيه حيث أمر به ليحفظ المعتدة من طمع الطامعين، ولذلك قرر الفقهاء أنه لا يستطيع أحد إسقاطه، فلو أوصاها زوجها قبل وفاته بعدم الحداد لم يكن لها تركه.

أما المعتدة من طلاق بائن:

فذهب الحنفية إلى أن عليها الإحداد، لأن من مقاصده إظهار الحزن والأسى على فوات نعمة الزواج الذي كان يصونها ويكفيها مؤونة الحياة فأشبهت معتدة الوفاة.

وذهب جمهور الفقهاء -المالكية والشافعية والحنابلة- إلى أنه لا إحداد عليها، لأنه وجب في حالة الوفاة أسفاً لفراق زوج وفي بعده لآخر لحظة من حياته، فأقل ما تكافئه به هو إظهار الحزن والأسف على فراقه، أما المطلق فقد أساء إليها وحرمها من نعمة الزواج فكيف نلزمها بالحزن عليه؟^{٥٩٨}

^{٥٩٨} - انظر :

<http://www.islampedia.com/MIE/ahkam/AHKAM10.html>

<http://www.baitona.net/forum/baitona/21-5084/bait>

<http://r-khair.com/fkhislami/a890.php>

المبحث الخامس والثلاثون

النهي عن أكل ما اليتيم بغير حق

عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ » . رواه مسلم ^{٥٩٩}

قال النووي رحمه الله : هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلُ عَظِيمٍ فِي اجْتِنَابِ الْوَلَايَاتِ ، لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوُطَائِفِ تِلْكَ الْوَلَايَةِ ، وَأَمَّا الْحَزَنُ وَالنَّدَامَةُ فَهُوَ حَقٌّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا ، أَوْ كَانَ أَهْلًا وَلَمْ يَعْدِلْ فِيهَا فَيُخْزِيهِ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَفْضَحُهُ ، وَيَنْدَمَ عَلَى مَا فَرَّطَ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْوَلَايَةِ ، وَعَدَلَ فِيهَا ، فَلَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ ، تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ كَحَدِيثِ : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ " وَالْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ هُنَا عَقِبَ هَذَا (أَنَّ الْمُفْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ) وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ مُتَعَقِدٌ عَلَيْهِ ، وَمَعَ هَذَا فَلِكَثْرَةِ الْخَطَرِ فِيهَا حَذَرُهُ ﷺ مِنْهَا ، وَكَذَا حَذَرُ الْعُلَمَاءِ ، وَامْتَنَعَ مِنْهَا خُلَاقٌ مِنَ السَّلَفِ ، وَصَبَرُوا عَلَى الْأَذَى حِينَ امْتَنَعُوا .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ » . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ قَالَ « الشَّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسَّحَرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » . رواه البخاري ومسلم ^{٦٠٠}

وسميت الموبقات: لأنها تدخل صاحبها النار.

وما وجدت هذه الموبقات أو إحداها في مجتمع إلا دب إليه الفساد والتفكك والتنافر والبغضاء والكراهية.

^{٥٩٩} - في الإمارة ح ١٧ (١٨٢٦) وأبو داود (٢٨٧٠) ونص ٢٥٥/٦ (٣٦٨٢) ون (٦٤٦١) وك (٧٠١٧)

^{٦٠٠} - البخاري ٢١٢/٤ و ٢٠/٨ و ٢٤٩ و ٧٦/٩ (٢٧٦٦) و ٥٧٦٤ و ٦٨٥٧ (٨٩) ومسلم (٨٩) وأبو داود (٢٨٧٦) ونص (٣٦٨٦) وهق (١٣٠٤٢)

ولهذا شدد الإسلام في عقوبة من ارتكب شيئاً من هذه الموبقات نظراً لما تسببه من فساد مادي ومعنوي للمجتمعات المسلمة.

ونظراً لأنها تصطدم بمقاصد الشريعة الإسلامية الأساسية، والتي اتفقت على صيانتها الأديان وأصحاب العقول السليمة.

فقد اتفقت دعوة الأنبياء على صيانة الدين والنفس والعقل والمال والعرض والنسب والمحافظة عليها، وارتكاب هذه الكبائر يتنافى مع صيانة هذه الكليات، كما أنه يتنافى مع تكريم الله تعالى للإنسان وتشريفه أن يعبد غير الله تعالى، فمن أشرك بالله تعالى وعبد غيره من المخلوقات فقد انحط عن مرتبة الإنسانية لأنه مخلوق لعبادة الله تعالى وحده، والكون كله مسخر لخدمته لكي يؤدي هذه المهمة العظيمة.

ومن أساسيات الدعوة الإسلامية إقامة مجتمع مسلم متماسك قوي يعبد الله تعالى وحده لا شريك له ويعمر أرض الله تعالى وفق شريعته كما قال سبحانه وتعالى على لسان أنبيائه: اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ {هود: ٦١}. ولا يمكن إقامة هذا المجتمع إذا كانت تنخر في جسمه الكبائر والموبقات. والله أعلم.

والمقصود هنا أنه قد يموت الوالد وأولاده صغار، فيتولى أمرهم آخر وربما أكل مالهم بغير حق أو أساء التصرف فيه فجاءت النصوص الشرعية تحرم ذلك تحريماً قاطعاً، لكي لا تضيع حقوقهم.

ويكفي قول الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا } (١٠) سورة النساء

إن هذا المال . . نار . . وإنهم ليأكلون هذه النار . وإن مصيرهم إلى النار فهي النار تشوي البطون وتشوي الجلود . هي النار من باطن وظاهر . هي النار مجسمة حتى لتكاد تحسها البطون والجلود وحتى لتكاد تراها العيون وهي تشوي البطون والجلود!

ولقد فعلت هذه النصوص القرآنية بإيجازها العنيفة العميقة فعلها في نفوس المسلمين . خلصتها من روااسب الجاهلية . هزتها هزة عنيفة ألقت عنها هذه الرواسب . وأشاعت

فيها الخوف والتحرج والتقوى والحذر من المساس - أي مساس - بأموال اليتامى . .
كانوا يرون فيها النار التي حدثهم الله عنها في هذه النصوص القوية العميقة الإيحاء .
فعادوا يجفلون أن يمسوها ويبالغون في هذا الإجفال!

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما نزلت : { إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً } . . الآية . . انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد . فاشتد ذلك عليهم . فذكروا ذلك لرسول الله - ﷺ - فأنزل الله : { ويسألونك عن اليتامى . قل : إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم . والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم . . } « الآية
« فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم . .
وكذلك رفع المنهج القرآني هذه الضمائر إلى ذلك الأفق الوضيء؛ وطهرها من غيبش
الجاهلية ذلك التطهير العجيب . ٦٠١

٦٠١ - انظر تفسير ابن كثير عند تفسير الآية (٢٢٠) من سورة البقرة

المبحث السادس والثلاثون

الترغيب في زيارة القبور

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ زَارَ النَّبِيُّ ﷺ - قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ « اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ » . رواه مسلم ٦٠٢

فيه دليل على جواز البكاء على الميت ولا حرج في ذلك بشرط ألا يكون فيه نواح أو ما شابه ذلك، وليس ذلك من سخط الله ، ولا ينافي القدر، وهو عاطفة بشرية فطرية في النفس الإنسانية تحدث عندما يفقد الإنسان من يجب .

وسبب عدم الإذن بالاستغفار لها ، لأنها من أهل الفترة لقوله تعالى: { وَمَا كُنَّا مُعَذِّينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } (١٥) سورة الإسراء ، أي ماتت قبل الرسالة.

وفي حاشية السندي على ابن ماجة : قَوْلُهُ (فَبَكَى وَأَبَكَى إِيَّاهُ) كَأَنَّهُ أَخَذَ التَّرْجَمَةَ مِنَ الْمَنْعِ عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ أَوْ مِنْ مُجَرَّدِ أَنَّهُ الظَّاهِرُ عَلَى مُقْتَضَى وَجُودِهَا فِي وَقْتِ الْجَاهِلِيَّةِ لَأَنَّ قَوْلَهُ فَبَكَى وَأَبَكَى إِذْ لَا يَلْزَمُ مِنَ الْبُكَاءِ عِنْدَ الْحُضُورِ فِي ذَلِكَ الْمَحَلِّ الْعَذَابُ أَوْ الْكُفْرُ بَلْ يُمَكِّنُ تَحَقُّقَهُ مَعَ النَّجَاةِ وَالْإِسْلَامِ أَيْضًا لَكِنْ مَنْ يَقُولُ بِنَجَاةِ الْوَالِدَيْنِ لَهُمْ ثَلَاثَةُ مَسْأَلَاتٍ فِي ذَلِكَ مَسْأَلَتُكُمَا أَنَّهُمَا مَا بَلَغَتْهُمَا الدَّعْوَةُ وَلَا عَذَابٌ عَلَى مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } (١٥) سورة الإسراء ، فَلَعَلَّ مَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْأَلَةَ يَقُولُ فِي تَأْوِيلِ الْحَدِيثِ: إِنَّ الْإِسْتِغْفَارَ فَرَعٌ تَصَوُّرُ الذَّنْبِ وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ التَّكْلِيفِ وَلَا يُعْقَلُ ذَلِكَ فِيمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ فَيُمْكِنُ أَنَّهُ مَا شَرَعَ الْإِسْتِغْفَارَ إِلَّا لِلْأَهْلِ الدَّعْوَةُ لَا لِغَيْرِهِمْ وَإِنْ كَانُوا نَاجِينَ ، وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ بِأَنَّهُمَا أَحْيَا لَهُ ﷺ فَأَمَّا بِهِ فَيَحْمِلُ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْإِخْبَارِ ، وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ بِمَنْعِ الْإِسْتِغْفَارِ لَهُمَا قَطْعًا فَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّأْوِيلِ فَاتَّضَحَ وَجْهُ الْحَدِيثِ عَلَى جَمِيعِ الْمَسْأَلَاتِ .

قلت : حديث إحيائهما لا يصح من وجه ، فلا حجة فيه .

٦٠٢ - في الجنايز ح ١٠٨ (٩٧٦) وابن ماجة (١٦٣٩) وأحمد ٤٤١/٢ (٩٩٣٩)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيدِ فَاشْرَبُوا وَلَا أُحِلُّ مُسْكِرًا وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ الْأَضْحَى فَكُلُوا » . رواه أحمد ^{٦٠٣}

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُزْهِدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ » . رواه ابن ماجه ^{٦٠٤}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - لَعَنَ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ . رواه الترمذي ^{٦٠٥}
وقال الترمذي : قَالَ وَفِي الْبَابِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ . قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَقَدْ رَأَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ هَذَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يُرَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَلَمَّا رَخَّصَ دَخَلَ فِي رُخْصَتِهِ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا كَرِهَ زِيَارَةَ الْقُبُورِ لِلنِّسَاءِ لِقَلَّةِ صَبْرِهِنَّ وَكَثْرَةِ جَزَعِهِنَّ . اهـ

وحمله بعضهم على تحريم زيارتهن للمقابر مطلقاً، وحمله آخرون على ما إذا ارتكبن محذورات كلطم ونواح وتكشف، وأجازوه إذا خلا من المحذورات لعموم النصوص التي تحث على زيارة القبور، لأنها تذكر الآخرة، والنساء بحاجة لذلك كالرجال تماماً .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ أخرجہ ابن عبد البر في الاستذكار ^{٦٠٦}

وقال ابن كثير رحمه في تفسيره : وقد استدلت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، بهذه الآية: { إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى } ، على توهيم عبد الله بن عمر في روايته مخاطبة النبي ﷺ

^{٦٠٣} - ٣٨ / ٣ (١١٦٣٧) ونص ٣١١/٨ والمجمع ٥٧/٣ و٥٨ (٤٢٩٩) وش (١١٨٠٨) وهو حديث صحيح.

^{٦٠٤} - برقم (١٦٣٨) ونص ٣١١/٨ (٥٦٧٠) والبيهقي ٧٦/٢ (٧٤٤٤) و الحاكم ٣٧٦/١ (١٣٨٧) و (١٣٩٣)

وحم (١٢٤٩) و٤٤٠٧ و٢٣٧٠٧ و٢٣٧١٩ و٢٣٧٥٤ (٢٣٧٥٤) من طرق كثيرة وهو حديث صحيح مشهور

^{٦٠٥} - برقم (١٠٧٦) وأبو داود (٣٢٣٦) والنسائي ٩٥/٤ وأحمد ٢٢٩/١ و ٢٨٧ (٨٦٧٣) و (٨٦٧٦) وعب

(٦٧٠٥) وطب (٣٥١١ و ٣٥١٢) وصحيح الترغيب (٣٥٤٥) وابن أبي شيبه ٣٧٦/٢ والبيهقي ٧٨/٢ وهو حديث

صحيح لغيره

^{٦٠٦} - الفيض (٨٠٦٢) ودليل الفالحين (٣٥٨٣) والاستذكار ١٨٤/١ وهو حديث حسن

القتلى الذين ألقوا في قليب بدر ، بعد ثلاثة أيام ، ومعاتبته إياهم وتقريعه لهم ، حتى قال له عمر: يا رسول الله، ما تخاطب من قوم قد جئفوا ؟ فقال: "والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون". وتأولته عائشة على أنه قال: "إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق"

وقال قتادة : أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته تفرغاً وتوبيخاً ونقمة.

والصحيح عند العلماء رواية ابن عمر، لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاً [له] ، عن ابن عباس مرفوعاً: "ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم، كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه، حتى يرد عليه السلام" .

[وثبت عنه ﷺ أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له، إذا انصرفوا عنه، وقد شرع النبي ﷺ لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول المسلم: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر، فروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: "ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده، إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم". ثم ذكر روايات عديدة قال عقبها : "وقد شرع السلام على الموتى، والسلام على مَنْ لم يشعر ولا يعلم بالمسلم محال، وقد علم النبي ﷺ أمته إذا رأوا القبور أن يقولوا: "سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية"، فهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد، وإن لم يسمع المسلم الرد ، والله أعلم^{٦٠٧}

وعن أبي هريرة قال : قال أبو رزين : يا رسول الله إن طريقي على الموتى فهل من كلام أتكلم به إذا مررت عليهم ؟ قال : « قل : السلام عليكم أهل القبور من المسلمين

^{٦٠٧} - تفسير ابن كثير - (ج ٦ / ص ٣٢٤)

والمؤمنين ، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » ، قال : أبو رزين يا رسول الله يسمعون ؟ قال : « يسمعون ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا » ، قال : « يا أبا رزين ألا ترضى أن يرد عليك بعددهم من الملائكة » . ولا يعرف إلا بهذا اللفظ أخرجه العقيلي^{٦٠٨}

وقال ابن القيم : وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمتزلة خطاب المعدوم والجماد ، والسلف مجمعون على هذا ، وقد تواترت الآثار بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به . وجاء في فتاوى العز بن عبد السلام : والظاهر أن الميت يعرف الزائر ، لأننا أمرنا بالسّلام عليهم ، والشرع لا يأمر بخطاب من لا يسمع . وعن عائشة قالت كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله ﷺ - وأبي فأضع ثوبي فأقول إنما هو زوجي وأبي فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر . أخرجه أحمد^{٦٠٩}

وهذا يدل على ورعها وعمق إيمانها وحيائها من الله تعالى ، هذه المرأة المصونة هي التي أراد المنافقون أن يلطخوا سمعتها بإفكهم فتزل القرآن ببراءتها وعفتها ، لذلك فمن وقع فيها أو اتهمها فإنما يتهم الله تعالى ويكذب النص القرآني القاطع - عافانا الله من ذلك،^{٦١٠}

^{٦٠٨} - برقم (١٧١٩) وفيه جهالة ، وله شواهد بنحوه عن عائشة وابن عباس وأبي هريرة وبريدة انظرها في جامع

الأصول ١٥٤/١١ - ١٥٨

^{٦٠٩} - ٢٠٢/٦ (٢٦٤٠٨) والحاكم ٦١/٣ (٤٤٠٢) والجمع (١٢٧٠٤) وهو حديث صحيح

^{٦١٠} - راجع كتاب عائشة أم المؤمنين للأستاذ عبد الحميد طهماز ط دار القلم

المبحث السابع والثلاثون

الترهيب من المرور بقبور الظالمين

عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «لَأَصْحَابِ الْحِجْرِ» لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذِّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ» .
وفي رواية أخرى عَنْ سَالِمٍ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ » . رواه البخاري ومسلم ٦١١

مساكن ثمود : هم قبيلة أرسل الله إليها سيدنا صالح عليه السلام فكذبوه فأهلكهم الله تعالى بذنوبهم.

أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ ، أي: خشية أن يقع بكم العذاب، وفيه الحث على المراقبة عند المرور بديار الظالمين ومواضع العذاب.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " قوله: إلا أن تكونوا باكين ليس المراد الاقتصار في ذلك على ابتداء الدخول بل دائماً عند كل جزء من الدخول، وأما الاستقرار فالكيفية المذكورة مطلوبة فيه بالأولوية... ووجه هذه الخشية أن البكاء يبعثه على التفكير والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكير في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة، ثم إيقاع نقمة بهم وشدة عذابه، وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك. والتفكير أيضاً في مقابلة أولئك نعمة الله بالكفر وإمهالهم أعمال عقولهم فيما يوجب الإيمان به والطاعة له، فمن مر عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتباراً بأحوالهم فقد شابههم في

٦١١ - البخاري ١/١١٨ و ٩/٦ و ١٠١ (٤٣٣ و ٣٣٨٠ و ٣٣٨١ و ٤٤١٩ و ٤٤٢٠ و ٤٧٠٢ و ٦٩٩٤) ومسلم (٢٩٨٠) وعبد الرزاق (١٦٢٣ و ١٦٢٤) وطب (١٣٤٧٨) والبيهقي ٤٥١/٢ (٤٥٤٢) وغيرهم.

الإهمال، ودل على قساوة قلبه وعدم خشوعه، فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل مثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم. انتهى^{٦١٢}

إن رسول الله ﷺ يعلمنا الحيلة من مصاحبة الظالمين وعدم الذهاب إلى أماكنهم، أو المرور منها، فكيف بمن يصاحبهم وكيف بمن يكون منهم؟ قال تعالى: { وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ } (١١٣) سورة هود .

^{٦١٢} - فتح الباري لابن حجر - (ج ٢ / ص ١٥٧)

المبحث الثامن والثلاثون

أحوال الموتى في قبورهم

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَشَةٌ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَلَا عِنْدَ الْقَبْرِ »

وفي رواية عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ ، وَلَا مَنَشَرِهِمْ ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُمْ يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ ، وَيَقُولُونَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ « أخرجه الطبراني ^{٦١٣} أي أن من قال لا إله إلا الله بإخلاص ، وعمل بموجبه من طاعة الله ولرسوله ﷺ ومعصية للشيطان، فهو لاء لا وحشة عليهم، أما مجرد التلفظ بها دون فهم معناها والعمل بموجبه فلا ينفعه ذلك. ^{٦١٤}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : " الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءُ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ " ^{٦١٥} أخرجه أبو يعلى

وهذه الحياة البرزخية تختلف عن الحياة في الدنيا، ولا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى، وليس من إشكال في القول بحياة الأنبياء والشهداء، وأن النبي ﷺ تبليغه صلاتنا وسلامنا، وأن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، فكل ذلك قد ثبت بالسنة الصحيحة، يجب التسليم به دون السؤال عن الكيفية فالله أعلم بها.

^{٦١٣} - برقم (٤٦٠ و ٤٥٧) وطس (١١٥٠٢ و ١١٥٣٣) وهب (٩٥) والمجمع ٣٣٣/١٠ (١٦٨٠٧) و ١٦٨٠٨ و ١٨٣٢٤ و (١٨٣٢٤ و ١٨٣٢٤) وإتحاف الخيرة (٦١١٨) وخيشمة ص ١٩٧ وأمالى ابن بشران (٧٤٣) والبعث والنشور (٧٨) و (٧٩) والمطالب العالية (٣٤٧٨) والترغيب ٤١٦/٢ وابن كثير ٥٨٣/٥ و ٥٣٧/٦ وتاريخ جرجان ٣٢٥ والخطيب ٢٦٦/١ و ٣٠٥/٥ و ٢٦٥/١٠ وابن عدي ١٥٨٢/٤ وهو حديث ضعيف وله طرق

^{٦١٤} - راجع فتاوى الشبكة الإسلامية (٥٣٩٨)

^{٦١٥} - برقم (٣٣٣١) و مسند الزوار (٦٨٨٨) والمجمع (١٣٨١٢) وإتحاف المهرة (٦٥٣١) وحياة الأنبياء للبيهقي (١٧٢٠١) والمطالب ٢٦٩/٢ والفتح ٤٨٧/٦ والميزان (١٩٣٣) والصحيحة (٦٢١) وهو حديث صحيح

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - حِبَاءَهُ عَلَى قَبْرِ وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ضَرَبْتُ حِبَائِي عَلَى قَبْرِ وَأَنَا لَا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الْمَلِكُ حَتَّى خَتَمَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ». أخرجه الترمذي ٦١٦

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « نَمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي الْحَجَّةِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ٦١٧ ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « كَذَاكَ الْبِرُّ كَذَاكَ الْبِرُّ ». وَكَانَ أَبْرَّ النَّاسِ بِأُمَّهِ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٦١٨

البر : اسم جامع لكل معاني الخير والإحسان والصدق والطاعة وحسن الصلة والمعاملة
وَعَنِ أَبِي قَتَادَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا وَلِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلِيَحْسِنْ كَفَنَهُ ، فَإِنَّمْ يَتَزَاوَرُونَ فِي قُبُورِهِمْ » أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْمَنَامَاتِ ٦١٩

أما كيف يتزاورون فلا ندري تفصيل ذلك، فالله أعلم.
وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَلَمَّا بَرَزْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ إِذَا رَاكِبٌ يُوضِعُ نَحْوَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « كَأَنَّ هَذَا الرَّاَكِبَ إِيَّاكُمْ يُرِيدُ ». قَالَ فَأَتَيْتُهُ الرَّجُلُ إِلَيْنَا فَسَلَّمَ فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ - « مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ». قَالَ مِنْ أَهْلِي وَوَلَدِي وَعَشِيرَتِي. قَالَ « فَأَيْنَ تُرِيدُ ». قَالَ أُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - . قَالَ « فَقَدْ أَصَبْتَهُ ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي مَا الْإِيمَانُ. قَالَ « تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا

٦١٦ - برقم (٣١٣٣) وطب (١٢٦٣٠) ودلائل النبوة (٢٩٦٥) وإثبات عذاب القبر (١٢٩) ومختصر قيام الليل (١٨٤) والحاكم ٤٩٨/٢ وهو حديث ضعيف وصح منه المرفوع فقط ، فأكثر من قراءتها لتنجيك من عذاب القبر.

٦١٧ - وفي الاستيعاب : حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك ابن النجار الأنصاري يكنى أبا عبد الله شهد بدرًا وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من فضلاء الصحابة....

٦١٨ - أحمد ١٥٢/٦ (٢٥٩٢٦) والحاكم ١٥١/٤ (٧٢٤٧) ون (٨١٧٦) والإحسان (٧١٤١) وهب (٧٦٠٦) وخلق أفعال العباد (٢٤٦) وهو حديث صحيح.

٦١٩ - برقم (١٦٤) ومسلم مختصر برقم (٢٨٠٥) وابن ماجه (١٤٧٤) والنسائي ٣٣/٤ والخطيب ١٦٠/٤ و ٨٠/٦ والعقيلي ٥٥/٢ (٥٨١) وعب (٦٢٠٩) وهب (٨٩٦٥) والصحيحة (١٤٢٥) وابن عدي ١٧٦٠/٥ وتاريخ أصفهان ٣٤٦/٢ وهو حديث صحيح لغيره.

رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ». قَالَ قَدْ أَقَرَّرْتُ.
 قَالَ ثُمَّ إِنَّ بَعِيرَهُ دَخَلَتْ يَدَهُ فِي شَبَكَةِ جُرْذَانٍ فَهَوَى بَعِيرُهُ وَهَوَى الرَّجُلُ فَوَقَعَ عَلَى هَامَتِهِ
 فَمَاتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « عَلَى بِالرَّجُلِ ». قَالَ فَوُتِبَ إِلَيْهِ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَحُذَيْفَةُ
 فَأَفْعَدَاهُ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قُبِضَ الرَّجُلُ. قَالَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -
 ثُمَّ قَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَمَا رَأَيْتُمَا إِعْرَاضِي عَنِ الرَّجُلِ فَإِنِّي رَأَيْتُ مَلَكَيْنِ
 يَدُسَّانِ فِيهِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَاتَ جَائِعًا ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «
 هَذَا وَاللَّهِ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ
 الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) ». قَالَ ثُمَّ قَالَ « دُونَكُمْ أَحَاكُم ». قَالَ فَاحْتَمَلْنَاهُ إِلَى الْمَاءِ
 فَعَسَلْنَاهُ وَحَنَطْنَاهُ وَكَفَّنَاهُ وَحَمَلْنَاهُ إِلَى الْقَبْرِ - قَالَ - فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى
 جَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ. قَالَ فَقَالَ « الْحَدُّوا وَلَا تَشُقُّوا فَإِنَّ اللَّحْدَ لَنَا وَالشَّقَّ لِغَيْرِنَا » رواه

٦٢٠

أحمد

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « رَأَيْتُ جَعْفَرًا ^{٦٢١} يَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ مَعَ
 الْمَلَائِكَةِ » أخرجه الترمذي ^{٦٢٢}

قال المناوي رحمه الله في فيض القدير: (٤٣٨٣) (رأيت جعفر بن أبي طالب) هو ابن عم
 النبي ﷺ الذي استشهد بمؤتة (ملكاً) أي على صورة ملك من الملائكة (يطير في الجنة مع
 الملائكة بجناحين) سمياً جناحين لأن الطائر يجنحهما عند الطيران أي يميلهما عنده ومنه
 {وإن جنحوا للسلم} وهذا قاله لولده لما جاء الخبر بقتله وفي رواية عوضه الله جناحين
 عن قطع يديه وذلك أنه أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه فقتل.
 قال القاضي: لما بذل نفسه في سبيل الله وحارب أعداءه حتى قطعت يداه ورجلاه أعطاه

٦٢٠ - ٣٥٩/٤ (١٩٦٩٥) ومعرفة الصحابة (٦٥٦٦) والجمع ٤٢/١ (١١٦) وتزيه الشريعة ٣٦١/٢ وهو حسن
 لغيره.

٦٢١ - وهو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه الصحابي الجليل وهو الذي استشهد بغزوة مؤتة وكان أحد قوادها
 الثلاث انظر الأعلام وسير أعلام النبلاء.

٦٢٢ - برقم (٤١٣٠) وطب (١٤٤٩ و ٢٦٠٩) والإحسان (٧١٧٢) ومعرفة الصحابة (١٣٤١) والجمع (١٥٤٩٦)
 والحاكم ٢٠٩/٣ والصحيحة (١٢٢٦) من طرق وهو حديث صحيح.

اللّٰه أجنحة روحانية يطير بها مع الملائكة ولعله رآه في المنام أو في بعض مكاشفاته اهـ. وقال السهيلي: ليسا كجناحي الطائر لأن الصورة الآدمية أشرف بل قوة روحانية وقد عبر القرآن عن العضو بالجناح توسعاً {واضمم يدك إلى جناحك} واعترض بأنه لا مانع من الحمل على الظاهر إلا من جهة المعهود [ص ٩] وهو قياس الغائب على الشاهد وهو ضعيف. (تمة) قال في الإصابة: كان أبو هريرة يقول: إن جعفر أفضل الناس بعد رسول اللّٰه ﷺ، ورد عنه بسند صحيح. اهـ

فالحياة التي أثبتتها هذه الأحاديث للموتى إنما هي حياة برزخية، ليست من حياة الدنيا في شيء، ويجب الإيمان بها دون ضرب الأمثال لها، أو محاولة تكييفها وتشبيهها بما هو معروف عندنا في الدنيا^{٦٢٣}.

^{٦٢٣} - راجع السلسلة الصحيحة ١٩٠/٢ - ١٩١

المبحث التاسع والثلاثون

باب صفة الدفن

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِعَيْرِنَا»^{٦٢٤} أخرجه أبو داود
وفي عون المعبود شرح سنن أبي داود : (وَالشَّقُّ) : بَفَتْحِ الشَّيْنِ أَنْ يَحْفَرَ وَسَطَ أَرْضِ
الْقَبْرِ وَيَبْنِي حَافَتَاهُ بَلْبِنٍ أَوْ غَيْرِهِ وَيُوضَعُ الْمَيِّتُ بَيْنَهُمَا وَيُسْقَفُ عَلَيْهِ (لِعَيْرِنَا) : مِنْ
الْأَمَمِ السَّابِقَةِ فَالْلَّحْدُ مِنْ خُصُوصِيَّاتِ هَذِهِ الْأُمَّةِ . وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ اللَّحْدِ ، وَلَيْسَ
فِيهِ نَهْيٌ عَنِ الشَّقِّ . قَالَ الْقَاضِي : مَعْنَاهُ . أَنَّ اللَّحْدَ آثَرُ لَنَا وَالشَّقُّ لَهُمْ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى
اخْتِيَارِ اللَّحْدِ ، فَإِنَّهُ أَوْلَى مِنَ الشَّقِّ لَا الْمَنْعُ مِنْهُ لَكِنَّ مَحَلَّ أَفْضَلِيَّةِ اللَّحْدِ فِي الْأَرْضِ
الصُّلْبَةِ وَإِلَّا فَالشَّقُّ أَفْضَلُ . قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ ، وَفِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى مُخَالَفَتِنَا لِأَهْلِ الْكِتَابِ فِي كُلِّ
مَا هُوَ شِعَارُهُمْ

عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ شَكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - الْجِرَاحَاتُ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ «
احْفَرُوا وَأَوْسِعُوا وَأَحْسِنُوا وَأَدْفِنُوا الْإِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ وَقَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرَانًا» .
فَمَاتَ أَبِي فَقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيِ رَجُلَيْنِ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ^{٦٢٥}

وفي تحفة الأحوذى : (وَأَحْسِنُوا) أَيِ أَحْسِنُوا إِلَى الْمَيِّتِ فِي الدَّفْنِ ، قَالَهُ فِي الْأَزْهَارِ .
وَقَالَ زَيْنُ الْعَرَبِ تَبَعًا لِلْمَظْهَرِ أَيِ اجْعَلُوا الْقَبْرَ حَسَنًا بِتَسْوِيَةِ قَعْرِهِ ارْتِفَاعًا وَأَنْخِفَاضًا
وَتَنْقِيبَةً مِنَ التُّرَابِ وَالْقِدَادَةِ وَغَيْرِهِمَا . وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ : وَأَعْمَقُوا ، قَالَ
فِي الْقَامُوسِ : أَعْمَقَ الْبُئْرَ جَعَلَهَا عَمِيقَةً ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ إِعْمَاقِ الْقَبْرِ . وَقَدْ
اُخْتَلَفَ فِي حَدِّ الْإِعْمَاقِ ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : قَامَةً . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : إِلَى السُّرَّةِ .
وَقَالَ مَالِكٌ : لَا حَدَّ لِلإِعْمَاقِ . وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
أَنَّهُ قَالَ : أَعْمَقُوا الْقَبْرَ إِلَى قَدْرِ قَامَةٍ وَبَسْطَةِ قَالِهِ فِي النَّبْلِ

^{٦٢٤} - برقم (٣٢٢١٠) والتِّرْمِذِيُّ (١٠٦٣) ونص (٢٠٢١) وهـ (١٦٢١) وحـ (١٦٦٧٦) وعـ (٦٣٨٦) وطـ

(٢٢٦٩ - ٢٢٨٠) من طرق وهو حديث صحيح لغيره

^{٦٢٥} - برقم (١٨١٧) وأبو داود (٣٢١٧) ونص (٢٠٢٣ و ٢٠٢٧ و ٢٠٢٨) وهـ (١٦٢٧) وحـ (١٦٦٨٨)

وغيرهم وهو صحيح

(وَادْفِنُوا الثَّانِيْنَ وَالثَّلَاثَةَ) بِالنَّصْبِ أَيِّ مِنَ الْأَمْوَاتِ
 (فِي قَبْرِ وَاحِدٍ) فِيهِ جَوَازُ الْجَمْعِ بَيْنَ جَمَاعَةٍ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ وَلَكِنْ إِذَا دَعَتْ إِلَى ذَلِكَ
 حَاجَةٌ كَمَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ
 (وَقَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا) أَيِّ إِلَى جِدَارِ اللَّحْدِ لِيَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَفِيهِ إِرْشَادٌ إِلَى
 تَعْظِيمِ الْمُعْظَمِ عِلْمًا وَعَمَلًا حَيًّا وَمَيِّتًا

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ
 فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الْمُصَلُّونَ مَنْ يُقِيمُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْهِ
 ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ ، وَيَحْتَسِبُ صَوْمَهُ يَرَى أَنَّهُ عَلَيْهِ حَقٌّ ، وَيُعْطِي زَكَاةَ مَالِهِ يَحْتَسِبُهَا ،
 وَيَجْتَنِبُ الْكِبَائِرَ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْكِبَائِرُ
 ؟ فَقَالَ : هُوَ تَسْعُ : الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَقَتْلُ نَفْسٍ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَفِرَارُ يَوْمِ الزَّحْفِ ،
 وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ الْمُسْلِمِينَ ،
 وَاسْتِحْلَالُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قَبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ، ثُمَّ قَالَ : لَا يَمُوتُ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ هَؤُلَاءِ
 الْكِبَائِرَ ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتِيَ الزَّكَاةَ إِلَّا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَارِ أَبْوَابِهَا مَصَارِيعُ مِنْ
 ذَهَبٍ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ ٦٢٦

عَنْ أَبِي حَازِمٍ مَوْلَى الْغَفَارِيِّينَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْبَيَاضِيُّ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا
 وَضَعَ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَقُلِ الَّذِينَ يَضَعُونَهُ حِينَ يُوَضَّعُ فِي اللَّحْدِ : بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ ،
 وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ ٦٢٧

عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - خَطَبَ يَوْمًا فَذَكَرَ
 رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ قُبِضَ فَكُفِّنَ فِي كَفَنٍ غَيْرِ طَائِلٍ وَقَبِرَ لَيْلًا فَزَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ - أَنْ يُقْبَرَ
 الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِنْسَانٌ إِلَى ذَلِكَ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « إِذَا
 كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَحْسِنْ كَفَنَهُ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ٦٢٨

٦٢٦ - برقم (٦٩٧٠) وأبو داود (٢٨٧٧) وتهذيب الآثار (١٥٦٧) عن ابن عمر وهق (٦٩٧٠ و ٦٩٧١) حسن لغيره

٦٢٧ - برقم (١٣٥٥) والإرواء (٧٤٧) وهو صحيح

٦٢٨ - برقم (٢٨٠٥) ود (٣١٥٠) وت (١٠١١) ونص (١٩٠٦)

قال النووي في شرح مسلم : وَأَمَّا التَّهْيِ عَنْ الْقَبْرِ لَيْلًا حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهِ فَقِيلَ : سَبَبُهُ أَنَّ الدَّفْنَ نَهَارًا يَحْضُرُهُ كَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَحْضُرُهُ فِي اللَّيْلِ إِلَّا أَفْرَادٌ . وَقِيلَ : لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِاللَّيْلِ لِرَدَاءَةِ الْكَفْنِ فَلَا يَبِينُ فِي اللَّيْلِ ، وَيُؤَيِّدُهُ أَوَّلُ الْحَدِيثِ وَآخِرُهُ ، قَالَ الْقَاضِي : الْعِلَتَانِ صَحِيحَتَانِ ، قَالَ : وَالظَّاهِرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَصَدَهُمَا مَعًا ، قَالَ : وَقَدْ قِيلَ هَذَا .

قَوْلُهُ ﷺ : (إِلَّا أَنْ يَضْطَرَّ إِنْسَانٌ إِلَى ذَلِكَ) دَلِيلٌ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ فِي وَقْتِ الصَّرُورَةِ . وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الدَّفْنِ فِي اللَّيْلِ فَكَرِهَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِلَّا لِمُضْرُورَةٍ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا يُسْتَدَلُّ لَهُ بِهِ وَقَالَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ : لَا يُكْرَهُ ، وَاسْتَدَلُّوا بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَمَاعَةً مِنَ السَّلَفِ دُفِنُوا لَيْلًا مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ ، وَبِحَدِيثِ الْمَرْأَةِ السَّوْدَاءِ ، وَالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يَقُمُ الْمَسْجِدَ ، فَتُوْفِّي بِاللَّيْلِ فَدَفِنُوهُ لَيْلًا ، وَسَلَّاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ فَقَالُوا : تُؤْفِي لَيْلًا فَدَفِنَاهُ فِي اللَّيْلِ ، فَقَالَ : " أَلَا أَذُنْتُمُونِي ؟ " قَالُوا : كَانَتْ ظُلْمَةٌ ، وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِمْ . وَأَحَابُوا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ التَّهْيِ كَانَ لِتَرْكِ الصَّلَاةِ ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ مُجَرَّدِ الدَّفْنِ بِاللَّيْلِ ، وَإِنَّمَا نَهَى لِتَرْكِ الصَّلَاةِ أَوْ لِقَلَّةِ الْمُصَلِّينَ أَوْ عَنْ إِسَاءَةِ الْكَفْنِ أَوْ عَنْ الْمَجْمُوعِ كَمَا سَبَقَ .

وَأَمَّا الدَّفْنُ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُنْهِيَةِ عَنْ الصَّلَاةِ فِيهَا وَالصَّلَاةُ عَلَى الْمَيِّتِ فِيهَا . فَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهَا ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُ : لَا يُكْرَهُانِ إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَ التَّأْخِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ لِغَيْرِ سَبَبٍ ، بِهِ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمَالِكِيُّ ، وَقَالَ مَالِكٌ : لَا يُصَلَّى عَلَيْهَا بَعْدَ الْإِسْفَارِ وَالْإِصْفَارِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَوْ تَغِيبَ إِلَّا أَنْ يُخْشَى عَلَيْهَا . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : عِنْدَ الطُّلُوعِ وَالْعُرُوبِ وَنِصْفِ النَّهَارِ . وَكَرِهَ اللَّيْثُ الصَّلَاةَ عَلَيْهَا فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِ التَّهْيِ . وَفِي الْحَدِيثِ : الْأَمْرُ بِإِحْسَانِ الْكَفْنِ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِإِحْسَانِهِ السَّرَفُ فِيهِ وَالْمُعَالَاةُ وَنَفَاسَتُهُ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ : نِظَافَتُهُ وَنَقَاؤُهُ وَكَثَافَتُهُ وَسَتْرُهُ وَتَوَسُّطُهُ ، وَكَوْنُهُ مِنْ جِنْسِ لِبَاسِهِ فِي الْحَيَاةِ غَالِبًا ، لَا أَفْخَرَ مِنْهُ وَلَا أَحَقَرَ .

عن خَلْفٍ يَعْنِي ابْنَ خَلِيفَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ أَطْنُهُ سَمِعَهُ مِنْ مَوْلَاهُ وَمَوْلَاهُ مَعْقِلُ بْنُ
يَسَارٍ : لَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ فِي الْقَبْرِ نَزَعَ الْأَخِلَّةَ بِفِيهِ . قَوْلُهُ
أَطْنُهُ أَحْسَبُهُ مِنْ قَوْلِ الدُّورِيِّ . أخرجه البيهقي في السنن ٦٢٩

وفي هذا الحديث استحباب حل العقد من عند رأسه ورجليه، لأن عقدها كان للخوف
من انتشارها، وقد أمن ذلك بدفنه .

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ الْحَدُّوا لِي لَحْدًا وَأَنْصَبُوا عَلَيَّ
اللِّبْنَ نَصْبًا كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - . رواه مسلم ٦٣٠

قال النووي رحمه الله : وَفِيهِ دَلِيلٌ لِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَالْأَكْثَرِينَ فِي أَنَّ الدَّفْنَ فِي اللَّحْدِ
أَفْضَلُ مِنَ الشَّقِّ إِذَا أَمَكْنَ اللَّحْدَ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى جَوَازِ اللَّحْدِ وَالشَّقِّ .

قَوْلُهُ : (الْحَدُّوا لِي لَحْدًا ، وَأَنْصَبُوا عَلَيَّ اللَّبْنَ نَصْبًا ، كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ)
فِيهِ : اسْتِحْبَابُ اللَّحْدِ وَنَصْبُ اللَّبَنِ ، وَأَنَّهُ فُعِلَ ذَلِكَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاتِّفَاقِ الصَّحَابَةِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَقَدْ نَقَلُوا أَنَّ عَدَدَ لِبَنَاتِهِ ﷺ تِسْعٌ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ ثُمَّ أَتَى قَبْرَ الْمَيِّتِ فَحَنَى عَلَيْهِ مِنْ
قَبْلِ رَأْسِهِ ثَلَاثًا . أخرجه ابن ماجه ٦٣١

وفي هذا الحديث يستحب لمن الدفن عند القبر أن يحثو من التراب ثلاث حثوات بيديه
جميعاً بعد الفراغ من سد اللحد

وَعَنِ الْقَاسِمِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمِّهِ اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ -
وَصَاحِبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَكَشَفَتْ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ لَا مُشْرِفَةَ وَلَا لَاطِئَةَ مَبْطُوحَةٍ
بِبَطْحَاءِ الْعَرْصَةِ الْحَمْرَاءِ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ يُقَالُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - مُقَدَّمٌ وَأَبُو بَكْرٍ عِنْدَ
رَأْسِهِ وَعُمَرُ عِنْدَ رِجْلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - . أخرجه أبو داود ٦٣٢

٦٢٩ - برقم (٦٩٦١) والضعيفة (١٧٦٣) والصواب أنه مرسل

٦٣٠ - برقم (٩٦٦)

٦٣١ - برقم (١٦٣٢) وطب (٦٤) وهو حديث صحيح

٦٣٢ - برقم (٣٢٢٢) والحاكم (١٣٦٨) وهق (٧٠٠٦) وفيه ضعف

قَالَ الطَّبِيُّ أَيُّ كَشَفَتْ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ لَا مُرْتَفَعَةٌ وَلَا مُنْخَفِضَةٌ لَاصِقَةً بِالْأَرْضِ مَبْسُوطَةٌ مُسَوَّاةٌ ، وَالْبَطْحُ أَنْ يُجْعَلَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ مُسَطَّحًا حَتَّى يُسَوَّى وَيَذْهَبَ التَّفَاوُتُ كَذَا فِي الْمَرْقَاةِ . قَالَ السَّيِّدُ جَمَالَ الدِّينِ : وَالْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ مَعْنَاهُ أُلْقِيَ فِيهَا بِطَحَاءِ الْعَرِصَةِ الْحُمْرَاءِ انْتَهَى . وَأَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ النَّجَّادُ مِنْ طَرِيقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَفَعَ قَبْرَهُ مِنَ الْأَرْضِ شِبْرًا وَطَيْنَ بِطِينٍ أَحْمَرَ مِنَ الْعَرِصَةِ انْتَهَى .

وَعَنِ الْمُطَّلِبِ قَالَ لَمَّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ أُخْرِجَ بِجَنَازَتِهِ فُدفِنَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ - رَجُلًا أَنْ يَأْتِيَهُ بِحَجَرٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلُهُ فَقَامَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعِيهِ - قَالَ كَثِيرٌ قَالَ الْمُطَّلِبُ قَالَ الَّذِي يُخْبِرُنِي ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ - كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ ذِرَاعِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - حِينَ حَسَرَ عَنْهُمَا ثُمَّ حَمَلَهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَقَالَ « أُنْعَلِمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي وَأُدفِنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي » أخرجه أبو داود ٦٣٣

تَعْلِيمُ الْقَبْرِ وَالْكِتَابَةُ عَلَيْهِ ٦٣٤ :

اختلف الفقهاء في تعليم القبر ، فذهب الحنفية والمالكية والحنابلة إلى جواز تعليم القبر بحجر أو خشبة أو نحوهما ، لما روي " أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ أُخْرِجَ بِجَنَازَتِهِ ، فُدفِنَ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا أَنْ يَأْتِيَهُ بِحَجَرٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلُهُ ، فَقَامَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعِيهِ فَحَمَلَهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَقَالَ : أُنْعَلِمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي ، وَأُدفِنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي " ٦٣٥

وذهب الشافعية إلى أَنَّهُ يُنْدَبُ تَعْلِيمُ الْقَبْرِ بَأَنْ يُوضَعَ عِنْدَ رَأْسِهِ حَجَرٌ أَوْ خَشْبَةٌ وَنَحْوُهُمَا ، قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ : وَكَذَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ ٦٣٦

٦٣٣ - برقم (٣٢٠٨) وهو حديث حسن

٦٣٤ - الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ٣٢ / ص ٢٥١) فما بعدها

٦٣٥ - سنن أبي داود (٣٢٠٨) حسن

٦٣٦ - حاشية ابن عابدين ١ / ٦٠١ ، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١ / ٤٢٥ ، وروضة الطالبين ٢ / ١٣٦ ، وحاشية القليوبي على شرح المحلى ١ / ٣٥١ ، وكشاف القناع ٢ / ١٣٨ ، ١٣٩ .

وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ أَيْضًا فِي الْكِتَابَةِ عَلَى الْقَبْرِ ، فَذَهَبَ الْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى كَرَاهَةِ الْكِتَابَةِ عَلَى الْقَبْرِ مُطْلَقًا لحديث جابرٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَنْ يُجَسَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُتَعَدَّ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ. ٦٣٧

ولحديث جابرٍ ، قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى ، عَنْ جَابِرٍ وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ. ٦٣٨

قَالَ الْمَالِكِيُّ : وَإِنْ بُوْهِيَ بِهَا حُرْمٌ .

وَقَالَ الدَّرْدِيرُ : النَّقْشُ مَكْرُوهٌ وَلَوْ قَرَأْنَا ، وَيَنْبَغِي الْحُرْمَةُ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى امْتِنَانِهِ .

وَذَهَبَ الْحَنَفِيُّ وَالسُّبْكِيُّ مِنَ الشَّافِعِيِّ إِلَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالْكِتَابَةِ إِنْ احْتِجَّ إِلَيْهَا حَتَّى لَا يَذْهَبَ الْأَثَرُ وَلَا يُمْتَنَ .

قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ : لِأَنَّ النَّهْيَ عَنْهَا وَإِنْ صَحَّ فَقَدْ وَجَدَ الْإِجْمَاعُ الْعَمَلِيَّ بِهَا ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ النَّهْيَ عَنْهَا مِنْ طُرُقٍ ثُمَّ قَالَ هَذِهِ الْأَسَانِيدُ صَحِيحَةٌ وَلَيْسَ الْعَمَلُ عَلَيْهَا فَإِنْ أَيْمَنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَكْتُوبٌ عَلَى قُبُورِهِمْ وَهُوَ عَمَلٌ أَخَذَ بِهِ الْخَلْفُ عَنْ السَّلَفِ ، وَيَتَقَوَّى بِمَا وَرَدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَمَلَ حَجَرًا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَقَالَ : أَعْلَمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي ، وَأَذْفَنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي " فَإِنَّ الْكِتَابَةَ طَرِيقٌ إِلَى تَعْرِفِ الْقَبْرِ بِهَا ، نَعَمْ يَظْهَرُ أَنَّ مَحَلَّ هَذَا الْإِجْمَاعِ الْعَمَلِيَّ عَلَى الرُّخْصَةِ فِيهَا مَا إِذَا كَانَتْ الْحَاجَةُ دَاعِيَةً إِلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ ، حَتَّى يُكْرَهَ كِتَابَةُ شَيْءٍ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ الشَّعْرِ أَوْ إِطْرَاءٍ مَدْحٍ لَهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ ٦٣٩

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ سَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - سَعْدًا وَرَشَّ عَلَى قَبْرِهِ مَاءً. أخرجه ابن ماجه ٦٤٠

ولا بأس يرش الماء على القبر ليثبت ترابه ، وأما وضع الميت على سطح الأرض وعمل بناء عليه، فإنه مخالف لتعاليم الإسلام فالواجب الرجوع إلى السنة في دفن موتى المسلمين،

٦٣٧ - صحيح مسلم (٢٢٨٩)

٦٣٨ - مصنف ابن أبي شيبة (ج ٣ / ص ٣٣٥) (١١٨٦٤) صحيح

٦٣٩ - حاشية ابن عابدين ١ / ٦٠١ - ٦٠٢ ، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١ / ٤٢٥ ، وحاشية القليوبي

وعميرة على المحلى ١ / ٣٥٠ ، وروضة الطالبين ٢ / ١٣٦ ، وكشاف القناع ٢ / ١٤٠ .

٦٤٠ - برقم (١٦١٨) وفيه ضعف

والله الموفق لما فيه صلاح العباد والبلاد. وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَشَّ عَلَى قَبْرِ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ حَصْبَاءَ أَخْرَجَهُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السَّنَةِ ٦٤١

تَطْيِينُ الْقَبْرِ وَتَجْصِيسُهُ وَالْبِنَاءُ عَلَيْهِ ٦٤٢ :

صَرَحَ الْحَنْفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ بِأَنَّهُ يُسَنُّ أَنْ يُرَشَّ عَلَى الْقَبْرِ بَعْدَ الدَّفْنِ مَاءً ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ ذَلِكَ بِقَبْرِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ٦٤٣ ، وَأَمَرَ بِهِ فِي قَبْرِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ ٦٤٤ وَزَادَ الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ : أَنْ يُوَضَعَ عَلَيْهِ حَصَى صِغَارٍ ، لِمَا رَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَشَّ عَلَى قَبْرِ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ وَوَضَعَ عَلَيْهِ حَصْبَاءَ ٦٤٥ ، وَلِأَنَّ ذَلِكَ أَثْبَتُ لَهُ وَأَبْعَدُ لِدُرُوسِهِ ، وَأَمْنَعُ لِتُرَابِهِ مِنْ أَنْ تُذْهِبَهُ الرِّيحُ .

قَالَ الشَّافِعِيَّةُ : وَيَحْرُمُ رَشُّهُ بِالْمَاءِ النَّجِسِ ، وَيُكْرَهُ بِمَاءِ الْوَرْدِ ٦٤٦

وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي تَطْيِينِ الْقَبْرِ ، فَذَهَبَ الْحَنْفِيَّةُ - فِي الْمُخْتَارِ - وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى جَوَازِ تَطْيِينِ الْقَبْرِ ، وَنَقَلَ التِّرْمِذِيُّ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالتَّطْيِينِ .

قَالَ التَّوَوِيُّ : وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ جَمَاهِيرُ الْأَصْحَابِ . وَدَلِيلُ الْجَوَازِ قَوْلُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ فِي وَصْفِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَبْرِ صَاحِبَيْهِ " مَبْطُوحَةٌ بِبَطْحَاءِ الْعَرَصَةِ الْحُمْرَاءِ " وَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَالْعَزَالِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ إِلَى كَرَاهَةِ تَطْيِينِ الْقَبْرِ . قَالَ الدُّسُوقِيُّ : أَكْثَرُ عِبَارَاتِهِمْ فِي تَطْيِينِهِ مِنْ فَوْقٍ ، وَنَقَلَ ابْنُ عَاشِرٍ عَنْ شَيْخِهِ أَنَّهُ يَشْمَلُ تَطْيِينَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ٦٤٧ .

٦٤١ - برقم (١٤٧٨) وطس (٦٣٢٥) والتلخيص (٧٩٣) صحيح مرسل

٦٤٢ - الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ٣٢ / ص ٢٤٩)

٦٤٣ - أخرجه ابن ماجه (١ / ٤٩٥) ، وضعف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (١ / ٢٧٤)

٦٤٤ - أخرجه البزار ، (كشف الأستار ١ / ٣٩٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ / ٤٥ (٤٢٤٩) : " رجاله موثقون إلا أن شيخ البزار محمد بن عبد الله لم أعرفه "

٦٤٥ - أخرجه الهيثمي (٣ / ٤١١) معضلاً .

٦٤٦ - حاشية ابن عابدين على الدر المختار ١ / ٦٠١ ، وحاشية القليوبي وعميرة على المحلى ١ / ٣٥١ ، وروضة الطالبين ٢ / ١٣٦ ، وكشاف القناع ٢ / ١٣٨ .

٦٤٧ - حاشية ابن عابدين ١ / ٦٠١ ، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١ / ٤٢٤ ، وحاشية القليوبي ١ / ٣٥٠ ، وروضة الطالبين ٢ / ١٣٦ ، وكشاف القناع ٢ / ١٣٨ .

المبحث الأربعون

الترهيب من الجلوس على القبر وكسر عظم الميت أو نبشه إلا لضرورة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ » . رواه مسلم ^{٦٤٨}
وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَأَنْ أَمْشِيَ عَلَى جَمْرَةٍ أَوْ سَيْفٍ أَوْ أَخْصِفَ نَعْلِي بِرِجْلِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى قَبْرِ مُسْلِمٍ وَمَا أُبَالِي أَوْ سَطَّ الْقُبُورِ قَضِيْتُ حَاجَتِي أَوْ وَسَطَ السُّوقِ » . رواه ابن ماجه ^{٦٤٩}
وَعَنْ عُمَارَةَ بْنِ حَزْمٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا عَلَى قَبْرِ ، قَالَ : انْزِلْ مِنَ الْقَبْرِ لَا تُؤْذِ صَاحِبَ الْقَبْرِ ^{٦٥٠} وَلَا يُؤْذِيكَ ^(٦٥١) » رواه الحاكم ^{٦٥٢}
وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « كَسَرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكْسَرِهِ حَيًّا » . رواه أبو داود ^{٦٥٣}
أي لا يجوز الجلوس على القبر أو المرور فوقه أو كسر عظمه إذا كان مسلماً ومن فعل ذلك عاقبه الله تعالى. ^{٦٥٤}

نَبَشُ الْقَبْرِ قَبْلَ الْبَلَى لِضَرُورَةٍ ^{٦٥٥}:

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ نَبَشُ الْقَبْرِ قَبْلَ الْبَلَى إِذَا كَانَ ذَلِكَ لِضَرُورَةٍ أَوْ غَرَضٍ شَرْعِيٍّ ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ مَا يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ مَالِيَّةٍ ، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ الْمَيِّتِ نَفْسِهِ ، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِمَكَانِ الْقَبْرِ ^{٦٥٦}

^{٦٤٨} - في الجنائز باب ٣٣ (٩٧١) وأبو داود (٣٢٣٠) ونص (٢٠٥٦) وابن ماجه (١٦٣٣)

^{٦٤٩} - برقم (١٦٣٤) وصحيح الجامع (٥٠٣٨) وهو حديث صحيح.

^{٦٥٠} - بالجلوس على قبره لإهانتته.

^{٦٥١} - يسبب لك عذاب الله في الآخرة بسبب هذا الجلوس.

^{٦٥٢} - برقم (٦٥٠٢) ومعرفة (٤٤٣٦) والفتح ٢٢٥/٣ وصح إسناده والصحية (٢٩٦٠) وهو حديث صحيح

^{٦٥٣} - برقم (٣٢٠٩) وابن ماجه (١٦٨٤) وأحمد ١٠٥/٦ (٢٥٤٧٦) والبيهقي ٥٠٨/٤ (٧٣٣٠) والإحسان

(٣٢٣٤) وهو حديث صحيح.

^{٦٥٤} - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (١ / ٤٥٨) والفقهاء الإسلامي وأدلته - (٢ / ٦٦٨)

^{٦٥٥} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٤٠ / ٢٥)

وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ فِيمَا يَلِي :

أ - نَبَشُ الْقَبْرِ مِنْ أَجْلِ مَالٍ وَقَعَ فِيهِ :

ذَهَبَ الْفُقَهَاءُ فِي الْجُمْلَةِ إِلَى أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ مَالٌ لَهُ قِيَمَةٌ فِي الْقَبْرِ وَدُفِنَ مَعَ الْمَيِّتِ نَبَشَ الْقَبْرِ وَأَخْرَجَ الْمَالَ ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِي هَذَا الْمَالِ الَّذِي يُنَبَشُ الْقَبْرُ مِنْ أَجْلِ اسْتِخْرَاجِهِ حَدٌّ مُعَيَّنٌ ، بَلْ يَجُوزُ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا ، وَلَوْ دَرَاهِمًا كَمَا قَالَ الْحَنْفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ ، أَوْ خَاتَمًا كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ.^{٦٥٧}

وَاخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْفُقَهَاءِ فِي حُكْمِ هَذَا النَّبَشِ ، هَلْ هُوَ وَاجِبٌ أَمْ لَا ؟ وَهَلْ هُوَ مَشْرُوطٌ بِعَدَمِ تَغْيِيرِ الْمَيِّتِ أَمْ لَا ؟

فَنَصَّ الشَّافِعِيَّةُ فِي الْمَذْهَبِ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ نَبَشُ الْقَبْرِ - فِي حَالَةِ وَقُوعِ الْمَالِ فِيهِ - وَإِنْ تَغْيِيرَ الْمَيِّتِ ، وَإِنْ كَانَ الْمَالُ مِنَ التَّرَكَةِ ، أَوْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ، مَا لَمْ يُسَامَحْ مَالِكُهُ ، فَإِنْ لَمْ يَطْلُبِ الْمَالِكُ ذَلِكَ حَرَّمَ النَّبَشُ كَمَا جَزَمَ بِهِ بَعْضُ فُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ ، قَالَ الشَّرَّابِيُّ الْخَطِيبُ : وَهُوَ الَّذِي يَظْهَرُ اعْتِمَادُهُ قِيَاسًا عَلَى الْكَفَنِ ، وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ : مَا لَمْ يَكُنْ مَحْجُورًا عَلَيْهِ أَوْ مِمَّنْ يُحْتَاطُ لَهُ ، قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ الْعَبَّادِيُّ : وَهُوَ ظَاهِرٌ ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ النَّبَشُ سَوَاءٌ طَلَبَ مَالِكُهُ أَمْ لَا ، وَإِنْ تَغْيِيرَ الْمَيِّتِ ؛ لِأَنَّ تَرْكَهُ فِيهِ إِضَاعَةٌ مَالٍ.^{٦٥٨}

وَقَالَ الْحَنْفِيَّةُ : وَلَا يُخْرَجُ مِنَ الْقَبْرِ بَعْدَ إِهَالَةِ التُّرَابِ إِلَّا لِحَقِّ آدَمِيٍّ ، كَمَا إِذَا سَقَطَ فِي الْقَبْرِ مَتَاعٌ ، أَوْ كَفَنٌ بِثَوْبٍ مَعْصُوبٍ ، أَوْ دُفِنَ مَعَهُ مَالٌ وَلَوْ كَانَ الْمَالُ دَرَاهِمًا.^{٦٥٩}

^{٦٥٦} - حاشية ابن عابدين ١ / ٦٠٢ ، وجواهر الإكليل ١ / ١١٧ ، ومغني المحتاج ١ / ٣٦٦ ، والمغني لابن قدامة ٢ / ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، والمجموع للنووي ٥ / ٣٠٣ .

^{٦٥٧} - حاشية ابن عابدين ١ / ٦٠٢ ، وجواهر الإكليل ١ / ١١٧ ، ومغني المحتاج ١ / ٣٦٦ ، والمجموع للنووي ٥ / ٣٠٠ - ٣٠٣ ، والمغني لابن قدامة ٢ / ٥٥٣ ، وكشاف القناع ٢ / ١٤٥ .

^{٦٥٨} - المجموع للنووي ٥ / ٣٠٠ - ٣٠٣ ، وتحفة المحتاج مع الحاشيتين ٣ / ٢٠٤ ، ومغني المحتاج ١ / ٣٦٦ .

^{٦٥٩} - حاشية ابن عابدين ١ / ٦٠٢ ، وفتح القدير ٢ / ١٠١ .

وَقَالَ الْمَالِكِيُّ : مِنْ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُنْبَشُ الْقَبْرُ مِنْ أَجْلِهَا إِذَا نُسِيَ مَعَهُ مَالٌ نَحْوُ ثَوْبٍ أَوْ خَاتَمٍ أَوْ دَنَانِيرٍ ، لَكِنْ إِنْ كَانَ الْمَالُ لغيرِ الْمَيِّتِ أُخْرِجَ مُطْلَقًا ، وَإِنْ كَانَ لَهُ أُخْرِجَ إِنْ كَانَ نَفِيسًا وَلَمْ يُسَامَحْ فِيهِ الْوَرَثَةُ ٦٦٠ .

وَاشْتَرَطَ الْمَالِكِيُّ لِحَوَازِ نَبَشِ الْقَبْرِ عَدَمَ تَغْيِيرِ الْمَيِّتِ ، فَإِنْ تَغَيَّرَ الْمَيِّتُ أُجْبِرَ غَيْرُ الْوَارِثِ عَلَى أَخْذِ عَوْضِهِ وَلَا شَيْءَ لَوَارِثِهِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَيْءَ لِلْوَارِثِ إِذَا كَانَ الْمَالُ غَيْرَ نَفِيسٍ ، أَيْ غَيْرِ ذِي بَالٍ ٦٦١ .

وَقَالَ الْحَنَابِلَةُ : إِنْ وَقَعَ فِي الْقَبْرِ مَالٌ لَهُ قِيَمَةٌ عُرْفًا أَوْ رَمَاهُ رَبُّهُ فِيهِ يُنْبَشُ الْقَبْرُ وَأُخِذَ ذَلِكَ مِنْهُ بِعَيْنِهِ مَعَ عَدَمِ الضَّرَرِ فِي أَخْذِهِ ، وَلَمَّا رُوِيَ عَنْ عُرْوَةَ ، أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا وَضِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي لَحْدِهِ أَلْقَى الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ خَاتَمَهُ فِي الْقَبْرِ ، ثُمَّ قَالَ : خَاتَمِي خَاتَمِي فَقَالُوا : ادْخُلْ فَخُذْهُ فَدَخَلَ ثُمَّ ، قَالَ : " أَهْلُوا عَلَيَّ التُّرَابَ " ، فَأَهْلُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ حَتَّى بَلَغَ أَنْصَافَ سَاقَيْهِ ، فَخَرَجَ ، فَلَمَّا سَوَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : " اخْرُجُوا حَتَّى أُغْلِقَ الْبَابَ ، فَإِنِّي أَحَدْتُكُمْ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ " ، فَقَالُوا : لَعْمَرِي لَنْ كُنْتَ أَرَدْتَهَا لَقَدْ أَصَبْتَهَا " ٦٦٢ ، وَقَالَ أَحْمَدُ : إِذَا نُسِيَ الْحَفَارُ مِسْحَاتَهُ فِي الْقَبْرِ جَازَ أَنْ يُنْبَشَ ٦٦٣

نَبَشُ الْقَبْرِ مِنْ أَجْلِ مَالٍ بَلَغَهُ الْمَيِّتُ :

قَالَ الْحَنَفِيُّ : وَلَوْ بَلَغَ مَالٌ غَيْرَهُ وَلَا مَالٌ لَهُ وَمَاتَ هَلْ يُشَقُّ قَوْلَانِ :
الْأَوَّلُ : عَلَيْهِ الْقِيَمَةُ وَلَا يُشَقُّ بَطْنُهُ ؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ إِبْطَالَ حُرْمَةِ الْأَعْلَى وَهُوَ الْأَدْمِيُّ لَصِيَانَةِ حُرْمَةِ الْأَدْنَى وَهُوَ الْمَالُ ؛ وَلِأَنَّ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ مَيِّتًا كَحُرْمَتِهِ حَيًّا وَلَا يُشَقُّ بَطْنُهُ حَيًّا لَوْ ابْتَلَعَ الْمَالُ إِذَا لَمْ يَخْرُجْ مَعَ الْفَضَلَاتِ اتِّفَاقًا فَكَذَا مَيِّتًا .

الْقَوْلُ الثَّانِي : أَنَّهُ يُشَقُّ بَطْنُهُ ؛ لِأَنَّ حَقَّ الْأَدْمِيِّ مُقَدَّمٌ عَلَى حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَمُقَدَّمٌ عَلَى حَقِّ الظَّالِمِ الْمُتَعَدِّي ؛ وَلِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَتْ حُرْمَةُ الْأَدْمِيِّ أَعْلَى مِنْ حُرْمَةِ صِيَانَةِ الْمَالِ لَكِنَّهُ أَزَالَ اخْتِرَامَهُ بِتَعَدِّيهِ ، قَالُوا : وَهَذَا الْقَوْلُ أَوْلَى ، وَلَوْ تَرَكَ مَالًا فَإِنَّهُ يَضْمَنُ مَا بَلَغَهُ ، وَلَا يُشَقُّ

٦٦٠ - جواهر الإكليل ١ / ١١٧ ، والخرشي وبهامشه حاشية العدوي ٢ / ١٤٤ - ١٤٥ .

٦٦١ - جواهر الإكليل ١ / ١١٧ ، والخرشي مع حاشية العدوي ٢ / ١٤٤ - ١٤٥ .

٦٦٢ - الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ (٢١٩٠) صحيح مرسل

٦٦٣ - كشف القناع ٢ / ١٤٥ .

بَطْنُهُ اتَّفَقَا ، وَكَذَا لَوْ سَقَطَ فِي حَوْفِهِ مَالٌ لغيرِهِ بَلَا تَعَدُّ مِنْهُ لَا يُشَقُّ بَطْنُهُ اتَّفَقَا ، كَمَا لَا يُشَقُّ الْحَيُّ مُطْلَقًا لِإِفْضَائِهِ إِلَى الْهَلَاكِ لَا لِمُجَرَّدِ الْإِحْتِرَامِ ٦٦٤ .

إِلَّا أَنَّ الْحَقِيقَةَ لَمْ يَنْصُوا عَلَى أَنَّ حُكْمَ شِقِّ بَطْنِ الْمُبْتَلَعِ يَخْتَلِفُ قَبْلَ الدَّفْنِ وَبَعْدَهُ ، أَمْ يَسْتَوِي فِيهِ الْأَمْرَانِ ، وَالْأَقْرَبُ إِلَى مَفْهُومِ كَلَامِهِمْ أَنََّّهُمَا يَسْتَوِيَانِ أَيْ يُشَقُّ بَطْنُهُ لَا سِتِخْرَاجِ الْمَالِ الْمُبْلُوعِ حَتَّى بَعْدَ دَفْنِهِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ نَبْشِ قَبْرِهِ لِهَذَا الْعَرَضِ كَمَا لَوْ دُفِنَ مَعَهُ الْمَالُ . وَذَهَبَ الْمَالِكِيُّ إِلَى أَنَّهُ يُشَقُّ بَطْنُ الْمَيِّتِ عَنْ مَالٍ ابْتَلَعَهُ فِي حَيَاتِهِ وَمَاتَ وَهُوَ فِي بَطْنِهِ ، سَوَاءٌ كَانَ لَهُ أَوْ لغيرِهِ ، إِذَا كَثُرَ فَبَلَغَ نَصَابَ زَكَاةٍ ، وَهَذَا مُقَيَّدٌ بِمَا إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ ٦٦٥ .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : إِنْ بَلَغَ الْمَيِّتُ جَوْهَرَةً أَوْ غَيْرَهَا مِنَ الْمَالِ نُظِرَ ، فَإِنْ كَانَ مَا ابْتَلَعَهُ مَالٌ نَفْسِهِ فَرَجَحَ الْخَطِيبُ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ لَا يُنَبَّشُ قَبْرُهُ وَلَا يُشَقُّ بَطْنُهُ لِإِخْرَاجِ الْمَالِ لِأَنَّهُ اسْتَهْلَكَ مَالَهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ . وَفِي وَجْهِهِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ : أَنَّهُ إِذَا بَلَغَ مَالٌ نَفْسَهُ يُنَبَّشُ قَبْرُهُ وَيُشَقُّ بَطْنُهُ لِاسْتِخْرَاجِهِ ؛ لِأَنَّهُ صَارَ لِلْوَرِثَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَهُوَ كَمَالِ الْأَجْنَبِيِّ ٦٦٦ .

أَمَّا إِنْ كَانَ الْمَالُ الَّذِي ابْتَلَعَهُ لغيرِهِ فَمَاتَ وَدُفِنَ ، وَطَلَبَهُ مَالِكُهُ وَلَمْ يَضْمَنْ بَدْلَهُ أَحَدٌ مِنْ وَرَثَتِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ فَيُنَبَّشُ قَبْرُهُ ، وَيُشَقُّ حَوْفُهُ وَجُوبًا لِاسْتِخْرَاجِ الْمَالِ ثُمَّ يُدْفَعُ لِمَالِكِهِ ، أَمَّا إِذَا ضَمِنَهُ أَحَدٌ مِنَ الْوَرِثَةِ أَوْ غَيْرِهِمْ ، أَوْ دَفَعَ لِصَاحِبِ الْمَالِ بَدْلَهُ فَيَحْرُمُ حِينَئِذٍ نَبْشُهُ وَشَقُّ حَوْفِهِ ؛ لِقِيَامِ بَدْلِهِ مَقَامَهُ ، وَصَوْنًا لِلْمَيِّتِ عَنْ انْتِهَاكِ حُرْمَتِهِ ، وَكَذَا إِنْ لَمْ يَطْلُبْ صَاحِبُ الْمَالِ مَالَهُ . وَفِي وَجْهِهِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ : أَنَّهُ لَا يُنَبَّشُ قَبْرُهُ وَلَا يُشَقُّ بَطْنُهُ ، بَلْ يَجِبُ قِيَمَةُ الْمَالِ الْمُبْلُوعِ فِي تَرْكِتِهِ ؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكْسَرِهِ حَيًّا " ٦٦٧ ، قَالُوا : وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ : أَنَّ

٦٦٤ - حاشية ابن عابدين ١ / ٦٠٢ ، وفتح القدير ٢ / ١٠٢ ط دار إحياء التراث العربي .

٦٦٥ - جواهر الإكليل ١ / ١١٧ .

٦٦٦ - تحفة المحتاج ٣ / ٢٠٤ ، وقلوبي وعميرة ١ / ٣٥٢ ، والمجموع للنووي ٥ / ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ومغني المحتاج ١

/ ٣٦٦ .

٦٦٧ - مر تخرجه

كَسَرَ الْعَظْمَ وَشَقَّ الْجَوْفَ فِي الْحَيَاةِ لَا يَجُوزُ لِاسْتِخْرَاجِ جَوْهَرَةٍ وَغَيْرِهَا فَكَذَا بَعْدَ الْمَوْتِ ٦٦٨ .

وَقَالَ الْحَنَابِلَةُ : إِذَا بَلَغَ مَالٌ غَيْرَهُ بَعِيرٌ إِذْنُهُ وَبَقِيَتْ مَالِيَّتُهُ كَخَاتَمٍ مَثَلًا وَطَلَبَهُ رَبُّهُ لَمْ يُنْبَشْ وَغُرْمَ ذَلِكَ مِنْ تَرْكِهِ ؛ صَوْنًا لِحُرْمَتِهِ مَعَ عَدَمِ الضَّرَرِ ، فَإِنْ تَعَذَّرَ غُرْمُ الْمَالِ الَّذِي بَلَغَهُ الْمَيِّتُ ؛ لِعَدَمِ تَرْكِهِ وَتَحْوِهِ بُشَ الْقَبْرِ وَشَقَّ حَوْفُهُ وَأَحْذَ الْمَالَ ، فَدَفَعَ لِرَبِّهِ وَذَلِكَ إِنْ لَمْ يَتَبَرَّعْ وَارِثٌ أَوْ غَيْرُهُ بِبَدْلِ قِيَمَةِ الْمَالِ لِرَبِّهِ ، وَإِلَّا فَلَا يُنْبَشُ صَوْنًا لِحُرْمَتِهِ مَعَ عَدَمِ الضَّرَرِ لِصَاحِبِ الْمَالِ ، وَإِنْ بَلَغَ مَالٌ الْغَيْرِ بِإِذْنِ رَبِّهِ فَلَا يُضْمَنُ الْمَالُ الَّذِي بَلَغَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَعَلَيْهِ فَلَا طَلَبَ لِرَبِّهِ عَلَى تَرْكَةِ الْمَيِّتِ ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَلَّطَهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يُتَعَرَّضُ لِلْمَيِّتِ بِنَبْشٍ أَوْ شَقٍّ قَبْلَ أَنْ يَبْلَى جَسَدُهُ ؛ لِأَنَّ مَالِكَ الْمَالِ هُوَ الْمُسَلِّطُ لَهُ عَلَى مَالِهِ بِالْإِذْنِ لَهُ فَهُوَ كَمَالِهِ ٦٦٩ .

أَمَّا إِذَا بَلَى جَسَدُهُ وَغَلَبَ عَلَى الظَّنِّ بَقَاءُ الْمَالِ وَظُهُورُهُ وَتَخَلُّصُهُ مِنْ أَعْضَاءِ الْمَيِّتِ فَيَجُوزُ نَبْشُهُ وَإِخْرَاجُ الْمَالِ مِنَ الْقَبْرِ وَدَفْعُهُ إِلَى صَاحِبِهِ ؛ فَعَنْ بُجَيْرِ بْنِ أَبِي بُجَيْرٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ حِينَ خَرَجْنَا مَعَهُ إِلَى الطَّائِفِ فَمَرَرْنَا بِقَبْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ وَكَانَ بِهَذَا الْحَرَمِ يَدْفَعُ عَنْهُ فَلَمَّا خَرَجَ أَصَابَتْهُ النَّقْمَةُ الَّتِي أَصَابَتْ قَوْمَهُ بِهَذَا الْمَكَانِ فَدُفِنَ فِيهِ وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ دُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ إِنْ أَنْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصَبْتُمُوهُ مَعَهُ . » فَأَبْتَدَرَهُ النَّاسُ فَاسْتَخْرَجُوا الْغُصْنَ . " ٦٧٠ ، وَلَئِنْ تَرَكَهُ تَضْيِيعٌ لِلْمَالِ ٦٧١

٦٦٨ - تحفة المحتاج ٣ / ٢٠٤ ، وقلوبي وعميرة ١ / ٣٥٢ ، والمجموع للنووي ٥ / ٣٠٠ - ٣٠٣ ، ومغني المحتاج ١ / ٣٦٦ .

٦٦٩ - كشف القناع ٢ / ١٤٥ - ١٤٦ .

٦٧٠ - سنن أبي داود - المكثر - (٣٠٩٠) ضعيف

٦٧١ - كشف القناع ٢ / ١٤٥ - ١٤٦ ، والمغني لابن قدامة ٢ / ٥٥٢ .

وَأِنْ بَلَغَ مَالُ نَفْسِهِ لَمْ يُنَبِّشْ قَبْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَيْلَى جَسَدُهُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ اسْتِهْلَاكٌ لِمَالِ نَفْسِهِ فِي حَيَاتِهِ ، وَأَشْبَهُ مَا لَوْ أَتْلَفَهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَيُنَبِّشُ قَبْرَهُ وَيَشُقُّ حَوْفَهُ فَيُخْرِجُ الْمَالَ وَيُوفِّي مِنْهُ دَيْنَهُ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمُبَادَرَةِ إِلَى تَبَرُّتِهِ ذِمَّتِهِ مِنَ الدَّيْنِ ^{٦٧٢} .

قَالَ ابْنُ قِدَامَةَ : وَيُحْتَمَلُ - إِنْ بَلَغَ مَالُ نَفْسِهِ - أَنَّهُ إِنْ كَانَ يَسِيرًا تُرِكَ ، وَإِنْ كَثُرَتْ قِيَمَتُهُ شُقَّ بَطْنُهُ وَأُخْرِجَ ؛ لِأَنَّ فِيهِ حِفْظَ الْمَالِ مِنَ الضَّيَاعِ وَنَفْعَ الْوَرَثَةِ الَّذِينَ تَعْلَقُ حَقُّهُمْ بِمَالِهِ بِمَرَضِهِ ^{٦٧٣} .

^{٦٧٢} - كشاف القناع ٢ / ١٤٦ .

^{٦٧٣} - المغني لابن قدامة ٢ / ٥٥٢ .

المبحثُ الواحد و الأربعون

النهي عن تخصيص القبر ورفعهِ والصلاة إليه

عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْعَنَوِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا » وفي رواية عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْعَنَوِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا ». أخرجه مسلم في صحيحه ^{٦٧٤}

فِيهِ تَصْرِيحٌ بِالنَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَى قَبْرِ . قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وَأَكْرَهَ أَنْ يُعْظَمَ مَخْلُوقٌ حَتَّى يُجْعَلَ قَبْرُهُ مَسْجِدًا مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ بَعْدَهُ مِنَ النَّاسِ . ^{٦٧٥}

وَعَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَلَا أُبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَنْ لَا تَدْعَ تِمْنَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ. أخرجه مسلم ^{٦٧٦}

وقال النووي رحمه الله : (أَلَا تَدْعَ تِمْنَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ) فِيهِ الْأَمْرُ بِتَغْيِيرِ صُورِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجْصَصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُنَى عَلَيْهِ. أخرجه مسلم ^{٦٧٧}

قال النووي رحمه الله : وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ كَرَاهَةُ تَجْصِصِ الْقَبْرِ وَالْبِنَاءِ عَلَيْهِ وَتَحْرِيمِ الْقُعُودِ ، وَالْمُرَادُ بِالْقُعُودِ الْجُلُوسُ عَلَيْهِ . هَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَجُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ ، وَقَالَ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ : الْمُرَادُ بِالْقُعُودِ الْجُلُوسُ ، وَمِمَّا يُوضِّحُهُ الرَّوَايَةُ الْمَذْكُورَةُ بَعْدَ هَذَا : (لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ) . وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى : (لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتَحْرِقُ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ) قَالَ أَصْحَابُنَا : تَجْصِصُ الْقَبْرِ مَكْرُوهٌ ، وَالْقُعُودُ عَلَيْهِ حَرَامٌ ، وَكَذَا الْإِسْتِنَادُ إِلَيْهِ وَالِاتِّكَاءُ عَلَيْهِ .

^{٦٧٤} - صحيح مسلم (٢٢٩٥)

^{٦٧٥} - شرح النووي على مسلم - (ج ٣ / ص ٣٩٤)

^{٦٧٦} - برقم (٩٦٩) وأحمد (٧٥٢)

^{٦٧٧} - برقم (٩٧٠) وعبد (٩٤٨٩) وش (١١٧٦٣)

وَأَمَّا الْبِنَاءُ عَلَيْهِ فَإِنْ كَانَ فِي مِلْكِ الْبَانِي فَمَكْرُوهٌ ، وَإِنْ كَانَ فِي مَقْبَرَةٍ مُسَبَّلَةٍ فَحَرَامٌ .
نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ وَالْأَصْحَابُ . قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الْأَمِّ : وَرَأَيْتُ الْأَئِمَّةَ بِمَكَّةَ يَأْمُرُونَ بِهَدْمِ
مَا يُبْنَى ، وَيُؤَيِّدُ الْهَدْمَ قَوْلُهُ : (وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ) .

وفي الموسوعة الفقهية^{٦٧٨} :

" يُكْرَهُ تَجْصِيسُ الْقَبْرِ وَالْبِنَاءُ عَلَيْهِ ، إِنْ كَانَ فِي أَرْضٍ كَانَ يَمْلِكُهَا الْمَيِّتُ ، أَوْ أَرْضٍ
مَوَاتٍ بِلَا قَصْدٍ مُبَاهَاةٍ ، فَإِنْ كَانَ فِي مَقْبَرَةٍ مُسَبَّلَةٍ حَرَّمَ الْبِنَاءُ ، وَيُهْدَمُ إِنْ بُنِيَ ؛ لِأَنَّهُ
يُضَيِّقُ عَلَى النَّاسِ ، وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَنْ يُبْنَى قَبَّةٌ أَوْ بَيْتًا أَوْ مَسْجِدًا .^{٦٧٩}

وَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ ، فَفِي الْخَبَرِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ
قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ
مَسَاجِدَ^{٦٨٠}

^{٦٧٨} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ٨ / ص ٢١١)

^{٦٧٩} - مغني المحتاج ١ / ٣٦٤ ، وبلغت السالك ١ / ٤٢٧ .

^{٦٨٠} - صحيح البخاري (١٣٣٠) ومسلم (١٢١٢)

قَوْلُهُ (مَسَاجِدَ) أَيِ قِبْلَةٍ لِلصَّلَاةِ يُصَلُّونَ إِلَيْهَا أَوْ بَنَوْا مَسَاجِدَ عَلَيْهَا يُصَلُّونَ فِيهَا وَلَعَلَّ وَجْهَ الْكَرَاهَةِ أَنَّهُ قَدْ يُفْضَى إِلَى
عِبَادَةِ نَفْسِ الْقَبْرِ سِجْمًا فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَحْبَارِ . شرح سنن النسائي - (ج ٣ / ص ٢٨٤)

المبحث الثاني والأربعون

الحث على تعزية المسلم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَنْ عَزَى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ». رواه

٦٨١

الترمذي

لذا تستحب التعزية لأنها نوع من المواساة وفيها موعظة وعبرة، وتسلية لأهل الميت عن مصابهم.

وعن عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ ، إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلْلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». أخرجه ابن ماجه ٦٨٢

التَّعْزِيَةُ لَعَةً : مَصْدَرُ عَزَى : إِذَا صَبَرَ الْمُصَابَ وَوَأْسَاهُ وَلَا يَخْرُجُ الْمَعْنَى الْإِصْطِلَاحِيَّ عَنْ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّ وَقَالَ الشَّرِّبِينِيُّ : هِيَ الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ وَالْحَمْلِ عَلَيْهِ بَوَعْدِ الْأَجْرِ ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْوِزْرِ ، وَالِدُّعَاءُ لِلْمَيِّتِ بِالْمَغْفِرَةِ ، وَلِلْمُصَابِ بِجَبْرِ الْمُصِيبَةِ ٦٨٣

الْحُكْمُ التَّكْلِيفِيُّ :

لَا خِلَافَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي اسْتِحْبَابِ التَّعْزِيَةِ لِمَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ . وَالْأَصْلُ فِي مَشْرُوعِيَّتِهَا : خَبَرٌ : مَنْ عَزَى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ .

وَحَبَرٌ : مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ حُلْلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

كَيْفِيَّةُ التَّعْزِيَةِ وَلِمَنْ تَكُونُ :

يُعَزَّى أَهْلُ الْمُصِيبَةِ ، كِبَارُهُمْ وَصِغَارُهُمْ ، ذُكُورُهُمْ وَإِنَاثُهُمْ ، إِلَّا الصَّبِيَّ الَّذِي لَا يَعْقِلُ ، وَالشَّابَّةَ مِنَ النِّسَاءِ ، فَلَا يُعَزَّى إِلَّا النِّسَاءُ وَمَحَارِمُهَا ، خَوْفًا مِنَ الْفِتْنَةِ . وَنَقَلَ ابْنُ

٦٨١ - برقم (١٠٩٤) وابن ماجه (١٦٧٠) وابن عدي ١٨٣٨/٥ و ٢١١٣/٦ والحلية ١٦٤/٧ والخطيب ٢٥/٤ و

٤٥١/١١ والبيهقي ٩٥/٤ وشرح السنة ٤٥٨/٥ وهو حسن لغيره،

٦٨٢ - برقم (١٦٦٩) حسن لغيره

٦٨٣ - أسنى المطالب ١ / ٣٣٤ ، ومغني المحتاج ١ / ٣٥٥ ، وحاشية الدسوقي ١ / ٤١٩ ، وحاشية ابن عابدين ١ /

عَابِدِينَ عَنْ شَرْحِ الْمُئْتَةِ : تُسْتَحَبُّ التَّعْزِيَةُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يُفْتَنَنَّ . وَقَالَ الدَّرْدِيرُ : وَتُدَبَّ تَعْزِيَةٌ لِأَهْلِ الْمَيِّتِ إِلَّا مَخَشِيَةَ الْفِتْنَةِ^{٦٨٤}

مُدَّةُ التَّعْزِيَةِ :

جُمُهورُ الْفُقَهَاءِ : عَلَى أَنَّ مُدَّةَ التَّعْزِيَةِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ . وَاسْتَدَلُّوا لِذَلِكَ بِإِذْنِ الشَّارِعِ فِي الْإِحْدَادِ فِي الثَّلَاثِ فَقَطْ ، بِقَوْلِهِ ﷺ : لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحَدِّثَ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ : أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا^{٦٨٥} ، وَتُكْرَهُ بَعْدَهَا ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا سُكُونُ قَلْبِ الْمُصَابِ ، وَالْغَالِبُ سُكُونُهُ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ ، فَلَا يُجَدِّدُ لَهُ الْحُزْنَ بِالتَّعْزِيَةِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ أَحَدُهُمَا (الْمُعْزَى أَوْ الْمُعْزِي) غَائِبًا ، فَلَمْ يَحْضُرْ إِلَّا بَعْدَ الثَّلَاثَةِ ، فَإِنَّهُ يُعْزِيهِ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ .

وَحَكَى إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَجْهًا وَهُوَ قَوْلُ بَعْضِ الْحَنَابِلَةِ : أَنَّهُ لَا أَمَدَ لِلتَّعْزِيَةِ ، بَلْ تَبْقَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ؛ لِأَنَّ الْعَرَضَ الدُّعَاءُ ، وَالْحَمْلَ عَلَى الصَّبْرِ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْجَزَعِ ، وَذَلِكَ يَحْصُلُ عَلَى طُولِ الزَّمَانِ .

وَقْتُ التَّعْزِيَةِ :

ذَهَبَ جُمُهورُ الْفُقَهَاءِ : إِلَى أَنَّ الْأَفْضَلَ فِي التَّعْزِيَةِ أَنْ تَكُونَ بَعْدَ الدَّفْنِ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْمَيِّتِ قَبْلَ الدَّفْنِ مَشْغُولُونَ بِتَجْهِيزِهِ ؛ وَلِأَنَّ وَحْشَتَهُمْ بَعْدَ دَفْنِهِ لِفِرَاقِهِ أَكْثَرُ ، فَكَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ أَوْلَى بِالتَّعْزِيَةِ .

وَقَالَ جُمُهورُ الشَّافِعِيَّةِ : إِلَّا أَنْ يَظْهَرَ مِنْ أَهْلِ الْمَيِّتِ شِدَّةُ حَزَنِ قَبْلِ الدَّفْنِ ، فَتَعَجَّلَ التَّعْزِيَةُ ، لِيَذْهَبَ جَزَعُهُمْ أَوْ يَخِفَّ . وَحَكَى عَنِ الثَّوْرِيِّ : أَنَّهُ تُكْرَهُ التَّعْزِيَةُ بَعْدَ الدَّفْنِ^{٦٨٦}

مَكَانُ التَّعْزِيَةِ :

كَرِهَ الْفُقَهَاءُ الْجُلُوسَ لِلتَّعْزِيَةِ فِي الْمَسْجِدِ . وَكَرِهَ الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ الْجُلُوسَ لِلتَّعْزِيَةِ ، بِأَنْ يَجْتَمِعَ أَهْلُ الْمَيِّتِ فِي مَكَانٍ لِيَأْتِيَ إِلَيْهِمُ النَّاسُ لِلتَّعْزِيَةِ ؛ لِأَنَّهُ مُحَدَّثٌ وَهُوَ بِدَعَةٍ ؛ وَلِأَنَّهُ

^{٦٨٤} - مغني المحتاج ١ / ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، والمغني ٢ / ٥٤٣ - ٥٤٥ ، وحاشية الدسوقي ١ / ٤١٩ ، ٦٠٣ ، وحاشية

ابن عابدين ١ / ٦٠٣ - ٦٠٤ .

^{٦٨٥} - أخرجه البخاري (الفتح ٣ / ١٤٦ ط السلفية) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها . وصحيح مسلم (٣٧٩٨)

^{٦٨٦} - المجموع ٥ / ٣٠٦ .

يُجَدِّدُ الْحُزْنَ . وَوَأَفَقَهُمُ الْحَنْفِيَّةُ عَلَى كَرَاهَةِ الْجُلُوسِ لِلتَّعْزِيَةِ عَلَى بَابِ الدَّارِ ، إِذَا اشْتَمَلَ عَلَى ارْتِكَابِ مَحْظُورٍ ، كَفَرَشِ الْبُسْطِ وَالْأُطْعِمَةَ مِنْ أَهْلِ الْمَيِّتِ .
وَنَقَلَ الطَّحْطَاوِيُّ عَنْ شَرْحِ السَّيِّدِ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالْجُلُوسِ لَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ غَيْرِ ارْتِكَابِ مَحْظُورٍ^{٦٨٧}

وَذَهَبَ الْمَالِكِيُّ : إِلَى أَنَّ الْأَفْضَلَ كَوْنُ التَّعْزِيَةِ فِي بَيْتِ الْمُصَابِ^{٦٨٨}
وَقَالَ بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ : إِنَّمَا الْمَكْرُوهُ الْبَيْتُوتَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَيِّتِ ، وَأَنْ يَجْلِسَ إِلَيْهِمْ مَنْ عَزَى مَرَّةً ، أَوْ يَسْتَدِيمَ الْمُعْزِي الْجُلُوسَ زِيَادَةً كَثِيرَةً عَلَى قَدْرِ التَّعْزِيَةِ^{٦٨٩}

صِغَةُ التَّعْزِيَةِ :

قَالَ ابْنُ قِدَامَةَ : لَا نَعْلَمُ فِي التَّعْزِيَةِ شَيْئًا مَحْدُودًا ، إِلَّا مَا رُوِيَ أَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ قَالَ : يُرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَزَى رَجُلًا فَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ وَأَجْرَكَ^{٦٩٠} ، وَعَزَى أَحْمَدُ أَبَا طَالِبٍ (أَحَدَ أَصْحَابِهِ) فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ : أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكُمْ وَأَحْسَنَ عَزَاءَكُمْ . وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا إِذَا عَزَى مُسْلِمًا بِمُسْلِمٍ قَالَ : أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ ، وَأَحْسَنَ عَزَاكَ ، وَرَحِمَ اللَّهُ مَيِّتَكَ .

وَاسْتَحَبَّ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنْ يَقُولَ مَا رَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : لَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَاءَتِ التَّعْزِيَةُ ، سَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ : إِنَّ فِي اللَّهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ ، وَخَلَفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ، وَدَرْكًا مِنْ كُلِّ مَا فَاتَ ، فَبِاللَّهِ فَتَقُوا ، وَإِيَّاهُ فَارْجُوا ، فَإِنَّ الْمُصَابَ مِنْ حُرْمِ الثَّوَابِ^{٦٩١}

وَهَلْ يُعْزَى الْمُسْلِمُ بِالْكَافِرِ أَوْ الْعَكْسُ ؟

ذَهَبَ الْأَثَمَةُ : الشَّافِعِيُّ ، وَأَبُو حَنِيفَةَ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ : إِلَى أَنَّهُ يُعْزَى الْمُسْلِمُ بِالْكَافِرِ ، وَبِالْعَكْسِ ، وَالْكَافِرُ غَيْرُ الْحَرَبِيِّ . وَذَهَبَ الْإِمَامُ مَالِكٌ : إِلَى أَنَّهُ لَا يُعْزَى الْمُسْلِمُ بِالْكَافِرِ

^{٦٨٧} - الطحطاوي على مراقي الفلاح ص ٣٣٩ .

^{٦٨٨} - الدسوقي ١ / ٤١٩ .

^{٦٨٩} - كشف القناع ٢ / ١٦٠ .

^{٦٩٠} - الأثر عن الإمام أحمد . رواه أبو داود في مسائل الإمام أحمد ص ١٣٨ - ١٣٩ نشر دار المعرفة .

^{٦٩١} - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٤ / ص ٦٠) (٧٣٤٢) ضعيف

وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ مِنَ الْحَنَابِلَةِ : إِنَّ عَزَى مُسْلِمًا بِكَافِرٍ قَالَ : أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ وَأَحْسَنَ
عَزَاءَكَ^{٦٩٢}

^{٦٩٢} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ١٢ / ص ٢٨٧) فما بعد ومغني المحتاج ١ / ٣٥٥ ، وابن عابدين ١ / ٦٠٣ ،
والمغني ١ / ٥٤٤ - ٥٤٥ ، وحاشية الدسوقي ١ / ٤١٩ .

المبحث الثالث والأربعون

الحث على صنع الطعام لأهل الميت

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ » أخرجه أبو داود ^{٦٩٣}

يُسْتَحَبُّ إِعْدَادُ طَعَامٍ لِأَهْلِ الْمَيِّتِ ، يُبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِمْ إِعَانَةً لَهُمْ وَجَبْرًا لِقُلُوبِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ شَغِلُوا بِمُصِيبَتِهِمْ وَبِمَنْ يَأْتِي إِلَيْهِمْ عَنْ إِصْلَاحِ طَعَامٍ لَأَنْفُسِهِمْ .

وَقَدْ رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اصْنَعُوا لِأَهْلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا . فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ . (وَاشْتَرَطَ الْمَالِكِيَّةُ فِيمَنْ يُصْنَعُ لَهُمْ طَعَامٌ ، أَلَّا يَكُونُوا قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى نِيَاحَةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَإِلَّا حُرِّمَ إِرْسَالُ طَعَامٍ لَهُمْ ، لِأَنَّهُمْ عُصَاةٌ ، وَكَرِهَ الْفُقَهَاءُ إِطْعَامَ أَهْلِ الْمَيِّتِ لِلنَّاسِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي السَّرُورِ لَا فِي الشَّرُورِ . ^{٦٩٤} .

قال الجزيري رحمه الله في الفقه على المذاهب الأربعة : "ومن البدع المكروهة ما يفعل الآن من ذبح الذبائح عند خروج الميت، من البيت، أو عند القبر، وإعداد الطعام لمن يجتمع للتعزية: وتقديمه لهم كما يفعل ذلك في الأفراح ومحافل السرور وإذا كان في الورثة قاصر عن درجة البلوغ، حرم إعداد الطعام وتقديمه، روى الإمام أحمد، وابن ماجة عن جرير بن عبد الله قال: "كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم الطعام من النياحة". أما إعداد الجيران والأصدقاء طعاماً لأهل الميت وبعثه لهم، فذلك مندوب، لقوله ﷺ: "اصنعوا لآلِ جعفر طعاماً، فقد جاءهم ما يشغلهم"، ويلح عليهم في الأكل، لأن الحزن قد يمنعهم منه ^{٦٩٥} ..

^{٦٩٣} - برقم (٣١٣٤) والترمذي برقم (١٠١٤) وابن ماجة (١٦٧٨) وأحمد برقم (١٧٧٨) والحاكم (١٣٧٧)

وطب (١٤٥٤) وهق (٧٣٤٧ و٧٣٤٨) وهو حديث حسن صحيح

^{٦٩٤} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ٥ / ص ١٢٠) وابن عابدين ١ / ٦٠٣ ، والدسوقي ١ / ٤١٩ ، والمغني ٢ /

٥٥٠ ، وقلوبي ١ / ٣٥٣

^{٦٩٥} - الفقه على المذاهب الأربعة - (ج ١ / ص ٨٥١)

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ : كُنَّا نَعُدُّ الْاجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنِيعَةَ الطَّعَامِ
بَعْدَ دَفْنِهِ مِنَ النَّيَاحَةِ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ^{٦٩٦}

قلت : نهي كثير من العلماء المعاصرين عن الاجتماع في اليوم الثالث من دفن الميت أو
بعده وختم القرآن وصنع طعام لهم.
وأرى أن قراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت جائزة إن شاء الله ولا حرج فيها ، إذا خلت
من المنكرات

^{٦٩٦} - برقم (٧٠٨٤) وهو حديث صحيح

المبحث الرابع والأربعون

النهي عن شق الجيوب ولطم الحدود والدعاء بدعوى الجاهلية

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » أخرجه البخاري ^{٦٩٧}

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: قوله : (لَيْسَ مِنَّا) أي من أهل سُنَّتِنا وطَرِيقَتِنا ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ إِخْرَاجُهُ عَنِ الدِّينِ ، وَلَكِنْ فَائِدَةٌ إِيْرَادُهُ بِهَذَا اللَّفْظِ الْمُبَالَغَةِ فِي الرَّدْعِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لَوْلَدِهِ عِنْدَ مُعَاتَبَتِهِ : لَسْتَ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي ، أَيْ مَا أَنْتَ عَلَى طَرِيقَتِي . وَقَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ مَا مُلَخَّصُهُ : التَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ إِنَّمَا وَرَدَ عَنْ أَمْرٍ وَجُودِيٍّ ، وَهَذَا يُصَانُ كَلَامُ الشَّارِعِ عَنِ الْحَمْلِ عَلَيْهِ . وَالْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ : الْمُرَادُ أَنَّ الْوَاقِعَ فِي ذَلِكَ يَكُونُ قَدْ تَعَرَّضَ لِأَنْ يُهْجَرَ وَيُعْرَضَ عَنْهُ فَلَا يَخْتَلِطُ بِجَمَاعَةِ السُّنَّةِ تَأْدِيًّا لَهُ عَلَى اسْتِصْحَابِهِ حَالَهُ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي قَبَّحَهَا الْإِسْلَامُ ، فَهَذَا أَوَّلَى مِنَ الْحَمْلِ عَلَى مَا لَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ قَدْرُ زَائِدٍ عَلَى الْفِعْلِ الْمَوْجُودِ . وَحُكِيَ عَنْ سُفْيَانَ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الْخَوْضَ فِي تَأْوِيلِهِ وَيَقُولُ : يَنْبَغِي أَنْ يُمَسَّكَ عَنْ ذَلِكَ لِيَكُونَ أَوْقَعَ فِي النَّفْسِ وَأَبْلَغَ فِي الزَّجْرِ . وَقِيلَ : الْمَعْنَى لَيْسَ عَلَى دِينِنَا الْكَامِلِ ، أَيْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ فَرْعٍ مِنْ فُرُوعِ الدِّينِ وَإِنْ كَانَ مَعَهُ أَصْلُهُ ، حَكَاهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ . وَيُظْهِرُ لِي أَنَّ هَذَا النَّفْيَ يُفَسِّرُهُ التَّبَرُّيُّ الْآتِي فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى بَعْدَ بَابِ حَيْثُ قَالَ " بَرِئَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ " وَأَصْلُ الْبَرَاءَةِ الْإِنْفِصَالُ مِنَ الشَّيْءِ ، وَكَأَنَّهُ تَوَعَّدُهُ بِأَنْ لَا يُدْخِلَهُ فِي شَفَاعَتِهِ مَثَلًا . وَقَالَ الْمُهَلَّبُ : قَوْلُهُ أَنَا بَرِيءٌ أَيْ مِنْ فَاعِلٍ مَا ذَكَرَ وَقْتُ ذَلِكَ الْفِعْلِ ، وَلَمْ يُرِدْ نَفْيُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ . قُلْتُ : بَيْنَهُمَا وَاسِطَةٌ تُعْرَفُ مِمَّا تَقْدَمُ أَوَّلَ الْكَلَامِ ، وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى تَحْرِيمِ مَا ذَكَرَ مِنْ شَقِّ الْجَيْبِ وَغَيْرِهِ . وَكَأَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ مَا تَضَمَّنَتْهُ ذَلِكَ مِنْ عَدَمِ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ ، فَإِنْ وَقَعَ التَّصْرِيحُ بِالِاسْتِحْلَالِ مَعَ الْعِلْمِ بِالتَّحْرِيمِ أَوْ التَّسَخُّطِ مَثَلًا بِمَا وَقَعَ فَلَا مَانِعَ مِنْ حَمْلِ النَّفْيِ عَلَى الْإِخْرَاجِ مِنَ الدِّينِ .

^{٦٩٧} - برقم (١٢٩٤ و ١٢٩٧ و ١٢٩٨ و ٣٥١٩) ومسلم (١٠٣) والترمذي (١٠١٥) وابن ماجه (١٦٥١)

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدٍ وَأَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى قَالََا أُنْمِيَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَأَقْبَلَتْ
امْرَأَتُهُ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ تَصِيحُ بَرَّةً. قَالََا ثُمَّ أَفَاقَ قَالَ أَلَمْ تَعْلَمِي - وَكَانَ يُحَدِّثُهَا - أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ - قَالَ « أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ » أخرجه مسلم ^{٦٩٨}

قال النووي رحمه الله : الصَّلَاقَةُ وَقَعَتْ فِي الْأَصُولِ بِالصَّادِ وَسَلَقَ بِالسَّيْنِ وَهُمَا صَحِيحَانِ
وَهُمَا لُغَتَانِ السَّلَقُ وَالصَّلَقُ وَسَلَقَ وَصَلَقَ . وَهِيَ صَالِقَةٌ وَسَالِقَةٌ : وَهِيَ الَّتِي تَرْفَعُ صَوْتَهَا
عِنْدَ الْمُصِيبَةِ . وَالْحَالِقَةُ : هِيَ الَّتِي تَحْلِقُ شَعْرَهَا عِنْدَ الْمُصِيبَةِ ، وَالشَّاقَّةُ : الَّتِي تَشُقُّ
ثَوْبَهَا عِنْدَ الْمُصِيبَةِ . هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ الظَّاهِرُ الْمَعْرُوفُ . وَحَكَى الْقَاضِي عِيَّاضُ عَنْ ابْنِ
الْأَعْرَابِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : الصَّلَقُ ضَرْبُ الْوَجْهِ ،

قَوْلُهُ : (أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ) أَيِ مَنْ فَعَلَهُنَّ ، أَوْ مَا يَسْتَوْجِبْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، أَوْ مِنْ
عَهْدَةٍ مَا لَزِمَنِي مِنْ بَيَانِهِ . وَأَصْلُ الْبَرَاءَةِ الْإِنْفِصَالُ . هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ
ظَاهِرُهُ وَهُوَ الْبَرَاءَةُ مِنْ فَاعِلِ هَذِهِ الْأُمُورِ ، وَلَا يُقَدَّرُ فِيهِ حَذْفٌ ^{٦٩٩} .

^{٦٩٨} - برقم (١٠٤) وابن ماجه (١٦٥٣)

^{٦٩٩} - شرح النووي على مسلم - (ج ١ / ص ٢١٢)

المبحث الخامس والأربعون

ما ينفع الميت في قبره

عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لِكُلِّ إِنْسَانٍ ثَلَاثَةٌ أَحِلَاءَ : إِمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ مَا أَنْفَقْتَ فَلَكَ ، وَمَا أُمْسَكْتَ فَلَيْسَ لَكَ وَذَلِكَ مَالُهُ ، وَإِمَّا خَلِيلٌ ، فَيَقُولُ : أَنَا مَعَكَ ، فَإِذَا أَتَيْتَ بَابَ الْمَلِكِ تَرَكْتُكَ وَرَجَعْتُ فَذَاكَ أَهْلُهُ وَحَشَمُهُ ، وَإِمَّا خَلِيلٌ ، فَيَقُولُ : أَنَا مَعَكَ حَيْثُ دَخَلْتَ ، وَحَيْثُ خَرَجْتَ فَذَاكَ عَمَلُهُ ، فَيَقُولُ : إِنْ كُنْتُ لِأَهْوَنِ الثَّلَاثَةِ عَلَيَّ »

٧٠٠

أخرجه الحاكم

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ » أخرجه

٧٠١

البخاري ومسلم

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح : قوله (يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ) هَذَا يَقَعُ فِي الْأَغْلَبِ وَرُبَّ مَيِّتٍ لَا يَتَّبِعُهُ إِلَّا عَمَلُهُ فَقَطْ وَالْمُرَادُ مَنْ يَتَّبِعُ جَنَازَتَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَرُفَقَتِهِ وَدَوَابِّهِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ وَإِذَا انْقَضَى أَمْرُ الْحُزْنِ عَلَيْهِ رَجَعُوا ، سَوَاءً أَقَامُوا بَعْدَ الدَّفْنِ أَمْ لَا وَمَعْنَى بَقَاءِ عَمَلِهِ أَنَّهُ يَدْخُلُ مَعَهُ الْقَبْرَ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » . أخرجه مسلم ٧٠٢

قال النووي رحمه الله : قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ عَمَلَ الْمَيِّتِ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ ، وَيَنْقَطِعُ تَجَدُّدُ الْجَوَابِ لَهُ ، إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ ؛ لِكَوْنِهِ كَانَ سَبَبَهَا ؛ فَإِنَّ الْوَلَدَ مِنْ

٧٠٠ - ٣٧١/١ (١٣٧٥) وطيبالسي (٢١١٣) وإتحاف الخيرة (٧١٤٦) والمطالب (٣٢٢٢) والمجمع ٢٥٢/١٠

وهو حديث صحيح لطرقه

٧٠١ - البخاري (٦٥١٤) ومسلم (٢٩٦٠) والترمذي (٢٥٥٣) وأحمد (١٢٤٠٨)

٧٠٢ - برقم (١٦٣١) والبخاري في الأدب المفرد (٣٨) وأبو داود (٢٨٨٢) والترمذي (١٤٣٢) ونص (٣٦٦٦)

وحم (٩٠٧٩) والدعا طب (١١٥٢ - ١١٥٨).

كَسْبِهِ ، وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ الَّذِي خَلَفَهُ مِنْ تَعْلِيمٍ أَوْ تَصْنِيفٍ ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ الْجَارِيَّةُ ، وَهِيَ الْوَقْفُ .

وَفِيهِ فَضِيلَةُ الزَّوْاجِ لِرَجَاءٍ وَلَدٍ صَالِحٍ ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ اخْتِلَافِ أَحْوَالِ النَّاسِ فِيهِ ، وَأَوْضَحْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِ النِّكَاحِ . وَفِيهِ دَلِيلٌ لِمَصَحَّةِ أَصْلِ الْوَقْفِ ، وَعَظِيمُ ثَوَابِهِ ، وَبَيَانُ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ ، وَالْحَثُّ عَلَى الْإِسْتِكْثَارِ مِنْهُ . وَالتَّرغِيبُ فِي تَوْرِيثِهِ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّصْنِيفِ وَالْإِيضَاحِ ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ مِنَ الْعُلُومِ الْأَنْفَعُ فَالْأَنْفَعُ . وَفِيهِ أَنَّ الدُّعَاءَ يَصِلُ ثَوَابُهُ إِلَى الْمَيِّتِ ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ ، وَهُمَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِمَا ، وَكَذَلِكَ قَضَاءُ الدَّيْنِ كَمَا سَبَقَ .

وَأَمَّا الْحَجُّ فَيَحْزِي عَنْ الْمَيِّتِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَمُوافِقِيهِ ، وَهَذَا دَاخِلٌ فِي قَضَاءِ الدَّيْنِ إِنْ كَانَ حَجًّا وَاجِبًا ، وَإِنْ كَانَ تَطَوُّعًا وَصَّى بِهِ وَهُوَ مِنْ بَابِ الْوَصَايَا ، وَأَمَّا إِذَا مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ فَالصَّحِيحُ أَنَّ الْوَلِيَّ يَصُومُ عَنْهُ ، وَسَبَقَتْ الْمَسْأَلَةُ فِي كِتَابِ الصِّيَامِ . وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فَالْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ لَا يَصِلُ ثَوَابُهَا إِلَى الْمَيِّتِ وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : يَصِلُ ثَوَابُهَا إِلَى الْمَيِّتِ .

وَذَهَبَ جَمَاعَاتٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهُ يَصِلُ إِلَى الْمَيِّتِ ثَوَابُ جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ الْقِرَاءَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ نَذْرٌ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَمَرَ مَنْ مَاتَتْ أُمُّهَا وَعَلَيْهَا صَلَاةٌ أَنْ تُصَلِّيَ عَنْهَا . وَحَكَى صَاحِبُ الْحَاوِي عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهُوَيْهِ أَنَّهُمَا قَالَا بِجَوَازِ الصَّلَاةِ عَنْ الْمَيِّتِ . وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَعْدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ هَبَةَ اللَّهِ بْنُ أَبِي عَصْرُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا الْمُتَأَخِّرِينَ فِي كِتَابِهِ الْإِتِّصَارِ إِلَى اخْتِيَارِ هَذَا ، وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ مِنْ أَصْحَابِنَا فِي كِتَابِهِ التَّهْذِيبِ : لَا يَبْعُدُ أَنْ يُطْعَمَ عَنْ كُلِّ صَلَاةٍ مُدٌّ مِنْ طَعَامٍ وَكُلُّ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ ضَعِيفَةٌ . وَدَلِيلُهُمُ الْقِيَاسُ عَلَى الدُّعَاءِ وَالصَّدَقَةِ وَالْحَجِّ فَإِنَّهَا تَصِلُ بِالْإِجْمَاعِ وَدَلِيلُ الشَّافِعِيِّ وَمُوافِقِيهِ قَوْلُ اللَّهِ : تَعَالَى : { وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : " إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ " وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ فِي رَكْعَتَيِ الطَّوَافِ فِي حَجِّ الْأَجِيرِ هَلْ تَقَعَانِ عَنِ الْأَجِيرِ أَمْ عَنْ الْمُسْتَأْجِرِ ؟ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ « أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أَجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ مُرَابِطٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أُجِرَى لَهُ مِثْلُ مَا عَمِلَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا فَهُوَ يَدْعُو لَهُ » . أخرجه أحمد ^{٧٠٣}

وَعَنْ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لَمَّا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِأَلَا فَأَذَنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيًّا) وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ (اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ) تَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ». قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَصُرَةً كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجُزُ عَنْهَا بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ - قَالَ - ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » . أخرجه مسلم ^{٧٠٤}

إن المقصود منه أن من سنَّ من الأعمال الواقعة تحت ما أمر الله ورسوله به وندب إليه فهو من الأعمال المحمودة التي يثاب عليها صاحبها، فيكون له أجرها وأجر من عمل بها، وإن لم يكن لهذه الأعمال مثالٌ موجود على عهد النبي ﷺ، ومن هذا الباب قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح جماعة: نعمت البدعة هذه. وهذا لأن النبي ﷺ لم يسنَّ الاجتماع لها طوال أيام الشهر، إنما صلى بهم ليالي ثم ترك ذلك، ولا كان الاجتماع لها على عهد أبي بكر، وكان عمر رضي الله عنه أول من جمع الناس عليها وندبهم إليها -

^{٧٠٣} - ٢٦١/٥ (٢٢٩٠٦) وطب (٧٧٣٧) والمجمع ١٦٧/١ (٧٦٨) و (٤٧٥٨) والفيض (٨٥٠) والترغيب ١١٩/١

وهو حديث صحيح لشواهده.

^{٧٠٤} - برقم (١٠١٧) ونص (٢٥٦٦) وح (١٩٦٧٤ و ١٩٦٩٣)

على النحو المعروف الآن - ومع ذلك فالاجتماع لصلاة التراويح سنة حسنة؛ لأنها موافقة للأصول الشرعية، فقد رغب النبي ﷺ في قيام رمضان، وصلى بهم جماعة ليالي من رمضان ثم ترك ذلك خشية أن تفرض على الأمة، فلما مات - صلوات الله وسلامه عليه - وانقطع الوحي واستقرت الفرائض على ما هي عليه، كان فعل عمر لها - مع انتفاء المانع الذي خشيه النبي ﷺ - سنة حسنة، ومن هذا الباب أيضاً أن الصحابة جمعوا القرآن وكتبوه في المصاحف وجمعوا الناس على المصاحف العثمانية، وأحرقوا ما سوى ذلك من المصاحف التي كانت عند الصحابة، واتبعهم الناس على ذلك فجمعوا العلم ودونوه وكتبوه، وهذا كله من قبيل السنة الحسنة مع أنه يندرج تحت أصول كانت موجودة على عهد النبي ﷺ؛ لأنه مندرج فيما ندبت إليه الشريعة من الألفة وجمع الكلمة وعدم التفرق وحفظ القرآن... إلخ.

فالصدقة مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع، وعمل هذا الرجل عمل بما هو مشروع، ولكنه كان البادئ بهذا الخير، ويؤيد ذلك أيضاً أن كون العمل حسناً أو سيئاً إنما يعرف من جهة الشرع لا غير، فلا بد للعمل حتى يكون سنة حسنة أن يكون مندرجاً تحت ما هو مشروع.^{٧٠٥}

وعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « من علم آية من كتاب الله تعالى، كان له ثوابها ما تليت » أخرجه أبو سهل القطان في " حديثه عن شيوخه ^{٧٠٦} وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ - « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره وولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته » . أخرجه ابن ماجه ^{٧٠٧}

^{٧٠٥} - راجع فتاوى الشبكة الإسلامية رقم (٢٩٠١٦)

^{٧٠٦} - والحيلة ٢٢٤/٨ وعساكر ٥٩/٢٩٠ والصحيحة (١٣٣٥) وإسناده صحيح.

^{٧٠٧} - برقم (٢٤٩) وصححه ابن خزيمة (٢٢٩٣) وصحيح الترغيب (٧٧) و الحيلة ٣٤٤/٢ والمجمع ١٦٧/١ وهب (٣٤٩٤) وهو حديث حسن لغيره

وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنْتَ لِي هَذِهِ فَيَقُولُ بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ » . أخرجه أحمد ^{٧٠٨}
وَعَنِ أَبِي أُسَيْدٍ ، قَالَ : أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ ، وَأَنَا عَنْدَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبَوَيَّ قَدْ هَلَكََا ، فَهَلْ بَقِيَ لِي بَعْدَ مَوْتِهِمَا مِنْ بَرٍّمَا شَيْءٌ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عُهُودِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقَيْهِمَا ، وَصَلَةُ رَحِمِهِمَا الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قَبْلِهِمَا ، قَالَ الرَّجُلُ : مَا أَكْثَرَ هَذَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَطِيبُهُ ، قَالَ : فَاعْمَلْ بِهِ . ^{٧٠٩}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - تُوفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا ، أَيْنَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا قَالَ « نَعَمْ » . قَالَ فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمَخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا ^{٧١٠}
أخرجه البخاري

وَعَنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قَالَ « الْمَاءُ » . قَالَ فَحَفَرَ بَيْتًا وَقَالَ هَذِهِ لَأُمِّ سَعْدٍ . أخرجه أحمد ^{٧١١}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي مَاتَ وَلَمْ يَحِجَّ أَفَأَحِجُّ عَنْهُ قَالَ : « أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ » . قَالَ نَعَمْ . قَالَ « فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ » . أخرجه ^{٧١٢}
النسائي

^{٧٠٨} - أحمد ٢٠٩/٢ (١٠٨٩٠) وهـ (٣٧٩١) وهق ٧٩/٧ والمجمع ٢١٠/١٠ (١٧٥٩٥) وهو حديث حسن
^{٧٠٩} - صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ١٦٢) (٤١٨) وشعب الإيمان للبيهقي (٧٧٢٤) حسن لغيره
^{٧١٠} - في الوصايا باب إذا قال: أرضي أو بستاني صدقة، (٢٧٥٦ و ٢٧٦٢ و ٢٧٧٠) ود (٢٨٨٤) وت (٦٧١) وح (٣١٣٥ و ٣٥٧٢)
^{٧١١} - أبو داود (١٦٨٣) وصحيح الترغيب (٩٦٢) وح ٧/٦ ونص ٢٥٥/٦ وابن ماجه (٣٦٨٤) والترمذي (٦٦٩) وهو حديث حسن وله شاهد في المجمع ١٣٨/٣ فيصح به .
^{٧١٢} - نص برقم (٢٦٥١) وح (١٦٥٥٤) عن عبد الله بن الزبير وطب (٣٤٧٠ و ١١١٦٠ و ١٧٢٣١ و ١٩٥٩٦) عن حُصَيْنِ بْنِ عَوْفٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَمَرْوَانَ بْنِ قَيْسٍ وَسَوْدَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَطُس (١٠٠ و ١٥٤٠) عن أنس وابن عباس والمجمع ٢٨٢/٣ (٥٦٨٣) وعن عقبة بن عامر عند مسلم (١١٤٩) . وغيرهم وهو حديث متواتر

وَعَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنْ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِمَا مَعَ صَلَاتِكَ وَأَنْ تَصُومَ عَنْهُمَا مَعَ صِيَامِكَ وَأَنْ تَصَدَّقَ ، عَنْهُمَا مَعَ صَدَقَتِكَ »
٧١٣

أخرجه ابن أبي شيبة

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ : « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ »
٧١٤

أخرجه الشيخان

وقد دلت هذه الأحاديث على أنه يصل إلى الميت - المسلم ثواب الدعاء والاستغفار والصدقة والواجبات الدينية البدنية والمالية التي تدخلها النيابة كالحج والصوم وهذا بلا خلاف. والجمهور على جواز وصول ثواب العبادات البدنية المحضة كالصلاة وتلاوة القرآن إلى غير فاعلها.

وفي المغني لابن قدامة: (١٦٨٦) فَصْلٌ : قَالَ : وَلَا بَأْسَ بِالْقِرَاءَةِ عِنْدَ الْقَبْرِ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا دَخَلْتُمُ الْمَقَابِرَ اقْرَءُوا آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَثَلَاثَ مَرَّاتٍ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ إِنَّ فَضْلَهُ لِأَهْلِ الْمَقَابِرِ^{٧١٥}

وَمَنْ صَامَ أَوْ صَلَّى أَوْ تَصَدَّقَ وَجَعَلَ ثَوَابَهُ لغيرِهِ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ جَازَ ، وَيَصِلُ ثَوَابُهَا إِلَيْهِمْ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَاسْتَشْنَى مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةَ الْمَحْضَةَ ، كَالصَّلَاةِ وَالتَّلَاوَةِ ، فَلَا يَصِلُ ثَوَابُهَا إِلَى الْمَيِّتِ عِنْدَهُمَا ، وَمُقْتَضَى تَحْرِيرِ الْمُتَأَخَّرِينَ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ انْتِفَاعُ الْمَيِّتِ بِالْقِرَاءَةِ لَا حُصُولُ ثَوَابِهَا لَهُ . وَلِلْعَلَّامَةِ ابْنِ الْقَيِّمِ كَلَامٌ مُشْبِعٌ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، فَرَأَجِعْ كِتَابَ الرُّوحِ " لَهُ "

وَقَالَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ : إِنَّ الْقِرَاءَةَ تَصِلُ لِلْمَيِّتِ وَأَنَّهَا عِنْدَ الْقَبْرِ أَحْسَنُ مَزِيَّةٍ^{٧١٦}

^{٧١٣} - ٣٨٧/٣ (١٢٠٨٣) والخطيب ٣٦٣/١ وهو حديث معضل.

^{٧١٤} - البخاري ٤٦/٣ (١٩٥٢) ومسلم (١١٤٧) وهو حديث مشهور .

^{٧١٥} - وراجع الفقه الإسلامي أستاذنا الزجاجي ٥٥/٢ - ٥٥٢ والدر المختار ٨٤٤/١ وفتح القدير ٤٧٣/١ والشرح الكبير ٤٢٣/١ ومغني المحتاج ٦٩/٣ - ٧٠ والمغني ٥٦٦/٢ - ٥٧٠ والمهذب ٤٦٤/١ ونيل الأوطار ٩١/٤ - ٩٣ ، وفقه السنة ٥٦٧/١ - ٥٧٠ والروح لابن القيم ص ١١٧ - ١٤٣ وهو من أروع ما كتب في هذا الباب.

^{٧١٦} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (ج ١٦ / ص ٤٥)

وَقَالَ ابْنُ قَدَامَةَ : وَأَيُّ قُرْبَةٍ فَعَلَهَا وَجَعَلَ ثَوَابَهَا لِلْمَيِّتِ الْمُسْلِمِ نَفَعُهُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
أَمَّا الدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ وَالصَّدَقَةُ وَأَدَاءُ الْوَاجِبَاتِ فَلَا أَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا إِذَا كَانَتْ الْوَاجِبَاتُ
مِمَّا يَدْخُلُهُ النَّيَابَةُ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ } (سورة الحشر / ١٠) وَقَالَ تَعَالَى : { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ (سورة محمد / ١٩) } وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي سَلَمَةَ حِينَ مَاتَ ،
وَلِلْمَيِّتِ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ فِي حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ^{٧١٧} ، وَلِكُلِّ مَيِّتٍ صَلَّى عَلَيْهِ ، وَسَأَلَ
رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أُمِّي مَاتَتْ فَيَنْفَعُهَا إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ
، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَرُويَ ذَلِكَ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، وَجَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فَرِيضَةُ اللَّهِ فِي الْحَجِّ أَذْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْتَبِثَ عَلَى
الرَّاحِلَةِ أَفَأَحْجُّ عَنْهُ ؟ قَالَ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَتَهُ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ،
قَالَ : فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى .

وَقَالَ لِلَّذِي سَأَلَهُ إِنْ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَصُومُ عَنْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ .
وَهَذِهِ أَحَادِيثُ صَحَاحٌ ، وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى انْتِفَاعِ الْمَيِّتِ بِسَائِرِ الْقُرْبِ ؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ
وَالْحَجَّ وَالِدُّعَاءَ وَالِاسْتِغْفَارَ عِبَادَاتٌ بَدَنِيَّةٌ وَقَدْ أَوْصَلَ اللَّهُ نَفْعَهَا إِلَى الْمَيِّتِ فَكَذَلِكَ مَا
سِوَاهَا مَعَ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْحَدِيثِ فِي ثَوَابِ مَنْ قَرَأَ " يس " ، وَتَخْفِيفِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ
أَهْلِ الْمَقَابِرِ بِقِرَاءَتِهِ ، وَرَوَى عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ
لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ : لَوْ كَانَ أَبُوكَ مُسْلِمًا فَأَعْتَقْتُمُ عَنْهُ ، أَوْ تَصَدَّقْتُمُ عَنْهُ ، أَوْ حَجَّجْتُمُ عَنْهُ
، بَلَغَهُ ذَلِكَ ، وَهَذَا عَامٌّ فِي حَجِّ التَّطَوُّعِ وَغَيْرِهِ ؛ وَلَئِنَّهُ عَمَلٌ بِرٌّ وَطَاعَةٌ ، فَوَصَلَ نَفْعُهُ
وَتَوَابُهُ ، كَالصَّدَقَةِ ، وَالصِّيَامِ ، وَالْحَجِّ الْوَاجِبِ ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : مَا عَدَا الْوَاجِبَ
وَالصَّدَقَةَ وَالِدُّعَاءَ وَالِاسْتِغْفَارَ لَا يُفْعَلُ عَنِ الْمَيِّتِ ، وَلَا يَصِلُ ثَوَابُهُ إِلَيْهِ ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى
: { وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (سورة النجم / ٣٩) } وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : إِذَا مَاتَ
الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ
صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ، وَلَئِنْ نَفَعَهُ لَا يَتَعَدَّى فَاعِلَهُ ، فَلَا يَتَعَدَّى ثَوَابُهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا قُرِئَ

^{٧١٧} - أخرجه مسلم (٢ / ٦٦٢ - ٦٦٣ ط عيسى الحلي)

الْقُرْآنُ عِنْدَ الْمَيِّتِ أَوْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ ثَوَابُهُ كَانَ الثَّوَابُ لِقَارِيهِ ، وَيَكُونُ الْمَيِّتُ كَأَنَّهُ حَاضِرُهَا
وَتُرْجَى لَهُ الرَّحْمَةُ^{٧١٨}

وَسُئِلَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى { وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى }
وَقَوْلِهِ ﷻ { إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ
وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ } فَهَلْ يَقْتَضِي ذَلِكَ إِذَا مَاتَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِ الْبِرِّ^{٧١٩} .
فَأَجَابَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَيْسَ فِي الْآيَةِ وَلَا فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَنْتَفِعُ
بِدُعَاءِ الْخَلْقِ لَهُ وَبِمَا يُعْمَلُ عَنْهُ مِنَ الْبِرِّ بَلْ أَثَمَةُ الْإِسْلَامِ مُتَّفِقُونَ عَلَى انْتِفَاعِ الْمَيِّتِ بِذَلِكَ
وَهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ فَمَنْ
خَالَفَ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً
وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ
عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
(٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)
[غافر/٧-٩] } . فَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَدْعُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمَغْفِرَةِ وَوَقَايَةِ
الْعَذَابِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ وَدُعَاءُ الْمَلَائِكَةِ لَيْسَ عَمَلًا لِلْعَبْدِ .

وَقَالَ تَعَالَى : { وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } (١٩) سُورَةُ مُحَمَّدٍ ، وَقَالَ
الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبِّ { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } (٤١)
سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ ، وَقَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } (٢٨) سُورَةُ نُوحٍ ، فَقَدْ ذَكَرَ اسْتِغْفَارَ
الرُّسُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمْرًا بِذَلِكَ وَإِخْبَارًا عَنْهُمْ بِذَلِكَ . وَمِنْ السُّنَنِ الْمُتَوَاتِرَةِ الَّتِي مَنْ جَحَدَهَا
كَفَرَ : صَلَاةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمَيِّتِ وَدُعَاؤُهُمْ لَهُ فِي الصَّلَاةِ . وَكَذَلِكَ شَفَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ

^{٧١٨} - المغني ٢ / ٥٦٧ - ٥٦٨ .

^{٧١٩} - مجموع الفتاوى - (ج ٢٤ / ص ٣٠٦) فما بعد

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ السُّنَنَ فِيهَا مُتَوَاتِرَةٌ بَلْ لَمْ يُنْكَرْ شَفَاعَتُهُ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ إِلَّا أَهْلَ الْبِدْعِ، بَلْ قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ يَشْفَعُ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ، وَشَفَاعَتُهُ دُعَاؤُهُ وَسُؤَالُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَجَاهِدٌ مِثْلُ ذَلِكَ كَافِرٌ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ .
وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ مِثْلُ مَا فِي الصَّحَاحِ عَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ أَنَّبَانَا ابْنُ عَبَّاسٍ ؛ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ تُوفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا ، فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا. ٧٢٠

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ - : إِنْ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا ، وَأُظْنِئْتُ لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ » ٧٢١

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ - إِنْ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا وَلَمْ يُوصَ فَهَلْ يُكَفِّرُ عَنْهُ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهُ قَالَ « نَعَمْ » ٧٢٢ ..

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ نَذَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَنْحَرَ مِائَةَ بَدَنَةٍ وَأَنَّ هِشَامَ بْنَ الْعَاصِ نَحَرَ حَصَّتَهُ خَمْسِينَ بَدَنَةً وَأَنَّ عَمْرًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ - عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ « أَمَّا أَبُوكَ فَلَوْ كَانَ أَقْرَ بِالتَّوْحِيدِ فَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ عَنْهُ نَفَعُهُ ذَلِكَ » ٧٢٣ .

وَفِي سُنَنِ الدَّارِقُطِيِّ : أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لِي أَبَوَيْنِ وَكُنْتُ أَبْرَهُمَا حَالِ حَيَاتِهِمَا . فَكَيْفَ بِالْبِرِّ بَعْدَ مَوْتِهِمَا ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ { إِنْ مِنْ بَعْدِ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ لَهُمَا مَعَ صَلَاتِكَ وَأَنْ تَصُومَ لَهُمَا مَعَ صِيَامِكَ وَأَنْ تَصَدَّقَ لَهُمَا مَعَ صَدَقَتِكَ } . وَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الطَّالِقَانِي قَالَ : قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ { إِنْ الْبِرُّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ لِلْأَبَوَيْنِ مَعَ صَلَاتِكَ

٧٢٠ - صحيح البخارى (٢٧٥٦)

٧٢١ - صحيح البخارى (١٣٨٨) - افتلنت : ماتت فجأة وأخذت نفسها فلتة

٧٢٢ - صحيح مسلم (٤٣٠٦)

٧٢٣ - مسند أحمد (٦٨٧٥) حسن

وَتَصُومُ لَهُمَا مَعَ صِيَامِكَ ؟ { قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ عَمَّنْ هَذَا ؟ قُلْتُ لَهُ : هَذَا مِنْ حَدِيثِ شِهَابِ بْنِ خِرَاشٍ قَالَ : ثَقَّةٌ قُلْتُ : عَمَّنْ ؟ قَالَ عَنْ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ . فَقَالَ : ثَقَّةٌ عَمَّنْ ؟ قُلْتُ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ بَيْنَ الْحَجَّاجِ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَفَاوِزَ تُقَطَّعُ فِيهَا أَعْنَاقُ الْمَطِيِّ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الصَّدَقَةِ اخْتِلَافٌ ، وَالْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مُرْسَلٌ^{٧٢٤} .

وَالْأَثَمَةُ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الصَّدَقَةَ تَصِلُ إِلَى الْمَيِّتِ وَكَذَلِكَ الْعِبَادَاتُ الْمَالِيَّةُ : كَالْعَتَقِ . وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا فِي الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ : كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْقِرَاءَةِ وَمَعَ هَذَا فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلَيْتُهُ »^{٧٢٥} .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ نَذَرْتُ أَفَأَصُومُ عَنْهَا قَالَ « أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ فَقَضَيْتَهُ أَكَانَ يُؤَدَّى ذَلِكَ عَنْهَا » . قَالَتْ نَعَمْ . قَالَ « فَصُومِي عَنْ أُمِّكَ »^{٧٢٦} .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُخْتِي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ، أَكُنْتَ تَقْضِيهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ^{٧٢٧} .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ وَإِنَّهَا مَاتَتْ - قَالَ - فَقَالَ « وَجَبَ أَجْرُكَ وَرَدَّهَا عَلَيْكَ الْمِيرَاثُ » . قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا

^{٧٢٤} - صحيح مسلم (٣٤) - المفازة : الصحراء البعيدة عن العمار والماء تغاؤلا من الفوز بالنجاة منها

^{٧٢٥} - صحيح البخاري (١٩٥٢) وصحيح مسلم (٢٧٤٨)

^{٧٢٦} - صحيح مسلم (٢٧٥٢)

^{٧٢٧} - مسند أبي عوانة (٢٣٣٠) صحيح

صَوْمُ شَهْرِ أَفْأَصُومُ عَنْهَا قَالَ « صُومِي عَنْهَا ». قَالَتْ إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا قَالَ « حُجِّي عَنْهَا » ٧٢٨ .

فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّهُ يُصَامُ عَنِ الْمَيِّتِ مَا نَذَرَ وَأَنَّهُ شُبِّهَ ذَلِكَ بِقَضَاءِ الدِّينِ . وَالْأَثَمَةُ تَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ وَلَمْ يُخَالَفْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ مَنْ بَلَغَتْهُ وَإِنَّمَا خَالَفَهَا مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ أَبِي حَكِيمٍ إِذَا صَامُوا عَنِ الْمُسْلِمِ نَفَعَهُ .

وَأَمَّا الْحُجُّ فَيُحْزَرِي عِنْدَ عَامَّتِهِمْ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا اخْتِلَافٌ شَاذٌ . وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَتْ إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا قَالَ « نَعَمْ » . حُجِّي عَنْهَا ، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَةً أَقْضُوا اللَّهُ ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ » ٧٢٩ .

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ - فَقَالَ لَهُ إِنَّ أُخْتِي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ وَإِنَّهَا مَاتَتْ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ » . قَالَ نَعَمْ . قَالَ « فَاقْضِ اللَّهَ ، فَهُوَ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ » ٧٣٠ .

وَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ بُرَيْدَةَ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَتْ كُنْتُ تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِوَلِيدَةٍ وَإِنَّهَا مَاتَتْ وَتَرَكْتُ تِلْكَ الْوَلِيدَةَ . قَالَ « قَدْ وَجَبَ أَجْرُكِ وَرَجَعَتْ إِلَيْكَ فِي الْمِيرَاثِ » . قَالَتْ وَإِنَّهَا مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفِيحْزَرِي - أَوْ يَقْضِي - عَنْهَا أَنْ أَصُومَ عَنْهَا قَالَ « نَعَمْ » . قَالَتْ وَإِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ أَفِيحْزَرِي - أَوْ يَقْضِي - عَنْهَا أَنْ أَحُجَّ عَنْهَا قَالَ « نَعَمْ » ٧٣١ .

فَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ : " أَنَّهُ أَمَرَ بِحُجِّ الْفَرَضِ عَنِ الْمَيِّتِ وَبِحُجِّ النَّذْرِ " . كَمَا أَمَرَ بِالصِّيَامِ . وَأَنَّ الْمَأْمُورَ تَارَةً يَكُونُ وَلَدًا وَتَارَةً يَكُونُ أَخًا وَشَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ بِالَّذِينَ يَكُونُونَ عَلَى الْمَيِّتِ ، وَالَّذِينَ يَصِحُّ قِضَاؤُهُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ لَا يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِالْوَلَدِ . كَمَا جَاءَ مُصَرِّحًا بِهِ فِي الْأَخِ . فَهَذَا الَّذِي ثَبَتَ

٧٢٨ - صحيح مسلم (٢٧٥٣)

٧٢٩ - صحيح البخاري (١٨٥٢)

٧٣٠ - صحيح البخاري (٦٦٩٩)

٧٣١ - سنن أبي داود (٢٨٧٩) صحيح

بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ عِلْمٌ مُفَصَّلٌ مُبَيَّنٌ ، فَعِلِمَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُنَافِي قَوْلُهُ : {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} (٣٩) سورة النجم ، ولا حديث « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »^{٧٣٢} . بَلْ هَذَا حَقٌّ وَهَذَا حَقٌّ .

أَمَّا الْحَدِيثُ فَإِنَّهُ قَالَ : { انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ } فَذَكَرَ الْوَلَدَ وَدُعَاؤُهُ لَهُ خَاصِّينَ ؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ مِنْ كَسْبِهِ كَمَا قَالَ : { مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ } (٢) سورة المسد ، قَالُوا : إِنَّهُ وَلَدُهُ ، وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ { أَطْيَبُ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ ، وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ }^{٧٣٣} .

فَلَمَّا كَانَ هُوَ السَّاعِي فِي وُجُودِ الْوَلَدِ كَانَ عَمَلُهُ مِنْ كَسْبِهِ بِخِلَافِ الْأَخِ وَالْعَمِّ وَالْأَبِ وَنَحْوِهِمْ . فَإِنَّهُ يَنْتَفِعُ أَيْضًا بِدُعَائِهِمْ بَلْ بِدُعَاءِ الْأَجَانِبِ لَكِنْ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِ . وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ : { انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ . . } { لَمْ يَقُلْ : إِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعَمَلٍ غَيْرِهِ . فَإِذَا دَعَا لَهُ وَلَدُهُ كَانَ هَذَا مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي لَمْ يَنْقُطِعْ وَإِذَا دَعَا لَهُ غَيْرُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَمَلِهِ لَكِنَّهُ يَنْتَفِعُ بِهِ .

وَأَمَّا الْآيَةُ فَلِلنَّاسِ عَنْهَا أَجُوبَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ . كَمَا قِيلَ : إِنَّهَا تَخْتَصُّ بِشَرْعٍ مِنْ قَبْلُنَا وَقِيلَ : إِنَّهَا مَخْصُوصَةٌ وَقِيلَ : إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ وَقِيلَ : إِنَّهَا تَنَالُ السَّعْيَ مُبَاشَرَةً وَسَبَبًا ، وَالْإِيمَانُ مِنْ سَعْيِهِ الَّذِي تَسَبَّبَ فِيهِ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بَلْ ظَاهِرُ الْآيَةِ حَقٌّ لَا يُخَالِفُ بَقِيَّةَ التَّصْوِصِ ، فَإِنَّهُ قَالَ : { لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } وَهَذَا حَقٌّ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ سَعْيَهُ فَهُوَ الَّذِي يَمْلِكُهُ وَيَسْتَحِقُّهُ . كَمَا أَنَّهُ إِنَّمَا يَمْلِكُ مِنَ الْمَكَاسِبِ مَا اكْتَسَبَهُ هُوَ . وَأَمَّا سَعْيُ غَيْرِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَمِلْكُ لِدَلِكِ الْغَيْرِ لَا لَهُ لَكِنْ هَذَا لَا يَمْنَعُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِسَعْيِ غَيْرِهِ كَمَا يَنْتَفِعُ الرَّجُلُ بِكَسْبِ غَيْرِهِ . فَمَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قِرَاطٌ فَيُثَابُ الْمُصَلِّي عَلَى سَعْيِهِ الَّذِي

^{٧٣٢} - صحيح مسلم (٤٣١٠)

^{٧٣٣} - صحيح ابن حبان - (ج ١٠ / ص ٧٣) (٤٢٦٠) صحيح

هُوَ صَلَاتُهُ وَالْمَيِّتُ أَيْضًا يُرَحَّمُ بِصَلَاةِ الْحَيِّ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ صُفُوفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَوْجَبَ »^{٧٣٤}

فَاللَّهُ تَعَالَى يُثِيبُ هَذَا السَّاعِي عَلَى سَعْيِهِ الَّذِي هُوَ لَهُ وَيُرَحَّمُ ذَلِكَ الْمَيِّتَ بِسَعْيِ هَذَا الْحَيِّ لِدُعَائِهِ لَهُ وَصَدَقْتَهُ عَنْهُ وَصِيَامِهِ عَنْهُ وَحَجَّهِ عَنْهُ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ ، فَأَتَاهَا فَوَجَدَ أُمَّ الدَّرْدَاءِ وَلَمْ يَجِدْ أَبَا الدَّرْدَاءِ ، فَقَالَتْ لَهُ : تُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ : إِنْ دَعَاكَ الْمَرْءُ مُسْتَجَابَةً لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْعَيْنِ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ يُؤْمِنُ عَلَى دُعَائِهِ كُلَّمَا دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ قَالَ : آمِينَ ، وَلَكَ بِمِثْلِهِ ، ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى السُّوقِ فَلَقِيَتْ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَحَدَّثَنِي ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ ذَلِكَ.^{٧٣٥}

فَهَذَا مِنَ السَّعْيِ الَّذِي يَنْفَعُ بِهِ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ يُثِيبُ اللَّهُ هَذَا وَيُرَحَّمُ هَذَا ، .. وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمَيِّتُ أَوْ الْحَيُّ أَوْ يُرَحَّمُ بِهِ يَكُونُ مِنْ سَعْيِهِ ، بَلْ أَطْفَالُ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مَعَ آبَائِهِمْ بِلَا سَعْيٍ فَالَّذِي لَمْ يَجْزِ إِلَّا بِهِ أَحْصَ مِنْ كُلِّ انْتِفَاعٍ ؛ لَيْلًا يَطْلُبُ الْإِنْسَانُ الثَّوَابَ عَلَى غَيْرِ عَمَلِهِ وَهُوَ كَالَّذِينَ يُؤْفِيهِ الْإِنْسَانُ عَنْ غَيْرِهِ فَتَبَرُّا ذِمَّتُهُ لَكِنْ لَيْسَ لَهُ مَا وَفَى بِهِ الدِّينَ وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُؤْفَى لَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ^{٧٣٦}

دُعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ لِلْمُؤْمِنِ :

مِثْلُ صَلَاتِهِمْ عَلَى جَنَازَتِهِ ، فَعَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلَّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتْلُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ »^{٧٣٧} .
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ أَوْ بِعُسْفَانَ فَقَالَ يَا كُرَيْبُ انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ النَّاسِ . قَالَ فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قَدْ اجْتَمَعُوا لَهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ قَالَ

^{٧٣٤} - سنن أبي داود (٣١٦٨) حسن

^{٧٣٥} - مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٠ / ص ١٩٧) (٢٩٧٦٨) صحيح

^{٧٣٦} - الفتاوى الكبرى لابن تيمية - (٣ / ٣٦٦) ومجموع الفتاوى لابن تيمية - (٢٤ / ٣١٣)

^{٧٣٧} - صحيح مسلم برقم (٢٢٤١)

نَعَمْ. قَالَ أَخْرِجُوهُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ »^{٧٣٨} . .
 وَهَذَا دُعَاءُ لَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ . فَلَا يَجُوزُ أَنْ تُحْمَلَ الْمَغْفِرَةُ عَلَى الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ الَّذِي اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ وَكُفِّرَتْ عَنْهُ الصَّغَائِرُ وَحَدَهُ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَغْفُورٌ لَهُ عِنْدَ الْمُتَنَازِعِينَ . فَعُلِمَ أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ لِلْمَيِّتِ ، فَعَنْ مُعَاذٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- « لَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ فَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ عِبَادَ اللَّهِ »^{٧٣٩}



^{٧٣٨} - صحيح مسلم برقم (٢٢٤٢)

^{٧٣٩} - مسند أحمد برقم (٢٢٦٩٤) وهو حديث حسن لغيره.

خاتمة

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)} [فصلت/٣٠-٣٣]

هكذا تنزل ملائكة الرحمة بالبشرى على الذين آمنوا بالله ، ثم استقاموا على هذا الإيمان حتى الموت

تنزل عليهم عند موتهم فتقول لهم بأمر الله:

لا تخافوا مما أنتم قادمون عليه في القبر، وعند البعث والحشر، ولا تحزنوا على ما خلفتم من أمر الدنيا من مال وولد وأهل، فإننا نخلفكم فيه.

وأبشروا بأن الله قد رضي عنكم ، وكتب لكم الجنة.

وهذه البشرى عند الموت أمنت للمؤمن مستقبلة الزاهر السعيد ، وأمنت له الحفظ والرعاية بأمر الله تعالى في أهله وماله وولده ، وكل ما خلفه.

فهل بقي شيء تتوق إليه نفس إنسان؟!

وهل توجد أي شركة عالمية، أو أي سلطة أرضية تستطيع أن تؤمن لأي إنسان مستقبل ما بعد الموت على المدى اللانهائي أو على أي مدى؟!

وهل توجد أي شركة أو أي سلطة تستطيع أن تؤمن لميت على أهله وأولاده وأمواله؟ وأن يكون هذا التأمين على مدى بعيد جداً ؟ ...

الجواب:

لا يستطيع ذلك ولا يقدر عليه إلا الله وحده، وكفى بالله وكياً وحفيظاً.

فعليك أيها الإنسان بالاستقامة الدائمة على الطريق، الذي رسمه الله لك، لتبشرك ملائكة الرحمن بالجنة والرضوان، وإياك والابتعاد عنه لكي لا تخسر سعادة الدارين .

أنت لا تدري متى ستموت؟ ولا المكان أو الزمان ؟

فشمر عن ساعد الجد في هذه الحياة.

إن الله سبحانه وتعالى ما خلقك عبثاً، وإنما خلقك لكي تؤدي الأمانة التي أناطها بك، إنها أمانة التكليف والاستخلاف في هذه الأرض.

قال تعالى : { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } (٧٢) سورة الأحزاب
إن الله سيسألك عن كل تصرفاتك في يوم لا ريب فيه. قال تعالى : { وَفَقُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُولُونَ } (٢٤) سورة الصافات

فتزود لذلك اليوم، وخير الزاد التقوى كما قال تعالى : { وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } (١٩٧) سورة البقرة .

فإذا تزودت جاءك اليوم الذي يزول عنك فيه الخوف والحزن نهائياً.
فهيا قبل أن يأتيك الموت وعندها ينقطع الرجاء ويزول الأمل، ويطل العمل، ولا ينفعك إلا ما قدمت ... { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (٨٩) سورة الشعراء

والحمد لله رب العالمين



قصيدة التائبين

فأقبل بحقك أوبتي ومثابي	حطت ببابك لهفتي ورغابي
يا ملهم الغايات والأسباب	واجعل لها سبباً يقرب غايي
قد كان من لهوي ومن تطراي	هذي الجوارح شاهدات بالذي
لولاه كان العمر محض سراب	تسعى إليك يشدّها الأمل الذي
فأقبل بحقك أوبتي ومثابي	يا ربّ عما كان جئتُك تائباً
فاكتب لي الغفران يوم حسابي	يا ربّ عن ماضيّ جئتُك تائباً
فبنور وجهك ردني لصوابي	يا ربّ للآتي أتيتك سائلاً
سبحان من يعطي بغير حساب	فلأنت يا ربّاه من هتفوا له
أم الكتاب وعلم كل كتاب ^{٧٤٠}	يمحو ويثبت ما يشاء وعنده



^{٧٤٠} - حتى ترضى لمصطفى عكرمة ٢٦ - ٢٨

المصادر العامة

١. تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٢. تفسير ابن كثير الشاملة ٢ + موقع التفاسير - موافق للمطبوع
٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٤. تفسير الألوسي الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٥. أيسر التفاسير لأسعد حومد الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٦. التفسير الميسر الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٧. تفسير السعدي الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٨. تفسير ابن أبي حاتم الشاملة ٢ + موقع التفاسير
٩. التفسير القرآني بالقرآن عبد الكريم الخطيب - موافق للمطبوع
١٠. في ظلال القرآن الشاملة ٢ + - موافق للمطبوع
١١. الوسيط لسيد طنطاوي الشاملة ٢ + - موافق للمطبوع
١٢. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية = الشاملة ٢
١٣. اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث الشاملة ٢
١٤. مجمل اعتقاد أئمة السلف ابن تيمية الشاملة ٢
١٥. منهاج السنة النبوية ابن تيمية = الشاملة ٢ = محمد رشاد سالم
١٦. درء التعارض بين العقل والنقل ابن تيمية = الشاملة ٢ = دار الكنوز الأدبية الرياض
١٧. المنتقى - شرح الموطأ للباقي الشاملة ٢ + موقع الإسلام
١٨. موطأ مالك المكنز
١٩. صحيح البخاري المكنز
٢٠. صحيح مسلم المكنز
٢١. مختصر صحيح المسلم للمنذري الشاملة ٣ + ت الألباني
٢٢. سنن أبي داود المطنز
٢٣. سنن الترمذي المكنز
٢٤. سنن النسائي المكنز
٢٥. سنن ابن ماجه الكنز
٢٦. مصنف عبد الرزاق المكنز الإسلامي + الشاملة ٢
٢٧. مصنف ابن أبي شيبة عوامة + الشاملة ٢
٢٨. مسند أحمد الكنز
٢٩. مسند الشاشي جامع الحديث النبوي
٣٠. مسند أحمد بن حنبل (بأحكام شعيب الأرناؤوط) دار صادر
٣١. أخبار مكة للأزرقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٢. الإبانة الكبرى لابن بطة الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٣. الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٤. السنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٥. المستدرک للحاكم دار المعرفة + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٦. المعجم الكبير للطبراني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٧. المعجم الأوسط للطبراني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي

٣٨. المعجم الصغير للطبراني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٣٩. تفسير ابن أبي حاتم الشاملة ٢ + موقع التفاسير + جامع الحديث النبوي
٤٠. تهذيب الآثار للطبري الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤١. دلائل النبوة للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٢. السنن الكبرى للبيهقي المكنز + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٣. شعب الإيمان للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٤. سنن الدارمي المكنز + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٥. مسند أبي عوانة الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٦. مسند إسحاق بن راهويه الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٧. مسند الزار ١-٤ كاملا الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٨. مسند أبي يعلى الموصلي ت حسين الأسد دار المأمون + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٤٩. مسند الحميدى المكنز + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٠. مسند الرويانى الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥١. مسند السراج الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٢. سنن الدارقطنى المكنز + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٣. صحيح ابن حبان مؤسسة الرسالة + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٤. صحيح ابن خزيمة الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٥. مسند الشاميين للطبراني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٦. مسند الشهاب القضاى الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٧. مسند الطيالسى الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٨. مسند عبد بن حميد الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٥٩. مسند الشافعى الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٠. شرح معاني الآثار الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي + موقع الإسلام
٦١. مشكل الآثار للطحاوى ، مؤسسة الرسالة + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٢. معرفة السنن والآثار للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٣. السنن الصغرى للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٤. المنتقى من السنن المسندة لابن الجارود الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٥. معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٦. موسوعة السنة النبوية - للمؤلف مخطوط
٦٧. الأحاديث المختارة للضياء + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٨. شرح السنة - للإمام البغوى متنا وشرحا مؤسسة الرسالة + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٦٩. مجمع الزوائد + دار المعرفة + الشاملة ٢
٧٠. اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧١. المسند الجامع مؤسسة الرسالة + الشاملة ٢
٧٢. جامع الأصول لابن الأثير ت - عبد القادر الأرناؤوط + الشاملة ٢
٧٣. عمل اليوم والليلة للنسائي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٤. عمل اليوم والليلة لابن السني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي

٧٥. الترغيب والترهيب للمنري + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٦. حديث خيثة الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٧. أخبار أصبهان الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٨. أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٧٩. أمالي ابن بشران الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٠. أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨١. الأدب للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٢. الأدب المفرد للبخاري الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٣. الأسماء والصفات للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٥. الأموال للقاسم بن سلام الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٦. الاعتقاد للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٧. الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٨٨. التوحيد لابن خزيمة الشاملة ٢
٨٩. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٠. الدعاء للطبراني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩١. الدعوات الكبير للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٢. الزهد الكبير للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٣. الزهد لأحمد بن حنبل الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٤. الزهد لهناد بن السري الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٥. الزهد والرقائق لابن المبارك الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٦. السنة لأبي بكر بن الخلال الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٧. السنة لابن أبي عاصم الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٨. السنة لعبد الله بن أحمد الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
٩٩. الفوائد الشهير بالغيلانيات لأبي بكر الشافعي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠٠. القراءة عند القبور لأبي بكر بن الخلال الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠١. الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠٢. المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠٣. بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي الشاملة ٢
١٠٤. تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠٥. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠٦. خلق أفعال العباد للبخاري الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي
١٠٧. طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي

فضائل الأوقات للبيهقي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	١٠٨
فضائل الصحابة لأحمد الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	١٠٩
فضائل القرآن للفريابي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	١١٠
ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل للذهبي	١١١
الوسيط في أصول الحديث د- محمد محمد أبو شهبه	١١٢
فضائل القرآن للقاسم بن سلام الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	١١٣
فضائل القرآن لمحمد بن الضريس الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	١١٤
فوائد تمام الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	١١٥
مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي الشاملة ٢ + جامع الحديث	١١٦
النبوي	
معجم الصحابة لابن قانع الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	١١٧
قصر الأمل لابن أبي الدنيا الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	١١٨
المقاصد الحسنة للسخاوي الشاملة ٢	١١٩
كشف الخفاء للعجلوني الشاملة ٢	١٢٠
من تكلم فيه وهو موثق أو صالح الحديث للذهبي الشاملة ٢	١٢١
نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية للزيلعي الشاملة ٢ + موقع الإسلام	١٢٢
التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر الشاملة ٢ +	١٢٣
موقع الإسلام	
روضة المحدثين الشاملة ٢	١٢٤
تخريج أحاديث الإحياء للعراقي الشاملة ٢	١٢٥
هدي الساري (مقدمة الفتح) لابن حجر الشاملة ٢	١٢٦
تغليق التعليق لابن حجر الشاملة ٢ + المطبوع	١٢٧
الفتاوى الحديثية للحويني الشاملة ٢	١٢٨
تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق الشاملة ٢	١٢٩
إتحاف السادة المتقين للزبيدي دار الفكر	١٣٠
علل الحديث لابن أبي حاتم الشاملة ٢	١٣١
الضعفاء والمتروكين للنسائي الشاملة ٢	١٣٢
الضعفاء الكبير للعقيلي الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	١٣٣
تاريخ ابن معين رواية الدوري الشاملة ٢	١٣٤
تاريخ معرفة النقات لابن شاهين الشاملة ٢	١٣٥
جرح الرواة وتعديلهم محمود عידان أحمد الدليمي الشاملة ٢	١٣٦
مشاهير علماء الأمصار ابن حبان الشاملة ٢	١٣٧
قسم الحديث والمصطلح الشاملة ٢	١٣٨
تحفة المحتاج في تخريج أحاديث المنهاج لابن الملقن + الشاملة ٢	١٣٩
البدر المنير لابن الملقن + الشاملة ٢	١٤٠
خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام للإمام النووي +	١٤١
الشاملة ٢	
السلسلة الضعيفة للألباني + الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي	١٤٢
السلسلة الصحيحة للألباني + الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي	١٤٣

رياض الصالحين ت الألباني + الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي	١٤٤
مشكاة المصابيح ت الألباني + الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي	١٤٥
صحيح الترغيب والترهيب + الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي	١٤٦
صحيح وضعيف سنن أبي داود الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي	١٤٧
صحيح وضعيف سنن الترمذي الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي	١٤٨
صحيح وضعيف سنن النسائي الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي	١٤٩
صحيح وضعيف سنن ابن ماجه الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي	١٥٠
صحيح وضعيف الجامع الصغير الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي	١٥١
الجامع الصغير وزيادته الشاملة ٢ + المكتب الإسلامي	١٥٢
علل الحديث لابن أبي حاتم الشاملة ٢	١٥٣
علل الدارقطني الشاملة ٢	١٥٤
تاريخ جرجان للسهمي الشاملة ٢	١٥٥
موسوعة أقوال الإمام أحمد في الجرح والتعديل الشاملة ٢	١٥٦
موسوعة أقوال الدارقطني الشاملة ٢	١٥٧
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر الشاملة ٢	١٥٨
فتح الباري لابن حجر الشاملة ٢ + موقع الإسلام	١٥٩
فتح الباري لابن رجب الشاملة ٢	١٦٠
عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني الشاملة ٢	١٦١
شرح البخاري ابن بطل الشاملة ٢	١٦٢
شرح النووي على مسلم الشاملة ٢ + موقع الإسلام	١٦٣
عون المعبود للأبدي الشاملة ٢ + موقع الإسلام	١٦٤
تحفة الأحوذى المباركفوي الشاملة ٢ + موقع الإسلام	١٦٥
تأويل مختلف الحديث ابن قتيبة الشاملة ٢	١٦٦
الشريعة للأجري الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	١٦٧
شكر الله على نعمه للحرائطي الشاملة ٢	١٦٨
شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية الشاملة ٢	١٦٩
فيض القدير، شرح الجامع الصغير الشاملة ٢	١٧٠
جامع العلوم والحكم الشاملة ٢ + تحقيق الفحل	١٧١
حاشية ابن القيم على سنن أبي داود الشاملة ٢ + موقع الإسلام	١٧٢
تيسير العلام شرح عمدة الحكام- للبسام الشاملة ٢	١٧٣
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الشاملة ٢	١٧٤
دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين الشاملة ٢	١٧٥
بلوغ المرام من أدلة الأحكام الشاملة ٢	١٧٦
مختصر منهاج القاصدين نشر دار البيان	١٧٧
شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم الشاملة ٢	١٧٨
كشف المشكل من حديث الصحيحين الشاملة ٢	١٧٩
التحفة الربانية شرح الأربعين النووية الشاملة ٢	١٨٠
شرح رياض الصالحين لابن عثيمين الشاملة ٢	١٨١
فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين الشاملة ٢	١٨٢

١٨٣	مجموع فتاوى ابن تيمية الشاملة ٢ + دار الباز
١٨٤	جواهر الإكليل شرح مختصر خليل الشاملة ٢ + موقع الإسلام
١٨٥	حاشية الجمل الشاملة ٢ + موقع الإسلام
١٨٦	القوانين الفقهية لابن جزي الشاملة ٢
١٨٧	فتاوى الأزهر الشاملة ٢
١٨٨	الموسوعة الفقهية الكويتية الشاملة ٢ + موقع الإسلام + دار السلاسل
١٨٩	فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الشاملة ٢
١٩٠	مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين الشاملة ٢
١٩١	فتاوى السبكي الشاملة ٢
١٩٢	فتاوى الرملي الشاملة ٢
١٩٣	الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر الهيتمي الشاملة ٢ + موقع الإسلام
١٩٤	شرح سنن أبي داود - عبد المحسن العباد الشاملة ٢
١٩٥	لقاءات الباب المفتوح الشاملة ٢
١٩٦	دروس وفتاوى الحرم المدني الشاملة ٢
١٩٧	فتاوى من موقع الإسلام اليوم الشاملة ٢
١٩٨	فتاوى الإسلام سؤال وجواب الشاملة ٢
١٩٩	فتاوى يسألونك الشاملة ٢
٢٠٠	مجموع فتاوى ومقالات ابن باز الشاملة ٢
٢٠١	مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية الشاملة ٢
٢٠٢	فتاوى الإسلام سؤال وجواب الشاملة ٢
٢٠٣	فتاوى واستشارات الإسلام اليوم الشاملة ٢
٢٠٤	فتاوى الشبكة الإسلامية الشاملة ٢
٢٠٥	الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي الشاملة ٢
٢٠٦	الفقه الإسلامي وأدلته الزحيلي الشاملة ٢ + دار الفكر
٢٠٧	الدرر السنية في الأجوبة النجدية - الرقمية الشاملة ٢
٢٠٨	طرح التثريب الشاملة ٢ + موقع الإسلام
٢٠٩	الفتوحات الربانية على الأذكار النووية لابن علان دار الفكر
٢١٠	نيل الأوطار الشاملة ٢ + موقع افسلام
٢١١	المحلى لابن حزم الشاملة ٢
٢١٢	حاشية رد المحتار الشاملة ٢ + موقع الإسلام
٢١٣	تكملة حاشية رد المحتار الشاملة ٢ + موقع الإسلام
٢١٤	المبسوط للسرخسي الشاملة ٢ + موقع الإسلام
٢١٥	الهداية للمرغيباني الشاملة ٢
٢١٦	بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع الشاملة ٢ + موقع الإسلام
٢١٧	تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق الشاملة ٢ + موقع الإسلام
٢١٨	فتح القدير لابن الهمام الشاملة ٢ + موقع الإسلام
٢١٩	البحر الرائق شرح كنز الدقائق الشاملة ٢ + موقع الإسلام
٢٢٠	مراقي الفلاح وحاشية الطحطاوي عليه الشاملة ٢
٢٢١	رد المحتار على الدر المختار الشاملة ٢

المحيط البرهاني للإمام برهان الدين ابن مازة الشاملة ٢	٢٢٢
حاشية الطحاوي على المراقي الشاملة ٢	٢٢٣
الشرح الكبير للشيخ الدردير الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٢٤
الشرح الصغير الشاملة ٢	٢٢٥
التاج والإكليل لمختصر خليل الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٢٦
مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٢٧
شرح الزرقاني على مختصر خليل الشاملة ٢	٢٢٨
الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني الشاملة ٢ + موقع	٢٢٩
الإسلام	
منح الجليل شرح مختصر خليل الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٣٠
التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة القرطبي الشاملة ٢	٢٣١
بداية المجتهد ونهاية المقتصد الشاملة ٢	٢٣٢
روضة الطالبين وعمدة المفتين الشاملة ٢	٢٣٣
المهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي الشاملة ٢	٢٣٤
المجموع شرح المهذب للنووي الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٣٥
أسنى المطالب بشرح روض الطالب الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٣٦
شرح البهجة الوردية الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٣٧
حاشيتنا قلوبية - وعميرة الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٣٨
تحفة المحتاج في شرح المنهاج الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٣٩
مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٤٠
نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٤١
حاشية البجيرمي على الخطيب الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٤٢
حاشية البجيرمي على المنهج الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٤٣
الأم للشافعي الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٤٤
الحاوي في فقه الشافعي - الماوردي الشاملة ٢	٢٤٥
دليل المحتاج شرح المنهاج للإمام النووي الشاملة ٢	٢٤٦
الشرح الكبير لابن قدامة الشاملة ٢	٢٤٧
الفروع لابن مفلح الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٤٨
شرح منتهى الإرادات الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٤٩
كشاف القناع عن متن الإقناع الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٥٠
مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٥١
المغني لابن قدامة الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٥٢
المبدع شرح المقنع الشاملة ٢	٢٥٣
شرح زاد المستقنع لابن عثيمين الشاملة ٢	٢٥٤
أصول السرخسي الشاملة ٢	٢٥٥
الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الشاملة ٢	٢٥٦
الإحكام في أصول الأحكام للآمدي الشاملة ٢	٢٥٧
المحصول للرازي الشاملة ٢	٢٥٨
المستصفى للغزالي الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٥٩

تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية الشاملة ٢	٢٦٠
أنوار البروق في أنواع الفروق الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٦١
كشف الأسرار للبزدوي الشاملة ٢	٢٦٢
إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٦٣
البحر المحيط للزركشي الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٦٤
التقرير والتحبير لابن أمير الحاج الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٦٥
شرح الكوكب المنير للفتوح الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٦٦
حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع الشاملة ٢ +	٢٦٧
موقع الإسلام	
الفصول في الأصول للرازي الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٦٨
التلخيص في أصول الفقه / لإمام الحرمين الشاملة ٢	٢٦٩
من أصول الفقه على منهج أهل الحديث - الرقمية الشاملة ٢	٢٧٠
البرهان في أصول الفقه الجويني - الرقمية الشاملة ٢	٢٧١
تلقيح الأفهام العلية بشرح القواعد الفقهية الشاملة ٢	٢٧٢
حجة الله البالغة للدهلوي الشاملة ٢	٢٧٣
بحوث في علم أصول الفقه الشاملة ٢ الكردي	٢٧٤
القول المفيد في الاجتهاد والتقليد للشوكاني الشاملة ٢	٢٧٥
الموافقات للشاطبي الشاملة ٢	٢٧٦
إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول الشاملة ٢	٢٧٧
الإبهاج في شرح المنهاج الشاملة ٢	٢٧٨
الأصول من علم الأصول الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٧٩
التقرير والتحبير الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٨٠
المسودة في أصول الفقه الشاملة ٢	٢٨١
معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة الشاملة ٢	٢٨٢
نهاية السؤل شرح منهاج الوصول الشاملة ٢	٢٨٣
إحياء علوم الدين دار الفكر + الشاملة ٢	٢٨٤
حلية الأولياء لأبي نعيم الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	٢٨٥
الأذكار للنووي الشاملة ٢	٢٨٦
أدب الدنيا والدين الماوردي الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٨٧
المدخل لابن الحاج الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٨٨
الأداب الشرعية لابن مفلح الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٨٩
الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٢٩٠
بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية الشاملة ٢ + موقع	٢٩١
الإسلام	
غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب السفاريني الشاملة ٢ + موقع	٢٩٢
الإسلام	
رياض الصالحين للنووي - الألباني - الفحل	٢٩٣
لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للشعراني الشاملة ٢	٢٩٤
الروح لابن القيم الشاملة ٢	٢٩٥

مدارج السالكين لابن القيم الشاملة ٢	٢٩٦
مقدمة ابن الصلاح الشاملة ٢	٢٩٧
معرفة علوم الحديث للحاكم الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	٢٩٨
الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث الشاملة ٢	٢٩٩
قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث الشاملة ٢	٣٠٠
الكفاية في علم الرواية الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	٣٠١
فتح المغيبي بشرح ألفية الحديث السخاوي + الشاملة ٢	٣٠٢
المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل فاروق حمادة	٣٠٣
الاقتراح في فن الاصطلاح للحافظ ابن دقيق العيد الشاملة ٢	٣٠٤
توضيح الأفكار للصنعاني + الشاملة ٢	٣٠٥
قواعد في علوم الحديث للتهانوي ت أبو غدة	٣٠٦
منهج النقد في علوم الحديث - دار الفكر - العتر + الشاملة ٢	٣٠٧
تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي + الشاملة ٢	٣٠٨
نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر + الشاملة ٢	٣٠٩
التعليقات البازية على نزهة النظر شرح نخبة الفكر الشاملة ٢	٣١٠
تيسير مصطلح الحديث الطحان + الشاملة ٢	٣١١
تحرير علوم الحديث لعبدالله الجديع + الشاملة ٢	٣١٢
شرح شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر + الشاملة ٢	٣١٣
النكت على ابن الصلاح لابن حجر + الشاملة ٢	٣١٤
الموقظة في علم مصطلح الحديث الذهبي + الشاملة ٢	٣١٥
سؤالات الحاكم للدارقطني الشاملة ٢	٣١٦
شرح الموقظة للذهبي الشاملة ٢	٣١٧
رسالة في الجرح والتعديل للمنذري الشاملة ٢	٣١٨
الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح العراقي + الشاملة ٢	٣١٩
شرح التبصرة والتذكرة العراقي + الشاملة ٢ ت الفحل	٣٢٠
التذكرة في علوم الحديث لابن الملقن الشاملة ٢	٣٢١
بحوث في المصطلح للفحل + الشاملة ٢	٣٢٢
توجيه النظر إلى أصول الأثر الجزائري + الشاملة ٢ + تحقيق أبو غدة	٣٢٣
المنهج الحديث في علوم الحديث للشيخ السماحي	٣٢٤
الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للكنوي + الشاملة ٢ أبو غدة	٣٢٥
زاد المعاد لابن القيم + الشاملة ٢ + موقع الإسلام	٣٢٦
تذكرة السامع والمتكلم + الشاملة ٢	٣٢٧
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحى + الشاملة ٢	٣٢٨
الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر + الشاملة ٢	٣٢٩
الإصابة في معرفة الصحابة للحافظ ابن حجر + الشاملة ٢	٣٣٠
الثقات ابن حبان + الشاملة ٢	٣٣١
المجروحين ابن حبان + الشاملة ٢	٣٣٢
التاريخ الكبير البخاري + الشاملة ٢	٣٣٣
التاريخ الأوسط للبخاري	٣٣٤

الطبقات الكبرى لابن سعد + الشاملة ٢ + جامع الحديث النبوي	٣٣٥
تذكرة الحفاظ للذهبي + الشاملة ٢	٣٣٦
من له رواية في الكتب الستة للذهبي + الشاملة ٢	٣٣٧
ميزان الاعتدال للذهبي + الشاملة ٢ دار المعرفة	٣٣٨
تاريخ دمشق لابن عساكر + الشاملة ٢ دار الفكر	٣٣٩
طبقات الشافعية للسبكي + الشاملة ٢	٣٤٠
الجرح والتعديل لابن أبي حاتم + الشاملة ٢	٣٤١
الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي + الشاملة ٢	٣٤٢
كشف الإيهام لما تضمنه تحرير التقريب من الأوهام (للفحل)	٣٤٣
معرفة الثقات للعجلي + الشاملة ٢	٣٤٤
غمر عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر الشاملة ٢	٣٤٥
ضعفاء العقيلي + الشاملة ٢	٣٤٦
الجامع في الجرح والتعديل + الشاملة ٢	٣٤٧
تهذيب الكمال للمزي + الشاملة ٢ ت عواد بشار مؤسسة الرسالة	٣٤٨
الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة + الشاملة ٢ ت عوامة	٣٤٩
تقريب التهذيب لابن حجر + الشاملة ٢	٣٥٠
تهذيب التهذيب لابن حجر + الشاملة ٢	٣٥١
تعجيل المنفعة لابن حجر + الشاملة ٢	٣٥٢
لسان الميزان للحافظ ابن حجر + الشاملة ٢	٣٥٣
معرفة الرواة المتكلم فيه بما لا يوجب الرد للذهبي الشاملة ٢	٣٥٤
خلاصة تهذيب تهذيب الكمال - للكمال الخزرجي + الشاملة ٢	٣٥٥
سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة + الشاملة ٢	٣٥٦
المغني في الضعفاء للذهبي + الشاملة ٢	٣٥٧
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي + الشاملة ٢	٣٥٨
البداية والنهاية لابن كثير + الشاملة ٢	٣٥٩
الخلاصة في أحكام الحديث الضعيف للمؤلف	٣٦٠
تاريخ الإسلام للذهبي + الشاملة ٢ ت التدمري	٣٦١
الفصل في الملل والنحل لابن حزم مكتبة الخانجي - القاهرة	٣٦٢
النهاية في غريب الأثر + الشاملة ٢	٣٦٣
تاج العروس للزبيدي + الشاملة ٢	٣٦٤
معجم لسان المحدثين خلف الشاملة ٢	٣٦٥
لسان العرب لابن منظور + الشاملة ٢	٣٦٦
المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية + الشاملة ٢	٣٦٧
المصباح المنير الفيومي + الشاملة ٢	٣٦٨
مختار الصحاح الرازي الشاملة ٢	٣٦٩
المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي + الشاملة ٢	٣٧٠
الحافظ ابن حجر ومنهجه في التقريب - للمؤلف	٣٧١
المنهج المأمول ببيان معنى قول ابن حجر مقبول لأبي محمد الألفي	٣٧٢
الإكليل ببيان احتجاج الأئمة بروايات المجاهيل لأبي محمد الألفي	٣٧٣

منهج دراسة الأسانيد والحكم عليها للعاني – الأردن	٣٧٤.
شَدْرَاتُ مِنَ الْمَنَهِجِ الْمَأْمُولِ بَبَيَانِ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ حَجَرٍ مَقْبُولٌ / أبو محمد	٣٧٥.
الألفي	
الإكليل ببيان احتجاج الأئمة بروايات المجاهيل لأبي محمد الألفي	٣٧٦.
تحرير التقريب مؤسسة الرسالة	٣٧٧.
حتى ترضى لمصطفى عكرمة	٣٧٨.
الشاملة ٣+٢	٣٧٩.
برنامج قالون	٣٨٠.

جريدة الرموز :

خ= البخاري

م= مسلم

ت = الترمذي

د= أبو داود

نص= النسائي في المجتبى

ن= سنن النسائي الكبرى

هـ = ابن ماجة

حم= أحمد

طب= الطبراني في الكبير

طس= الطبراني في الأوسط

طص= الطبراني في الصغير

بز= البزار في مسنده

ع= أبو يعلى الموصلي

حب= ابن حبان في صحيحه

هق= البيهقي في السنن الكبرى

هب= البيهقي في شعب الإيمان

قط= الدارقطني في السنن

مي= الدارمي في سننه

عاصم= ابن أبي عاصم في السنة

ش= ابن أبي شيبه في المصنف

عب= عبد الرزاق في المصنف

مجمع= مجمع الزوائد للهيتمي

طيا= أبو داود الطيالسي

دعا طب= الدعاء للطبراني

ن عمل = النسائي في عمل اليوم والليلة

صحيح الترغيب= صحيح الترغيب والترهيب للألباني

صحيح الجامع= صحيح الجامع الصغير للألباني

الصحيحة = سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني

الضعيفة = سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني

الإتحاف = إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي

الباب الاول	٩ -
مفهوم الموت في القرآن الكريم	٩ -
المبحث الأول	٩ -
لا فرار من الموت إذا حلَّ الأجل	٩ -
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ	١٨ -
المبحث الثالث	٢٩ -
الحث على التوبة قبل الموت	٢٩ -
المبحث الرابع	٣٤ -
إذا حضر الأجل فلا رجعة للدنيا	٣٤ -
المبحث الخامس	٣٨ -
اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا	٣٨ -
المبحث السادس	٤١ -
الله تعالى قدر الموت والحياة	٤١ -
المبحث السابع	٤٧ -
الإنسان يغفل عن الموت	٤٧ -
المبحث الثامن	٥٢ -
وجوب تذكر المؤمن رسالته في هذه الأرض	٥٢ -
المبحث التاسع	٥٧ -
من هاجر إلى الله وأدركه الموت قبل وصوله فقد وقع أجره على الله	٥٧ -
المنافقون يهربون من الجهاد فرارا من الموت	٦١ -
المبحث الحادي عشر	٦٤ -
الكفار لا يتمنون الموت أبدا	٦٤ -
المبحث الثاني عشر	٦٦ -

وجوب التواصي بالموت على الإسلام.....	٦٦ -
المبحث الثالث عشر	٧٠ -
الحث على الوصية قبل الموت لغير الورثة	٧٠ -
المبحث الرابع عشر	٧٣ -
الملائكة تقبض أرواح الناس	٧٣ -
المبحث الخامس عشر	٧٩ -
حال الكفار أثناء نزاع الروح	٧٩ -
المبحث السادس عشر	٨٢ -
الأمم لها آجال أيضا	٨٢ -
الباب الثاني	٩١ -
الموت في السنة النبوية	٩١ -
المبحث الأول	٩١ -
الأعمالُ بالخواتيم	٩١ -
المبحث الثاني	٩٥ -
موت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام	٩٥ -
موت آدم عليه السلام	٩٥ -
موسى وملك الموت عليهما السلام	٩٨ -
موت النبي محمد ﷺ	١٠٣ -
المبحث الثالث	١١٢ -
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	١١٢ -
المبحث الرابع	١١٥ -
لمثل هذا فأعدوا	١١٥ -
المبحث الخامس	١٢٣ -
فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله	١٢٣ -
المبحث السادس	١٢٧ -

- ١٢٧ - الموت على عمل صالح
- ١٢٩ - المبحث السابع
- ١٢٩ - التحذير من سوء الخاتمة
- ١٣٠ - المبحث الثامن
- ١٣٠ - أسباب حسن الخاتمة
- ١٣٠ - إقامة التوحيد لله جل وعلا
- ١٣١ - التقوى
- ١٣٣ - التوكل على الله
- ١٣٤ - الاستقامة
- ١٣٤ - الأمانة
- ١٣٨ - **الباب الثالث**
- ١٣٨ - **الإنسان من مرضه حتى وفاته**
- ١٣٨ - المبحث الأول
- ١٣٨ - الترغيب في سؤال العفو والعافية
- ١٤٦ - المبحث الثاني
- ١٤٦ - النهي عن تمني الموت لضر نزل به
- ١٤٩ - المبحث الثالث
- ١٤٩ - الترغيب في الصبر وفضل البلاء
- ١٦٩ - المبحث الرابع
- ١٦٩ - فضل طول الحياة في طاعة الله تعالى
- ١٧١ - المبحث الخامس
- ١٧١ - الترغيب في كلمات يقولهن من آلمه شيء من جسده
- ١٧٤ - المبحث السادس
- ١٧٤ - الترغيب في عيادة المرضى
- ١٧٧ - آداب عيادة المريض :

- ١٧٨ - وَفَتْ عِيَادَةَ الْمَرِيضِ :
- ١٧٨ - مَنْ تُشْرَعُ لَهُ زِيَارَةُ الْمَرِيضِ ؟
- ١٧٩ - الدُّعَاءُ لِلْمَرِيضِ :
- ١٨٠ - المبحث السابع
- ١٨٠ - الترغيب في الوصية والعدل فيها
- ١٨٤ - المبحث الثامن
- ١٨٤ - فضل الموت
- ١٨٨ - المبحث التاسع
- ١٨٨ - الترهيب من كراهية الموت والترغيب بمحبته
- ١٩٠ - المبحث العاشر
- ١٩٠ - استحباب ذكر الموت والاستعداد له
- ١٩٣ - المبحث الحادي عشر
- ١٩٣ - تحسين الظن بالله والخوف منه
- ١٩٦ - المبحث الثاني عشر
- ١٩٦ - نذير الموت
- ١٩٨ - المبحث الثالث عشر
- ١٩٨ - علامة خاتمة الخير وسوءها
- ٢٢٣ - هل التبسم عند الموت من علامات حسن الخاتمة ؟
- ٢٢٤ - هل خروج روح الميت بسهولة أو بشدة علامة قاطعة على سعادته أو غيرها؟
- ٢٢٧ - المبحث الرابع عشر
- ٢٢٧ - كيفية الموت وشدته
- ٢٣١ - المبحث الخامس عشر
- ٢٣١ - تلقين الميت
- ٢٣٤ - المبحث السادس عشر
- ٢٣٤ - ما جاء في ملك الموت وأعوانه

- ٢٣٨ - المبحثُ السابع عشر
- ٢٣٨ - من يحضر الميت من الملائكة
- ٢٤٥ - المبحثُ الثامن عشر
- ٢٤٥ - الحث على التوبة قبل فوات الأوان
- ٢٤٩ - وَقْتُ التَّوْبَةِ :
- ٢٥١ - مَنْ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُمْ وَمَنْ لَا تُقْبَلُ :
- ٢٥١ - أ - تَوْبَةُ الرَّئِيقِ :
- ٢٥٢ - ب - تَوْبَةُ مَنْ تَكَرَّرَتْ رِدَّتُهُ :
- ٢٥٣ - ج - تَوْبَةُ السَّاحِرِ :
- ٢٥٥ - المبحثُ التاسع عشر
- ٢٥٥ - الترغيب في كلمات يقولهن من مات له ميت
- ٢٥٧ - المبحثُ العشرون
- ٢٥٧ - معرفة الميت بمن يغسله ويجهزه
- ٢٥٩ - المبحثُ الواحد والعشرون
- ٢٥٩ - بكاء السموات والأرض على المؤمن
- ٢٦٤ - المبحثُ الثاني والعشرون
- ٢٦٤ - الترغيب في حفر القبور وغسل الموتى
- ٢٦٦ - المبحثُ الثالث والعشرون
- ٢٦٦ - الترغيب في تشييع الميت وحضور دفنه
- ٢٧٠ - المبحثُ الرابع والعشرون
- ٢٧٠ - الترغيب في كثرة المصلين على الجنازة
- ٢٧٤ - المبحثُ الخامس والعشرون
- ٢٧٤ - الترغيب في الإسراع بالجنازة وتعجيل الدفن
- ٢٧٦ - المبحثُ السادس والعشرون
- ٢٧٦ - الدفن في المكان المقدّر

- ٢٧٨ - المبحثُ السابع والعشرون
- ٢٧٨ - ما يقال عند الدفن
- ٢٨٨ - حكم قراءة القرآن على القبر بعد الدفن
- ٢٩٠ - حكمُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى الْمُحْتَضِرِ وَالْقَبْرِ :
- ٢٩٣ - المبحثُ الثامن والعشرون
- ٢٩٣ - ضمة القبر
- ٢٩٩ - المبحثُ التاسع والعشرون
- ٢٩٩ - مخاطبة القبر للميت
- ٣٠٤ - المبحثُ الثلاثون
- ٣٠٤ - الترغيب في الدعاء للميت
- ٣٠٧ - المبحثُ الواحد والثلاثون
- ٣٠٧ - عذاب القبر ونعيمه
- ٣٠٩ - هَلِ الْمَوْتُ لِلْبَدَنِ وَالرُّوحِ أَوْ لِلْبَدَنِ وَحْدَهُ ؟
- ٣٣١ - المبحثُ الثاني والثلاثون
- ٣٣١ - من لا يسأل في القبر وما ينجي من عذاب القبر
- ٣٣٧ - المبحثُ الثالث والثلاثون
- ٣٣٧ - الترهيب من النياحة على الميت وغيرها
- ٣٤٢ - المبحثُ الرابع والثلاثون
- ٣٤٢ - الترهيب من إحداث المرأة على غير زوجها فوق ثلاث
- ٣٤٥ - المبحثُ الخامس والثلاثون
- ٣٤٥ - النهي عن أكل ما اليتيم بغير حق
- ٣٤٨ - المبحثُ السادس والثلاثون
- ٣٤٨ - الترغيب في زيارة القبور
- ٣٥٢ - المبحثُ السابع والثلاثون
- ٣٥٢ - الترهيب من المرور بقبور الظالمين

- ٣٥٤ - المبحثُ الثامن والثلاثون
- ٣٥٤ - أحوال الموتى في قبورهم
- ٣٥٨ - المبحثُ التاسع والثلاثون
- ٣٥٨ - باب صفة الدفن
- ٣٦٢ - تَعْلِيمُ الْقَبْرِ وَالْكِتَابَةُ عَلَيْهِ :
- ٣٦٤ - تَطْيِينُ الْقَبْرِ وَتَجْصِصُهُ وَالْبِنَاءُ عَلَيْهِ :
- ٣٦٦ - المبحثُ الأربعون
- ٣٦٦ - الترهيب من الجلوس على القبر وكسر عظم الميت أو نبشه إلا لضرورة.....
- ٣٧٢ - المبحثُ الواحد والأربعون
- ٣٧٢ - النهي عن تجصيص القبر ورفعهِ والصلاة إليه
- ٣٧٤ - المبحثُ الثاني والأربعون
- ٣٧٤ - الحث على تعزية المسلم
- ٣٧٨ - المبحثُ الثالث والأربعون
- ٣٧٨ - الحث على صنع الطعام لأهل الميت.....
- ٣٨٠ - المبحثُ الرابع والأربعون
- ٣٨٠ - النهي عن شق الجيوب ولطم الخدود والدعاء بدعوى الجاهلية
- ٣٨٢ - المبحثُ الخامس والأربعون
- ٣٨٢ - ما ينفع الميت في قبره.....
- ٣٩٤ - دُعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ لِلْمُؤْمِنِ :
- ٣٩٦ - **خاتمة**
- ٣٩٨ - قصيدة التائبين
- ٣٩٩ - **المصادر الهامة**
- ٤١٠ - جريدة الرموز :